

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
الحمد لله رب العالمین

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
وبعد فقد حضر

الحمد لله رب العالمین

الحمد لله رب العالمین

الحمد لله رب العالمین

**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.**

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ



البيان في المغرب

في أخبار الأندلس والمغرب

لابن عدي أري المراكشي



الجزء الثاني

تحقيق ومراجعة

و

ج. س. كولان

إ. ليثي بروفسال

حاد الشافعية

بيروت - لبنان

132039

الطبعة الثالثة

١٩٨٣

فهرس الأبواب والفصول

١	ذکر صفة الأندلس وأوائمتها
٤	ذکر دخول المسلمين إلى الأندلس وانتزاعها من أيدي الكفار
٩	ذکر ما افتتح طارق بن زياد من بلاد الأندلس سنة ٩٢ من الهجرة
٩	فتح قرطبة
١١	فتح مالقة
١١	فتح إغرناطة قاعدة البيرة
١١	فتح مرسية
١٢	فتح طليطلة
١٢	فتح قرمونة
١٤	فتح إشبيلية
١٤	فتح ماردة
١٥	فتح إشبيلية ثانية
١٥	فتح لبلة
١٦	ذکر اجتماع الأمير أبي عبد الرحمن موسى بن نصير مع مولا طارق بن زياد على طليطلة
١٧	ذکر ما آفاه الله على فاتحي الأندلس
١٩	أخبار الأمير أبي عبد الرحمن موسى بن نصير
٢٢	ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير
٢٥	ذکر ولاية أبوب بن حبيب الأندلس
٢٥	ولاية المحر بن عبد الرحمن الثقفي
٢٦	ولاية السخ بن مالك الغولاني
٢٦	ولاية عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الأندلس
٢٧	ولاية عنبة بن سعييم الكلبي

٢٧	ولاية يعقوب بن سلمة الكلبي
٢٧	ولاية حذيفة بن الأحوص
٢٨	ولاية عثمان بن أبي نسعة
٢٨	ولاية الهيثم بن عبيد الكِناني
٢٨	ولاية محمد بن عبد الله الأذجي
٢٨	ولاية عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي ثانية
٢٨	ولاية عبد الملك بن قطن
٢٩	ولاية عتبة بن الحجاج السلوي
٣٠	ولاية عبد الملك بن قطن الفهري ثانية
٣١	ذكر ولاية بلج بن بشر الفسيري الأندلس
٣٢	مقتل عبد الملك بن قطن الفهري
٣٢	ولاية نعلبة بن سلامة العاملي الأندلس
٣٣	ذكر ولاية أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي الأندلس
٣٤	ذكر الصمبل بن حانم وسبب الفتنه
٣٥	ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري الأندلس
٣٦	مقتل أبي الخطار
٣٨	تسمية من ثار على يوسف بن عبد الرحمن الفهري بالأندلس
٣٨	جامع أخبار بني أمية بالمشرق
٤٠	ذكر دخول عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الى الأندلس ومُروبه من الشام
٤٧	خلافة عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك
٥٨	ذكر بعض أخباره على الجملة
٦١	خلافة هشام الرضي بن عبد الرحمن الداخل
٦٥	ذكر بعض أخباره على الجملة
٦٧	فصة الكِناني مع هشام بن عبد الرحمن
٦٨	خلافة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن
٧١	مقتل أهل الرّيبض أولاً قبل هيجو ثانية
٧٤	ذكر دخول الحكم طليطلة حين خالفت عليه
٧٥	ذكر هيج أهل الرّيبض ثانية في سنة ٢٠٢

٧٨	بعض أخباره وسيره
٨٠	خِلافة عبد الرَّحْمَنِ بن العَظَم بن هشام
٨٧	دُخُول المَجُوسِ إِشْبِيلِيَّةَ فِي سَنَةِ ٢٢٠
٩٠	ذَكَرَ بَعْضَ أَخْبَارِهِ عَلَى الجُمَّلَةِ وَسِيَرِهِ
٩٣	خِلافة مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَنِ بن المَحْكَم بن هشام
١٠٧	بعض أخباره وسيره
١١٢	خِلافة المُنْذِرِ بن مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَنِ بن المَحْكَم
١١٧	شَأْنُ عُمَرَ بن حَفْصُونَ فِي أَيَّامِ المُنْذِرِ - رَحِمَهُ اللهُ
١٢٠	بعض سِيرِهِ وَأَخْبَارِهِ
١٢٠	خِلافة عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَنِ بن المَحْكَم
١٢٥	ذَكَرَ ثَوْرَةَ بِنَى حَبَّاجِ بِإِشْبِيلِيَّةَ
١٣١	أَخْبَارُ عُمَرَ بن حَفْصُونَ فِي أَيَّامِ الأَمِيرِ عبدِ اللهِ
١٣٢	جُمَّلَةُ الثَّوَارِ بِيلاَدِ الأَنْدَلُسِ فِي أَيَّامِ الأَمِيرِ عبدِ اللهِ، المَخْرَجِينَ عَنِ الجَمَاعَةِ، المُضْرِمِينَ لِنَارِ الفِتْنَةِ
١٥٠	شَأْنُ ابْنَى الأَمِيرِ عبدِ اللهِ، مُحَمَّدٍ وَمُطَرِّفٍ
١٥٠	شَأْنُ القَاسِمِ، أَخِي الأَمِيرِ عبدِ اللهِ
١٥٢	بعض أَخْبَارِ الأَمِيرِ عبدِ اللهِ بن مُحَمَّدِ عَلَى الجُمَّلَةِ
١٥٦	خِلافة أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عبدِ الرَّحْمَنِ بن مُحَمَّدِ النَاصِرِ لِدِينِ اللهِ
١٧١	ذَكَرَ مَوْتَ عُمَرَ بنِ حَفْصُونَ
١٧٢	غَزَاةُ مُطَوْنِيَّةَ
١٧٢	غَزَاةُ النَاصِرِ لِدِينِ اللهِ إِلَى بَلَدِهِ
١٧٥	غَزَاةُ مُوَيْشٍ
١٨٥	غَزَاةُ النَاصِرِ إِلَى بَنبَلُونَةَ
١٩٢	ذَكَرَ قَتْلَ سَلْيَانَ بنِ حَفْصُونَ
١٩٥	ذَكَرَ افْتِتَاحَ مَدِينَةِ بَيْشْتَرٍ
٢٠١	مُطَالَعَةُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ النَاصِرِ لِبَيْشْتَرٍ فِي الأَيَّامِ

٢٢٢	بعض أخبار الناصر على الجبل
٢٢٩	ذكر مسجد قرطبة الأعظم
٢٣١	ذكر بناء مدينة الزهراء بقرطبة
٢٣٢	خلافة المحكم بن عبد الرحمن المستنصر بالله
٢٥١	ذكر اتصال محمد بن أي عامر بعبد المحكم المستنصر
٢٥٢	خلافة هشام بن المحكم بن عبد الرحمن الناصر والنوالة العامرية
٢٥٦	بعض أخبار المنصور محمد بن أي عامر في ابتداءه
٢٦١	مقتل المغيرة بن عبد الرحمن الناصر
٢٦٢	بعض أخبار الصقالب مع ابن أي عامر
٢٦٤	غزوة محمد بن أي عامر الأولى
٢٦٥	ذكر نكبة الحاجب جعفر بن عثمان
٢٦٥	غزوة ابن أي عامر الثانية
٢٦٧	غزوة ابن أي عامر الثالثة
٢٧٢	استبداد ابن أي عامر بالملك وتغلبه عليه
٢٨٢	ذكر تديبر عبد الرحمن بن مطيرف مع عبد الله بن المنصور في القيام عليه
٢٨٤	ذكر مقتل عبد الله بن المنصور
٢٩٤	غزوة شنت يا قوب على سبيل الاختصار

الجزء الثاني من الكتاب، في أخبار الأندلس

ذكر صفة الأندلس وأوليتها

* أما صفة الأندلس، فإنها جزيرة مركبة، ذات ثلاثة أركان، قريبة من P. 2 شكل المثلث: الركن الواحد منها عند صنم قاديس، والركن الثاني في بلاد جليقية، وهو مقابل لجزيرة برطانية¹ حيث الصنم المشبه بصنم قاديس. والركن الثالث بناحية الشرق، بين مدينة أربونة ومدينة برذيل حيث هو قرب البحر المحيط الغربي من البحر المتوسط الشامي، وكاد البحران هناك أن يجتمعا في ذلك الموضع، فتصير الأندلس في جزيرة أولا يسير ما بقي منها، وهو مسيرة يوم كامل، وفيه مدخل يقال له الأبواب، وفيه تتصل الأندلس بالأرض الكبيرة. فالأندلس كلها محذقة بالبحر: البحر المحيط الغربي، والبحر المتوسط القبلي، وبصعد منه قليل إلى ناحية الشرق؛ فحده الأندلس في الشرق والغرب وبعض الجوف البحر المحيط، وحدها في بعض القبلة والشرق البحر المتوسط، إلا أن الأندلس² يتوسط الأرض كلها. وقيل³ إنه في³ آخر الأقاليم⁴ السبعة.

وقيل إن أول من نزل الأندلس بعد الطوفان قوم يعرفون بالأندلس (بشين * معجبة)؛ فسُميت بهم الأندلس (بالسين غير معجبة). وقيل إنهم كانوا P. 3 مجوساً؛ فأراد الله قلعهم⁵ منها؛ فحبس المطر عنهم حتى غاضت مياههم وعيونهم وأنهاهم، وخرجوا منها، وافترقوا في البلاد؛ وأقامت خالية مائة سنة، من حد إفرنجة إلى البحر؛ ثم دخلها بعد ذلك قوم من الأفارقة، أجلاهم صاحب

1) فرطاجنة B.

2) A. et B. لآة.

3-3) Manque dans A.

4) الإقليم A.

5) خلعم B.

إفريقية من الجوع؛ فلما نزلوا الأندلس، وجدوا أنهارها قد جرت، فملكوها نحو مائة وخمسين سنة. وعدد ملوكهم أحد عشر ملكاً. ودار منكم مدنة طالفة. ثم غلبت عليهم الإشبانية، حتى أخرجوهم عن الملك. وصار الملك اليم؛ وهم سميت إشبانية؛ فبنوها وسكوها؛ وخربت طالفة. وهجم عجم رومة، فكانوا موكاً. حتى دخل البشترقات على الرومانيين. وقد بعث الله المسيح - عليه السلام - فبعث الحواريين إلى البلدان كلها. وظهر دين النصرانية وغلب. ثم كان دخول البشترقات من رومة، وكانوا يملكون إفريقية. ويبعثون عمالهم إليها. ودار منكم ماردة؛ فكانت عدة ملوكهم سبعة وعشرين ملكاً.

ثم ظهر بإشبانية إشبان؛ وكان رجلاً ضعيفاً حراً؛ فوقف به الخضر - عليه السلام! - وهو بجرث؛ فقال له: «إذا غلبت على إيلياء، فأزفني بأولاد الأنبياء!» فقال له: «كيف يكون هذا، وأنا ضعيف، من غير بيت ملك؟» فقال له: «بقدر ذلك من قدر في عصاك ما قدر!» فلما نظر إلى عصاه. إذا بها قد أفرقت؛ ففرع. وغاب عنه الخضر. ووقع ذلك بنس إشبان؛ فلم يزل يصطحب الرجال حتى علا⁽²⁾ اسمه، وشاع⁽³⁾ ذكره، وغلب على الأندلس؛ فخرج في السفن إلى إيلياء؛ فغنها وهدمها⁽⁴⁾، وقتل فيها مائة ألف من اليهود، وباع منهم مائة ألف؛ وانتقل رخامها إلى الأندلس. وكان ملكه نحو عشرين سنة؛ وبعد سنتين من ملكه، غزا إيلياء. ويقال إن إشبان اسمه إصبهان، لأنه ولد بإصبهان؛ فسُمي بها، والله أعلم. فعدة ملوكهم خمسة وخمسون ملكاً.

ثم دخل القوط الأندلس، وقطع الله ملك رومة منها. وعدة ملوك القوطيين سنة عشر ملكاً، آخرهم لذريق، الذي دخل عليه المسلمون. وجعلوا دار ملكهم طليطلة. ووجدت في بعض كتب العجم أن آخر ملوك الأندلس كان يسمى وختندش⁽⁵⁾، ولم يكن في النصرانية أحكم منه ولا أحسن⁽⁶⁾ إصابة

1) A. ajoute منهم. 2) B. غلظ. 3) Manque dans A. 4) B. وملكه.

5) Vocalisation fournie par B. 6) B. أهد.

لِسُنَّتِهِمْ؛ وَعَلَى سُنَّتِهِ أَمْضَتْ^١ النُّصْرَانِيَّةُ أَحْكَامَهَا، وَهِيَ الْأُرْبَعَةُ الْأَنْجِيلُ، الَّتِي يَحْفَافُونَ بِهَا وَيَسْتَهْوُونَ إِلَى مَا فِيهَا. وَقَالُوا إِنَّ زُذْرِيْقَ. الَّذِي دَخَلَتْ عَلَيْهِ الْعَرَبُ وَالْبَرْبَرُ، وَثَبَّ عَلَى وَخَشَنَدَشَ هَذَا وَقَتْلَهُ، وَغَابَ عَلَى مُلْكِ الْأَنْدَلُسِ. وَدَانَتْ لَهُ طَلَبُطْلَةُ وَغَيْرُهَا.

وَفِي كُتُبِ الْعَجَمِ: إِنَّ زُذْرِيْقَ هَذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ بَيْتِ الْمَمْلُوكَةِ. وَإِنَّمَا كَانَ زَنْبِئًا؛ وَكَانَ مِنْ عُمَّالِ الْمَلِكِ بَقْرُطِيَّةَ؛ وَقَتْلَ وَخَشَنَدَشَ بَعْدَ مَا خَالَفَ^٢ عَلَيْهِ. فَغَيَّرَ الْحُكْمَ، وَأَفْسَدَ سُنَنَ الْمَلِكِ. وَفَتَحَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ فِيهِ النَّابُوتُ. وَكَانَ^٣ إِذَا مَاتَ الْمَلِكُ مِنْهُمْ، يُكْتَبُ اسْمُهُ، وَكَمْ وَوَلِيِّ. وَتُوضَعُ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ مَعَ نَاجِيهِ، وَلَا سَبِيلَ بَعْدُ عِنْدَهُمْ لِفَتْحِهِ. فَلَمَّا فَتَحَهُ زُذْرِيْقُ، أَنْكَرَتِ النُّصْرَانِيَّةُ ذَلِكَ عَلَيْهِ. وَجَعَلُوا لَهُ مِثْلَهُ ذَهَبًا وَفِضَّةً. وَلَا يَفْتَحُهُ؛ فَلَمْ يَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ. وَعَزِمَ عَلَى فَتْحِهِ؛ فَفَتَحَهُ، وَوَجَدَ فِي الْبَيْتِ نَبِيْجَانَ الْمَلُوكِ وَنَابُوتًا فِيهِ صُورُ الْعَرَبِ مَتَنَكِبَةً قَسِيحًا. وَفِي رُؤُوسِهَا عَمَائِمُهَا، وَعَلَيْهَا مَكْتُوبٌ: «إِذَا فُتِحَ هَذَا الْبَيْتُ. وَأُخْرِجَتْ هَذِهِ الصُّوَرُ. دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ قَوْمٌ فِي صُورِهِمْ. فَغَلَبُوا^٤ عَلَيْهَا!» فَلَمَّا دَخَلَتِ الْعَرَبُ وَالْبَرْبَرُ مَعَ طَارِقِ، وَالتَّفُولُ بَرُذْرِيْقَ^٥، أَسْلَمَتَهُ النُّصْرَانِيَّةُ، وَانْهَزَمَتْ عَنْهُ حَتَّى قُتِلَ. وَكَانَ دُخُولُ طَارِقِ بَعْدَ سَنَةٍ مِنْ وِلَايَةِ زُذْرِيْقِ؛ فَقَتَلَهُ طَارِقُ بَقْرُطَاجِنَةَ مِنْ كُورِ الْجَزِيرَةِ؛ وَافْتَتَحَ الْبِلَادَ حَتَّى انْتَهَى طَارِقُ إِلَى طَلَبُطْلَةَ؛ فَوَجَدَ فِيهَا مَائِدَةَ سُلَيْمَانَ - عَلَى نَبِيئِنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ! - وَوَجَدَ فِيهَا ٥٠ صُورَ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ عَلَى خَيْبُولِهِمْ، وَهِيَ الصُّوَرُ الَّتِي وَضِعَتْ عَلَى الْقَصْرِ بِقُرْطِيَّةَ. وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّهَا طَلَسَاتُ، كَانَتْ الْعَرَبُ قَدْ نَصَبَتْهَا عَلَى مَسَاجِدِ الْأَنْدَلُسِ؛ فَنَقَلَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْقَصْرِ بِقُرْطِيَّةَ.

وَهَذَا الْقَدْرُ كَافٍ هُنَا مِنْ صِفَةِ الْأَنْدَلُسِ وَذِكْرِ مَلُوكِهَا الْأَوَّلِينَ.

1) Manque dans A. 2) B. ثار.

3) Tout le passage qui suit est corrompu dans A.

4) Manque dans A. 5) بالجزيرة A.

ذكر دخول المسلمين إلى الأندلس وانتزاعها من أيدي الكفار

أما دخول المسلمين لها، فذكر فيه أربعة أقوال:
 أحدها أن الأندلس، «أول من» دخلها عبد الله بن نافع بن عبد القيس،
 وعبد الله بن الحُصَيْن الفِهْرِيَانِ. من جهة البحر، في زمن عثمان - رضه -
 قال الطبري: أتوها من برّها وبحرها؛ ففتحها الله تعالى على المسلمين هي
 وإفريقية، وازداد في سلطان المسلمين مثل إفريقية؛ ولم ينزل أمر الأندلس
 لإفريقية، حتى كان زمن هشام بن عبد الملك؛ ففتح البربر أرضهم، وبقي من
 في الأندلس على حالهم. هذا نصه¹. وإن ذلك كان سنة ٢٧ من الهجرة الكريمة.
 وثانيها أن موسى بن نصير افتتحها عام ٩١. وهو قول الطبري أيضاً.
 فيظهر منه أنه جاز بنفسه، ونولى هذه الغزوة والفتح.

وثالثها أن طريفاً دخلها وفتحها في عام ٩١.
 ورابعها أن طارقاً أول من دخلها، سنة ٩٤، ودخل موسى بعده سنة ٩٢.
 فهذا الخلاف واقع في هؤلاء الأربعة مواضع: قيل إن أول من دخلها
 الفِهْرِيَانِ؛ ثم ابن نصير؛ ثم طريف؛ ثم طارق؛ فظهر من هذا أن الفِهْرِيَانِ
 أتوا فيها في زمن عثمان - رضه - وغنما من جهة البحر، وطريفاً دخلها سنة
 ٩١ مغيراً ومغرباً، ونُسب فعله إلى موسى بن نصير، نسبة فعل المأمور إلى
 الأمر؛ فصدق عليه إضافته لموسى، فيكون قول الطبري صادقاً؛ وصدق عليه
 أيضاً قول الرازي بأخرى وأولى، وطارق دخلها دخول المستفتح لها، المكافح،
 سنة ٩٢،³ وموسى دخلها بعد ذلك متنبهاً للفتح³.

وقال عريب: إن العليج يلبان، صاحب الجزيرة الخضراء، داخل موسى
 ابن نصير، صاحب إفريقية، عام ٩١، على يد طارق بن زياد عامل موسى على
 طنجة وما والاها؛ فراسل يلبان موسى، يزّين عنده دخول الأندلس، ويقرب

1-1) Manque dans A.

2) A. نصهم

3-3) Manque dans A.

له أمرها. وقيل: بل، سار اليه بنفسه في البحر، حتى اجتمع به في ذلك؛ فاستشار موسى الوليد بن عبد الملك، إما مراسلة (وهو الأكثر الأظهر¹) وإما بأن² نهض بنفسه اليه³؛ فأشار الوليد بأن يختبرها بالسرايا، ولا يفرّج بالمسلمين؛ فبعث موسى بن نصير عند ذلك رجلاً من البربر، يسمى طريفاً ويكنى أبا زُرعة، في مائة فارس وأربعمائة راجل؛ فجاز في أربعة مراكب، حتى نزل في ساحل البحر بالأندلس، فيما يجاذي طنجة، وهو المعروف اليوم بجزيرة طريف، سُميت باسمه لتزوله هنالك؛ فأغار منها على ما يليها إلى جهة الجزيرة الخضراء، وأصاب سياً ومالاً كثيراً، ورجع سالماً. وكانت إجازته في شهر رمضان من سنة ٩١.

وقد اتفق الجميع فيما يظهر على أن متولى كبر فتح الأندلس وجلبه ومعظمه طارق بن زياد. وقد اختلف في نسبه؛ فالأكثر على أنه بربري من نفزة، وأنه متولى لموسى بن نصير، من سبي البربر. وقال آخرون إنه فارسي. قال صالح بن أبي صالح: هو طارق بن زياد بن عبد الله بن رفه بن ورجوم بن يتزغاس بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو؛ وكانهم أيضاً اتفقوا على أن طارقاً كان عاملاً لموسى، قبل محاولة الأندلس، على المغرب الأقصى، وتركه عند رهائن برابر المغرب في سنة ٨٦ من الهجرة. وقيل أيضاً إن طارقاً جاز إلى الأندلس • برهائن البربر سنة ٩٢.

P. Y

قال ابن القطان: فالأكثر يقولون: كان مستقره بطنجة، ومنهم من يقول بجلباسه، وإن سلاً وما وراءها من فاس وطنجة وسبغة كانت للنصارى؛ وكانت طنجة لبليان منهم؛ فكان طارق إذا نائباً عن موسى بن نصير واختلفوا أيضاً هنا هل إنما سار إلى الأندلس عن أمر موسى، أو سار إليها لأمر دهميه، لم يمكنه إلا إنفاذه. والنقول الأول هو المشهور المتفق عليه.

2) Le membre de phrase entre parenthèses manque dans A.

2) Manque dans A. 3) A. ajoute في ذلك

قال الرازي عن الواقدي: إن الوليد بن عبد الملك استعمل موسى بن نصير على إفريقية، واستعمل موسى بن نصير طارق بن زياد على طنجة. وكان سليمان مجاوراً له بالجزيرة الخضراء التي يلي طنجة؛ فدخله طارق حتى صار معه إلى الرضى، ووعدته سليمان بإدخاله الأندلس هو وجنوده. وكان اجتمع لطارق اثنا عشر ألفاً من البربر؛ فأجمع طارق على غزو الأندلس، بعد أن أخذ إذن من نصير مولاه في ذلك؛ فكان سليمان يجتمع أصحاب طارق في مراكب التجار التي تخطف إلى الأندلس. ولا يشعر أهل الأندلس بذلك. ويظنون أن مراكب تخطف بالتجار. فحمل الناس فوجاً بعد فوج إلى الأندلس. فلما لم يبق إلا فوج واحد، ركب طارق ومن معه. حتى أجاز البحر إلى أصحابه وتخلف سليمان بالجزيرة الخضراء. ليكون أطيب لنفسه ونفس أصحابه. فنزل طارق حياً من جبال الأندلس. يوم الاثنين لحس خنون من رجب سنة ٩٢. كما تقدم ذكر ذلك. فسُمي ذلك الحمل باسمه إلى اليوم.

وذكر عيسى بن محمد، من ولد أبي المهاجرين، في كتابه السبب في دخول طارق الأندلس. وهو أن طارقاً كان والياً لموسى على طنجة؛ وكان يوماً جالساً. إذ نظر إلى مراكب قد طلعت في البحر؛ فلما أرسيت، خرجوا إليها، فترعوا أرجلها، ونزلوا أهلها؛ فقالوا: «البيكم جئنا عامدين!» وعظيهم معهم. فقال له سليمان: فقال طارق: «ما جاء بك؟» فقال له: «إن أبي مات. فوثب على منكبنا تطريقاً فقال له لُدْرِيقُ؛ فأهانتني. وأذلتني؛ وبلغني أمرُكم؛ فحيثُ البيكم أدعوكم إلى الأندلس. وأكون دليلاً لكم!» فأجابه طارق إلى ذلك، واستنفر اثني عشر ألفاً من البربر. فجمعهم سليمان في المراكب فوجاً بعد فوج، كما تقدم ذكره.

وذكر غير هؤلاء أن السبب في ذلك أن طنجة وسبتة والخضراء وتلك السواحي كانت في مملكة صاحب الأندلس، على نحو ما كانت السواحل كلها

بالعدوة وما قرب منها للروم . يسكنونها ، إذ كان البربر يرغبون عن سكنى
 المَدُنِ وَالْقُرَى ، وَإِنَّمَا بُغِيَتْهُمُ سُكْنَى الْجِبَالِ وَالصَّحَارَى ، إِذْ كَانُوا أَصْحَابَ إِبِلٍ
 وَسَوَائِمٍ . وَكَانَ النَّصَارَى فِي صَلْحِهِمْ . وَكَانَتِ السُّنَّةُ فِي الْأَنْدَلُسِ فِي مَلُوكِ النَّصَارَى
 أَنْ يَسْتَعْدِمُوا بَنِي بَطَارِقَتِهِمْ وَكِبَارَ رَجَالِهِمْ : فَالرَّجَالُ مِنْهُمْ يَخْدُمُونَ خَارِجاً ، وَالنِّسَاءُ
 جَوَارِيَ يَخْدُمْنَ دَاخِلاً . وَمَا كَذَا سُنَّتُهُمْ إِلَى الْيَوْمِ فِي الرِّجَالِ خَاصَّةً ، يَخْدُمُونَ صَبِيحاً
 يَتَأَدَّبُونَ بِأَدَبِهِمْ . وَيَتَعَلَّمُونَ سُنَّتَهُمْ ؛ فَإِذَا أُدْرِكُوا وَكَبِرُوا ، انْخَفَوْهُمُ بِرَجَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ .
 وَكَانَ مَلِكُ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْقُوْطِيِّينَ يُسَمَّى رُذْرِيْقَ . قَدْ مَدَّ يَدَهُ إِلَى ابْنَةِ نُلْيَانَ ،
 وَكَانَتْ عِنْدَهُ ؛ فَانْغَضِيَهَا نَفْسَهَا ؛ فَأَرْسَلَتْ إِلَى أَبِيهَا ، وَدَسَّتْ إِلَيْهِ . فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ ،
 أَحْفَظَهُ ، وَكَتَبَهُ ، وَارْتَصَدَّ بِهِ الْأَيَّامَ ، وَنَصَبَ لَهُ الْغَوَائِلَ ، حَتَّى كَانَ مِنْ دُخُولِ
 الْعَرَبِ الْمَغْرِبِ مَا كَانَ . وَأَرْسَلَ رُذْرِيْقَ إِلَى نُلْيَانَ فِي بُرْزَاةٍ وَطَبُورٍ وَغَيْرِهَا ؛
 فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ : «لَاؤُرِدَنَّ عَلَيْكَ طَرّاً لَمْ نَسْعُ قَطُّ بِمِثْلِهَا» . وَهُوَ سَبْوَى الْغَدْرِيَّةِ ؛
 فَمَجِيئُهُ دَعَا طَارِقاً إِلَى مَا كَانَ مِنْ جَوَارِ الْبَحْرِ .

وَاخْتَلَفَتِ الرِّوَايَاتُ فِي قِتَالِ طَارِقِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ . فَقِيلَ إِنَّ رُذْرِيْقَ
 رَحَفَ إِلَى طَارِقٍ بِجَمِيعِ أَهْلِ الْقُوَّةِ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ بِنَفْسِهِ . وَهُوَ عَلَى سَرِيرِ
 مَمْلَكَتِهِ عَلَى بَغْيَيْنِ بِجَمَلَانِهِ . وَعَلَيْهِ نَاجَهُ وَجَمِيعُ الْخَلِيْفَةِ الَّتِي كَانَتْ تَلِيْسُهَا الْمَلُوكُ .
 حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْجَبَلِ الَّذِي فِيهِ طَارِقٌ . فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ طَارِقٌ بِجَمِيعِ أَصْحَابِهِ رَجَالَةً .
 لَيْسَ فِيهِمْ رَاكِبٌ إِلَّا الْقَلِيلُ ؛ فَاقْتَتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً حَتَّى ظَنُّوا أَنَّ النَّسَاءَ . ثُمَّ
 صَرَفَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَعْدَائِهِ ؛ فَانْهَزَمُوا ؛ وَأُدْرِكَ رُذْرِيْقُ ؛ فَقُتِلَ فِي وَادِي الطَّيْنِ .
 وَمَضَى حَتَّى دَخَلَ قُرْطُبَةَ . وَفَتَحَ اللَّهُ الْأَنْدَلُسَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ . هَاكذَا ذَكَرَ عَيْسَى
 فِي كِتَابِهِ .

وَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّهُمْ اقْتَتَلُوا مِنْ حِينَ طَلَعَتِ الشَّمْسُ إِلَى أَنْ غَرَبَتْ ؛
 فَلَمْ تَكُنْ قَطُّ بِالْمَغْرِبِ مَقْتَلَةً أَعْظَمَ مِنْهَا . بَقِيَتْ عِظَامُهُمْ فِي الْمَعْرَكَةِ دَهراً طَوِيلاً
 لَمْ تَذْهَبْ .

وَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ أَيْضاً ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ

رجلاً من أهل الأندلس يُعَدِّث سعيد بن المسيَّب ويذكر له فيصنهم. فقال: «لم يرفع المسلمون السيف عنهم ثلاثة أيام، حتى أوطئوهم غلّة.» ثم ارتحل المسلمون إلى قرطبة، وهي مدينة الأندلس التي كان بها رُذْرِيْقُ؛ وبينها وبين الساحل مسيرة خمسة أيام. وكان سلطان رُذْرِيْقِ إلى أربونة تُغْرِ الأندلس، وهي إذ ذاك أقصى مملكة الأندلس. مما يلي إفرنجة؛ ومن أربونة إلى قرطبة ألف ميل. وكان الذي أصابه طارق ومن معه من السبي في أول فتح لهم، عشرة آلاف رأس؛ وكان سُهْمَانُهُم من الذهب والفضة لكل واحد من الرجال مائتا دينار وخمسون ديناراً.

وذكر الرازي أنه، لما بلغ رُذْرِيْقُ خيبر طارق ومن معه، ومكانهم الذي هم فيه، بعث إليهم الجيوش جيشاً بعد جيش؛ وكان قد قوّد على أحدهم¹ ابن أخت² له يُسَمَّى بَنَج، وكان أكبر رجاله؛ فكانوا عند كل لقاء يهزمون ويقتلون؛ وقتل بَنَج، وهُزِمَ عسكره؛ فقوى المسلمون، وركب الرجالة الخيل. وانشروا بإحيتهم التي جازوا بها؛ ثم زحف رُذْرِيْقُ إليهم بجميع عساكره ورجاله وأهل مدينته، وهو على سرير ملكه كما تقدّم. فلما انتهى إلى الموضع الذي فيه طارق، خرج إليه؛ فاقتلوا على وادي لَكْه³ من كورة شَدُونَة يومهم ذلك. وهو يوم الأحد لليثين بقينا من رمضان، من حين بزغت الشمس إلى أن بورت بالحجاب؛ ثم أصبحوا يوم الاثنين على الحرب، حتى إلى المساء. وتنادت أيامهم كذلك إلى يوم الأحد الثاني؛ فتمت ثمانية أيام. وقتل الله رُذْرِيْقُ ومن معه، وفتح للمسلمين الأندلس، ولم يُعرف لرُذْرِيْقِ موضع، ولا وُجِدَتْ له جثّة، وإنما وُجِدَ له خُفٌّ مَفْضُضٌ؛ فقالوا إنه غرق. وقالوا إنه قُتِلَ؛ والله أعلم.

ثم تحرك طارق إلى مِصْبِقِ الجزيرة؛ ثم نهض إلى مدينة إسنيجة؛ فوجد فيها فلّ العسكر؛ فقاتلوه قتالاً شديداً، حتى كثر القتل والجراح في المسلمين؛ ثم نصرهم الله، وقطع دعوة العُجْبَة، وقذف الله الرُعب في قلوب المشركين، إذ

1) عليه. A. 2) أخ. B. 3) لك. B.

نُفِجَمَ عَلَيْهِمُ الْبِلَادُ؛ فَهَرَبَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى مَدِينَةِ طَلَيْطَلَةَ، وَتَرَكَوا مَدَائِنَ الْأَنْدَلُسِ وَرَاءَهُمْ قَلِيلَةَ الْأَهْلِ.

وَقَدِمَ يُدَيَّانُ عَلَى طَارِقٍ مِنَ الْخَضِرَاءِ مُسْتَقَرِّهَ؛ فَقَالَ لَهُ: «قَدْ فَتَحْتَ الْأَنْدَلُسَ؛ فَخُذْ مِنْ أَصْحَابِي أَدِلَّاءَ، فَفَرِّقْ مَعَهُمْ جِيُوشَكَ وَسِرُّ أُمَّتٍ إِلَى مَدِينَةِ طَلَيْطَلَةَ!» فَفَرَّقَ جِيُوشَهُ مِنْ إِسْتِجْعَةٍ.

١٢١١ ذكر ما أفتتح طارق بن زياد من بلاد الأندلس
سنة ٤٢ من الهجرة

أَوَّلُ فَتُوحَاتِهِ جَبَلُ الْفَتْحِ الْمَسْمِيُّ بِجَبَلِ طَارِقٍ، وَذَلِكَ لَمَّا جازَ الْمُسْلِمُونَ وَنَزَلُوا فِي الْمَرَسِيِّ، وَهُمْ عَرَبٌ وَبَرْبَرٌ. حَاوَلُوا الطَّلُوعَ فِي الْجَبَلِ، وَهُوَ حِجَارَةٌ حَرِشٌ؛ فَوَطَّئُوا لِلدَّوَابِّ بِالْبَرَاذِعِ وَطَلَعُوا عَلَيْهَا؛ فَلَمَّا حَصَلُوا فِي الْجَبَلِ، بَنَوْا سُورًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ يَسْمَى سِوَرِ الْعَرَبِ. وَقِيلَ إِنَّهُمْ فَتَحُوا مِنْ حِينِهِمْ رِجْصُنَ قَرْطَابَةَ، وَكَانَ فِي سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ مِنْ أَنْظَرِ الْخَزِيرَةِ الْخَضِرَاءِ. فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ مَبُوكَ الْأَنْدَلُسِ، نَفَرُوا إِلَى رُذْرِيْقٍ. وَكَانَ جَبَّارًا طَائِفِيًّا؛ فَاسْتَشْفَرَ النَّصْرَانِيَّةَ. فَقِيلَ إِنَّهُ بَعَثَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ الْجَيْشَ بَعْدَ بَعْدٍ؛ فَكَانُوا عَدَّ كُلَّ لِقَاءٍ يَهْرَمُونَ وَيُقْتَلُونَ. فَقَوِيَ الْمُسْلِمُونَ، وَرَكِبَ رِجَالُهُمْ. وَانْتَشَرُوا فِي الْبِلَادِ. وَبَعْدَ هَذَا زَاخَفَهُمْ رُذْرِيْقٌ بِنَفْسِهِ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ زَاخَفَهُمْ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ بِنَفْسِهِ. ثُمَّ اخْتَلَفُوا أَيْضًا كَمَا أَنَّ الْمُرَاحَةَ الَّتِي أَعْقَبَهَا الْفَتْحُ وَانْهَزَمَ آخِرُهَا رُذْرِيْقٌ؛ فَقِيلَ: يَوْمٌ كَامِلٌ، وَقِيلَ: يَوْمَانِ. وَقِيلَ: ثَلَاثَةٌ؛ وَقِيلَ: ثَمَانِيَّةٌ؛ وَاخْتَلَفُوا هَلْ ظَفِرَ بِرَأْسِ رُذْرِيْقٍ أَمْ لَا؛ فَقِيلَ: ظَفِرَ بِهِ. وَقِيلَ: مَاتَ غَرِيقًا.

فَتْحُ قَرْطَبَةَ

بَعَثَ طَارِقٌ مَغِيثًا، مَوْلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، مِنْ إِسْتِجْعَةٍ إِلَى قَرْطَبَةَ فِي سَبْعِمِائَةِ فَارِسٍ؛ وَهِيَ مِنْ مَدَائِنِ الْعِظَامِ؛ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ رَايِلٌ إِذْ كَانَ الرِّجَالُ

قد رُكِبوا. فلما بلغ مُغِيثُ شَنْدَةَ وَقَرْنَةَ طَرْسَيْلَ، وَهِيَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنْ قَرْطَبَةَ، بَعَثَ الْأَدْلَاءَ كَتَبَ يُلْفُونَ مَنْ عِنْدَ خَبْرٍ؛ فَأَلْتُوا رَاعِي غَنَمٍ؛ فَاتُوا بِهِ إِلَى مُغِيثٍ، وَهُوَ فِي الْغَيْضَةِ؛ فَسَأَلَهُ عَنِ قَرْطَبَةَ؛ فَقَالَ لَهُ: «انْتَقِلْ عَنْهَا عِظَاهُ أَهْلُهَا. وَلَمْ تَقَفْ فِيهَا إِلَّا بِطَرْفِهَا فِي أَرْبَعِينَ فَارِسٍ مِنْ حِمَاتِهِمْ مَعَ ضِعْفَاءِ أَهْلِهَا.» ثُمَّ سَأَلَهُ عَنِ حِصَانَةِ سُورِهَا؛ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهَا حَصِينٌ، إِلَّا أَنَّ فِيهَا ثَغْرَةً فَوْقَ بَابِ الصُّورَةِ، وَهُوَ بَابُ الْقَنْطَرَةِ، وَوَصَفَ لَهَا الثَّغْرَةَ (١).

فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ، تَحَرَّكَ مُغِيثٌ مَعَهُ، وَعَبَرُوا النَّهْرَ، وَقَابَلُوا السُّورَ، وَرَامُوا النَّعْنَقَ بِهِ؛ فَتَعَدَّرَ عَلَيْهِمْ؛ فَرَجَعُوا إِلَى الرَّاعِي، وَأَتُوا بِهِ مَعَهُمْ؛ فَدَلَّهُمْ عَلَى الثَّغْرَةِ؛ فَرَامُوا النَّعْنَقَ بِهَا؛ فَصَعَبَ عَلَيْهِمْ. حَتَّى صَعِدَ رَجُلٌ مِنَ الْمَسْلُومِينَ فِي ذِرْوَتِهَا. وَزَعَّ مُغِيثٌ عِمَامَتَهُ. فَنَازَلَهُ طَرْفَهَا، وَارْتَفَعُوا بِهَا حَتَّى كَثُرُوا بِالسُّورِ؛ ثُمَّ جَاءَ مُغِيثٌ إِلَى بَابِ الْقَنْطَرَةِ، وَهِيَ بِوَسْطِ مَهْدُومَةٍ، وَأَمْرَ أَصْحَابِهِ بِالْحَوْمِ عَلَى أَحْرَاسِ السُّورِ؛ فَكَسَرُوا الْأَفْئَالَ، وَدَخَلَ مُغِيثٌ مَعَهُ. فَلَمَّا بَلَغَ الْمَلِكَ الَّذِي فِيهَا دُخُولَهُمْ. خَرَجَ فِي كُفَاةِ أَصْحَابِهِ، وَمِنْ حَوْلِ الْأَرْبَعِينَ؛ فَدَخَلَهَا كَبَيْسَةَ نَعْرِي الْمَدِينَةِ؛ فَتَحَصَّنُوا فِيهَا؛ فَحَاصَرَهُمْ مُغِيثٌ، وَكَتَبَ إِلَى طَارِقٍ بِالْفَتْحِ. وَتَمَادَى عَلَى حِصَارِ الْعُلُوجِ فِي الْكَبَيْسَةِ الْمَذْكُورَةِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ. فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ. إِذْ قِيلَ لَهُ: «خَرَجَ الْعُلُجُ (يَعْنِي الْمَلِكَ) هَارِبًا وَخَذَهُ، وَهُوَ بَنُو النَّحْصَنِ فِي جَبَلِ قَرْطَبَةَ، لِيَلْحَقَ بِهِ أَصْحَابُهُ!» فَاتَّبَعَهُ مُغِيثٌ، وَخَذَهُ دُونَ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فَلَمَّا بَرَّرَ لَهُ وَأَصْرَهُ هَارِبًا. وَتَحَنَّنَ فَرَسٌ أَصْفَرٌ، وَهُوَ تَتْبَعُهُ، خَرَجَ مِنْ طَرْبَتِهِ؛ فَأَتَى خَنْدَقًا؛ فَوَسَّطَ بِهِ الْفَرَسَ، وَسَقَطَ فِي الْخَنْدَقِ، وَأَنْدَقَتْ عُنُقُهُ؛ فَأَقْبَلَ مُغِيثٌ، وَالْعُلُجُ جَالِسٌ عَلَى رُؤْسِهِ مَسْتَأْسِرًا؛ فَأَسْرَهُ. وَلَمْ يَسْرِ مِنْ مَلُوكِ الْأَنْدَلُسِ غَيْرُهُ، لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ عَقَدَ لِنَفْسِهِ أَمَانًا، وَمِنْهُمْ مَنْ هَرَبَ إِلَى أَقْصَى الْبِلَادِ مِثْلَ جَلِيفِيَّةَ وَغَيْرِهَا. وَرَجَعَ مُغِيثٌ إِلَى بَيْتَةِ الْعُلُوجِ؛ فَاسْتَنْزَلَهُمْ أَسْرًا. وَضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ صَبْرًا؛ وَسَمِّيَتْ كَبَيْسَةُ الْأَسْرَى. وَأَبْنَى الْعُلُجُ صَاحِبَ قَرْطَبَةَ، لِيَقْدَمَ بِهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

(١) الثَّغْرَةُ وَوَصْفُهَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا.

فَتْح مَالِقَةَ

بعث اليها طارق من إسنجة جيشاً، وقوّد عليه قائداً، وجعل معه ودليلاً من رجال يُلينان؛ فاستفتحها وجميع أعمال ربه. ولجأ علوجها الى جبال ربه الشامخة المبيعة.

فَتْح إِغْرِنَاطَةَ قَاعِدَةَ الْبِيرَةِ

بعث اليها طارق الجيش من إسنجة؛ فحاصرها حتى افتتحها.

فَتْح مَرَسِيَةَ

ثمّ تقدّم هذا الجيش بعد فتح إغرناطة الى تدمير، وهي مرسية. وإسمها سميّت تدمير باسم العليج صاحبها؛ وكان اسمها أوزبولة، وهي كانت مدينتها القديمة. فقاتل العليج تدمير المسلمين قتالاً شديداً؛ وكان في قوّة. ثمّ انهزم في فحّص لا يستترهم شيء؛ فوضع المسلمون فيهم السلاح حتى أفنؤهم؛ ولجأ من بقى منهم الى مدينة أوزبولة. وكان تدمير بصيراً بأبواب الحرب؛ فلما رأى قوّة المسلمين معه من أصحابه، أمر النساء؛ فنشرن شعورهنّ، وأعطاهنّ النصب، ووقفن على سور المدينة، ووقف معهنّ بقية الرجال. ثمّ قصد بنفسه الى جيش المسلمين كهيئة الرسول، واستأمن؛ فأمن وانعقد له الصلح ولأهل بلده؛ فافتتحت مدينة تدمير صلحاً. فلما انعقد الصلح وتمّ، أبرز لهم نفسه وقال: «أنا تدمير صاحب المدينة.» ثمّ أدخلهم البلد؛ فلم يروا فيه أحداً عند مدفع؛ فديمّ المسلمون وأمضوا على ما أعطوه من الأمان؛ وكتبوا بالفتح الى الأمير طارق؛ وأقام بتدمير رجال من أهل العسكر، وصاروا مع أهلها؛ وتقدّم معظم الجيش الى طليطلة؛ فلحق بطارق، وهو عليها.

1) Mauvaise leçon dans A.: قلة

فَتَحَ طَلَيْطَلَةَ

وَأَلْفَى طَارِقَ طَلَيْطَلَةَ خَالِيَةً، لَيْسَ فِيهَا إِلَّا الْيَهُودَ فِي قَوْمِ قَلَّةٍ، وَفَرَّ عَلَّجُهَا
مَعَ أَصْحَابِهِ، وَلَحِقَ بِمَدِينَةِ خَلْفَ الْجَبَلِ. وَتَبِعَهُمْ طَارِقٌ، بَعْدَ أَنْ ضَمَّ الْيَهُودَ،
وَخَلَّى مَعَهُمْ بَعْضَ رِجَالِهِ وَأَصْحَابَهُ بِطَلَيْطَلَةَ؛ فَسَلَكَ إِلَى وَادِي الْحِجَارَةِ؛ ثُمَّ
اسْتَقْبَلَ الْجَبَلَ؛ فَقَطَعَهُ مِنْ فَجٍّ يُسَمَّى بِهِ إِلَى الْيَوْمِ؛ فَبَلَغَ مَدِينَةَ خَلْفَ الْجَبَلِ،
تُسَمَّى مَدِينَةَ الْمَائِدَةِ. P. 14

ثُمَّ فَتَحَ مَدِينَةَ الْمَائِدَةِ؛ فَوَجَدَ فِيهَا مَائِدَةَ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ!
وَكَانَتْ مِنْ زَبْرَجَدَةَ خَضْرَاءَ، حَافَاتُهَا وَأَرْجُلُهَا مِنْهَا؛ وَأَصَابَ بِهَا مَالًا وَحَلِيًّا
كَبِيرًا؛ ثُمَّ انصَرَفَ إِلَى طَلَيْطَلَةَ. هَاكذَا آثَرَ النَّاسِ هَذَا كَلَّهُ، عَلَى أَنَّ طَارِقًا
صَنَعَهُ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ، أَقَامَ طَارِقٌ حَيْثُ كَانَتْ الْوَقْعَةُ، وَجَازَ إِلَيْهِ مُوسَى.
وَقِيلَ: بَلِ، وَجَدَهُ بِقَرْطَبَةَ.

وَفِي سَنَةِ ٩٢ مِنْ الْهَجْرَةِ، دَخَلَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ الْأَنْدَلُسَ فِي رَمَضَانَ، بَعْدَ
دُخُولِ طَارِقٍ بِسَنَةٍ، وَمَضَى غَازِيًا فِيهَا، مَفْتَحًا لِحَصُونِهَا هَذِهِ السَّنَةَ وَسَنَةَ أَرْبَعٍ
وَبَعْضَ سَنَةِ خَمْسٍ؛ فَافْتَتَحَ جَمِيعَ حَصُونِهَا، وَهَزَمَ جَمِيعَ مَنْ لَقِيَهِ مِنْ أُمَرَائِهَا؛ فَلَمْ
يَلْقَ كَيْدًا مِنْ أَحَدٍ، وَلَا انْهَزَمَتْ لَهُ رَايَةٌ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَدِينَةِ مَدُنِ الْإِفْرَنْجِ،
يُقَالُ لَهَا لَوْطُونَ¹، وَقَدْ مَلَكَ مَا سِوَاهَا وَدُونَهَا إِلَى أَقْصَى بَرْشَلُونَةَ. فَلَمَّا انْتَهَى
إِلَى مَدِينَةِ لَوْطُونَ، ضَاقَ الْمُسْلِمُونَ، وَخَافُوا أَنْ يُعَاطَ² بِهِمْ؛ فَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ؛
فَقَبِلَ بِهِمْ رَاجِعًا. قَالَ مُؤَلِّفُ «كِتَابِ بَهْجَةِ النَّفْسِ»: وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ
الْعَجَمِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ انْتَهَلُوا إِلَى مَدِينَةِ لَوْطُونَ قَاعِدَةَ الْإِفْرَنْجِ، وَلَمْ يَسْبِقْ لِأَهْلِ
الْإِسْلَامِ شَيْءٌ لَمْ يَتَغَلَّبُوا عَلَيْهِ مِمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ، إِلَّا جِبَالَ قَرْقُوشَةَ³ وَجِبَالَ بَنْبَلُونَةَ
وَصَخْرَةَ جَلِيفِيَّةَ؛ فَأَمَّا الصَّخْرَةُ، فَلَمْ يَسْبِقْ فِيهَا مَعَ مَلِكِ جَلِيفِيَّةَ سِوَى ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ،

1) Vocalisation fournie par B. 2) بخاطر A.

3) Vocalisation dans B.: peut-être قرقوشة (Carcassonne).

تلفوا بالموت والجوع والمحصار؛ فلما لم يبقَ منهم إلا ثلاثمائة رجل، ورأى ذلك المرتبون معهم على حصارهم، استفلّوهم؛ فتركوهم؛ فلم يزالوا يزدادون حتى كانوا سبب إخراج المسلمين من جليقية، وهي قشتالة. وأما قرظونة، فذكر عبد الملك ابن حبيب أنها افتتحت في زمن هشام بن عبد الملك صلحاً. وكان الافتتاح P. ١٥ كما ذكرته في بقية سنة ٩٢ وبعض سنة ٩٣ من الهجرة.

وكان السبب في جواز موسى بن نصير إلى الأندلس أنه أغرى بطارق عبده. وذكر له ما آفاه الله عليه؛ فكتب له موسى بأفبح السب، وأمره ألا يتجاوز قرظونة، حتى يقدم عليه. قال ابن القطان: قيل: إنما حمله على الجواز للأندلس تعدى طارق ما أمره به ألا يتعدى قرظونة، على قول، أو موضع هزيمة لذريق، على قول. وقيل أيضاً: إنما حمله على ذلك الحسد لطارق على ما أصاب من الفتح والغنائم. وقيل أيضاً: إنما جاز باستدعاء طارق آياه؛ فكان جوازه في رمضان، كما تقدم.

قال الرازي: وحدث الواقدي عن موسى بن علي بن رباح، عن أبيه، قال: خرج موسى بن نصير في عشرة آلاف من إفريقية، مفضباً على طارق، وتقدم يريد الأندلس؛ فدخلها، ونزل الجزيرة. فقيل له: «اسلك طريق طارق!» فقال: «لا، والله، أسلك طريقه!» فقال له الأدلاء من الأعلاج: «نحن ندلك على طريق هي أشرف من طريقه، وعلى مدائن هي أعظم خطراً من مدائنه، لم تفتح، يفتحها الله على يدك إن شاء الله!» فامتلاً موسى سروراً؛ فساروا به إلى مدينة شدونة؛ فافتتحها عنوة؛ وهي أول فتوحاته.

فتح قرمونة

ونهب موسى مع أدلائه من شدونة إلى قرمونة؛ ولم يكن بالأندلس أحصن منها ولا أبعد من أن تنال بحصار أو قتال. فسأل موسى عن أمرها؛ فقيل له: «لا تؤخذ إلا باللطف والحيل!» فقدم إليها علوجاً كانوا من أصحاب ينيان

وغيرهم؛ فأنوهم في هيئة المهزومين، ومعهم السلاح؛ فأدخلوهم المدينة؛ فلما علم موسى بدخولهم، بعث الخيل اليهم ليلاً؛ ففتحوا لهم باب المدينة. وهو الباب المعروف بباب قُرْطُبة؛ فوثبوا على الأحرار؛ فقتلواهم. ودخل المسلمون المدينة عنوةً.

فَتْحُ إِشْبِيلِيَّةَ

لما فتح موسى قَرْمُونَةَ، تقدّم الى إِشْبِيلِيَّةَ، وهي من أعظم قواعد الأندلس شأناً. وأبقها بنياناً، وأكثرها آثاراً. وكانت دار مُلْك رُوم رُومَة فل غلبت القوطيين على الأندلس؛ فلما غلب القوطيون عليها، استوطنوا طَلَيْطَلَةَ، وأقروا بها مُلْكُوهم؛ وبني مدينة إِشْبِيلِيَّةَ علماء أهل رُومَة وكتّابهم وروّسائهم. فاحتلّ بها موسى بن نصير، وحاصرها شهراً؛ ففتحها الله عليه، وهرب منها علوجها الى مدينة سَاجَةَ.

فَتْحُ مَارِدَةَ

وتقدّم موسى الى مدينة مَارِدَةَ؛ وكانت دار مُلْك في سالف الأيام. وكانت فيها آثار عجيبة، وقنطرة، وقصور، وكنائس. بنوق وصف الناظرين؛ وهي إحدى القواعد الأربع بالأندلس التي استأها أكتييان قبصر. وهي قُرْطُبة، وإشْبِيلِيَّةَ، ومَارِدَةَ، وطلَيْطَلَةَ. فخرج أهلها الى حربه نحو الجبل منها؛ فحاربهم حتى صرفتهم الى المدينة. فلما انجلمت الحرب، وكفّ عن القتال، طاف موسى بالمدينة؛ فرأى نقباً كان لمقاطع الصخر؛ فكن فيه الرجال ليلاً. فلما أصبح، زحف اليهم؛ فخرجوا كروجهم في اليوم قبله؛ فخرج عليهم الكمين وزحف اليهم المسلمون؛ فركبهم؛ فقتلوا أبرح قتل. ولجأ من بقى منهم الى المدينة؛ فحاصروهم شهراً. حتى عمل دبابّة؛ فدبّ المسلمون تحتها الى بُرْج من أبراجها؛ ففتقوا صخرة؛ فلما نزعوها، أفضوا الى صخرة صماء نبت المعاول عنها ووثقوا منها؛ فبينما يضربون عليها، إذ استثار العلوج عليهم؛ فاستشهد المسلمون تحت الدبابّة. فسُمّي ذلك البرج

بُرْجُ الشُّهَدَاءِ، وَبِهِ يُعْرَفُ إِلَى الْيَوْمِ؛ فَحَصِيَتْ عِنْدَ ذَلِكَ نَفُوسُ الْعُلُوجِ، وَثَابَتَ
 إِلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ. ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَيْهِمْ رُسُلٌ، وَتَعَرَّضَتْ لِلصَّلَاحِ؛ فَسَارُوا إِلَى مُوسَى؛
 فَرَأَوْا رَجُلًا أَيْضَ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ؛ فَكَلَّمُوهُ بِمَا لَمْ يُوَافِقَهُمْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَرْضَهُ؛
 فَرَجَعُوا عَنْهُ، وَلَمْ يَعْفِدُوا شَيْئًا؛ ثُمَّ عَاوَدُوهُ يَوْمًا آخَرَ؛ فَالْفَوْهُ قَدْ حَمَّرَ رَأْسَهُ ١٧: ١١
 وَلَحَيْتَهُ بِالْحِنَاءِ؛ فَعَجِبُوا مِنْهُ، وَرَاعَوْهُمْ مَا رَأَوْهُ؛ وَلَمْ يَتَمَّ لَهُمْ أَمْرٌ؛ ثُمَّ عَاوَدُوا إِلَيْهِ
 فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ، وَذَلِكَ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ؛ فَالْفَوْهُ قَدْ سَوَّدَ رَأْسَهُ وَلَحَيْتَهُ؛ فَرَجَعُوا
 إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقَالُوا لِمَنْ فِيهَا: «وَيَحْكُمُ! إِنَّمَا نَقَالُونَ أَنْبِيَاءَ يَنْتَسِبُونَ بَعْدَ
 الْمَشِيبِ! قَدْ عَادَ مَلِكُهُمْ حَدَنًا بَعْدَ أَنْ كَانَ شَيْخًا!» فَقَالُوا: «أَذْهَبُوا إِلَيْهِ
 وَأَعْطُوهُ مَا سَأَلَكُمْ!» فَوَصَلُوا إِلَيْهِ، وَصَالَحُوهُ: وَاعْفِدْ أَمْرَهُمْ عَلَى أَنْ جَمِيعَ
 أَمْوَالِ الْفِتْلَى يَوْمَ الْكَيْبِينِ وَأَمْوَالِ الْغَائِبِينَ بِجَلِيفِيَّةٍ وَأَمْوَالِ الْكِنَائِسِ. ذَلِكَ كُلُّهُ
 لِلْمُسْلِمِينَ. ثُمَّ فَتَحُوا لَهُ الْبَابَ مِنْ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ. وَهُوَ مُسْتَهْلٌ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٩٤
 مِنَ الْهَجْرَةِ.

فَتْحُ إِشْبِيلِيَّةٍ ثَانِيَةً

وَذَلِكَ، لَمَّا اشْتَغَلَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ بِحِصَارِ مَارِدَةَ، نَارَ عَجَمٍ إِشْبِيلِيَّةً،
 وَارْتَدُّوا، وَقَامُوا عَلَى مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَتَجَالَبَ فُلُجُهُمْ إِلَيْهِمْ مِنْ مَدِينَتَيْ
 لَبْلَةَ وَبَاجَةَ؛ فَفَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَحْوَ ثَمَانِينَ رَجُلًا. وَبَلَغَ الْخَبْرَ بِذَلِكَ إِلَى مُوسَى بْنِ
 نُصَيْرٍ؛ فَلَمَّا اسْتَمَّ فَتَحَ مَارِدَةَ، بَعَثَ ابْنَهُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِجَيْشٍ إِلَى إِشْبِيلِيَّةٍ؛
 فَافْتَنَحَهَا، وَقَتَلَ أَهْلَهَا.

فَتْحُ لَبْلَةَ

لَمَّا اسْتَمَّ فَتَحَ إِشْبِيلِيَّةً، تَقَدَّمَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُوسَى بِجَيْشِهِ إِلَى لَبْلَةَ؛ فَافْتَنَحَهَا،
 وَانصَرَفَ إِلَى إِشْبِيلِيَّةٍ؛ فَدَخَلَهَا أَيْضًا.

ذكر اجتماع الأمير أبي عبد الرحمن موسى
ابن نصير مع مولا طارق بن زياد على طليطلة

«أنفق الأثرون على أن النفاة لها كان على طليطلة». وذكر الطبري أنه
كان على قرطبة. وذكر الرازي أن طارقاً خرج من طليطلة لما بلغه مسيره إليه؛
فلقبه بمقرة من طليطلة. وكان موسى. لما فرغ من أمر ماردة، نهض يريد
طليطلة؛ فخرج إليه طارق معظماً له، ومبادراً بطاعته؛ فوجه موسى، وغضب
عليه. وقيل إنه وضع السوط على رأسه؛ وقيل إنه ضربه أسواطاً كثيرة وحلق
رأسه. ثم سار به إلى طليطلة. وقال له: «إيتني» بما أصبت وبالمائدة! «
فأناه بها، وقد اقتلع رجلاً من أرجلها؛ فقال له: «أين الرجل؟» فقال له:
«هاكذا وجدتها!» فأمر موسى؛ فعيل لها رجل من ذهب، وأدخلها في سقطة.
واختلفت الروايات لِمَ فعل موسى مع طارق ما فعل من السخط عليه؛
فقيل: إنما فعل ذلك بغياً ونفاةً عليه؛ واستبدلوا على ذلك بادعائه إخصال
طارق وأخذ المائدة عند الخليفة. ومنهم من عذره وقال: إنما فعل ذلك به
لتقدمه دون رأيه، وهو مولا. وعلى توغله بالمسلمين. وتغريبه بهم. وأصل بهذا
في كتاب الرازي أن الوليد بعث إلى موسى رسولاً؛ فأخذ بعنان دابته، وأخرجه
من الأندلس، ومعه طارق ومغيث. وخلف ابنه على الأندلس، وأبقى معه
وزيراً حبيب بن أبي عبدة بن عتبة بن نافع.

ولما التقى موسى بطارق، وجرى له معه ما جرى، تقدم من طليطلة إلى
سرقسطة؛ فافتحها، وافتتح ما حولها من الحصون والمعاقل. وذكروا أن موسى
خرج من طليطلة غازياً، بفتح المدائن، حتى دانت له الأندلس. وجاءه أهل
جليقية يطلبون الصلح؛ فصالحهم. وفتح بلاد البشكنش، وأوغل في بلادهم
حتى أتى قوماً كالبهاثم. وغزا بلاد الإفرنج. ثم مال حتى انتهى إلى سرقسطة؛

فأصاب فيها ما لا يعرف قدره. وبين سَرَقُسْطَة وقرطبة مسيرة نحو شهر. وافتتح هنالك حصوناً كثيرة. ¹ وكانت أساقفة الروم تجد صفة موسى في كتبهم؛ فإذا رأوه. قالوا: «هو، والله!» فأعطوه المَعْقِل ¹. ولم يهزم له جمع قط.
 وقال يوسف بن هشام: انتهى موسى الى صَمِّ؛ فوجد في صدره مكتوباً:
 «يا بني إسماعيل! فإلى هنا مُنْتَهَاكُمْ! وإن سألتم الى ما ذا ترجعون، أخبرناكم:
 ترجعون الى اختلاف ذات بينكم، حتى يضرب بعضكم رقاب بعض، ² وقد فعلتم ²».

قال الليث: ولقد جاء رجل الى موسى بن نصير؛ فقال له: «أبعث معي أدلك على كثر!» فبعث معه رجالاً؛ فوقف بهم على موضع؛ فقال: «اكتشفوا عن هذا!» فكشفوا؛ فإذا ³ حوض مترع من الياقوت والجوهر والزبرجد ما لم تر عين مثله قط؛ فلما رأوا ذلك، بهتوا وأرسلوا الى موسى ليحضر.

ذكر ما أفاء الله على فاتحي الأندلس

من ذلك مائدة سليمان - عليه السلام! - قيل إنها كانت من ذهب وفضة خليطين، مطوقة بثلاثة أطواق: طوق لؤلؤ، وطوق ياقوت، وطوق زبرجد، وإنها حملت على بغل عظيم لا بغل أقوى منه؛ فابلع بها مرحلة حتى تفتحت فوائه؛ ومنها ياقوتة ذى القرنين وجدها باردة؛ ومنها البتان اللتان فتح في طليطلة، ووجد في إعداها أربعة وعشرون تاجاً عدد ملوكهم، لا يدري ما قيمة تاج منها، وعلى كل تاج اسم صاحبه ومبلغ سنه؛ وفيه وجدت المائدة؛ وكان السبب في حصولها بطليطلة أن ملك الروم. لما زحف الى بيت المقدس ليقابل نبي إسرائيل، أخذ بلادهم وسي ما فيها، ووجد فيها مكارم الأنبياء - عليهم

1-1) A. dit simplement: وكان موسى تجده الأساقفة في كتبهم

2-2) Manque dans A.

3) Début d'une lacune de deux feuillets dans le ms. A.

السلام! - منها عصا آدم، والتابوت الذي فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون، وعصا موسى ونعلاه، ومائدة سليمان، وهي من ذهب، قد كُتِلَ أعلاها وأسفلها بالذر والياقوت. فحمل جميع ذلك الى رومة. فلما مرَّ ملك الروم بيمصر، رغب اليه أهلها أن يجعلها عندهم يتبركون بها، وقالوا له: «رومة تبعد عنا!» وكانوا قد أمثوه، وقتلوا معه بني إسرائيل؛ فطلبوا منه شيئاً من تلك المكارم؛ فدفع لهم المائدة؛ فحملتها الأساقفة الى الإسكندرية. فلما غزا عمرو بن العاصي بيمصر، هربوا بها الى مدينة إيطرائس. فلما نزل عمرو بن العاصي بركة، هربوا بها الى مدينة قرطاجنة. فلما دخل المسلمون طنجة، هربوا بها الى مدينة طليطلة، ولم يكن لهم أمنع منها؛ ولا وجدوا حيث يهربون بها بعدها.

قال أبو شبة الصدقي: لقد نظرتُ الى رجلين يحملان طنفسة منسوجة بالذهب والنضة واللؤلؤ؛ فلما ثقلت عليهما، أنزلاها؛ ثم حملا عليها الفأس؛ فقطعاها بنصفين؛ فأخذا نصفاً، وتركوا نصفاً. فلقد رأيتُ الناس يرون على نصفها؛ فلا يلتفتون اليه اشتغالاً بما في أيديهم مما هو أرفع منها.

وحدث عبد الحميد عن أبيه، قال: قدمت الأندلس امرأة عطارة؛ فخرجت منها خمسمائة رأس من السبي؛ فأما ما خرجت به من الذهب والنضة والجوهر والآنية، فذلك ما لا يحاط بعلمه. قال: وقدم علينا شيخ من المدينة، جيد التجربة واللسان؛ فجعل يحدثنا عن الأندلس؛ فقلتُ له: «كيف علمت هذا؟» قال: «لأني، والله! كنتُ ممن اشترى بها بحبات فلنل أقل من النضة ما يساوي عدداً.»

وأقام موسى بالأندلس سنتين وشهراً؛ ثم رجع الى إفريقية، ونحوه بغل أشهب يسمى الكوكب. ولما انصرف عن قرطبة متوجهاً نحو إفريقية، حوّل وجهه الى قرطبة؛ فقال: «واها لك! يا قرطبة! ما أطيب تربتك، وأشرف بفتك، وأعجب أمرك! ولعنك الله بعد الثلاثمائة سنة!» ثم مضى حتى وصل الخضر، وأمر بالعجل؛ فحملت الذهب والنضة والجوهر والمتاع وأصناف متاع

الأندلس. وكان دخول موسى الأندلس سنة ٩٢، وهو ابن ستين سنة؛ وأقام
والياً بإفريقية ست عشرة سنة، وقفل منها سنة ٩٥.

ومن أخبار الأمير أبي عبد الرحمن موسى بن نصير

- رحمه الله تعالى!

لما دخل موسى إفريقية، وجدها قد فحطت فحطاً شديداً؛ فأمر الناس
بالصيام والخروج إلى المصلى، الرجال على حدة، والنساء على حدة، والصبيان
على حدة، وكذلك جميع البهائم مع أصنافها. فاجتمعوا في موضع واحد، ودعا
الله تعالى، ودعا الناس معه، وبكى، وبكوا، وبكى الصبيان والنساء، وصاحت
البقر والعجل والغنم والخرفان وأهل الديمة. فأقاموا كذلك حتى انصرف النهار.
ثم خطب الناس؛ فلم يلبث أن سقوا سقوا شافياً.

وخرج موسى من إفريقية، واستخلف عليها عبد الله ابنه. وحمل موسى معه
من إفريقية من وجوه البربر مائة رجل وعشرين ملكاً من ملوك الروم؛ فخرجوا
معه بأصناف ما كان في كل بلد من طرائفها وذهبها وفضتها وجوهرها وياقوتها،
ما لا يحصى ولا سبح بمنله، حتى انتهى إلى مصر؛ فلم يبق بها شريف، ولا فقيه،
ولا عظيم، إلا ودفع إلى سليمان بن عبد الملك عشرة آلاف دينار. ثم خرج من
مصر؛ فتوجه إلى فلسطين؛ فلتقاه آل رَوْح بن زُبَاع الجُدَامِي؛ فنزل بهم؛ فنحروا
خمسين جملًا. ثم خرج من عندهم، وترك بعض أصحابه وصغار ولدك عندهم،
وأفرغ على آل رَوْح بن زُبَاع كثيراً من الكسي والوصائف والوصفان، وغير
ذلك من الأموال.

وكان موسى، قبل خروجه من المغرب، قدم عليه ولده مروان من السوس
الأقصى، وهو يجرُّ الدنيا جرّاً. ولما وصل رسوله إلى أبيه، يعلمه به وبما يأتي به
من السبي، خرج إليه في وجوه الناس يتلقاه؛ فلما التقيا، قال مروان بن موسى:
«مروا لكل من يلقاني مع أبي بوصيفة وصيفة!» فلما أمر بذلك، سمع موسى

صباح الناس وضحجهم. ورأى حركاتهم؛ فقال: «ما هذا؟» فقالوا: «ابنك مروان أمر الناس بوصيفة وصيفة!» فقال لهم: «مروا لهم انتم بوصيف وصيف!» فانصرفوا الناس كلهم، ومع كل واحد منهم وصيف ووصيفة.

وكان الوليد بن عبد الملك مريض مريضاً الذي مات منه. وكتب الى موسى بأمره شد السبر اليه ليدركه قبل الموت. وكتب اليه سليمان أن يبطؤ في سيره. فعمل موسى بكتاب الوليد، ولم يعمل بكتاب سليمان، وجد في سيره. فغضب عليه سليمان. وقال: «والله! لئن ظفرت به، لأصلبته!» وكان سبب أمر الوليد لموسى بالعجلة ليحرم سليمان ما جاء به؛ وكان أمر سليمان له بترك الاستعجال ليحرم الوليد وولد ما جاء به. فقدم موسى قبل موت الوليد وأباه بالضرائف من الدر والياقوت والزبرجد، والوصفاء والوصائف، ومائدة سليمان، والنيجان المكننة لدر والياقوت. فاستغرب الوليد ذلك، وأمر بمائدة سليمان؛ فكسرت، وعمد الى أرفع ما كان فيها من الجواهر وكل ما كان في النيجان وغيرها؛ فجعله في بيت المال. ثم لم يلبث أن مات وأفضت الخلافة الى سليمان أخيه؛ فبعث في موسى؛ فعنفه بلسانه، وقال: «والله! لأقلن غربك! ولا فترن جمعك! ولأصغرن من قدرك!» فقال موسى: «أما قولك سفل من غربي ونخس من قدرى، فإن ذلك بيد الله، وإلى الله لا إليك! وبه أستعين عليك!» فأمر به سليمان؛ فوقف في يوم صائف شديد الحر؛ وكان موسى رجلاً ضحماً¹. بادياً، ذا نسمة؛ فوقف حتى سقط مغشياً عليه؛ فنظر سليمان الى عمر ابن عبد العزيز - رضه -؛ فقال له: «يا أبا حفص! ما أراي إلا وقد برزت في يميني وخرجت عنه!» فقال عمر: «أجل! يا أمير المؤمنين!» فقال سليمان: «من يضمه اليه؟» فقام يزيد بن المهلب؛ فقال «أنا يا أمير المؤمنين أضمه إلى!»² قال: «فضمه إليك ولا تضيق عليه!»³ فانصرف يزيد، وقدم

1) Ici reprise du ms. A. 2) B. ونحص. 3) A. عطياً

4-4) Manque dans B.

اليه دابة؛ فركبها موسى، وأقام عنده أياماً حتى حسن ما بينه وبين سليمان.
 وافتدى منه موسى بمال كثير. قيل: ألف ألف دينار، وقيل غير ذلك. ثم إن
 يزيد بن المهلب سهر ليلة عند موسى؛ فقال له: «يا أبا عبد الرحمن! في كم
 كنت تعتد من مواليك وأهل بيتك؟» فقال له موسى: «في كثير!» فقال
 يزيد: «يكونون ألفاً؟» فقال له موسى: «ألف وألف وألف الى منقطع
 النفس!» فقال له يزيد: «كنت على ما وصفت، وألقيت بيدك الى التهلكة!
 أفلا أقمت في قرار عزك وموضع سلطانك، وامتنعت بما قدمت به؟ فإن أعطيت
 الرضى، وإلا كنت على عزك وسلطانك!» فقال له: «والله! لو أردت
 ذلك، لَمَا نالوا من أطرافى طرفاً! ولا كُنِي آثرُ الله ورسوله! ولم أر الخروج
 عن الطاعة والجماعة!»

وذكر أن سليمان قال لموسى: «ما الذى كنت تفرع اليه عند حروك
 ومباشرة عدوك؟» قال: «كنت أفرع الى النضرع والدعاء والصبر عند
 اللفاء!» قال: «فأئ الخيل رأيتها في تلك البلاد أَسَق؟» قال: «السُقرا!»
 قال: «فأئ الأمم كانوا أشد فتالاً؟» قال: «هُم أكثر من أن أصفهم!»
 قال: «أخبرنى عن الروم!» قال: «أُسُد في حصونهم، عَقَبَان على خيولهم،
 نساء في مواكهم، إن رأوا فرصة انتهزوها، وإن رأوا غلبة، فأوعال تذهب في
 الجبال، لا يرون الهزيمة عاراً.» قال: «فأخبرنى عن البربر!» قال: «هم أشبه
 العجم بالعرب لفاء ونجدة وصبراً وفروسية، غير أنهم أغدر الناس، لا وفاء لهم
 ولا عهد!» قال: «فأخبرنى عن الأندلس!» قال: «ملوك مترفون، وفرسان
 لا يخيبون.» قال: «فأخبرنى عن الإفرنج!» قال: «هناك العدد والعدة،
 والجحد والشدة، والبأس والنجدة!» قال: «فأخبرنى كيف كانت الحرب
 بينك وبينهم: أكانت لك أو عليك؟» فقال: «أما هذا، فوالله! ما هزمت
 لى راية قط، ولا بُدّد جمعى، ولا نُكِب المسلمون معى، منذ افتحمت الأربعين
 الى أن بلغت الثمانين!» فضحك سليمان، وعجب من قوله. ثم دعا سليمان بطست

من ذهب؛ فجعل يردد بصره فيه؛ فقال له موسى: «إِنَّكَ لَتَعْجَبُ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ! وَاللَّهِ! مَا أَحْسِبُ أَنَّ فِيهِ عَشْرَةَ أَلْفِ دِينَارٍ! وَاللَّهِ! لَقَدْ بَعَثْتُ إِلَى أَخِيكَ الْوَالِيدِ سَنُورَ مِنْ زَبْرَجَدٍ أَخْضَرَ، كَانَ يُصَبُّ فِيهِ اللَّبَنُ، فَيُخَضَّرُ وَتُرَى فِيهِ الشَّعْرَةُ الْبَيْضَاءُ؛ وَلَقَدْ قَوْمَ مِائَةِ أَلْفٍ مِثْقَالٍ، وَإِنَّهُ لَمَنْ أَدْنَى مَا بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْهِ! وَلَقَدْ أَصَبْتُ كَذَا وَأَصَبْتُ كَذَا!» وَجَعَلَ يَعْدِدُ مَا أَصَابَ مِنَ الدَّرِّ وَالْيَافُوتِ وَالزَّبْرَجَدِ، حَتَّى بُهِتَ سَلْيَانٌ مِنْ قَوْلِهِ.

وخرج سليمان يوماً يَنْصِيدُ، وَمَعَهُ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ؛ فَمَرَّ فِي مَنِيَةِ لَهُ بِذَوْدٍ غَنَمَ يَكُونُ فِيهَا نَحْوُ أَلْفِ شَاةٍ؛ فَالْتَفَتَ إِلَى مُوسَى، وَقَالَ لَهُ: «هَلْ كَانَ لَكَ مِثْلُ هَذَا؟» فَضَحَكَ مُوسَى وَقَالَ: «وَاللَّهِ! لَقَدْ رَأَيْتُ لِأَدْنَى مَوَالِيٍّ أَضْعَافَ هَذَا!» فَقَالَ سَلْيَانُ: «لِأَدْنَى مَوَالِيكَ؟» فَقَالَ: «نَعَمْ وَاللَّهِ! نَعَمْ وَاللَّهِ!» وَرَدَّهَا مَرَارًا؛ ⁽¹⁾ ثُمَّ قَالَ: «وَمَا هَذَا فِيهَا أَفَاءَ اللَّهِ عَلَيَّ! لَقَدْ كَانَتْ الْأَلْفُ شَاةٍ تُبَاعُ بِعَشْرَةِ دَرَاهِمٍ، كُلُّ مِائَةِ بَدْرِهِمْ! وَلَقَدْ كَانَ النَّاسُ يَمْشُونَ بِالْبَحْرِ وَالْغَنَمِ؛ فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهَا! وَلَقَدْ رَأَيْتُ الذَّوْدَ مِنَ الْإِبِلِ بِدِينَارٍ! وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْعُلْجَ الْفَارِيَّ وَأَمْرَاتَهُ وَأَوْلَادَهُ يُبَاعُونَ بِخَمْسِينَ دَرَاهِمًا!» قَالَ: فَعَجِبَ سَلْيَانُ.

ثُمَّ حَجَّ سَلْيَانُ، وَخَرَجَ مُوسَى مَعَهُ؛ وَكَانَ مُوسَى مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالنُّجُومِ. فَلَمَّا احْتَلَّ بِالْمَدِينَةِ، قَالَ لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ: «لَيْسَ مَوْلَانِي بَعْدَ غَدٍ رَجُلٌ قَدْ مَلَأَ ذِكْرَهُ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ!» ⁽²⁾ فَظَنَّ الرَّجُلُ أَنَّهُ الْخَلِيفَةُ ⁽²⁾؛ فَمَاتَ مُوسَى فِي الْيَوْمِ الثَّانِي. وَصَلَّى عَلَيْهِ مُسْلِمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ. وَكَانَ مَوْلِدُ مُوسَى سَنَةَ ١٩، فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ - . قِيلَ إِنَّهُ مِنْ لَحْمٍ؛ وَقِيلَ: مِنْ بَكْرِ بْنِ إِسْرَائِيلَ.

وَقَالَ ابْنُ بَشْكُوَالٍ فِي «كِتَابِ الصَّلَاةِ» لَهُ: إِنَّهُ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ. وَقَالَ غَيْرُهُ: كَانَ نُصَيْرٌ وَلَاءَهُ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى خَيْلِهِ؛ فَلَمْ يَفَائِلْ مَعَهُ عَلِيًّا؛ فَقَالَ لَهُ: «مَا مَنَعَكَ مِنَ الْخُرُوجِ مَعِي عَلَى عَلِيٍّ؟» وَيَدِي عَلَيْكَ، وَلَمْ تُكَافِنِي عَلَيْهَا؟» فَقَالَ: «لَمْ يُسَكِّنِي أَنْ أَشْكُرَكَ بِكُفْرٍ مَنْ هُوَ

1-1) Manque dans A.

2-2) Manque dans A.

أولى بشكركى! فقال: «ومن هو؟» فقال: «الله - عز وجل!» قال: فأطرق معاوية ملياً؛ ثم قال: «أستغفرُ الله!» وعفا عنه.
وقال الليث بن سعد: لما قدم موسى بن نصير إفريقية حين الفتح، أخرج ابناً له يُسمى عبد الله إلى بعض نواحيها؛ فأتاه بمائة ألف رأس من السبي، أكثرهن وجوة كالبذور؛ ثم وجّه ابناً له يسمى مروان إلى ناحية أخرى؛ فأتاه كذلك؛ ثم خرج هو بنفسه؛ فأتى بنحو ذلك. قال الليث: فبلغ الخمس ستين ألفاً. قال: فلم يسمع بمثل سبايا موسى في الإسلام.

P. ٢٢

وفي سنة ٩٥، كان خروج موسى من الأندلس إلى الشام، واستخلف ابنه عبد العزيز عليها.

ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير

واستخلف موسى على الأندلس ابنه عبد العزيز، وترك معه حبيب بن أبي عبدة بن عتبة بن نافع وزيراً له، ومُعِيناً. وأقام معها بالأندلس من أراد سكنها. فلما وصل موسى إلى إشبيلية، أقر فيها ولد؛ فارتضاها قاعدة ملكه؛ ونزّج بعد خروج أبيه أمّ عاصم امرأة رذريق (واسمها أيله) وسكن معها بإشبيلية. فلما دخل بها، قالت له: «إنّ الملك، إذا لم يتوجّوا، فلا ملك لهم! فلو عملتُ لك ممّا بقى عندي من الجواهر والذهب تاجاً؟» فقال لها: «ليس ذلك في ديننا.» فقالت له: «ومن أين يعرف أهلُ دينك ما أنت فيه في خلوتك؟» فلم تنزل به حتى فعل. فبينما هو ذات يوم جالسٌ معها، والتاج على رأسه، إذ دخلت عليه امرأة كان قد تزوّجها زياد بن نايغة التميمي، من بنات ملوكهم؛ فعاينته، والتاج على رأسه. فقالت لزياد: «الآن عمل لك تاجاً؟» فقال لها: «ليس في ديننا استحلال لباسه!» فقالت له: «ودين المسيح!

إنه على رأس مملكتكم وإمامكم!»، فأعلم بذلك زياد حبيب بن أبي عبدة؛ ثم تحدثنا بذلك حتى علمه خبار الجند؛ فلم يكن له هم إلا كشف ذلك، حتى رآوه عياناً. فقالوا «قد نصرنا!» ثم هجموا عليه. فقتلوه. ¹ وأكثرت الناس على أن هذه الحكمة لا تصح، وإنما قتلوه بأمر سليمان لهم بذلك إذ نكب والده ¹.

وقال الواقدى: إن التي نكح بعد خروج أبيه هي ابنة رُذريق؛ فجماعته من الدنيا بما لا توصف. فلما دخلت عليه، قالت له: «ما لي لا أرى أهل مملكتك يعظمونك، ولا يسجدون لك. كما كان أهل مملكة أبي يفعلون له؟» فأمر بباب، فنقب في ناحية قصره، وجعله قصيراً؛ فكان يأذن للناس منه؛ فيدخل الداخل منكساً رأسه قبالة لفص الباب؛ وقد جعل لها مجلساً، تنظر منه إلى الناس إذا دخلوا عليه من حيث لا يرونها. فلما رأهم على ذلك، ظنت أنهم يسجدون له. فقالت لعبد العزيز: «الآن قوی مملکتك!» وبلغ الناس ما أراد بذلك الباب؛ فنار به حبيب بن أبي عبدة الفهري، وزياد بن عذرة البلوي، وزياد بن نايغة التميمي، ومن معهم من العاس؛ فقتلوه. وقيل أيضاً: إنما قتلوه لأنه خلع طاعة سليمان بن عبد الملك، إذ بلغه قتل أخيه وما صنع بأبيه. قال الرازي: لما قفل موسى بن نصير، استخلف ابنه عبد العزيز على الأندلس؛ فضبط سلطانها، وسد ثغورها، وافتتح مدائن كثيرة. وكان من خير الولاة، إلا أن مدته لم تطل، لوثوب الجند عليه وقتلهم له، لأشياء نفموها عليه. وكان قتله صدر رجب من سنة ٩٧، بمدينة إشبيلية، بمسجد رُبينة ². ولما دخل المحراب، قرأ فاتحة الكتاب؛ ثم قرأ سورة الواقعة ³؛ فعلاه من خلفه زياد ابن عذرة البلوي بالسيف؛ فقتله، وهو يقول: «قد حفت عليك يا ابن الناعلة!» فكانت ولايته سنة واحدة وعشرة أشهر.

وذكر أيضاً أن سليمان بعث إلى الجند يأمرهم بقتله، عند سخطه على أبيه، وأنهم، لما قتلوه، حزوا رأسه. وقدم به على سليمان حبيب بن أبي عبدة الفهري. P. ٢٤

1-1) Manque dans A.

2) رُبينة B.

3) الحاقة B.

فقبل إنه عرض الرأس على والدك، وهو في محبسه؛ فتجلد لحرّ المصيبة، وقال: «هنيئاً له الشهادة¹⁾! قتلتم، والله! صَوَّاماً قَوَّاماً!» قال الرازي: فكانوا يعدُّون فعل سليمان هذا موسى وابنه من كبار زلَّاته التي لم تنزل تُنقم عليه. ومكث أهل الأندلس شهوراً لا يجمعهم وال، حتى اجتمعوا على أيُّوب بن حبيب اللخمي، ابن أخت موسى بن نصير.

ذِكْرُ وِلايَةِ أَيُّوبَ بْنِ حَبِيبِ الأَنْدَلُسِ

ثم اجتمع أهل الأندلس على تقديم أيُّوب هذا، يومئذ أصلاًتهم؛ وكان رجلاً صالحاً. وأقاموا مدةً دون أمير، ونقلوا دار السلطان إلى قرطبة. فنقدم أيُّوب ابن حبيب، واحتلَّ بقصر قرطبة؛ وكان مُغيث قد اختطفه لنفسه. فذكر أن موسى ابن نصير، حين أقبله رسول الوليد، رجع في قوله على طريق طارق ليختار الأندلس؛ فنزل قرطبة وقال لمُغيث: «إنَّ هذا القصر لا يصلح لك. وإنما يصلح للعامل الذي يكون بقرطبة.» فتخلى عنه يومئذ. ونزله بعد ذلك أيُّوب ابن حبيب. فكانت ولايته سنة أشهر.

وِلايَةُ الحُرِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشَّقَفِيِّ

لما ولي سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد، مولى ابنة الحكم بن العاصي، إفريقية، كانت الأندلس وطنجة إلى صاحب إفريقية. فوجه محمد بن يزيد الحُرَّ ابن عبد الرحمن هذا عاملاً على الأندلس، في أربعمائة رجل من وجوه إفريقية. فبقي الحُرُّ والياً عليها ثلاث سنين؛ فنقل الحُرُّ هذا الإمارة من إشبيلية إلى قرطبة. وكان قدوم الحُرِّ الأندلس سنة ٩٩ من الهجرة.

1) B. الجنة

ولاية السَّمْح بن مالك الخولاني

ثمّ ولى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - رضه - السَّمْح بن مالك على الأندلس، وأمره أن يحمل الناس على طريق الحق، ولا يعدل بهم عن منهج الرفق، وأن يجتس ما غلب عليه من أرضها وعقارها، ويكتب إليه بصفة الأندلس رأيتها. وكان رأيه نقل المسلمين منها وإخراجهم عنها، لانقطاعهم عن المسلمين واتصالهم بأعداء الله الكفار؛ فقبل له: «إن الناس قد كثروا بها، وانتشروا في أقطارها؛ فأضرب عن ذلك!» فقدم السَّمْح الأندلس، وامتل ما أمره به عمر - رضه - من القيام بالحق، وإتباع العدل والصدق؛ فانفرد السَّمْح بولايتها؛ وعزلها عمر عن ولاية إفريقية، اعتناء بأهلها، وتهمماً بشأنها.

وكان المسلمون، إذ فتحوا قرطبة، وجدوا بها آثار فنطرة فوق نهرها، على حنايا وناق الأركان من تأسيس الأمم الدائرة، قد هدمها مدود النهر على مرّ الأزمان. فنتقدم إلى فضيلة النظر فيها عمر بن عبد العزيز - رضه - عند ما اتصل به خبرها؛ فأمر السَّمْح بابتنائها؛ فصنعت على أتم وأعظم مما بُني عليه جسر من حجارة سور المدينة.

وفي سنة ١٠١، ورد كتاب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز على السَّمْح بن مالك بالأندلس، يأمره ببناء الفنطرة بصخر السور، وبناء السور باللبن، ويأمره بإخراج خمس قرطبة. فخرّج من الخمس البطحاء المعروفة بالربض. فأمر الخليفة عمر أن يتخذ بها مقبرة للمسلمين؛ فتم ذلك.

وقتل السَّمْح - رحمه الله! - بطرسونة، وذلك أنه غزا الروم في سنة ١٠٢؛ فاستشهد - رحمه الله! - يوم عرفة؛ فكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر. وقيل: ثمانية أشهر؛ وقيل: ثلاث سنين.

ولاية عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الأندلسي

ثمّ قدّم أهل الأندلس على أنفسهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي هذا؛ فدخلها في شهر ذي الحجة سنة ١٠٢.

ولاية عَنبَسَةَ بن سَحِيم الكَلْبِيِّ

ثم ولى يزيد بن أبي مسلم عامل إفريقية على الأندلس عَنبَسَةَ بن سَحِيم هذا؛ فدخلها في شهر صفر. فلما قُتل يزيد بن أبي مسلم، كان على إفريقية محمد بن يزيد، مولى الأنصار، على ما ذكره الطبري، بتقديم أهل إفريقية، وإقرار يزيد بن عبد الملك إياه.

وفي سنة ١٠٣، كان العامل على إفريقية من قبل يزيد بن عبد الملك بشر بن صفوان، أخو حنظلة؛ فأقر عَنبَسَةَ على الأندلس؛ فكانت ولاية عَنبَسَةَ كلها أربع سنين وثمانية أشهر؛ وقيل غير ذلك.

وفي سنة ١٠٥، خرج عَنبَسَةَ غازياً للروم بالأندلس، وأهلها يومئذ خيَّار، فضلاء، أهل نيّة في الجهاد وحسبة في الثواب؛ فألح على الروم في القتال والحصار حتى صالحوه. وتوفي عَنبَسَةَ في شعبان سنة ١٠٧؛ فكانت ولايته كما ذكرنا.

ولاية يحيى بن سلمة الكَلْبِيِّ

وذلك أنه، لما توفي عَنبَسَةَ، قدم أهل الأندلس على أنفسهم رجلاً من العرب، يُقال له عذرة، إلى أن ورد بعد شهرين يحيى بن سلمة الكَلْبِيُّ والياً من عند أمير المؤمنين هشام بن عبد * الملك، في آخر سنة ١٠٩؛ فكانت ولايته P. ٢٧ سنتين وستة أشهر.

ومات بشر بن صفوان بإفريقية؛ فولى هشام بن عبد الملك مكانه عبيدة ابن أبي الأعور السلمي.

ولاية حذيفة بن الأحوص

ثم ولى الأندلس حذيفة بن الأحوص الأشجعي؛ وقيل: القيسي؛ ولأه عليها عبيدة بن عبد الرحمن السلمي عامل إفريقية من قبل هشام بن عبد الملك، في سنة ١١٠؛ فكانت ولايته ستة أشهر.

ولاية عثمان بن أبي نَسْعَةَ

ثمّ ولى عبيدة بن عبد الرحمن بن أبي الأَعْوَرِ السُّلَمِيُّ على الأندلس عثمان ابن أبي نَسْعَةَ الحَثَمِيُّ؛ فقدمها في شعبان سنة ١١٠؛ وكانت ولايته خمسة أشهر؛ وقيل: ستة أشهر؛ ثمّ عزّل وانصرف إلى الفَيْرَوَانِ؛ فمات بها.

ولاية الهَيْثَمِ بن عُبَيْدِ الكِنَانِيِّ

ثمّ ولى الأندلس الهَيْثَمُ بن عُبَيْدِ الكِنَانِيِّ، في صدر سنة ١١١؛ وكانت ولايته عشرة أشهر؛ وقيل غير ذلك؛ وهو الذي غزا مَنُوسَةَ^١، وأقام والياً عشرة أشهر، كما ذكرنا؛ وقيل: سنة وشهرين؛ ثمّ توفّي.

ولاية محمد بن عبد الله الأشجعيّ

ثمّ قدّم أهل الأندلس على أنفسهم محمد بن عبد الله الأشجعيّ؛ فكانت ولايته شهرين؛ وقيل غير ذلك.

• ولاية عبد الرحمن بن عبد الله الغافقيّ ثانية

P. ٢٨

ثمّ ولى الأندلس عبد الرحمن هذا ثانية؛ فكان دخوله إليها في صفر سنة ١١٢؛ فأقام والياً سنتين وسبعة أشهر؛ وقيل: وثمانية أشهر. واستشهد في أرض العدو في رمضان سنة ١١٤.

ولاية عبد الملك بن قَصَن

ثمّ ولى عبد الملك بن قَصَن بن نُفَيْل بن عبد الله الفهريّ؛ فدخلها في شهر رمضان المذكور الذي توفّي فيه عبد الرحمن الغافقيّ. فألفاه قد استشهد. وقيل: دخلها في شوال من سنة ١١٤. وكانت ولايته سنتين؛ وقيل غير ذلك.

١) مَنُوسَةَ.

ولاية عقبة بن الحجاج السلولي

ثم ولي عقبة بن الحجاج السلولي في شوال سنة ١١٦. وقالوا: في ولايته كان عميد الله بن الحجاج عامل مصر وإفريقية؛ فقدم عليه عقبة بن الحجاج، وكان مولاه؛ فأكرمه، وبره، ورفع شأنه وقدره، وأزله في مكانه، وخيره في ولاية ما شاء من سلطانه. وكان الحجاج أبو عقبة قد أعتق الحجاج أبا عميد الله؛ فولى هشام بن عبد الملك عميد الله بن الحجاج مصر وإفريقية والأندلس؛ فكان له من العرش الى طنجة الى السوس الأقصى الى الأندلس وما بين ذلك؛ وكان أحد بنيه مصر، والثاني بالسوس وطنجة، والثالث بالأندلس؛ وكان عميد الله بإفريقية. فلما شرف عميد الله، وعلت منزلته، وانتشر ذكره، وقد عليه مولاه عقبة؛ فأجلسه معه على فراشه، وأدناه من نفسه، وقربه، حتى عظمت منزلته في الناس؛ فكان يفصد الطالبون وذوو الحاجات، يتوسلون به الى عميد الله. ففحص به بنو عميد الله، وقالوا لوالدهم: «اصرفه عنا لئلا تكسر شرفنا!» فما زاده ذلك عنده إلا تعظيماً وتكريماً. وخيره في ولاية ما شاء من سلطانه؛ فاختار الأندلس؛ فولاه عليها. وكان يجاهد المشركين في كل عام، ويفتح المدن. وهو الذي فتح مدينة أربونة، وافتتح جليقية وبنبلونة، وأسكنها المسلمين. وعمت فتوحه جليقية كلها غير الصخرة؛ فإنه لجأ اليها ملك جليقية، وكان بها في ثلاثمائة رجل. فما زال المسلمون يضيقون عليهم، حتى صاروا ثلاثين رجلاً، وحتى فبت أزودتهم. ولم يتفوتوا إلا بعسل يجذونه في خروق الصخرة. وأعجب المسلمين أمرهم؛ فتركوهم. وأقام عقبة بالأندلس بأحسن سيرة وأجملها، وأعظم طريفة وأعدلها، الى أن غزا أرض إفريقية؛ فلقبته جيوش الأعداء؛ فقتل هو ومن معه ببلاط الشهداء. وذكر عنه أنه كان صاحب بأس ونجدة، ونكاية للعدو وشدة. وكان إذا أسر الأسير، لم يقتله حتى يعرض عليه دين الإسلام، ويفتح له عبادة الأصنام. فيذكر أنه أسلم على يديه بهذا الفعل ألف رجل. وكانت ولايته خمسة أعوام وشهرين.

وقيل إنَّ أهل الأندلس ثاروا على عُقبة بن الحجاج وخلعوه. قال ابن
القطان: وقيل إنَّ عُقبة بن الحجاج، لما حانت وفاته، استخلف عبد الملك بن
قطن. قال: وأقام عقبة على الأندلس والبا إلى سنة ١٢١.

ولاية عبد الملك بن قطن الفهري ثانية

وفي سنة ١٢٢، ولي عبد الملك بن قطن ثانية، حتى كان من أمر البربر
P. ٢٠ وبلج بن بشر، ابن أخي كلثوم بن عباض عامل إفريقية، ما أذكره. قال ابن
القطان: وذلك أن هشام بن عبد الملك كان قد ندب كلثوماً لقتال البربر،
وولاه إفريقية، وبعث معه ثلاثين ألف فارس: عشرة آلاف من صلب بني أمية؛
وعشرين ألفاً من العرب؛ وعهد إليه في سد إفريقية وضبطها، إذ كانوا يجدون
في الروايات أن ملكهم يزول، وأن ملك بني العباس لا يجاوز الزاب. فتوهمته
بنو أمية زاب مصر، وإنما كان زاب إفريقية. فأمره بالجد في أمر إفريقية،
ليلجوا إليها إذا ذهب ملكهم؛ وعهد، إن حدث بكلثوم حدث، أن يكون
ابن أخيه بلج مكانه؛ فدارت بينه وبين البربر حروب عظيمة، هزموا في بعضها
كلثوماً وقتلوه. وصار أمر العرب بإفريقية إلى بلج بالعهد المذكور.

ولجأ فلهم إلى سبتة، حتى ضاق عليهم الأمر ضيقاً عظيماً؛ فكاتب بلج
وأصحابه عبد الملك بن قطن صاحب الأندلس، وسأله إدخاله وإدخال من معه
من الجند. وذكروا له ما صاروا إليه من الجهد، وأنهم قد أكلوا دوابهم. فأبى
عبد الملك من إدخالهم، ولم يأمنهم، ومطلهم بالميرة والسمن. واتفق أن تطاولت
البربر أيضاً بالأندلس، وفاضحوا العرب، وظهروا على الساكنين منهم بجليفة
وغيرها؛ فقتلوه، وطردهم. فلما ورد فل العرب على عبد الملك بن قطن،
ورأى عادية البربر، اضطر لأجل ذلك إلى إدخال بلج وأصحابه؛ فكاتبهم،
وشرط عليهم مقام سنة بالأندلس، ثم يخرجون عنها؛ فرضوا بذلك. فأخذ منهم
رهائن أنزلهم بجزيرة أم حكيم، وهي على الخضراء. ثم أدخل بلجاً وأصحابه عراً،

لا يُؤارِبهم إِلَّا دَوَابُّهم¹⁾، وقد بلغ بهم الجَهْدُ غايته. وكانوا نحو عشرة آلاف من عَرَبِ الشَّامِ. فلما دخلوا، كسَاهم عَرَبُ الأندلس على قدر أقدارهم؛ فَرَبَّ رجل يكسو مائة رجل، وَاخِرُ عشرة، وَاخِرُ واحدًا، الى ما بين ذلك.

فلما حلُّوا * بالخضراء، اجتمع بهم عبد الملك بن قطن؛ وكان بشَدُونَةَ جمع P. ٢١ من البربر، عليهم رجل زَنَانِيٌّ؛ فبدأ عبد الملك بِمَقَاتِلَتِهِمْ في وادي الفتح من شَدُونَةَ؛ فلم يكن للعرب فيهم إِلَّا نَهْضَةٌ، حتى آبادوهم، وأصابوا أَمْنِعَتَهُمْ ودوابَّهُمْ. فاكسى أصحابُ بَلْج، وانعشوا، وأصابوا الغنائم. ثم نهضوا مع عبد الملك الى قُرْطُبَةَ؛ ثم ساروا بأجمعهم الى جهة طَلَيْطَلَةَ، وقد اجتمع هنالك مُعْظَمُ البربر؛ فكانت هزيمتهم العظيمة هنالك بوادي سَلِيط من حَوْزِ طَلَيْطَلَةَ، بعد أن زحف عبد الملك وبلج اليهم بعَرَبِ الأندلس، حاشا عَرَبِ سَرَقِسطَةَ وتُغُورِها. وزحف البربرُ بأجمعهم؛ فهزمهم العربُ، وقتلوا منهم في الهزيمة آلافًا.

ذِكْرُ ولايةِ بَلْجِ بنِ بِشْرِ القُشَيْرِيِّ الأندلسِ

قال من له عناية بالأخبار: دخل بَلْجُ الأندلس سنة ١٢٣، في ذي القعدة منها، وملكها بعد ذلك؛ وذلك أَنَّهُ، لما آباد ابنُ قَطْنِ البربرِ بالأندلس، من كان معه من العرب، وبأصحابِ بَلْجِ، قال لبَلْجِ وأصحابه: «أخرجوا من الأندلس على ما شُورِطْتُمْ عليه!» فقال بَلْجُ: «أحِينا الى ساحلِ البيرة، أو ساحلِ تَدْمِير!» فقال لهم عبد الملك: «ليست لنا مراكبُ إِلَّا بالجزيرة!» فقالوا له: «إنما تريد أن تردنا الى البربر ليقتلونا في بلادهم!» فلما أَلَحَّ عليهم في الخروج، نهضوا اليه؛ فأخرجوه من قصر قُرْطُبَةَ الى داره بالمدينة. ودخل بَلْجُ القصر عشية يوم الأربعاء في صدر ذي قعدة من السنة. وكان بَلْجُ، وقت جوازه عن سَبْتِهِ، قد أعطى رهائن لابن قطن، جعلهم ابن قطن بجزيرة أم حكيم؛ فضاخوا مدة الفتنه بين بَلْجِ وابن قطن، والجزيرة المذكورة دون ماء؛ فمات رجلٌ من غَسَّانِ عطشًا، وكان من الرهائن، من أشرف * دِمَشق.

1) Sic dans A. et B. Dozy propose de lire: دوابُّهم [براذع].

مقتل عبد الملك بن قطن الفهري

لما ملك بلج الأندلس، واستولى عليها، طلب منه الجند أن يعطيهم ابن قطن في الغساني المذكور؛ فتوقف بلج؛ فألح الجند، وثارَت اليمين كلها على كلمة واحدة. وكان ابن قطن شيخاً هريماً، قد بلغ التسعين؛ وكان قد حضر يوم الحرّة، ومنها فرّ إلى إفريقية؛ وكان يومئذٍ بداره بقرطبة؛ فأخرجه الجند منها، كأنه فرخ نعامٍ من الكبر، وهم نادونه: «أفلت من سيوفنا يوم الحرّة؛ فطلبتنا بثأرنا في أكل الدواب والجلود! ثم أردت إخراجنا إلى القتل!» ثم قتلوه، وصلبوه، وصلبوا خنزيراً عن يمينه، وتلبأ عن شماله.

ثم إن أمية وقطناً ابني عبد الملك بن قطن حشداً في جهة سرقسطة. وكانا قد هربا من قرطبة وقت إخراج أبيهما منها، وجاءا إلى بلج طالبين بثأرها، وهما في سيفٍ على مائة ألف من العرب القدماء والحدّث؛ فخرج إليهما بلج، وهو في أقل من خمس عددهما؛ فافتتلوا قتالاً شديداً. ثم انهزم ابن عبد الملك ومن معها هزيمة عظيمة؛ وانصرف أصحاب بلج ظافرين، وقد امتلأت أيديهم وأنفسهم غنماً وانصراً وسروراً، إلا أن بلجاً أميرهم وقيد من جراحه أصابته في المعركة، ومات بعد أيام. وكانت مدة إمارته اثني عشر شهراً. واختلف في ذلك. قال أبو عمر السالمي: إن تلك المعركة انجثت عن أحد عشر ألف قتيل، وإن عبد الرحمن بن علقمة فوق سبهاً إلى بلج؛ فأصاب مقتله. قال هذا في «كتاب دُرر القلائد وغرر النوائد»¹. وقال في «كتاب بهجة النفس»: إن عبد الرحمن ابن علقمة المذكور قتل بالسيف، وإن ولاته ستة أشهر. والأول أصح.

• ولاية تعلبة بن سلامة العاملي الأندلس

P. ٢٢

وفي سنة ١٢٤، في شوال، ولي الأندلس تعلبة بن سلامة، ولأه أهل الشام؛ وذلك أن هشام بن عبد الملك كان قد عهد أن يتولى أمر الجيش، إذ جهزه

1-1) Manque dans B.

من الشام، كُنُومٌ^(١) بن عِيَاض^(١)؛ فَإِنْ أُصِيبَ، فَأَيْنُ أَخِيهِ بَلْج؛ فَإِنْ أُصِيبَ، فَتَعَلْبَةُ. فَأَقْعَدَ أَصْحَابُهُ تَعَلْبَةَ بن سَلَامَةَ بِمَا عَاهَدَ بِهِ هِشَامٌ إِلَيْهِمْ، وَبَايَعُوهُ. وَثَارَ مِنْ بَقِيٍّ مِنَ الْبَرْبَرِ بِمَارِدَةَ فِي أَيَّامِهِ؛ فَغَزَاهُمْ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَأَسَرَ مِنْهُمْ نَحْوَ الْأَلْفِ؛ وَانصَرَفَ إِلَى قُرْطُبَةَ. فَسَارَ بِأَحْسَنِ سِيرَةٍ. وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ عَشْرَةَ أَشْهُرًا. هَذَا مَسَاقُ ابْنِ النَّطَّانِ. وَمِنْ «دُرَرِ الْفَلَائِدِ»: كَانَ يَبِيعُ ذَرَارِيَّ أَهْلِ الْبَلَدِ، وَيَجْمَعُهُمْ أَسْرَى، وَيُرْهِمُهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ عُسْرًا. فَكَانَ تَعَلْبَةُ مَعَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، إِلَى أَنْ وَرَدَ أَبُو الْخَطَّارِ.

ذِكْرُ وِلَايَةِ أَبِي الْخَطَّارِ الْحُسَّامِ بنِ خِرَارِ الْكَلْبِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ

وَفِي سَنَةِ ١٢٥، رَكِبَ أَبُو الْخَطَّارِ الْبَحْرَ مِنْ نَاحِيَةِ تُونِسَ فِي الْمَحْرَمِ، وَحَلَّ بِقُرْطُبَةَ؛ فَالَى تَعَلْبَةَ بن سَلَامَةَ بِالْمُصَارَةِ، وَمَعَهُ الْأَسْرَى وَالسَّبْيُ مِنْ عَرَبِ قُرْطُبَةَ، فَدِ اشْتَبَكَ فِي الْحَبَالِ الْوَلَدُ بِالْوَالِدِ؛ فَأَمَرَ أَبُو الْخَطَّارِ بِإِطْلَاقِهِمْ، وَحَلَّاهُمْ مِنْ وَثَاقِهِمْ؛ وَجَمَعَ النَّاسَ بَعْدَ إِفْتِرَاقِهِمْ، وَصَرَفَهُمْ إِلَى مَعْهُودِ إِتْفَاقِهِمْ؛ فَدَانَتْ لَهُ جَمَاعَتُهُمْ، وَفَرَّقَ أَهْلَ الشَّامِ عَلَى الْكُورِ، وَنَظَرَ لِسَوَاهِمِ أَيْضًا بِأَحْسَنِ النَّظَرِ؛ فَأَنْزَلَ أَهْلَ دِمَشْقَ بِالْبَيْرَةِ، أَهْلَ الْأُرْدُنِّ بَرِّيَّةً، وَأَهْلَ فِلَسْطِينَ بِشَدُّونَةَ، وَأَهْلَ حِمَصَ بِإِشْبِيلِيَّةَ، وَأَهْلَ قَنْسَرِينَ بِحَيَّانَ، وَأَهْلَ مِصْرَ بِبَاجَةَ، وَبَعْضَهُمْ * بِتَدْمِيرَ. P. ٢٤

وَكَانَ إِتْرَالَهُمْ عَلَى أَمْوَالِ الْعَجَمِ مِنْ أَرْضِ وَنَعَمٍ. وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الصُّبَيْلُ بن حَاتِمٍ - وَسَيَاتِي ذِكْرُهُ - وَتَعَصَّبَ الْمِصْرِيِّونَ مَعَهُ، وَأَتَوْا إِلَى قُرْطُبَةَ، حَيْثُ أَبُو الْخَطَّارِ؛ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ دُونَ عِدَّةٍ؛ فَهَزَمَهُ الْقَوْمَ، وَقَبِضُوا عَلَيْهِ، وَأَنْقَلَبُوا بِالْحَدِيدِ رِجْلَيْهِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَفَلَتْ مِنْ كَيْبَانِهِ، وَمَدَّ مَا انْقَبَضَ مِنْ حَبْلِهِ^(٢).

وَمِنْ «كِتَابِ بَهْجَةِ النَّفْسِ»، قَالَ: لَمَّا هَزَمَ تَعَلْبَةُ الْبَرْبَرِ، سَبَى ذَرَارِيَهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلُ بَلْجَ وَلَا غَيْرَهُ يَنْعَرِّضُ لِلذُّرِّيَّةِ سِوَاهُ. فَأَقْبَلَ إِلَى قُرْطُبَةَ بَعْدَ مِنَ السَّبْيِ كَثِيرًا، حَتَّى نَزَلَ طَرَفَ الْمُصَارَةِ مِنْ قُرْطُبَةَ، وَمَعَهُ الْأَسْرَى وَالسَّبْيُ مِنْ

1-1) Manque dans A.

2) A. رحليه.

عزب البلد والبربر، وهو يبيع السبي في النداء، وبعثت ويبتطرب؛ فكان يبيع الشيوخ والأشراف ممن ينقص، لا ممن يزيد؛ وكان فيهم علي بن الحُصَيْن، والحارث بن أسد من أهل المدينة؛ فابتدا المُنَادِي عليهما بعشرة دنانير؛ فلم يزل مُنَادِي: «من ينقص؟» حتى باع أحدهما بعُتُود¹، والآخر بكَلْب. فينا هو على هذه الحال من العيب والبغى، وقد أوقف رجالهم، وأبرزهم للقتل، وذلك يوم جمعة، إذ قدم أبو الخَطَّار؛ فألقاهم بهذه الحال. فأمر بإطلاقهم؛ فسُيِّ ذلك العَسْكَرُ عَسْكَرَ العَافِيَةِ. وكان أهل الأندلس طلبوا من صاحب إفريقية حَنَظَلَةَ ابن صَنُوان عَمِيلاً يجمع كَلْبَتِهِمْ، إذ كانت الكَلْبَةُ مَفْتَرِقَةً، والقتل ذريعاً، ولا يأمنون تغلب العدو عليهم؛ فأرسل إليهم أبا الخَطَّار هذا. واجتمع على أبي الخَطَّار أهل الشام وعزب البلد، ودانت له الأندلس. ثم إنه آمن ابني عبد الملك بن قَطَن، وأنزل أهل الشام في الكُور، وتعصّب لليمانية، واعتزل قيساً؛ فكان ذلك سبب نوثب الصَّمِيل بن حاتم عليه مع مُضَرَ، بعد أن ولي ستينين؛ وقيل:
و² تسعة أشهر؛ وقيل: ثلاث سنين.

ذكر الصَّمِيل بن حاتم وسبب الفِتْنَةِ

P. ٢٥

قال في «كتاب بهجة النفس»: كان الصَّمِيل بن حاتم هذا جدّه شِيرَ قَائِلَ الحُسَيْن - رضه - وهو من أهل الكوفة؛ فلما قتله، تمكّن منه المختار بن أبي عبيد؛ فقتله، وهدم داره؛ فارتحل مع ولده من الكوفة، وصاروا بالجزيرة؛ ثم صاروا في جند قنسرين. فرأس الصَّمِيلُ بالأندلس، وفاق بالنجدة والسخاء. فاغتمّ أبو الخَطَّار به؛ فدخل عليه يوماً، وعنده الجند؛ فأحبّ كسره؛ فأمر عليه؛ فشتمّ، وليكزّه؛ فخرج عنه مُغْضِباً، وأتى داره؛ ثم بعث إلى خيار قومه؛ فشكا إليهم ما لني؛ فقالوا: «نحن تبعك!» فقال: «والله! ما أحبّ أن أعرضكم للفُضَاعِيَةَ ولا لليمانية؛ ولاكني سأتلطف، وأدعو إلب³ مَرَجَ رَاهِط، وأدعو

1) B. بُعُود.

2) Le و manque dans A.

3) B. الفة.

لغياً وجُدَاماً، ونقدّم رجلاً يكون له الاسم ولنا المخطئ.» فكتبوا الى ثَوَابَة بن
سَلَامَة المَجْدَانِيّ من أَهْلِ فِلَسْطِين؛ ثمّ وفدوا عليه؛ فأجابهم، وأجابتهم أَخْم
وجُدَام. فبلغ ذلك أبا المَخْطَار؛ فغزاهم؛ فلقبه ثَوَابَة؛ فهزمه ثَوَابَة، وأسره. وسار
ثَوَابَة حتّى دخل قَصْر قُرْطُبَة، وأبو المَخْطَار معه في قيوده. ثمّ إنّه أفلت،
كما ذكرنا.

ثمّ ولى ثَوَابَة سنتين. ولما ولى ثَوَابَة سنة ١٢٨، استعاش أبو المَخْطَار البيهانيّة،
ودعاهم للنُصْرَة على المِصْرِيّة؛ فاجتمع له إذ ذاك حَفْلٌ وعسكْرٌ ضخمٌ، وأقبل
الى قُرْطُبَة؛ فخرج ثَوَابَة بن سَلَامَة الى لقائه. فافترق الناسُ عن أبي المَخْطَار، P. ٢٦
ونفروا عن تلقائه. وتوفى إثر ذلك ثَوَابَة في السنة المذكورة؛ وكانت ولايته كما
ذكرنا. فلما توفى ثَوَابَة، عادت الحرب الى ما كانت عليه؛ فأرادت اليَمَنُ أن
تعيد أبا المَخْطَار؛ فأبّت ذلك مُصْرٌ مع الصُّبَيْلِ؛ وتشاكس الفريقان. وأقامت
الأندلس أربعة أشهر من غير والٍ، إلّا أنّهم قدّموا عبد الرحمن بن كَثِير
اللخميّ للنظر في الأحكام. وصار أمرُ الشَّامِ وملوكه منقَبِرَ الحال؛ فقتل يزيد
الوليد، وصارت اليه أحوالُ بني مروان⁽¹⁾.

ولاية يُوْسُفُ بن عبد الرّحمن الفِهرِيّ الأندلس

لما تَفَاقَمَ الأمر، وكثُر الاختلاف بين أهل الأندلس، تراضوا وأنفقوا على
تولية يوسف بن عبد الرحمن الفِهرِيّ، وعلى أن يدعوا لبيحي بن حرِيث كورة
ريّة؛ فتركته له طعميّة. وقد كانت قُضَاعَة اجتمعت قبل ذلك، وقدّموا على
أنفسهم عبد الرحمن بن نُعَيْم الكَلْبِيّ؛ فجمع مائتي راجل وأربعين فارساً؛ فبيت
القصر بقُرْطُبَة، وقاتل الأحراس، وهجم على المِجَنّ؛ فأخرج أبا المَخْطَار، وهرب
به الى لَبْلَة⁽²⁾؛ فأقام في كَلْبٍ وقبائل من حِمص؛ فاكتفوه ومنعوه، ولم يُجَدِّثْ
شيئاً حتّى اجتمع الناسُ على يوسف. فلما استقام له الأمر، غدر بيحي بن

١- B. البلد. A. 1). بقتل الوليد بن يزيد وما صارت اليه أحوال بني مروان. B. 1-1

حُرَيْثٌ، وعزله عن كورة رية؛ فغضب ابن حُرَيْثٍ، وكاتبَ أبا الخطَّار حيناً. فقال أبو الخطَّار: «أنا الأميرُ المخلوعُ! فأنا أقوم بالأمر!» وقال ابن حُرَيْثٍ: «بل أنا أقوم به، لأنَّ قومي أكثر من قومك!» فلما رأت جُذام ما يدعوا إليه ابن حُرَيْثٍ، قدّموه وأجابوه؛ فأصفت بين الأندلس وحميرها وكندتها على تقديمه والطوع له، وانحازت مضر * وربيعه الى يوسف بقرطبة حضرة الملك. P. ٢٧
وأقبلا حتى نزلا شقنّدة.

وكان الصَّمِيلُ مع يوسف الفِهْرِيُّ، وهو الذي سأله الناسُ أن ينظر لهم في والي يلى عليهم، لشغل أمير المؤمنين مروان بن محمد بالمشرك عنهم وبُعده عنهم. فاختر لهم يوسفَ بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبدة بن عُقبة بن نافع الفِهْرِيُّ؛ وكان يومئذٍ بالبيرة؛ فرضيه الناسُ كما ذكرنا. ووقع اختلافٌ بعد ذلك في أمره بين مضر واليمن؛ فانضوت اليمن الى أبي الخطَّار، من جميع البلاد والأقطار، وزحف بهم الى يوسف الفِهْرِيُّ بقرطبة؛ فكرة يوسف الفتنه، وخاف البغضاء والشحناء. فنزل الصَّمِيلُ بن حاتم بالملات، وشك السلاح والآلات؛ وأقبل أبو الخطَّار بمن معه، ونزل موضعه؛ فالتفت بشقنّدة الفتنان، وتصادمت الفرقتان؛ فلا تسع إلا صهيلاً وصليلاً، ولا ترى إلا قتيلاً، حتى تكسرت الخطيئة وتفلت المشرفية، والتفت الساق بالساق، وانضمت الأعناق الى الأعناق؛ فلم يُعهد حرباً مثلها في المسلمين، بعد حرب الجمل وصيفين، الى أن انهزمت اليمانية مع أبي الخطَّار بعد حين. وهرب أبو الخطَّار، وركب ظهر الفرار؛ واستتر في رحى للصَّمِيلُ هنالك؛ فظفر به وقتل إذ ذلك. فرأس الصَّمِيلُ بن حاتم في الناس، وشهر بالنجدة والبأس؛ وصرف يوسف الفِهْرِيُّ اليه الأمور، وأوقف عليه الرياسة والتدبير. فكان ليوسف الاسم، وللصَّمِيلُ الرثم.

مقتل أبي الخطَّار

ولما أخذ أبو الخطَّار، وأرادوا قتله، قال: «ليس على قوت! ولاكن دونكم

ابن السّوداء ١» يُريد ابن حُرَيْث. فدَلَّ عليه، وقتلًا جميعاً. وكان ابن حُرَيْث يقول: «لو أنّ دماء أهل الشام سُقيت، * لشرِبَتْها في قَدَحٍ!» فلما استُخْرِج P. ٢٨ من تحت الرّحى ليُقتل، قال له أبو الخَطَّار: «يا ابن السّوداء! هل بقي في قَدَحِكَ شيء لم تشربه؟» ثمّ قُتِلَا. وأُتِيَ بالأسرى؛ ففعد لهم الصُّبَيْل، وضرب أعناقهم جميعاً.

ثمّ أتبع اللهُ الأندلس بعد ذلك بالوباء والموت في السنة الثانية، حتّى كاد الخلقُ أن ينفرض منها.

وَوُيِّىَ يوسف عن (١ رضى من ١) عامّة الجند من مُضَرَّ وَيَمَن والشَّام؛ فصَفَّت له الأندلس بعد يوم شَقُنْدَة، وخلصت له القلوب والأَنْس. وعاد الصُّبَيْل بن حاتم قائده الأعلى، وقَدَحُه المَعْلَى، يقرِّب منه ما شاءه، ويدفع عنه ما ساءه، الى أن تمكّن بالدولة، وتملّك رِقَاب تلك الجملة. فشرّق به يوسف وقلق، وخشى من جانبه وأرق (٢)؛ فرأى أن يبعده من مكنته، ويؤايبه بعض سلطانه؛ فولّاه سَرَقُسطة وبلادها سنة ١٢٢؛ فكان فيها الى أن قام عليه فيها الحُبابُ بن رَواحة من بني زُهرة بن كلاب؛ فحاصره مُدَّة من سبعة أشهر. وقعد يوسف عن إغاثته، واعتذر بشدّة الأندلس في ذلك الوقت ومجاعتِه، رغبةً في تلافيه وهلاكه، وحرصاً على الراحة منه لاستحواذه واستملاكه، الى أن اجتمع قومه بالبيرة وجيَّان، وساروا الى نُصرتِه، وتفرّج كربته.

وقيل إنّ الذى قام على يوسف بسرَقُسطة تيمُّ بن مَعْبِد الزُّهْرِيّ وعاهِرُ العَبْدَرِيّ. فغزاها يوسف في سنة ١٢٨؛ فكان عليها، الى أن دخل عبد الرحمن الداخِل الى الأندلس.

وفي سنة ١٢٠، كانت وقعة شَقُنْدَة، واجتمع على يوسف. وكان يوم ولايته ابن خمس وسبعين سنة؛ وملك تسع سنين. وكان قبل ولايته مُعْتَزِلاً في بادية، من أهل الديانة والإظهار للخير.

1-1) Manque dans A.

2) Manque dans A.

وفي سنة ١٢١، أمّلت الأندلس، وعمّ المحلّ، ونمادى الى سنة ١٢٦. P. ٢٩ وذلك سنة محلّ وسنة غيبت. وأتصل المحلّ الشديد سنة ٠ أو اثنتين؛ ثمّ سفيّ الناس سنة ١٢٢، وعادت الى بعض الصّلاح.

وفي سنة ١٢٢، نار أهل جليبية، ووردت الغارات عليها. ثمّ استحكّم الجوع والفتح في سنة أربع وثلاثين وسنة خمس وبعض سنة ١٢٦؛ فخرج أكثر الناس الى طنجة وزويلة¹ وريف البحر في العدة؛ وكانت إجازتهم من وادي شدونة، وهو المعروف بيوادي بزباط؛² وبه سببت السنة².

تسمية من نار على يوسف بن عبد الرحمن الفهريّ بالأندلس منهم: عبد الرحمن بن علقمة اللخميّ، نار عليه بأرثونة؛ فخاربه، ولم يمكث في حربه إلاّ يسيراً حتى أمكنه الله منه ونار عليه عروة بياجة؛ فوجه اليه يوسف من هزمه وقتل أصحابه. ونار عليه تميم بن معبد سنة ١٢٦. وفي سنة ١٢٧، اجتمع تميم بن معبد وعامر بن عمرو بن وهب بسرقسطة؛ فتولى محاربتها الصّليل بن حاتم. وفي سنة ١٢٨، خرج يوسف بنفسه الى تميم بن معبد وعامر ابن عمرو بسرقسطة؛ فحاصرها؛ ثمّ ظفر بهما وقتلها. وفي هذه السنة، انقضت أيام يوسف بن عبد الرحمن الفهريّ.

جامع أخبار بني أمية بالمشرق

وذلك أن جميع خلفائهم من لدن معاوية الى آخرهم أربعة عشر رجلاً. وكانت مدة دولتهم، منذ خلاص الأمر الى معاوية الى أن قُتل مروان بن محمد، إحدى وتسعين سنة، وتسعة أشهر، وخمسة أيام، منها أيام ابن الزبير تسع سنين وإثنا عشر يوماً. ثمّ تفرقت بنو أمية في البلاد هرباً بأنفسهم. وهرب

1) Sic dans A. et B. Peut-être: وأزيلة؟

2-2) Manque dans B.

P. ٤٠. عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الى * الأندلس؛ فبايعه أهلها، وتجددت لهم بها دولة استمرت الى بعد الأربع والعشرين والأربعمئة. والناس يعتقدون أن دولتهم كانت انقطعت من حين قتل مروان الى أن جددها عبد الرحمن الداخل سنة ١٢٦ أو نحوها؛ وقيل إنها كانت منصلة، لم تنقطع من زمن عثمان - رضه - الى زمن المعتد بالله بفزطية آخر خلفائهم سنة ٤٢٤. وهذا القول ينبنى على ما قاله بعضهم إن عهد عبد الرحمن بن حبيب صاحب إفريقية من قبل بني أمية وصل الى يوسف بن عبد الرحمن الفهري المنغلب على الأندلس، الذي دخل عبد الرحمن بن معاوية وهو أميرها. فتأمل هذا؛ فإنه، إن صح، نكتة غريبة¹، وفائدة عجيبة.

قال أبو محمد بن حزم: وانقطعت دولة بني مروان بالمشرق بمروان بن محمد الجعدي². وكانت، على علاقتها، دولة عربية، لم يتخذ ملوكها قاعدة لأنفسهم، إنما كان سكنى كل أمير³ منهم في داره وضيعته التان كائنات له قبل الخلافة، ولا أكثروا احجان الأموال، ولا بناء القصور، ولا طلبوا مخاطبة الناس لهم بالنهويل والعبودية والملك⁴، ولا تفيل أرض، ولا يد، ولا رجل؛ إنما كان غرضهم الطاعة الصحيحة والتولية والعزل في أقاص بلاد الدنيا؛ فكانوا يعزلون العمال، ويولون الأخر في السند والهند⁵، وفي خراسان، وفي أرمينية، وفي العراق، وفي اليمن، وفي المغرب الأدنى والأقصى وبلاد الشوس وبلاد الأندلس؛ وبعثوا اليها الجيوش؛ وولوا منها من ارتضوا من العمال، وملكوا أكثر الدنيا. فلم يملك أحد من ملوك الدنيا ما ملكوه من الأرض، الى أن تغلب عليهم بنو العباس بالمشرق، وانقطع بها⁶ ملكهم. فسار منهم عبد الرحمن بن معاوية الى الأندلس، وملكها هو وبنوه، وقامت بها دولة بني أمية نحو الثلاثمئة سنة. فلم يك في تول الإسلام أنبل منها، ولا أكثر نصراً * على أهل الشرك، ولا أجمع P. ٤١ لخلال الخير؛ وبهدمها انهدمت الأندلس الى الآن، وذهب بها الدنيا بدهاها.

1) Manque dans A.

2) Manque dans A.

3) B. امرئ.

4) Manque dans A.

5) B. والصين.

6) Manque dans A. Peut-être: بها؟

قال ابو محمد: وانتقل الأمرُ بالمشرق الى بني العباس؛ فكانت دولتهم
 أعجيبية: سقطت فيها دواوين العرب، وغلب عجم خراسان على الأمر، وعاد
 الأمرُ ملكاً عضوضاً كسروياً، إلا أنهم لم يُعلنوا بسبب أحد من الصحابة
 - رضهم - بخلاف ما كانوا عليه بنو أمية من استعمال ذلك في جانب علي
 - رضه -، وكفاهم ذلك قبحاً وباطلاً، حاشا عمر بن عبد العزيز - رضه -
 ويزيد بن الوليد؛ فإنهما لم يستجيزوا ذلك. وافتقرت في دولة بني العباس كلمة
 المسلمين؛ فنغلبت في البلاد طوائف من الخوارج وشيعة ومعتزلة، ومن ولد
 إدريس وسليمان ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب
 - رضهم -؛ ومنهم من بنى أمية تغلبوا على الأندلس، وكثير من غيرهم. وفي
 خلال هذه الأمور من اختلاف الكلمة، تغلب الكفار على نحو نصف الأندلس،
 وعلى نحو نصف السند؛ فأما ما لم يملكه العباسيون، فهو ما وراء الزاب من بلاد
 المغرب وبلنسان وأنظارها، فولياها محمد بن سليمان الحسني، وفاس وأنظارها،
 كان فيها شيعة، ثم آل ملكها الى إدريس؛ وأما تامسنا، ففيها أولاد صالح بن
 طريف على ضلالتهم؛ وأما سجلماسة، فنزلها رئيس الصفرية. هذه هي البلاد
 المنفق عليها، وأما المختلف فيها، فأفريقية؛ قيل إنه كان فيها عبد الرحمن بن
 حبيب نائراً، وفي الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري.

ذِكْرُ دُخُولِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامٍ إِلَى الْأَنْدَلُسِ P. ٤٢
 وَهَرُوبِهِ مِنَ الشَّامِ

قال الرازي^(١): وفي سنة ١٢٦، ابتدأ عبد الرحمن بن معاوية بمداخلة
 مواليه من الأمويين بالأندلس. وفي هذه السنة، تفرق ولد معاوية، وولد هشام،
 وكل من فيه بقية من ولد مروان وأميه. فخرج عبد الرحمن بن معاوية مختفياً

من موضع الى موضع، وهُمُّهُ الأندلس، لما كان في نفسه من أمرها ومن الأثر المروى عنه فيها. فوصل الى مصر؛ ثم سار منها الى بركة؛ فبقى فيها مستتراً مدة. ثم رحل عنها؛ فأوغل في المغرب. قال بدر مولاة: «فأدركته في الطريق، وجهتني اليه أم الأصبح أخته شقيقته بدنانير¹ وشيء من الجواهر يستعين بها على النفقة والوصول؛ فوصل الى إفريقية، وصاحبها عبد الرحمن بن حبيب، ومعه يهودي قد خدم مسلمة بن عبد الملك؛ وسمعه يتحدث بخبر الفرسى الذى يكون من بنى أمية ينقلب على الأندلس، اسمه عبد الرحمن، ذو ضفيرتين²؛ فنظر الى عبد الرحمن؛ فوجه بضفيرتين³؛ فقال لليهودي: «وَيْحَكَ! هذا هو المذكور، وأنا قاتله!» فقال له اليهودي: «إِنْ يَكُ ذَلِكَ، لَمْ تَقْتُلْهُ!» ثم صار ابن حبيب يقتل الواصلين إليه من بنى أمية، ويأخذ أموالهم. فهرب عبد الرحمن عن القيروان، ونجا يريد الأندلس، ويشغل نفسه بها لما كان عنده من الروايات فى علم الحدثنان من قبل مسلمة بن عبد الملك أخى جدّه وغيره. فسار حتى أتى تادلاً⁴ من قبائل المغرب؛ فناله عندهم تضيق وأخبار بطول ذكرها. ثم هرب من عندهم حتى أتى نفزة، وهم أخواله؛ فإن أمه كانت من سبيهم. قال بدر: «فجرتُ» الى الأندلس، واجتمعت بعبيد الله بن عثمان بساحل البيرة، فى آخر P. ٤٣ سنة ١٢٦؛ ثم انصرفت فى سنة سبع بعدها، وأقيمت عنده مدة؛ ثم كررت منصرفاً الى الأندلس فى موالى⁵ عبد الرحمن.

حدث عبد الرحمن، قال: «دخلت الأندلس، وأنا أضبط جليّة مسلمة ابن عبد الملك؛ فإنه أتى جدى هشاماً يوماً؛ فوجدنى عنده صبياً؛ فأمر جدى بتنجيتى عنه؛ فقال له مسلمة: «دعه يا أمير المؤمنين! فإنه صاحب بنى أمية ومخبي دولتهم بعد زوالها!» فلم أزل أعرف لى مزية من جدى بعد.

قال الرازى: وفى سنة ١٢٧، ثار الكنجاب بن رواحة بجهة سرقسطة؛

بظفيرتين B. بظفرتين A. 3) ظفيرتين B. ضفرتين A. 2) بدنانيرين A. 1)

مولاى B. 5) بلاداً A. 4)

وتظاهر معه على ذلك عامر بن عمرو العبدرثي من بني عبد الدار بن قصي؛ وكان قد هرب من قرطبة خوفاً من يوسف؛ وكان عامر هذا أحد رجال مضر،^(١) وقد فشا بالأندلس نجدة وشرفاً وعلماً وأدباً؛ وكان يلي المغازي بالصوائف من قبل يوسف الفهري؛ وكان سلطان الفهري يومئذ قد ضعف لأجل المحل المتوالي بالأندلس. وكان الصميل قد لزم الثغر في تلك الأعوام، لأنه كان أشبه من غيره في الخصب؛ فلما خاف عامر هذا على نفسه من الفهري والصميل، خرج فارتأ بنفسه، وقصد الحجاب بن راحة، واستجاشا. فأجابها رجال من البمانية وناس من البربر؛ فحصر الصميل بسرقسطة حصاراً شديداً، حتى يئس من الحياة، وهم بالالفاء بيده؛ وكتب الى يوسف يسأله الإمداد؛ فلم يجد في الناس منفضاً. فلما أبطأ عليه مدد يوسف، واشتد الحصار، كتب الى قومه من جند قنبرين ودمشق، يعظم عليهم الخطب، ويناشدهم الرجم؛ فقام له بذلك عبيد بن عمرو الكلابي؛ وأكثر كلاب وهوazin وغطان والأزد تقدم رجلاً وتوخر أخرى. ولم يكن لهم رأس يجمعهم. فلما نهض عبيد بن علي ومضى داعياً في الجند الى نصر الصميل، تحركت جماعة كلاب ومحارب، إلا كعب بن عامر وعقبيل وقشير والحريش^(٢)؛ فإنهم كانوا منافسين لبني كلاب، لأن الرياسة يومئذ بالأندلس كانت فيهم؛ وكان بلج قشيرياً؛ فضمهم^(٣) الصميل.

P. ٤٤

ولم يجتمع من هذه القبائل إلا نحو أربعمئة فارس؛ فاستنفلوا أنفسهم؛ صموا، وخفت معهم يومئذ قوم من بني أمية في نحو ثلاثين فارساً؛ وخر معهم أبو عثمان عبيد الله بن عثمان مولاهم، وخرج أيضاً معهم عبد الله بن خالد بن أبان بن أسلم، مولى عثمان بن عفان - رضه -؛ وكان عبد الله وعبيد الله يتواليان حمل لواء بني أمية بالأندلس بعد، ويتعاقبان في ذلك وكان لهما ولبنى أمية في هذا المجتمع يومئذ بلاه معروف مشهور، وإنما أرا أن يقدماً بذلك بدأ عند الصميل، لما كانا بنيًا عليه من اطلاع على أ

١-1) B. وقه بش. 2) A. et B. و. 3) A. فضمهم B. فضمهم.

عبد الرحمن بن معاوية؛ وكانا واثقين بالصَّمِيلِ، وأنه، إن لم يُجِئهما، كنتم عليهما؛ وكذلك فعل؛ فإنه كنتم عليهما كتباً¹ عجيبة. فكان هذا² هو الذي² دعاهم إلى إمداد الصَّمِيلِ واستنفاذه لاعتداد اليد عليه؛ فخرجوا، ورأسوا على أنفسهم ابن شهاب استئلاً له؛ ومشي الجميع. فلما بلغوا وادي طَلَيْطَلَةَ، بلغهم أن الحصار اشتدَّ وأضرَّ بالصَّمِيلِ، وأنه على الملكة؛ فقدموا رسولا من قبَلهم، وقالوا له: «ادخل في جملة الحارين للسور. فإذا قربت منه، أزم بهن الأحجار!» وفي كل واحد منها بيتان، وهما [وافرا]:

أَلَا أَبْشِرْ بِالسَّلَامَةِ يَا جِدَارُ أَنْتَاكَ الْغَوْثُ وَانْقَطَعَ الْحِصَارُ
أَنْتَاكَ بِنَاتُ أَعْوَجَ مُلْجَمَاتٍ عَلَيْهَا الْأَكْرَمُونَ وَهُمْ نِزَارُ

ف فعل الرسول ذلك. فلما وقعت الحجارة، أتى بها الصَّمِيلُ أو بعضها؛ ففرَّث عليه؛ وكان أُمِيًّا. فلما سمع ما فيها، قال: «أبشروا يا قوم! فقد جاءكم P. ٤٥ الغوث، وَرَبَّ الكَعْبَةِ!» ومضى القومُ يسنجشون³ كل من استجاب لهم، ومعهم الأمويون، وفي جملتهم بدر رسول ابن معاوية. وكان عبد الرحمن قد بعث اليهم خاتمه ليكتبوا به عنه إلى كل من رجوا نصره؛ فكتبوا عنه للصَّمِيلِ، يذكرون له أيادي بني⁴ أُمِيَّة عند، ويعده، ويسنيه. فلما سمع العبدري والعُدري بالمدد الواصل إليه، ارتفعوا عنه، وانكشف وجه الصَّمِيلِ؛ فخرج، وتلقى القوم، ووصلهم على أقدارهم، وكساهم، وقفل معهم بماله وحشيه. فلما زال الصَّمِيلُ عن سرقسطة، دخلها الحَبَابُ ومَلَكَاها.

ثم أطلع الأمويون الصَّمِيلَ على قصة ابن معاوية، وعرضوا عليه بدرًا رسوله؛ فأحسن إليه وقال لهم: «أرؤى في أمره.» وأقبل قافلًا حتى دخل قَرْطَبَةَ. وانصرف الأمويون إلى منازلهم، وبدر معهم. وقد كان الصَّمِيلُ اتفق مع الأمويين على نُصْرَةِ ابن معاوية، وأن يزوجه من ابنته. ثم رجع في قوله، وقال:

1) A. كَمَا.

2-2) A. مِمَّا.

3) A. يسنجشون.

4) Manque dans B.

« تاملت الأمر؛ فوجدته صعب المرام؛ فبارك الله لكما في رأيكما ومولاكما! فإن أحب غير السلطان، فله عندي أن يواسيه يوسف، ويروجه ويحبوه! انطلقا راشدين! » فانقطع رجاؤهم يومئذ من ربيعة ومضر، ورجعوا الى اليمن. قال بدر: فلم نهر بيبي إلا دعواناه؛ فوجدنا قوما قد وغرت صدورهم، يننون سيلاً لطلب ثأرهم؛ ثم رجعنا الى جندنا؛ فابتعنا مركباً، ووجهنا فيه أحد عشر رجلاً مع بدر. قال: ومضى يوسف حتى أتى طليطلة، وأمضى بعثين الى جليقية والبشكنش، وأراد القفول الى قرطبة؛ فلم يبعد حتى أدركه الرسول بهزيمة الجيش وقتل عامته. فيينا هو ينظر في ذلك، إذ أتاه رجل من عند ولدك من قرطبة، يعلمه أن فتى من قریش، من ولد هشام بن عبد الملك، نزل بساحل المنكب؛ فاجتمع اليه موالى القوم والأموية؛ فانتشر الخبر في العسكر، وشبهت به الناس لما فعل بالقرشيين؛ فانفض الناس من العسكر، وتنادوا بمشاعرهم، وندموا الى كورهم. فأصبح يوسف، وليس في عسكره غير قبس والصمبل؛ فقال للصمبل: « ما الرأي؟ » قال: « بادرة الساعة، قبل أن يستعجل أمره! » فساروا الى قرطبة؛ فكلما رجوا أن يجتمع لهم بمن يخرجون لاستئصال شوكة ابن معاوية، لم ينجهم لم عمل.

وفي سنة ١٢٨. دخل عبد الرحمن بن معاوية الأندلس في غرة ربيع الأول؛ وهو أبو الملوك. وكان خروجه من المركب بموضع يعرف بالمنكب؛ ثم نزل بقرنة طرش^١ من كورة البيرة. فأقبل اليه جماعة من الأمويين، وقد أعدوا للأمير ما يصلحه من المركب والمنزل والملبس. فغاض أمر ابن معاوية، وأقبل الناس من كل مكان إليه. فكتب يوسف الفهري الى جماعة الأمويين، يحذيرهم ويحورفهم؛ فقالوا له: « إنما أقبل ابن معاوية إلينا وإلى جماعة مواليه، يريد المال. ليس فيما يظن الأمير - أصلحه الله! - ولا فيما رُفِع إليه. » واعتذروا له

١) طرش.

بما أمكنهم. وأقبل وجوه الناس الى ابن معاوية، وقالوا له: «خفنا مكر الصَّمِيل، ولم نأمن غائلته؛ فعرفنا الفهرى بكذا وكذا.» وكان ابن معاوية يبيت في الجبال.

ومضى يوسف بن نُجْت الى جند الأزدن؛ فأخذ بيعة جميعهم؛ ومضى عبد الله بن خالد الى جند حصص؛ ومضى تمام بن علقمة الى أهل فلسطين؛ وأقبل الناس من كل مكان. فلما ضاقت الأحوال بالنهرى، ولم يأت من الأجناد إلا اليسير، أدار له الصَّمِيلُ الرأى، وأمره بالمر ببن معاوية والخادعة له، ورجا ذلك منه لحدائث سنه، وقال له: «هو قريب عهد بزوال النعمة؛ فهو يغتم ما تدعوه اليه؛ ثم أنت بعد ذلك متحكّم فيه وفي الذين سعوا له بما تحب!» فأجمع رأيه على تأنيسه بأن يزوجه ابنته، ويسكنه في * أى الجندين شاء، من P. ٤٧ دِمَشق أو الأزدن، أو يسكن بينهما، ويصير إليه أمر الكورتين. وبعث اليه بكسوتين ومطبتين وخمسائة دينار، ووجه اليه كاتبه خالد بن يزيد، وقال له: «اعرف أمره وأى جند عنده، ونأمل أخباره وأخبار من معه!» فخرج في الليل مع أصحابه، وأصبحوا على ابن معاوية بالمال والكسوة والمطبتين. ووجه أيضاً الى بدر فرساً ومائة دينار وكسوة. فقبل ابن معاوية الهدية، وكرة التزويج؛ فتكلم خالد بكلام غليظ لابن معاوية إذ أبى التزويج؛ فأمر به؛ فضم الى وثاق، وردّ غيره الى يوسف؛ ولم يرّد عليه جواباً.

وكان يوسف قد كتب الى ابن معاوية كتاباً. وهذه بعض فصول منه: «أما بعد، فقد انتهى البنا نزولك بساحل المنكب، وتأبش من تأبش اليك ونزع نحوك من الشراق وأهل الختر¹ والغدر ونقض الأيمان المؤكدة، التي كذبوا الله فيها وكذبونا! وبه - جلّ وعلا! - نسنعين عليهم! ولقد كانوا معنا في ذرى كنف ورفاهية غيش، حتى غمصوا² ذلك، واستبدلوا بالأمن خوفاً، وجنحوا الى النفض! والله من ورائهم محيط! فإن كنت تريد المال وسعة الجناب،

1) B. الختل

2) B. غمطوا

فأنا أولى لك ممن لجأت إليه! أكنفك، وأصل رحمتك، وأترك معي إن أردت وبحيث تريد! ثم لك عهد الله وذيمنته في ألا أغدر بك، ولا أمكن منك ابن عمي صاحب إفريقية ولا غيره!» في كلام كثير.

قال ابن عيسى: فحدثني تمام بن علقمة أن عبد الرحمن، لما أتاه كتاب الفهرى بما فيه وبتزويجه ابنته، أشار عليه كل من أتاه من العرب والأمويين ألا يفعل ذلك منه، إلا أن يعتزل له عن الملك ويأبىه، وإلا حاكمه إلى الله؛ وقالوا له: «إنما يكر بك، ولا يفى لك بشيء»، لأن وزيره ومالك أمره الصليل، وهو غير مأمون!»

قال: فلما انكشف أمرنا عند ما أظهرنا من الإباية ومحس كاتبه خالد ابن يزيد، رأينا أن نشهر أمرنا. فخرجنا إلى جدار بن عمرو وإلى جند الأردن، واجتمعنا إليه؛ فأتينا في ثلاثمائة فارس من جماعة الأمويين، ومن أقبل إليه من وجوه العرب. ثم كاتبنا أهل قنشرين وفلسطين. فلما أقبلت إلينا رسلهم بما أردنا، نهضنا إليهم؛ وكنا قد وطنا على الموت، وعزمنا على أن نقل دونه، وعقدنا له لواء. وأقمنا معه سنة أشهر، نبرم له أموره، ونكاتب له الناس. وكنا خرجنا إليه في زى حسن عند خروجنا إليه بساحل البحر؛ ثم انتقل من البيرة إلى كورة رية، إلى شدونة، إلى مؤرور، إلى كورة إشبيلية، والناس يتلقونه بالبشر والترحيب، ويعطونه من الانقياد والطاعة أوفى نصيب. قال تمام: فدخلنا رية في ستمائة فارس، وخرجنا منها في ألفي فارس؛ وخرجنا من إشبيلية إلى قرطبة في ثلاثة آلاف فارس. فلما اجتمعت لنا الجموع، وبلغنا ما يريد الفهرى من الخروج إلينا، كتب الأمير عبد الرحمن الكئائب، وعباً الأجناد، وخرج إليه؛ ودعا برجل من الأنصار؛ فعقد لواءه؛ وارتحل في جنوده، حتى احتل بقربة على نهر قرطبة يوم الاثنين لست خلون من ذى الحجة. وخرج الفهرى إلى البصرة. وأقاما ثلاثة أيام متناظرين، والنهر حاجر بينهما بحمله؛ ثم أصبح النهر يوم الخميس، وقد حسر ماؤه. فعبا الأمير عبد

الرحمن كنيته، وتنبأ للحرب؛ فقدم على قبائل العرب أحداً من قواده، وعلى
البزير كذلك، وهو إبراهيم بن شجرة. وترجل حماة بنى أمية؛ فحفوا بالأمير،
والأمير على فرسه متنكباً قوسه؛ فجاوز النهر، واقترب من المصاراة؛ فتجاوز
العسكران، وتغارب المضطربان. وأقاما بقية يومهما في سكون وهدوء، والرسل
تختلف من قبل يوسف، يرجو عند الصلح. فلما أصبح يوم الجمعة، التقى P. ٤٩
الجمعان، واستحرت الحرب والقتال. فمشى العلاء بن جابر العقيلي إلى الصبيل؛
فقال له: «يا أبا جوشن أتق الله! فوالله! ما أشبه هذا اليوم إلا بيوم المرج!
وإن عاره لباقي علينا إلى اليوم؛ فإن الأمور بهتدي لها بالأقران¹ والأمثال:
أموي وفهري، وقيس واليمن! وهذا يوم عبد، ويوم جمعة؛ ويوم المرج أيضاً
يوم جمعة! والأمر، والله؛ علينا، لا شك في ذلك! فأتق الله، واغتم لنا الأمر
لنكون فيه أعزاء لا أتباعاً!» وكان العلاء هذا من وجوه قيس. ثم انهزم
الفهري وأصحابه، واستقبل النصر؛ فاعترض له عبد الأعلى بن عوشجة، وحال
بينه وبين دخوله، وردّه عنه؛ فولى منهزماً إلى سفح جبل قرطبة. واستولى الأمير
عبد الرحمن يومه ذلك على الملك، ونسب له بيعة العامة بقرطبة. ونمادى يوسف
الفهري في الفرار إلى البيرة.

خلافة عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك

نسبه: عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن
الحكم بن أبي العاص بن أمية. كنيته: أبو المطرف. أمه: بزيرية من سبي
المغرب، تسمى راحاً أو رداحاً. وفي عبد شمس بن عبد مناف يلتقى نسبه
بنسب رسول الله - صلعم - . مولده: بموضع يعرف بلبير حسينة² من دمشق
سنة ١١٢؛ مات أبوه وتركه صغير السن. وتوفي يوم الثلاثاء لست بقين من
ربيع الآخر؛ وقيل: لعشر خلون من جمادى الأولى سنة ١٧٢؛ ودفن بقصر

1) بالاشباه. 2) حسنة. B.

فرطبة؛ وقد بلغ تسعاً وخمسين سنة؛ وقيل: ستين سنة. فكانت مدة خلافته ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر ونصفاً؛ ودخل الأندلس وهو ابن خمس وعشرين سنة أو نحوها. بويغ له بفرطبة يوم الأضحى من سنة ١٢٨. P. ٥٠.

وَزَرَاوَهُ أَرْبَعَةٌ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَثْمَانَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدٍ، وَيُوسُفُ بْنُ بَجْتٍ، وَحَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ. حُجَابُهُ خَمْسَةٌ: تَمَّامُ بْنُ عَلْقَمَةَ، وَيُوسُفُ بْنُ بَجْتٍ، وَعَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ مَهْرَانَ، وَعَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ مُغِيثٍ، وَمَنْصُورُ فَتَاهُ. قُضَاهُ خَمْسَةٌ: بَجِي بْنُ يَزِيدِ النَّجِيبِيِّ، وَمَعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ طَرِيفٍ، وَعَمْرُ بْنُ شَرَّاحِيلٍ، وَالْمُضْعَبُ بْنُ عِمْرَانَ. وَكَانَ لَهُ قَاضٍ خَامِسٌ فِي صَوَائِفِهِ يُسَمَّى جِدَّارَ ابْنِ مَسْلَمَةَ بْنِ عَمْرٍو الْمَدْحَجِيِّ. نَفَسُ خَاتَمِهِ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِقِضَاءِ اللَّهِ رَاضٍ. صِنْتُهُ: طَوِيلُ الْقَدِّ، أَصْهَبٌ¹، أَعْوَرٌ، خَفِيفُ الْعَارِضِينَ، بَوَجْهِهِ خَالٌّ، لَهُ صَفِيرَتَانِ. وَكَانَ يُسَمَّى صَفْرَ بْنِ أُمِيَّةٍ. وَلَدُهُ الذَّكَورُ أَحَدُ عَشَرَ، وَالْإِنَاثُ تِسْعٌ.

وفي سنة ١٢٩، خرج الأمير عبد الرحمن طالباً للفهري والصميلي. فلما اتصل بالفهري قصده إليه، لآذعه، وزال عن إغرناطة؛ فافتنى الأمير عبد الرحمن أثره، حتى إذا أوفى عليه، عاد إلى إغرناطة منحصناً بها؛ ونزل الأمير عبد الرحمن عليه وحاصره. فلما نادى به المحصار، سأل الفهري الأمان، وأن يعطى ابنه رهناً؛ فأعطاه الأمير الأمان، وقبل منه ذلك، وكذلك للصميلي. وانصرفا في جملته إلى قرطبة، على أن يسكن الفهري منزله بالمدينة، والصميلي داره بالرَبَضِ. واستوسق الأمر الأمير عبد الرحمن، وأمر بلعن السودة وقطع الدعاء لأبي جعفر المنصور. ودخل يوسف الفهري في عسكر الأمير كأحد رجاله؛ فأنزله على ماله، وأطلق له عياله.

وفي هذه السنة، وُلد هشام بن عبد الرحمن المُلقَّبُ بالرَّضِيِّ؛ وذلك لأربع خلون من سؤال.

1) استفر. B. 2) طويل القواصب. B. 1)

وفي سنة ١٤٠، تودّع الأمير عبد الرحمن بقرطبة؛ فلم تكن له فيها حركة. ودخل رجال من المشرق ومن بني أمية في هذه السنة؛ فأنزلهم الأمير، وأكرمهم، وأحسن جوائزهم.

وفي سنة ١٤١٠، هرب الفهري من قرطبة، ناكثاً، ناقضاً للأيمان بعد P. ٥١
توكيدها؛ فاجتمع اليه الناس، وبلغ جمعه عشرين ألفاً من البربر وغيرهم. فلما رأى كثرة ما اجتمع له، نحرّك من ماردة، يريد الأمير عبد الرحمن. فلما بلغ الأمير خبره، برز من القصر، وتقدّم الى المدور. وكان عبد الملك بن عمر المرواني عاملاً بإشبيلية، وابنه بكورة مؤرور؛ فحشدا من كان قبيلهما من أهل الكورتين، وتوافى الحشدان؛ فبرز به. واتصل بالفهري خروج الأمير الى المدور وتوافى الحشود على عبد الملك؛ فتوقع الفهري التشبك بين العسكرين؛ فصرف رايته الى عبد الملك؛ فالتفيا، ووقعت بينهما حرب شديدة؛ فانهزم يوسف، وتفرق أصحابه عنه، وأتبعوا بالقتل. واتصل الفتح بعبد الرحمن، وهو بالمدور منتظراً لتوافى الحشود؛ فأغناه عاجل الفتح؛ وفرّ الفهري بنفسه مختفياً.

وفي سنة ١٤٢، كان هلاك يوسف الفهري ومقتله بناحية طليطلة؛ وكان قد نهض اليها، وتردد بناحيها شهوراً؛ فاغتناله بعض أصحابه، وقتله، واحتز رأسه، وتقدّم به الى الأمير عبد الرحمن؛ فشكر الله على موته، وأمر بنصب رأسه على جسر قرطبة، وأمر بقتل ابنه المرتين، ونصب رأسه مع رأس أبيه. وتوفي الصمبل في الحبس؛ وقيل إنه خنق؛ وقيل إن الذي قتل الفهري عبد الله ابن عمرو الأنصاري، لقبه على أميال من طليطلة، بقرية من قرأها. فلما عرفه، قال لمن معه: «هذا الفهري! وفي قتله الراحة له ومنه!» فتقدّم اليه؛ فقتله، واحتز رأسه، وتقدّم به الى الأمير. فلما قرب من قرطبة، وأعلم الأمير بخبره، أمر أن يتوقف به دون القنطرة، وأمر بقتل ابنه المرتين، وأخرج رأسه الى رأس أبيه؛ ووضعها في قناتين، وتقدّم بها الى باب القصر.

واختُلف في أمر يوسف النهري؛ فقال بعضهم إنه لم ينكث • بغيًا، وإنما خوفًا؛ فخرج هاربًا؛ فأخرج الأمير الخيل في طلبه؛ فأدركته بنخص البلوط؛ ثم أفلت؛ وحشد ولده البربر بالشرق كليله، وأقبل في جمع عظيم يريد قرطبة؛ فخرج إليه الأمير؛ فالتفوا بمخاضة الفتح؛ فكان القتال بينهم حتى كاد الأمير عبد الرحمن أن ينهزم؛ وقيل إنه انهزم نحو الميل؛ فثبت ابنه سليمان في آخر الناس؛ ثم تراجع الأمير حتى انهزم يوسف، ومضى في طلبه إلى قلعة رباح.

وقال بعضهم: إن يوسف، لما هرب إلى طليطلة، قبض الأمير عبد الرحمن على أبي الأسود ابنه؛ فسجنه. وقام على يوسف موال له؛ فقتلوه، وأتوا به إلى الأمير عبد الرحمن؛ فقال لهم: «عرفتم من هو؟» قالوا: «نعم! هو يوسف النهري!» قال: «أنتم لم تحفظوا مولاكم؛ فكيف تحفظوني وتنظفوني في طاعتي؟» فأمر بضرب أعناقهم؛ وأمر بابي الأسود إلى السجن؛ وكان السجن يومئذ يخرج الناس منه إلى النهر لما يكون من الحاجة مع الموكلين بهم؛ فأدعى ولد النهري العبي، وفسا له ذلك؛ فكان يقول: «من يفود الأعمى؟ يرحمه الله!» وكان يجتاب إليه مولى اسمه مفرج يفضي حوائجه ويلفاه على النهر تحت القنطرة. فلما اطمئن إليه، ولم يستنكر خروجه، وشاع عليه العبي، قال لمفرج مولاة: «أبتغ لي فرسًا أنج عليه!» ففعل وأعدّه له؛ فهرب عليه، ولحق بطليطلة. فغزاه الأمير عبد الرحمن ولفي مرارًا؛ فكان آخر هزيمته إياه بنسطلونة؛ ومضى إلى رگانه، ولم يزل بها حتى مات. فقام القاسم بن يوسف، أخو أبي الأسود؛ فأعقب على زوجته، وتولى ما كان أبو الأسود يتولاه؛ فخرج إليه الأمير؛ فأجابه على أن يرد إليه أمواله، ويستوثق منه بالعهود؛ ففعل الأمير ذلك، وانصرف معه إلى قرطبة.

ونار على الأمير عبد الرحمن عبد الغافر البماني بإشبيلية، وتغلب على ما جاور قرطبة؛ فخرج إليه الأمير؛ فخاله عبد الغافر ونهض يريد قرطبة، وجاء أن يجدها خالية، والإمام عبد الرحمن في الثغر بسد خله، وبجسم عله؛ فقدم

مسرعاً حين وإفاه الخبر، ولم يَلو على ما نَعَدَّر، ومَعَاةُ عبد الغافر على وادي قَبَس¹، قد ملأت السهل والوعر. فداخل الإمام عبد الرحمن البربر؛ وكانوا العدد الوافر الأكبر؛ فترع الأكثر منهم إليه، وصاروا في حزبه ولَدَيْهِ. ووقعت الهزيمة على عبد الغافر، وأخذ من معه في الفرار والنفار؛ فلم يرفع الإمام عنهم سيفاً، وقتل منهم ثلاثين ألفاً. وكانت هزيمة هي مدّ الدهر مذكورة، والحفرة التي جمعت رؤوسهم بذلك المكان مشهورة. ومن «كتاب بهجة النفس» قال: لما كان في الليل، تسرع عبد الغافر الى ناحية لَقَنْت؛ وأسرع الأمير القتل في جملته. ولم يذكر عدداً.

وثار على الأمير عبد الرحمن حَبِوة بن مُلَامِس، وتغلب على إشبيلية وإسنيجة وأكثر الغرب، وحشد جموعاً؛ فخرج اليه الأمير، وقاتله أياماً، حتى همَّ الأمير بالهزيمة. ثمَّ إنَّ حَبِوة انهزم ومضى الى ناحية فَرِيش، وكتب راجياً في العفو.

وفي سنة ١٤٦، ثار العلاء بن مُغِيث الجُدَامِي بِبَاجَة، ودعا الى طاعة أبي جعفر المنصور،² ونشر الأعلام السود²؛ فاتبعه الأجناد، وتطلّعه العباد، الى أن كادت دولة الأمير أن تنصرم، وخلافته أن تنخرم. فخرج اليه من قُرْطُبَة، وصار بقرْمُونَة؛ فنحصن بها مع مواليه وثقات رجاله؛ فنازله العلاء بن مُغِيث منازلة شديدة، وحاصره بها أياماً عديدة؛ فلما طال الحصار هنالك، وتغلغل عسكر العلاء لذلك، وعلم عبد الرحمن ما هم عليه من الانزعاج، وأنهم قد هموا بالإلجام والإسراج، أمر بنار، فأوقدت، ثمَّ أمر بأغمدة سيوف أصحابه، فأحرقت؛ وقال لم: «اخرجوا معي لهذه الجموع، خروجاً من لا يجدت نفسه P. ٥٤ بالرجوع!» وكانوا نحو سبعمائة من ذكور الرجال، ومشاهير الأبطال؛ فأخذوا معه سيوفهم بأيديهم، وخرجوا مُنْحصين الى أعاديمهم. فدارت الحرب بينهم طويلاً، الى أن صنع اللهُ جَمِيلاً؛ وزلزل قوم العلاء وأصحابه، فولوا منهزمين، وصار أمرهم

1) B. بَسْر (sic).

2-2) Manque dans A.

آبَةَ الْعَالَمِينَ، وَقُتِلَ الْعَلَاءُ فَبَيْنَ قُتْلٍ مِنْ أَوْلَادِكَ الْأَقْوَامِ، وَطِيفَ بِرَأْسِهِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ.

وقيل إنَّ أبا جعفر المنصور كان أرسل إلى العلاء بن مغيث بولاية الأندلس. فشر الأعلام السود. وقام بالدعوة العباسية بالأندلس؛ فانحشر إليه الناس. ولما ظهر به الإمام على ما تقدم، أخذ رأسه، وفرغ وحشي ملعاً وصبراً، وجعل معه لواء أبي جعفر المنصور، وأدخل في سَنَطٍ؛ وبعثه مع رجال، وأمرهم أن يضعوا السَنَطَ سَمَكَةً؛ فوافقوا المنصور بها حاجاً في ملك السنة؛ فجعل السَنَطَ عند باب سُرَادِفِهِ. فلما نظر إلى ما فيه، قال: «إنا لله! عرضنا بهذا المسكين للفنل! الحمد لله الذي جعل البحر بيننا وبين هذا الشيطان!» يعني عند الرحمن. هذا مسرق السالحي في «دُرَرِ الْفَلَائِدِ».

ومن «بهجة السس» قال: وكانت ثورة العلاء بموضع يُقال له لَفَنْتُ مِنْ عَمَلِ نَاحَةٍ. فأظهر جِجَلُ الْمَنْصُورِ وَلِوَاءَهُ، وجمع إلى نفسه من آجابه، ونهض إلى ناحية؛ فأحدها. ونعلت منها على جميع الغرب، وخرج يريد الأمير عبد الرحمن؛ فسار حتى انتهى إلى المَدَوَّرِ. وكان الأمير يومئذ قد خرج غازياً إلى شرق الأندلس؛ فرجع إذ بلغه أمر العلاء؛ فلما دنا من قَرْطَبَةَ، أمر من كان معه من أهل إشبيلية أن يفرُّوا في المَدَوَّرِ، إذ كان قد اتهمهم لِمَجْلِ أَهْلِ إشبيلية إلى العلاء؛ ثم نهض، وكتب سرّاً إلى بَدْرٍ مَوْلَاهُ، بأمره يقتلهم، كان الظفرُ له أو عليه. ومضى العلاء؛ فالتقى معه. فكانت بينهما حروبٌ وزحوفٌ. ثم قُتِلَ الْعَلَاءُ بِمَقْرَبَةٍ مِنْ قَرْمُونَةَ، وَفَضَّتْ جَمُوعُهُ. وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ نَحْوَ سِتَّةِ آلَافٍ. وَأَمْرُ الْأَمِيرِ بِحِزِّ رَأْسِ الْعَلَاءِ وَرُؤُوسِ أَشْرَافِ أَصْحَابِهِ؛ وَقُرِطَتْ فِيهَا صُكُوكٌ بِأَسْمَائِهِمْ، وَجُعِلَتْ فِي أَوْعِيَةٍ؛ وَنَدَبَ الْأَمِيرُ بِهَا قَوْمًا تَوَجَّهُوا بِهَا إِلَى الْفَهْرَوَانِ؛ فَطَرَحُوا فِي اللَّيْلِ فِي الْأَسْوَاقِ. فَتَسَمَّعَ النَّاسُ أَمْرَهَا، وَاتَّصَلَ الْأَمْرُ بِأَبِي جَعْفَرٍ؛ فَانْكَسَرَتْ حِدَّتُهُ. ^١ وَقِيلَ إِنَّ الَّذِي هَزَمَ الْعَلَاءَ بَدْرُ مَوْلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعَاوِيَةَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

P. ٥٥

وفي سنة ١٤٧، وجه الأمير عبد الرحمن يدرأ مولاة وسام بن علقمة في جيش كثيف الى طلبطة، وبها هشام بن عروة^(١) (٢) نائراً؛ فحاصراه^(٢) حتى سئم أهل طلبطة الحصار؛ فكاتبوا يدرأ وتساماً، وسألوها الأمان على أن يسلموا لها ابن عروة^(١)، وهشام^(٣) بن حمزة بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وحيوة ابن الوليد؛ وكانوا يدرأ واحدة. فأسلموهم اليها، وخرج بهم نسام الى قرطبة؛ فلقبه عاصم بن مسلم؛ فقبض منه الأسرى، وعهد اليه عن الأمير أن يكرأ الى طلبطة والبا عليها، ويقبل يدرأ الى قرطبة. وأقبل عاصم بالأسرى؛ فلما احتل بقرية حلزة، خرج اليه ابن الطفيل، ومعه حجام وجباب صوف وسلال؛ فخلق رؤوسهم ولحاهم، وألبسهم جباب الصوف، وأدخلهم في السلال، وحملهم على الحمر؛ فأتى بهم على تلك الحال الى خشب قد أعدت لهم؛ فصلبوا فيها. وكتب الى البلدان بفتح طلبطة.

وفي سنة ١٤٩، ثار سعيد البحصي المعروف بالمطري بكورة أسيلة؛ واجتمعت اليمانية اليه، ولاذوا بحقوقه. ثم سار الى إشبيلية، وتغلب عليها قسراً، ولم يجد أهلها في مدافعتهم نصراً. فكثر عدده، وتأزر عضده؛ وعاد عسكره مهولاً، قد أخذ وعوراً وسهولاً. فسار اليه الأمير عبد الرحمن في جيوش عظيمة المدد، مجهولة العدد، حتى نزل عليه بقلعة زعواق؛ وكان المطري قد تحصن بها، ولاذ بجانبها؛ فحصره فيها حصراً، وأرهقه من أمره عسراً، حتى خرج متعريضاً P. ٥٦ للعرب في جماعة من فرسانه الأكابر، ومن اختصه من أولئك البرابر؛ فلم تنشب الحرب بينهم إلا قليلاً، وقُتل المطري ومن معه تفتيلاً. وجيء برأسه الى الأمير عبد الرحمن؛ فأمر للحين برفعه^(٤) في طرف سنان.

وفيها، قتل الأمير عبد الرحمن أبا الصباح بن يحيى البحصي. وكان قد ولأه إشبيلية، ثم عزله عنها؛ فجمع اليه أهل الخلاف وثار عليه؛ فوجه اليه الأمير مولاة تساماً ملطفاً له؛ فقدم معه قرطبة في أربعائة رجل على غير عهد؛

١) عزرة A. 2) Manque dans A. 3) وعثمان B. 4) ورفع في الوقت A.

فاوصله سَام اليه؛ فمات به؛ فأغظ له أبو الصباح في انجباب؛ فأمر بقتله؛ ثم أمر بإخراج رأسه والوثف عليه.

وفي سنة ۱۵۰، هاجت فِتْنَةُ الْبَرْبَرِ بِسَنَتِ بَرِيَّةَ.

وفيها، غزا بَدْرَ الى الثغر، ونقَدَمَ الى أَلْبَةِ؛ فحاربها؛ فأذعت له، وأدَّت اليه الحِزْبَةَ. وأمر بامتحان الرجال بتلك الناحية، واختبار بصائرهم؛ فاستفد منهم مَنْ أَطْعَمَ له على سوء سريرةٍ وشُبُهَةٍ في الثغر.

وفي سنة ۱۵۲، ناز رجلٌ من الْبَرْبَرِ، ادَّعى أَنَّهُ من ولد الحسن بن علي - رضه -؛ وكان أصله من مكناسة العُدُوَّة؛ وكانت أمه تُسَمَّى فاطمة؛ فأدعى أَنَّهُ فاطميٌّ؛ وتجمع له الغوغاء. فخرج اليه الأمير من قُرْطُبَةَ، وخلف بها ابنه متامناً؛ فتنحَّم الجمال أمامه حين كان معه، وانصرف الأمير الى قُرْطُبَةَ. فأقبل الناطمي، وقتل عامِلَ سَنَتِ بَرِيَّةَ؛ وغلظ أمره. فكان الأمير يرسل الي قتاله بعض القبائل؛ فيتعاقب بالجمال الشوافق.

وفي سنة ۱۵۲، خرج الأمير عبد الرحمن لغزو الداعي الفاطمي؛ فهرب وركب الوعر؛ فانصرف الأمير. فرجع الفاطمي؛ فغزاه بَدْرٌ بالصائفة؛ فوجد بجبهة شَطْرَانٍ؛ فأبعده رجاء أن يدركه. فدخل المفاوز، وانقطع أثره. ومضى هذا الداعية الى مَدَائِنٍ؛ وكان عامِلُهُ أبو زَعَمَلِ الصَّدْفُورِيُّ. فتبادت فتنه من سنة ۱۵۰ الى سنة ۱۶۰، الى أن اغتاله بعض أصحابه؛ فقتله، وعثره هناك وجدَّاه.

وفي سنة ۱۵۷، هبَّ الإمام عبد الرحمن قُرْطُبَةَ، ولم يكن له بها حركة.

وفي سنة ۱۵۵، خرج الإمام عبد الرحمن من قُرْطُبَةَ؛ فحلَّ بِسَنَتِ بَرِيَّةَ. وقدم عليه هلالٌ من أساء المدثوثي؛ فكتب له عهداً على فومه، وأقره على موضعه؛

وكان راس البربر في شرق الأندلس. وفلك أمر الفاطمي المتقدم الذكر؛ فكان في ذلك الراحة منه، وتفرقت بفعله ذلك كلمة البربر، وانحلت عقدة الفاطمي، وانصرف من شنت برية الى الجوف.

وفي سنة ١٥٦، ثار على الأمير عبد الرحمن عبد الغافر البحصي، وخلع طاعته. وكان الأمير بناحية الشرق؛ فكتب اليه بدر من قرطبة؛ فطوى المراحل اليه؛ ثم تقدم الى إشبيلية؛ فوضع السيف فيه وفي أصحابه؛ فقتلوا قتلاً ذريعاً. وأفلت عبد الغافر؛ فركب البحر، ونجا الى المشرق.

وفي سنة ١٥٧، خرج الأمير عبد الرحمن الى ناحية الغرب، واحتل إشبيلية، وقتل بها خلفاً كثيراً ممن كان بسبيل عبد الغافر، وقطع آثارهم، ووطد الطاعة. ثم انصرف معجلاً، لأنه إنما قصد امتحان أهل إشبيلية وتجبصهم.^(١) وقيل: كان ذلك سنة ١٥٨.

وفي سنة ١٥٩، غزا الإمام عبد الرحمن فورية، وقصد في طريقه ذلك البربر الذين غدروا بأبي زعبل ومكنوه من الفاطمي، فقتله؛ فدوخ بلد البربر، وقتل منهم خلفاً كثيراً وأذلهم. وأخذ^(٢) أبا مزكاة المصودي، وهو عباس ابن قلعوش.

وفي سنة ١٦٠، أخرجت الصائفة الى الفاطمي؛ وكان في أحواز شنت برية؛ فعورض بالخيال، وقطعت عاديته.

وفي سنة ١٦١، وقيل سنة ١٦٢، دخل الى الأندلس عبد الرحمن بن حبيب * النهري المعروف بالصفلي؛ فنزل كورة تدمير؛ فاستقر بها، ولم تبد^{P. ٥٨} منه في تلك السنة عادية؛ وإنما لقب بالصفلي لأنه كان طويلاً، أشقر، أزرق، أمعر.

1-1) Manque dans B.

2) Manque dans A.

وفيها، حمل نهر قُرْطُبَة حملاً عظيماً، حتى سدَّ حنايا الفنطرة وهدم بعضها وزلزلها؛ وفي ذلك يومين ١.

وفي سنة ١٦٢، ثار عبد الرحمن بن حبيب الفهري، المتقدم الذكر في السنة قبل هذه، في ناحية تدمير؛ فغزاه الأمير عبد الرحمن؛ فهرب ابن حبيب وتعلق بالوعر؛ فجال العسكر في كورة تدمير، وتقدم إلى كورة سَلْسِيَة، بعد أن أحرق المراكب بساحل البحر. ثم إنَّ مِشْكَراً الرَّزْرِيَّ قتلَ ابن حبيب الصِّقْلِيَّ وقتله.

وفيها، ثار ابن شجرة سمورور؛ فخرج إليه بئر يوم الأضحى؛ فالفاه على غرّة، وقتله، وكتب إلى الإمام بالفتح. وقيل: بل كان ذلك في سنة ١٦٢.

وفي سنة ١٦٤، غزا الإمام عبد الرحمن الرُّمَاحِيَّ بن عبد العزيز؛ وكان على شرط مروان بن محمد؛ فلقق بالأندلس؛ فولاه الإمام الجزيرة؛ فخلع طاعته؛ فخرج إليه وأحلَّ بالجزيرة؛ فوجد الرُّمَاحِيَّ في الحمام؛ فلم يشعر إلا وخيل الإمام نجوم الديار؛ فأعجل الرُّمَاحِيَّ عن ليل نياحه، وخرج في ملحنة مُصَبَّغَة؛ فدخل في قارب، ونجا إلى العُدوة. ووجد الأمير عبد الرحمن في سجنه جماعة من الأمويين؛ فأطلقهم.

وفي سنة ١٦٥، ثار على الأمير عبد الرحمن الحسين بن يحيى بن سعد بن عبادة الأنصاري بسرقسطة؛ فسار إليه بالجماهير؛ والعسكر الشهب؛ فحاصره بسرقسطة حصاراً، وقدم لقتاله أحزاباً وأنصاراً، إلى أن خرج طائفاً إليه، مترامياً عليه؛ فقبل إنابته، ولم يُعْرِمِ إجابته. فلما عنا عنه. وأغضى عما كان منه، أبغاه بسرقسطة والياً. وقتل الأمير إلى قُرْطُبَة سائى اللوات، فامر الأعداء. ثم إنَّ الحسين خسر الدِّمَة، وكدر النعمة، وأعلن بالفاق إعلاناً، وأرسل في

الشفاق عناناً؛ فسار إليه الإمام أيضاً، ونازله نزالاً، وأذاق سرقسطة نكالاً، الى ان فتحها بنقّب سورها فتحاً شنيعاً، وقتل الحسين وأصحابه قتلاً ذريعاً. وولى عليهم عليّ بن حمزة، وقتل الى قرطبة طاهر العزة.

ومن «كتاب بهجة النفس» قال: وفي سنة ١٦٧، غزا الإمام سرقسطة الى حسين بن يحيى؛ فحاصره حتى أخذ المدينة عنوة، وقتل حسياً بالدمغة وجماعة معه؛ وأخرج أهل المدينة عنها الى قرية على ثلاثة أميال ليمين لزمته فيهم؛ ثم صرفهم اليها بعد أيام، وقتل الى قرطبة.

وفي سنة ١٦٨، أراد المغيرة بن الوليد بن معاوية القيام على الإمام؛ وكان وطنه يومئذ بالرصافة؛ فانكشف له يومئذ أمره من قبل بعض من تعاقد معه؛ فأحضرهم بين يديه، وأقرأوا؛ فأمر بقتلهم، واستبقى الناصح لهم. ونحو الإمام عبد الرحمن يومئذ من الرصافة الى قصر قرطبة.

وفي سنة ١٦٩، ثار على الأمير عبد الرحمن محمد بن يوسف النهري،^(١) الذي كان قد تعامى وهرب^(٢)؛ وكان قد تحرك من طليطلة وجهة الشرق بالحشود. وبلغ الإمام خبره؛ فأمر بجشد الكور، والتقى معه في مخاضة الفتح؛ فكان بينهم زحفٌ وقتالٌ أياماً؛ ثم انهزم محمد المذكور^(٢)؛ فقتل رجاله، وأفى عدده.^(٣) وكانت هذه الواقعة يوم الأربعاء مستهل ربيع الأول من السنة^(٣). قال الرازي: قُتل فيها أربعة آلاف رجل، سوى من تردى في الوادي، وهلك في المهاوي. وهرب محمد بن يوسف هذا الى قورية.

وفي سنة ١٧٠، خرج الأمير عبد الرحمن الى محمد بن يوسف النهري، حتى بلغ قورية. ففر أمامه، وأدركت الخيل عياله وأصحاباً له؛ فقتل من أدرك،

1-1) Manque dans A.

2) A. ajoute ici: ويقال له الأعي

3-3) Manque dans B.

وأحرقت دوره. وانقطع محمد بن يوسف وحده، وانحاش الى غياض. وأوقع
 11. 70. الأمير بربر نفزة؛ فأذاهم، وأذهب عاداتهم. ثم مات محمد بن يوسف
 «نفرة زكاة من عمل طابطة».

وفي سنة ١٧١، قام قاسم بن عبد الرحمن النهري، عم محمد بن يوسف
 أخو يوسف النهري¹¹، وخلع الطاعة؛ فلما تحرك أمره، وجه اليه الأمير عبد
 الرحمن الجيوش؛ فأذعن له بالطاعة.

وفي سنة ١٧٠ المتقدمة، أمر الأمير عبد الرحمن بتأسيس المسجد الجامع
 بحضرة قرطبة؛ وكانت بموضعه¹² كنيسة؛ فأنفق فيه مائة ألف بالوازنة.

وفي سنة ١٧٢، مات الإمام عبد الرحمن بن معاوية - رحمه الله! -
 وذلك يوم الثلاثاء. امت بفين من ربيع الآخر من السنة المذكورة.

ذِكْرُ بَعْضِ أَخْبَارِهِ عَلَى الْجُمْلَةِ

كان الإمام عبد الرحمن فصيحاً، بليغاً، حسن التوقيع، جيد النصول،
 مطبوع الشعر. مما أملاه على كتابه الى سليمان بن الأعرابي: «أما بعد، فدعني
 من معاريف المآذير، والنسب عن حادة الطريق؛ لتمدّن بدأ الى الطاعة،
 والاعتصام بحبل الجماعة، أو لألفين¹³ سآبها على رخص المعصية تكالاً بما قدّمت
 بذاك! وما الله بظلام للعبيد¹⁴»

وكتب عنه أمة بن زيد كتاباً الى بعض عماله، يستنصره فيما فرط من
 عمله؛ فأكثر وأطال الكتاب. فلما لحظه عبد الرحمن بن معاوية، أمر بنقطه،
 وكتب بخطه: «أما بعد، فإن يكن التنصير لك مقدماً، فعدي الاكناه
 أن يكون لك مؤخرًا. وقد علمت بما تقدّمت؛ فاعنيد على أيهما أحببت¹⁵!»

1-1) Leçon de B., plus précise que celle de A.

2) Manque dans A.

3) Cor., p. 36 (d'après Makkari, II, p. 27): لأزوين.

4) Cor. XLI, 40.

5) Voir Cor., p. 36-38.

وثار عليه نائراً؛ فغزاه وظفر به . فبينما هو في الطريق ، إذ نظر الى النائر، وهو على بغل في كبوله، ونحت الأمير عبد الرحمن فرساً له؛ فلما لحقه، قنع رأسه بالقناة⁽¹⁾، وقال: «يا بغل! ما ذا تحمل من الشقاق والنفاق!» فقال النائر: «يا فرس! ما ذا تحمل من العفو والإشفاق!» فقال: «والله! لا ذقت موتاً على يدي!» فأطلقه .

ومن شعره البديع الرائع، ما كتب به الى بعض من طراً عليه من قریش؛ وكان قد استقل جرابته⁽²⁾، واستطال بقرابته، وسأله الزيادة له والتوسعة؛ فكتب اليه بهذه الأبيات [بسبط]:

سِيَّانٍ مَنْ قَامَ ذَا امْتِعَاضٍ	بِمَنْتَضَى الشَّفَرَتَيْنِ نَصَلًا
فَجَابَ قَفْرًا وَشَقَّ بَحْرًا	مُسَامِبًا لُجَّةً وَمَخْلًا
فَبَزَّ ⁽³⁾ مُلْكًا وَشَادَ عِزًّا	وَنَاطِرًا لِلخِطَابِ فَضْلًا
وَجَنَّدَ الْجُنْدَ حِينَ أُوْدَى	وَمَصَّرَ المِصْرَ حِينَ أَجْلًا
ثُمَّ دَعَا أَهْلَهُ جَمِيعًا	حَيْثُ انْتَوَوْا أَنْ هَلُمَّ أَهْلًا
فَجَاءَ هَذَا طَرِيدَ جُوعٍ	شَرِيدَ سَيْفِ أُيُودٍ قَتْلًا
فَنَالَ أَمْنًا وَنَالَ شَبْعًا	وَنَالَ مَالًا وَحَازَ أَهْلًا

وذكر أن أبا جعفر المنصور قال يوماً لبعض جلسائه: «أخبروني: من صقر قریش من الملوك؟» قالوا: «ذاك أمير المؤمنين الذي راض الملوك، وسكن الزلازل، وأباد الأعداء، وحسم الأدواء!» قال: «ما قلمت شيئاً!» قالوا: «فمعاوية؟» قال: «لا!» قالوا: «فعبد الملك بن مروان؟» قال: «ما قلمت شيئاً!» قالوا: «يا أمير المؤمنين! فمن هو؟» قال: «صقر قریش عبد الرحمن بن معاوية، الذي عبر البحر، وقطع القفر، ودخل بلدًا أعجيبًا، منفرداً بنفسه؛ فمصر الأمصار، وجند الأجناد، ودون الدواوين، وأقام ملكاً عظيماً

1) Corr.: بالعباءة (d'après le 'Ikd, II, p. 358).

2) A. et B. جزايته .

3) A. et B. فشد .

بعد انقطاعه، (بجس تدييره، وشدة شكيمته. إن معاوية نهض بتركب حمله عليه عمر وعثمان، وذالاً له صعبه؛ وعيد الملك ببيعة أبرم عندهما؛ وأمير المؤمنين بطلب عترة، واجتماع شعبته. وعبد الرحمن¹ منفرد بنفسه، مؤيد برأه، مستصحب لعزمه، وطد الخلافة بالأندلس، وافتتح الثغور، وقتل المارقين، وأذل الجبابرة الثائرين!) فقال الجميع: «صدقت، والله، يا أمير المؤمنين!» وكان الإمام عبد الرحمن من أهل العلم، وعلى سيرة جميلة من العدل. ومن قوله (2) - رحمه الله! - يتذكر وطنه (3) اخفيف:

أبها الراكب اليميم أرضي	افراً بعض السلام عني لبعضي
إن جسبي كما نراه بأرضي	وفوايدي ومالكب بأرضي
قدر الدين بيننا فافترقنا	وطوى الين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالبعاد علينا	فصى باقترابنا (3) سوف يقضي

وله من الشعر كثير مشهور. وذكر الرازي أن الإمام عبد الرحمن، أول نزوله بمينة الرصافة واتخاذها، نظر فيها إلى نخلة؛ فهاجته شجته. وتذكر وطنه؛ فقال على البيهية [طويل]:

سدت لنا وسط الرصافة نخلة	سأت بأرض الغرب عن سد النخل
فقلت شبيهي في المغرب والنوى	وطول التناءى عن نى وعن أمني
سأت بأرض أنت فيها غريبة	فمثلك في الإقصاء والمتأى مثل
سفاك غوايدى المزن من صوبها الذى	يسح ويستمرى السماكين بالوبل

وكان - رحمه الله! - قد عقد العهد لابنه هشام وسليمان. فولى هشام هشام، على ما أذكره.

1-1) Ce passage est donné en fin de phrase par B, qui renverse l'ordre de la proposition.

2-2) Manque dans A. 3) B. باجتماعنا.

خِلافة هِشَامِ الرَّضِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّاخِلِ

كُنِيَّتُهُ: أَبُو الْوَلِيدِ. مَوْلَدُهُ: سنة ١٢٩. أُمُّهُ تُسَمَّى جَمَالًا. نَقَشَ خَاتَمَهُ:
«بِاللَّهِ يَتَّقِي عَبْدُهُ هِشَامٌ وَبِهِ يَعْصِمُ». صَاحِبُ شُرْطَتِهِ: عَبْدِ الْغَافِرِ بْنِ أَبِي عَبْدِ
وَزَرَّاءُوه: ثَمَانِيَةٌ. كُتَّابُهُ: اثْنَانُ: فُطَيْسُ بْنُ عَيْسَى، وَخَطَّابُ بْنُ زَيْدٍ. قَاضِيهِ:
المُضْعَبُ بْنُ عِمْرَانَ. صِنْتُهُ: أَيْضٌ مُشْرَبٌ بِجُمُرَةٍ، بِعَيْنِيَّةٍ * جَوْلٌ. حَاجِبُهُ: عَبْدُ P. ٦٢
الرَّحْمَنِ بْنِ مُغِيثٍ. بَنُوهُ: الذَّكَورُ سِتَّةٌ، وَالْإِنَاثُ خَمْسٌ.

بُويَعُ يَوْمَ الْأَحَدِ مَسْنَهَلٌ جُمَادَى الْأُولَى مِنَ السَّنَةِ. وَكَانَ عِنْدَ (1) مَوْتِ أَبِيهِ
بِمَدِينَةِ مَارِدَةَ، فَوَافَاهُ الْخَبْرُ، فَطَرَّقَ، وَوَصَلَ قُرْطُبَةَ بَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ. فَبَايَعَهُ
الْمَخَاصِي وَالعَامَّةَ. وَكَانَ أَخُوهُ بَطْلَيْطَلَّةٌ (2) وَكَانَ أَكْبَرَ سِنًا مِنْهُ (2)؛ فَلَمَّا اتَّصَلَ بِهِ
خَبْرُ أَبِيهِ، حَشَدَ الْكُشُودَ، وَجَنَّدَ الْجُنُودَ، يَرِيدُ قُرْطُبَةَ، مُخَالَفًا لِأَخِيهِ. فَلَمَّا حَصَلَ
بِحِيَّانَ، خَرَجَ إِلَيْهِ هِشَامٌ فِي أَجْنَادِهِ، وَالتَفَى مَعَهُ بِجَهَةِ بَلْجٍ؛ فَوَقَعَتْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ
شَدِيدَةٌ؛ فَانْهَزَمَ سَلِيْمَانُ، وَأَسْلَمَ عَسَاكِرُهُ، وَفَرَّ عَلَى وَجْهِهِ. وَقَتَلَ هِشَامٌ إِلَى قُرْطُبَةَ
ظَافِرًا فِي أَجْنَادِهِ.

وَتُوِّفِيَ هِشَامٌ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ لثَلَاثِ خَلَوْنٍ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ ١٨٠؛ فَكَانَ عُمُرُهُ
أَرْبَعِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَأَرْبَعَةَ أَيَّامٍ؛ فَكَانَتْ مَدَّةَ دَوْلَتِهِ وَخِلَافَتِهِ سَبْعَ سِنِينَ
وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ.

وَقِيلَ إِنَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ مُعَاوِيَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ! - لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ،
وَأَبْنُهُ هِشَامٌ بِمَارِدَةَ، وَأَبْنُهُ الْآخِرُ سَلِيْمَانُ بَطْلَيْطَلَّةٌ، وَكُلُّ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَعْرُوفِ
بِالْبَلَنْسِيِّ، وَقَالَ لَهُ: «مَنْ سَبَقَ إِلَيْكَ مِنْ أَخَوَيْكَ، فَأَزِمِ إِلَيْهِ بِالْخَاتَمِ وَالْأَمْرِ!
فَإِنْ سَبَقَ إِلَيْكَ هِشَامٌ، فَلَهُ فَضْلُ دِينِهِ وَعَفَافِهِ وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ عَلَيْهِ؛ وَإِنْ سَبَقَ
إِلَيْكَ سَلِيْمَانُ، فَلَهُ فَضْلُ سِنِهِ وَنَجْدَتِهِ وَحُبِّ الشَّامِيِّينَ إِلَيْهِ!» فَقَدِمَ هِشَامٌ مِنْ
مَارِدَةَ قَبْلَ سَلِيْمَانَ؛ فَتَزَلَّ بِالرُّصَافَةِ، وَخَافَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ أَخِيهِ، إِذْ صَارَ

1) A. et B. بعد؛ B. a en marge la correction قبل

2-2) Manque dans A.

مُمَكِّناً من قَرْطَبَةَ والنَّصْر والأموال، أن يدافع. فخرج إليه اخوه عبد الله،
وسلم عليه بالخلافة، ودفع إليه الخاتم، كما أوصاه أبوه، وأدخله النصر.
قال الرازي: ولما صار الأمر إلى هشام، واتصل ذلك بسليمان أخيه، أخذ
بيعة أهل طَلَبُطْلَةَ وما جاورها لنفسه، وغلب عليها. وشغلة أمر أخيه هشام.
فلما سجد بن الحسين الأنصاري بساغنت من إقليم طَرْطُوشة، وأقبل إلى
سَرْفُطَةَ، فأخرج منها وإليها، وضرب بين الناس، ودعا إلى نفسه وإلى السنة؛
فأرسلها مَصْرِيَّةً وسَمَانِيَّةً، وحشد موسى بن قُرْتُوبٍ إلى سَرْفُطَةَ؛ فأخذها؛ وكان
على دعوة المَصْرِيَّةِ؛ فالتقى مع البَصَرِيِّين. وكانت بينهم حرب؛ فقتل منهم جماعة،
ودخل سَرْفُطَةَ. ثم لدم مطرُوح بن سليمان بن الأعرابي على دعوة أبيه من
بَرْشَلُونَةَ؛ فغلب على وشغلة وسَرْفُطَةَ والنَّصْر كِه.

P. 71

وفي سنة ١٧٢، طمعت نفس عبد الله البَلَنْسِيُّ أخي هشام إلى الإمارة؛
وقد كانت في يده أولاً، ولم يرَضَ منه إلا بِشَارِكَةَ، وذلك بعد سبعة أشهر من
وفاة والدها. وكان هشام بيثه، ويتراضاه، ويفضله على الكثير من إخوته؛ فلم
يقنع ذلك، وخرج يريد أخاه سليمان بَطَلَبُطْلَةَ. فلما بلغ الأمر إلى هشام،
أشفق من ذلك، وأخرج إليه من يُرْضِيهِ ويرده؛ فلم يدركه. ومضى حتى قدم
طَلَبُطْلَةَ.

وفي هذه السنة، خرج هشام إلى أخيه سليمان بَطَلَبُطْلَةَ. فلما نزل عليه، خرج
سليمان مستخفياً، وخلف أخاه عبد الله وابنه داخل المدينة، ونهض يريد انتهاز
الفرصة؛ فطوى المراحل، حتى احتل بسَقُنْدَةَ. فخرج أهل قَرْطَبَةَ مدافعين له.
وبلغ هشاماً خبره؛ فلم يَكْتَرِثْ لذلك. ووجه ابنه عبد الملك يقفوا أثره؛ فلما
قرب منه، وثى سليمان منهزماً، وقطع إلى غير وجهة حتى خرج منصرفاً إلى ناحية
مَارِدَةَ؛ وكان عاملها حُدَيْرُ المعروف بالمدبوح؛ فخرج إليه؛ فهزمه. ونمادى
الأمير هشام في حصار طَلَبُطْلَةَ شهرين وأياماً؛ ثم قتل عنها.

وفي سنة ١٧٤، انصرف عبد الله البلنسي إلى أخيه هشام بلا عهد ولا أمان؛ فانزله الإمام هشام عند ابنه الحكم.

وفيها، أغزى هشام ابنه معاوية إلى تدمير، وقائدها شهيد بن عيسى وتمام ابن علقمة؛ فدواخوا تدمير (وهي مرسية)، وبلغوا البحر. وكان سليمان* (يعني P. ٦٥ أخا هشام) قد حصل في بعض ثغور تدمير؛ فطلب سليمان الأمان؛ فاشترط عليه الأمير هشام الخروج عن الأندلس، ويعطيه ستين ألف دينار؛ فركب سليمان البحر بأهله وولده، واحتل ببلاد البربر. فكفاه الله أمر إخوته.

وفي سنة ١٧٥، أغزى هشام بن عبد الرحمن عميد الله إلى سرقسطة، وبها يومئذ مطروح المذكور؛ فحاصرها عميد الله؛ ثم احتل بمدينة طرسونة، وألح عليها بالمحاصرة، حتى ضاق ذرع أهل سرقسطة، وضجوا من ننادي المحصار؛ فخرج مطروح في بعض الأيام منصيداً، ومعه عمرو بن يوسف وابن صلتان؛ فلما أرسل باريه على طائر ونزل على الصيد، تغاوراه بسيوفهما حتى قتلاه، واحتز رأسه، وتقدم به إلى ابن عثمان، وهو بطرسونة؛ فتحرك إلى سرقسطة؛ فلم يمتنع عليه أحد من أهلها؛ ودخل المدينة؛ فنزلها، وبعث برأس مطروح إلى الأمير هشام.

وفي سنة ١٧٦، أغزى الإمام هشام أبا عثمان عميد الله بن عثمان إلى آلة والفلاح؛ فلقى بها أعداء الله بمجموعهم متوافين؛ فهزمهم الله على يديه، وقتلوا في السهل والوعر؛ وانتهى ما حيز من رؤوسهم إلى تسعة آلاف رأس ونيف.

وفي هذه السنة، غزا يوسف بن بخت إلى جابقية؛ فالتقى بيزمود الكبير، وواضعه الحرب؛ فانهزم عدو الله، وانتهب المسلمون عسكره، وقتل فيهم مفتلة عظيمة، وحز من رؤوسهم عشرة آلاف، سوى من لم يتمكن منه ممن

قُتِلَ فِي الْوَعَسْرِ. وَأَتَى هَذَا الْفَتْحَ قَرْطُبَةَ^١ بَعْدَ فَتْحِ أَبِي عَثْمَانَ. ذَكَرَ ذَلِكَ الرَّازِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَفِي سَنَةِ ١٧٧، أَغْزَى الْإِمَامُ هِشَامُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ مُغِيثٍ بِالصَّائِفَةِ إِلَى أَرْضِ الرُّومِ، وَهِيَ غَزْوَةٌ شَهِيْرَةٌ الْخَبْرُ، جَلِيْلَةٌ الْخَطَرُ، انْتَهَى فِيهَا إِلَى إِفْرَنْجَةَ، فَحَاصَرَهَا، وَتَلَّمَ بِالْمَجَانِيْقِ أَسْوَارَهَا، وَأَشْرَفَ عَلَى بِلَادِ الْمَجُوسِ؛ وَجَالَ فِي بِلَادِ الْعَدُوِّ. وَبَنَى شَهْرًا بِحَرِّ الْفَرَى وَبِخَرْبِ الْحَصُونِ. وَأَوْقَعَ بِمَدِيْنَةِ أَرْبُوتَةَ؛ وَكَانَ فَتْحًا عَظِيمًا، بَلَغَ فِيهِ خُمُسُ السَّبْيِ إِلَى خَمْسَةِ وَأَرْبَعِينَ أَلْفًا مِنَ الذَّهَبِ الْعَيْنِ. P. 77

وَفِي سَنَةِ ١٧٨، هَاجَتِ الْفِتْنَةُ بِتَاكُرْنَا، وَخَالَفَ بَرَبَرُهَا، وَغَارُوا عَلَى النَّاسِ، وَقَتَلُوا وَسَوَّاءُ. فَبِعَثَ الْإِمَامُ هِشَامُ الْبِيْهَمِ الْأَجْنَادَ بَعْدَ الْإِعْذَارِ الْبِيْهَمِ. فَقُتِلَ أَكْثَرُهُمْ، وَفَرَّ سَائِرُهُمْ إِلَى طَلَبِيْةٍ وَبَرْجِيْلَةٍ. وَأَقَامَتْ تَاكُرْنَا، وَهِيَ إِقْلِيمُ رُنْدَةَ، وَبِلَادُهَا خَالِيَةٌ قَدْرًا سَبْعَ سِنِينَ.

وَفِي سَنَةِ ١١٦. أَغْزَى الْإِمَامُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدَ الْكَرِيمِ بْنِ مُغِيثٍ بِالصَّائِفَةِ. حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَدِيْنَةِ أَسْتُرْقَةَ دَاخِلَ جَلِيْبِيَّةٍ. فَبَلَغَهُ أَنَّ إِذْفُونِشَ قَدْ حَسَدَ بِلَادَهُ. وَأَسْتَمَدَّ الْبَشَكِيْشَ وَأَهْلَ تَلْكَ النَّوَاحِي الَّتِي تَلِيهِ مِنَ الْمَجُوسِ وَغَيْرِهِمْ، وَأَنَّهُ عَسَاكَرَهُمْ مَا بَيْنَ حَيْزِ جَلِيْبِيَّةٍ وَالصَّخْرَةِ، وَأَنَّهُ أُذِنَ لِمَسْكَانَ السَّهْلِ بِالتَّنَرُوقِ فِي شَوَاهِقِ جِبَالِ السَّوَاخِلِ. فَتَقَدَّمَ عَبْدُ الْكَرِيمِ فَرَجَ بْنَ كِيَانَةَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ فَارِسٍ؛ ثُمَّ رَدَلَ فِي إِثْرِهِ؛ فَالْفَى أَعْدَاءَ اللَّهِ؛ فَوَاضَعَهُمُ الْحَرْبَ حَتَّى هَزَمَهُمُ اللَّهُ؛ فَقَتَلَ حُمَاتِهِمْ، وَأَسْرَ جَمَاعَةً مِنْهُمْ؛ ثُمَّ أَمَرَ بَعْدَ انْخِلَالِ الْحَرْبِ بِقَتْلِهِمْ، وَبِتَّ الْخَيْلَ فِي الْفَرَى؛ فَانْتَسَفَتِ جَمِيْعُ مَا أَلْفَنَهُ مِنْ زُرُوعِهِمْ، وَخَرَّبَتِ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ مِنْ عِمَارَتِهِمْ. وَتَقَدَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى وَادٍ يُقَالُ لَهُ كُوَيْبَةَ^٢؛ فَلَقِيَ بِهِ غُنْدُمَارَهُ

1) Manque dans A.

2) Slo in A. et B.; mais voir Cbr., p. 39.

وهو في ثلاثة آلاف فارس فقاتله حتى انهزم عسكره، وأخذ غنمَاره¹ أسيراً، وقتل من أصحابه عددٌ كثيرٌ. وأصاب العسكر جميع ما في تلك الناحية. وتقدم مستنجزاً² لإذفونش؛ فلما بلغه قصده اليه، تنحى عن الجبل الذي كان فيه منحازاً عنه الى حصن له، كان قد بناه وأتقنه على وادي نأون؛ فتقرب منه عبد الكريم مقتنياً لأثره، لا يمر بمزل فيها بينه وبينه إلا حرّقه، ولا يمال إلا أصابه، P. 77 حتى أطل على الحصن. فانتقل منه الى حصن مُلكه. واحتل عبد الكريم بالحصن الذي انتقل منه؛ فألقى فيه الأطعمة وضروب الذخّر، وبعث في اليوم الثاني من حلوله به فرج بن كنانة، في عشرة آلاف فارس، يفتوا أثره؛ فلما قرب منه، انهزم عنه وأسلم جميع تدّته وذخّره؛ فغنم المسلمون جميع ذلك.

وفي سنة ١٨، توفى الإمام هشام بن عبد الرحمن - رحمة الله عليه! - ودُفن بنصر قرطبة؛ وصلى عليه ابنه الحكم؛ وذلك ليلة الخميس، كما تقدم ذكره. وباع الناس ابنه الحكم؛ وكان ابنه عبد الملك أسن منه.

ذَكَرَ بَعْضُ أَخْبَارِهِ عَلَى الْجَمَلَةِ²

كان - رحمه الله! ³ بسط البنان، فصيح اللسان³، وسبع الجناب، حاكماً بالسنة والكتاب؛ قبض الزكوات من طرفها، ووضعها في حقها؛ لم يأخذ في الله لوم، ولا تعلق به ظم. ارتفع أخوه عن مبايعته، وامتنع عن طاعته، واستبدَّ بطليطلة استبداداً، واستنفر للخلاف والفتن أجناداً؛ فما زال يشتغل بالفتنة بالآ، ويذيق الناس وبالآ؛ قد عظمت عليه به المحنة، وعُدِمَت منه الهدنة، حتى مات الأمير هشام، وحكمت بخلافة ابنه الحكم الأحكام؛ فحاربة في تلك الاقطار، الى أن اختطفته الأسنة والشفار؛ فأمن بعد ذلك الجناب، ولم يكن في ذلك التأريخ هنالك مجانب.

1) A. et B. غدشارة. 2) A. مستنجزاً. 3) A ajoute سنة.

4-4) A. بسط اللسان، فسبح الجنان.

وكان هشام يبعث إلى الكُور قوماً عدولاً يسألون الناس عن سير العُمال، ثم ينصرفون إليه بما عندهم؛ فيقع نظره بهم ما تكشفه المحنة له منهم. واعترض له يوماً منظمٌ من أحد عُماله؛ فبدر إلى الشاكي «من رجال العايل من رَخَاه شاقّةٌ منه على العايل. فبعث إلى الشاكي» وقال له: «أخيفت على كل ما ظلمت فيه؛ فان كان صرَبك، فاضربه؛ أو هنك لك سِتْرًا، فأفنتك سِتْرَه؛ أو أخذ لك مالاً، فخذ من ماله مثله، إلا أن يكون أصاب منك حدٌّ من حدود الله!» فجعل الرجل لا يحلف على شيء إلا أقيد منه. فكان زجره هكذا العماة. أبع فيهم من الكمال والأدب. وكان كريماً، عادلاً، فاضلاً. متواضعاً، عاقلاً، لم تُعرف منه هفوةٌ في حديثه، ولا زلّةٌ في أيام صباه. «ومن كرمه أنه كان يصرُّ أموالاً في صرور، ويخرج بها بين المغرب والعشاء يتفقد المسجد؛ فإذا وجد واحداً يصلي في مسجد أو لا يصلي، وضع بين يديه صرةً. حتى كثرت عمارة المساجد» وكان - رحمه الله! - قد نظر في بيان قنطرة قرطبة، وأنتق في إصلاحها أموالاً عظيمة. وتولى بناءها بنفسه، وتُعطي الأجرة بين يديه. قال ابن وضاح: لما بنى هشام القنطرة، تكلم بعض الناس فيه، وقالوا: «إنما بناها لتعبده ونزّهته!» فحلف حين بلغه ذلك ألا يجوز عليها إلا لغزير أو مصلحة.

قال القاضي أبو معاوية: أدركتُ صدراً من الناس يحكون أن أيام هشام هذا كانت من الدعة والعافية والهدوء بحيث لم يُعلم لها مثل. وكان يحضر الجوائز، ويزارح فيها، كأنه أحد من الناس، تواضعاً. وكان لبعض رجال هشام خصومةٌ في دار عند القاضي مُصعب بن عمران؛ فسجل عليه القاضي فيها وأخرجه منها؛ فنهض الرجل إلى هشام، وقال له: «إن القاضي سجل علي في داري التي كنت أسكنها، وأخرجني عنها!» فقال له هشام: «وما ذا تريد مني؟ والله لو سجل علي القاضي في مفعدى هذا، لخرجتُ عنه!» انقياداً منه للحق - رحمة الله عليه!

قِصَّةُ الْكِنَانِيِّ مَعَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ - رَحِمَهُ اللَّهُ

كان قبل خلافته يقعد في عِلْيَةِ مُطَلَّةٍ عَلَى النُّهْرِ، يَنْظُرُ مِنْهَا إِلَى الرَّبِضِ، وَتَقَعُ عَيْنُهُ عَلَى مَنْ يَخْطُرُ. فَنَظَرَ يَوْمًا فِي الْهَاجِرَةِ إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ؛ وَكَانَ مِنْ صَنَائِعِهِ، مَقْبَلًا مِنْ بَادِيَتِهِ بِجَبَّانٍ؛ وَكَانَ أَخُوهُ سَلْبَانَ وَالْيَأْ عَلَيْهِمَا؛ فَدَعَا فَتَى لَهُ وَقَالَ لَهُ: «أَرَى الْكِنَانِيَّ صَنِيعَنَا مَقْبَلًا فِي هَذِهِ الظُّهَيْرَةِ، وَمَا أَحْسِبُ¹ ذَلِكَ إِلَّا لَخَطْبِ أَقْلَفِهِ مِنْ أَبِي أَيُّوبِ أَخِي. فَإِذَا وَصَلْتُكَ، فَأَدْخِلْهُ عَلَيَّ كَمَا هُوَ.» فَفَعَلَ الْفَتَى مَا أَمَرَهُ. وَكَانَتْ مَعَ هِشَامِ جَارِيَةٌ لَهُ. فَلَمَّا دَنَا الْكِنَانِيُّ، رَفَعَ سِتْرًا كَانَ P. 79 أَمَامَهُ؛ فَدَخَلَتْ الْجَارِيَةُ خَلْفَهُ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ، بَعْدَ أَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ: «يَا كِنَانِيَّ، لَا أَحْسِبُكَ إِلَّا قَدْ دَهَبْتَ أَمْرًا!» فَقَالَ لَهُ الْكِنَانِيُّ: «قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ رَجُلًا خَطَاءً؛ فَحَمَلَتِ الدِّيَةَ عَلَى الْعَاقِلَةِ؛ فَأَخَذَتْ بَنُو كِنَانَةَ عَامَّةً، وَحِيفَ عَلَيَّ مِنْ بَيْنِهِمْ خَاصَّةً، لَمَّا عَرَفَ أَبُو أَيُّوبِ مَكَانِي مِنْكَ. فَعُدْتُ بِكَ مِنْ ظِلَامَتِي!» فَقَالَ لَهُ: «يَا كِنَانِيَّ! لِيَفْرَجْ رَوْعُكَ وَلِيَسْكُنْ جَأْشُكَ لَا جَرَمَ قَدْ نَحَمَلْ هِشَامٌ عَنْكَ وَعَنْ قَوْمِكَ جَمِيعَ الدِّيَةِ!» ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى خَلْفِ السِّتْرِ؛ فَأَخْرَجَ عِقْدًا كَانَ عَلَى الْجَارِيَةِ، ثَمَّةَ ثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ؛ فَقَالَ لَهُ: «خُذْ هَذَا الْعِقْدَ؛ فَأَدِّ مِنْ ثَمَنِهِ عَنْكَ وَعَنْ قَوْمِكَ، وَتَوَسَّعْ فِي الْبَاقِي!» فَقَالَ الْكِنَانِيُّ: «يَا سَيِّدِي! إِنَّهُ لَمْ آتِكَ مُسْتَجِدًّا وَلَا ضَاقَ لِي مَالٌ عَنْ أَدَاءِ مَا حُمِلَتْهُ؛ وَلَا كُنْتُ أَتَيْتُكَ مُسْتَجِيرًا بِكَ لَمَّا أُصِيبْتُ بِالْعَدْوَانِ وَالظُّلْمِ؛ فَأَحْبَبْتُ أَنْ تَظْهَرَ عَلَيَّ مِنْ عِزِّ نَصْرِكَ!» قَالَ لَهُ: «فَمَا وَجْهُ نَصْرِكَ؟» قَالَ لَهُ: «أَنْ يَكْتُبَ الْأَمِيرُ - أَصْلَحَهُ اللَّهُ! - إِلَى أَبِي أَيُّوبِ فِي الْإِمْسَاكِ عَنْ أَخْذِي بِمَا لَمْ يَجِبْ عَلَيَّ، وَأَنْ يَحْمِلَنِي مَحْمَلَةَ عَامَّةِ أَهْلِي!» فَقَالَ لَهُ هِشَامٌ: «خُذْ الْعِقْدَ لِأَهْلِكَ وَلِنَفْسِكَ، إِلَى أَنْ يَبْسِرَ اللَّهُ فِيهَا ذَهَبًا إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِكَ!» ثُمَّ أَمَرَ هِشَامٌ بِإِسْرَاحِ دَابَّتِهِ مِنْ فُورِهِ، وَرَكِبَ إِلَى أَبِيهِ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ. فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ لَهُ: «رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ، هُوَ لِي صَنِيعَةٌ،

1) Manque dans A.

عنا عليه أبو أيوب يحيى في دينة حيدت على العاقلة! قال الأمير: «فما تحب في أمره» قال: «الكتب اليه بالكفت عنه، وأن لا يؤخذ بغير ما لزمه!» فقال الأمير «أو خير من ذلك! يودى الدنة عنه وعن قومه من بيت المال، إذ هو ملك هذه الميراث، وإذ أنت له بهذه العناية!» فأكثر هشام الشكر لوالده، ثم أمر الإمام بأداء الدية من بيت المال، وبالكتب إلى أبي أيوب بترك التعرض للكافي. ولا حار، بوردع الكافي هشام، قال له: «يا سيدي، إني قد بلغت فوزي الكافي، وحاورت أفضى غاية العز والنصرة! وهذا العقد النيس قد أغنى الله عندي» فقال له هشام «يا كافي، إله لا سبيل إلى رد شيء قد خرج عنا. وعدة مشاركاتك فيه!»

وهشام هذا هو الذي أكمل سفائف المسجد الجامع بقرطبة، ورفع مناره القدوة، وبني البيضاء العجيبة، وعقد من الجسر ما كان ثام بالسبيل - رحمه الله!

خلافة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن

كنيته! أبو العاصي. أمه: زخرف. مؤلده: سنة ١٥٤. بويج بعد موت أبيه بليلة، يوم الخميس لثمان خلون من صفر سنة ١٨٠، وهو ابن ست وعشرين سنة؛ فكانت خلافته سناً وعشرين سنة، وأحد عشر شهراً. كتابه: ثلاثة: قطيس، وخطاب بن زيد، وحجاج العفيللي؛ حاجبه: عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث؛ وزراؤه وقوادده: خمسة: إسماعيل بن المنذر، والعباس بن عبد الله، وعبد الكريم بن عبد الواحد المذكور، وقطيس بن سليمان، وسعيد بن حسان. قضائه: مضعب بن عمران، ومحمد بن بشير، والفرج بن كنانة، وبشر بن فطن، وعبيد الله بن موسى، ومحمد بن تليد، وحامد بن محمد بن يحيى. نقش خاتمه: «بإله يتق الحكم وبه يعنصم! صنته: آدم، شديد الأذمة، طويل، أشم، نحيف، لم يخضب. بنوه الذكور: تسعة عشر، والبنات: إحدى وعشرون. توفي لأربع بقين لدى الحجة سنة ٢٠٦؛ فكان عمره اثنان وخمسون سنة.

ولما بلغ موت هشام الرضى الى سليمان وعبد الله ابني عبد الرحمن بن معاوية، وهما بالعدوة، تقدم عبد الله؛ فجاز البحر الى ريف الأندلس.
ولما بويغ الحكم بالخلافة، واستوسق له الأمر، وجه عبد الكريم بن عبد الواحد غازياً الى دار الحرب، في جيش عظيم؛ فاحتل عبد الكريم بالثغر؛ P. ٧١ وتوافت عليه الجيوش. ثم تقدم، فاحتل على شاطئ البحر، وقسم الجيش على ثلاثة أقسام، وقدم على كل قسم رئيساً، وأمر كل واحد منهم بأن يغير على الناحية التي قصدها ووجه إليها؛ فمضوا، وأغاروا، واستباحوا، وانصرفوا غائبين ظافرين. ثم عادوا ثانية الى الإغارة، وجاوزوا خُججاً كانت نذ وتحصر؛ وكان أهل تلك النواحي قد تحرّزوا بها، ونقلوا اليها العيال والماشية والأموال؛ فأغاروا عليها، واحتوا على جميع ما وجدوا فيها، وانصرفوا سالمين غائبين.

وفي سنة ١٨١، ثار على الأمير الحكم بَهْلُول بن مَرْزُوق المعروف بأبي الحجاج في ناحية الثغر، ودخل سَرْقُسطة، وملكها. وحلّ به عبد الله بن الأمير عبد الرحمن بن معاوية؛ وكانت وجهته الى إفريقية.
وفيها، ثار عبيدة بن حميد بَطْلِبُطْلَة؛ فنصب الحكم عمرو بن يوسف لحره من طليبة؛ فكان يتردد لحرهم؛ ثم إن عمرو كاتب رجلاً من أهل طليبة، واستلطنهم حتى مالوا اليه؛ فدعاهم الى القيام على عبيدة، والفتك به؛ ووعدهم على ذلك بمئونة جليلة من الأمير؛ فبدروا اليه، وقتلوه، ووجهوا برأسه الى عمرو؛ فأنزلهم عند نفسه بطليبة. فلما علم بهم بعض بربر طليبة، وكانت بينهم مائة، دخلوا عليهم تلك الليلة الدار؛ فقتلوه. فبعث عمرو برأس عبيدة و عمرو المذكورين، وهم بنو مخشى الى الحكم بقرطبة، وكتب اليه بخبرهم. ثم إن عمرو عمل جهده في استجلاب أهل طليبة بمكاتبتهم، حتى أدخلوه المدينة. فلما تمكن منها، بنى القصر على باب جسرهما؛ فأحكمه، وأقن أمره؛ ثم سعى في قتل رجال طليبة، وقطع شرهم، وحسم دائمهم، توطيداً للملكة. فأعد للكيد

P. ٧٢ صَنِيعاً، أَظْهَرَ أَنَّهُ يَذْبَحُ فِيهِ الْبَقْرَ، وَأَمْرٌ أَنْ يَكُونَ * دَخُولُ النَّاسِ عَلَى بَابِ،
وَخُرُوجُهُمْ عَلَى بَابِ. فَكَانَ كُلُّ مَنْ دَخَلَ وَتَجَاوَزَ الْبَابَ قُتِلَ، حَتَّى أَفْنَى مِنْ
أَشْرَافِهِمْ سَبْعًا مِائَةً.

وَفِي سَنَةِ ١٨٢، كَانَ السَّيْلُ الْعَظِيمُ بِفَرْطِيَّةٍ، ذَهَبَ بِرَبِضِ الْفَنْطَرَةِ؛ وَلَمْ
يُبقِ فِيهِ دَارًا إِلَّا هَدَمَهَا، حَاشَى غُرْفَةَ عَوْنِ الْعِطَّارِ. وَبَلَغَ السَّيْلُ شَقْدَةً.
وَفِيهَا، دَخَلَ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعَاوِيَةَ الْأَنْدَلُسِيِّ مِنَ الْعَدُوَّةِ،
وَتَنَدَّمَ مَتَعَرِّضًا لِلْحَرْبِ الْحَكَمِيِّ، فِي شَوَّالٍ مِنْهَا؛ فَانْهَزَمَ سَلِيمَانُ، بَعْدَ مَا دَارَتْ
بَيْنَهُمَا حَرْبٌ شَدِيدَةٌ. وَفِيهَا، عَادَ سَلِيمَانُ ثَانِيًا لِلْقِتَالِ؛ وَالتَّفَى مَعَ الْحَكَمِيِّ أَيْضًا
بِئَجِيظَةَ^١؛ فَانْهَزَمَ سَلِيمَانُ.

وَفِي سَنَةِ ١٨٢، خَرَجَ سَلِيمَانُ، وَمَعَهُ بَرَابِرُ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، إِلَى نَاحِيَةِ إِسْتِجَّةِ^٢؛
فَغَزَاهُ الْحَكَمِيُّ، وَالتَّفَى بِمَقْرِبَةٍ مِنْ إِسْتِجَّةٍ؛ فَدَارَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ شَدِيدَةٌ أَيَّامًا. ثُمَّ
انْهَزَمَ سَلِيمَانُ مِنْ كَانَ مَعَهُ. ثُمَّ التَّفَى أَيْضًا فِي هَذَا الْعَامِ؛ فَانْهَزَمَ سَلِيمَانُ.

وَفِي سَنَةِ ١٨٤، حَشَدَ أَبُو أَيُّوبَ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنَ الشَّرْقِ؛
فَاحْتَلَّ بَجِيَّانَ، ثُمَّ بِالْبَيْرَةِ. فَابْتِغَى جَمَاعَةً مِنَ الْكُورَنِيِّينَ، وَالتَّفَى مَعَهُ الْحَكَمِيُّ؛ فَدَامَ
الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ أَيَّامًا، حَتَّى هَمَّ الْحَكَمِيُّ بِالْهَزِيمَةِ. ثُمَّ انْهَزَمَ سَلِيمَانُ، وَأَفْلَتَ. وَقُتِلَ فِي
الْمَعْرَكَةِ بِشَرِّ كَثِيرٍ. وَبَعَثَ الْحَكَمِيُّ أَضْعَفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فِي طَلْبِهِ؛ فَلَحِقَهُ بِجَهَةِ مَارِدَةَ،
وَأَخَذَهُ أَسِيرًا، وَأَتَى بِهِ إِلَى الْحَكَمِيِّ؛ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ، وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَى قَرْطَبَةَ.
وَفِي سَنَةِ ١٨٦، أَخْرَجَ الْحَكَمِيُّ إِلَى عَمِيهِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَلَنْسِيِّ أَمَانًا؛ وَهُوَ أَوَّلُ
خُرُوجِ كَانَ إِلَيْهِ، وَأَوَّلُ مَكَاتِبَةٍ كَانَتْ بَيْنَ الْحَكَمِيِّ وَبَيْنَهُ بَعْدَ حُلُولِهِ بِبَلَنْسِيَّةٍ.

وَفِي سَنَةِ ١٨٧، انْعَقَدَ أَمَانُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَلَنْسِيِّ وَصُلِحَ بِأَجْزَاءِ الْأَرْزَاقِ عَلَيْهِ،
وَذَلِكَ أَلْفَ دِينَارٍ لِكُلِّ شَهْرٍ، وَبِأَجْزَاءِ الْمَعَارِفِ، وَذَلِكَ أَلْفَ دِينَارٍ لِكُلِّ عَامٍ.

١) Orthographe et vocalisation fournie par B.-A.: بيجيظة (?). ٢) أجة. A.

وخرج اليه بهذا الأمان بجبي بن بجبي وابن أبي عامر؛ فعقد الصلح على ذلك وعلى أن يسكن * عبد الله بكنسية. وقدم بجبي وابن أبي عامر بولد عبد الله على P. ٧٢ الحكم؛ فزوجه أخته شقيقة.

مقتل أهل الرِّبَضِ أَوَّلًا قَبْلَ هِجْرَةِ ثَانِيَةً

وفي سنة ١٨٩، صلب الإمام الحكم اثنين وسبعين رجلاً بقرطبة، منهم أبو كعب بن عبد البر، وبجبي بن مضر، ومسرور الخادم. وكان السبب في ذلك أنهم أرادوا الغدر به، وهموا بالخلاف عليه؛ وطلبوا رئيساً يقومون به. فوقع الخبر على محمد بن القاسم عم هشام بن حمزة، وأطلعوه على أمرهم، ودعوه للقيام معهم؛ فخذلهم، وأفشى سرهم، وتقرب إلى الحكم بدمائهم. فتشبت الحكم، وسأله تصحيح ما رفع إليه؛ فقال له: «هات أمانك!» فأخناهم عنه، ووجه عنهم لميعاده؛ ثم قال لهم: «هذا الذي ندعوني إليه لا أثنى من سميتم، دون أن أسمع منهم كما سمعت منكم؛ فتطيب نفسي، وأدخل في الأمر على قوة وبصيرة!» فأنوه، وسمع مقالهم، والأمان بحيث يزون ويسعون. فلما صحَّ عد الحكم أمرهم بشهادة الأمان عليهم، أخذهم وصلبهم جميعاً بمردة واحدة. ثم أثنى سور قرطبة وحفر خندقها، وتوجه غازياً إلى بلاد المشركين.

ومن قوله [طويل]:

رَأَيْتُ صُدُوعَ الْأَرْضِ بِالسِّيفِ رَافِعًا	وَقَدِّمًا لِأَمْتِ الشَّعَثِ مَدُّ كُنْتُ يَافِعًا
فَسَائِلُ تُغُورِي هَلْ بِهَا الْآنَ تُغْرَةُ	أَبَادِرْهَا مَسْتَنْضِي السِّيفِ دَارِعًا
وَشَافُهُ عَلَى الْأَرْضِ الْفِضَاءِ جَمَاجِمًا	كَأَقْحَافِ شَرِيَانِ الْهَبِيدِ أَلْوَامِعًا
تُسَيِّبُكَ أَرَى لَمْ أَكُنْ عَنْ قِرَاعِهِمْ	بِوَانٍ وَأَرَى كُنْتُ بِالسِّيفِ فَارِعًا
فَلِئِنِّي إِذَا حَادُوا جِزَاعًا عَنِ الرَّدَى	فَلَمْ أَكُ ذَا حَيْدٍ عَنِ الْمَوْتِ جَارِعًا
حَمِيَّتُ ذِمَارِي وَانْتَهَيْتُ ذِمَارَهُمْ	وَمَنْ لَا يُجَاهِي ظِلَّ خَزْبَانِ ضَارِعًا

P. ١٤ • ولما تساقينا سجال حروينا سببتهم سماً من الموت نافعاً
 وهل زدت أن وفيهم صاع قرصهم فوافوا منايًا قدّرت ومصارعاً
 فهاك يلاذي إني قد تركتها مهاداً ولم أشرك عليها منازعاً

١) وفي سنة ١٩٠، خرج الأمير الحكيم غازياً الى ماردة. فلما وصلها، احتلها
 وحاصرها (وكان بها أضيغ بن عبد الله بن وأنسوس نائراً) وإذا بالخبر وصله
 أن سواد أهل قرطبة أعلنوا بالنفاق، وتداعوا الى صاحب السوق بالسلاح؛
 وكتب المخنفون الى الحكيم بما حدث معه وبما ظهر من ضائر السفلة؛ فصدر قافلاً،
 وطوى المراحل، وفتح الطريق في ثلاثة أيام، ودخل القصر. فهدأ الناس،
 وسكنت الأحوال، وصار الناس في هدوء وسكون من سنة ١٩٠ الى سنة ٢٠٢،
 والتزموا الدعة اثني عشر سنة.

وبردّت الغزوات سبعة أعوام الى ماردة، وبها أضيغ بن عبد الله نائراً
 متمتعاً. وكان سبب ثورته أن عدواً لأضيغ طالبه عند الحكيم وأغراه عليه. ثم
 مشى الى أضيغ يثل ذلك، وروعه منه؛ فتوقع العفوية والسطوة به. فكان ذلك
 سبب دخوله ماردة وقيامه بها. وتكررت الغارات عليه سبعة أعوام؛ فافتحت
 في العام السابع بمحاولة انجالت عن طلب الأمان لأضيغ فأمن، وخرج من ماردة،
 وصار في مصف الحكيم؛ فسكن قرطبة؛ ثم فسح له في الاختلاف الى ضياعه
 بماردة حتى الناث أمرها، واضطربت حالها.

وفي سنة ١٩٢، خرج رذريق صاحب إفرنجة الى جهة طرطوشة؛ فأغزى
 الحكيم ابنه عبد الرحمن في جيش كثيف، وكتب الى عمرووس وعبدون عاملي
 الثغر بالغزو معه بجميع أهل الثغر. فتقدم عبد الرحمن بالجنود، وتوافت عليه
 الحشود، وحنّت به البطوعة. فالتوا * الطاغية خارجاً الى بلاد المسلمين. ودارت P. ١٥

1) Tout ce qui suit manque dans B, jusqu'à l'année 190.

بينهم حروبٌ شديدة، ثبتَ اللهُ فيها أقدام المسلمين. فانهزم المشركون؛ وكانت فيهم مقتلة عظيمة؛ ففنى أكثرهم.

وفي سنة ١٩٤، غزا الحَكَمُ الى أرض الشرك. وكان السبب في هذه الغزاة أَنَّ عَبَّاسَ بن ناصح الشاعر كان بمدينة الفَرَج (وهي وادي الحِجَارَة). وكان العدو، بسبب اشتغال الحَكَمِ بباردة وتوجيه الصوائف اليها مدَّةً من سبعة أعوام، قد عظمت شوكتُه، وقوى أمرُه. فشنَّ الغارات في أطراف الثغور، يسبي ويقتل. وسمع عَبَّاسُ بن ناصح امرأةً في ناحية وادي الحِجَارَة، وهي تقول: «واغوثاه يا حَكَم! قد ضيَعَتْنَا وَأَسْلَمَتْنَا واشتغلتَ عَنَّا، حتَّى استأسد العدو علينا!» فلما وفد عَبَّاسُ على الحَكَمِ، رفع اليه شعراً يستصرخه فيه، ويذكر قول المرأة واستصراخها به؛ وأنهى اليه عَبَّاسُ ما هو عليه الثغر من الوهن والنيكاح الحال. فرثى الحَكَمُ للمسلمين. وحمى لنصر الدين. وأمر بالاستعداد للجهاد. وخرج غازياً الى أرض الشرك؛ فأوغل في بلادهم، وافتتح الحصون، وهدم المنازل، وقتل كثيراً، وأسر كذلك، وقفل على الناحية التي كانت فيها المرأة. وأمر لأهل تلك الناحية بمال من الغنائم. يصلحون به أحوالهم ويندون سبابهم؛ وخصَّ المرأة وآثرها، وأعطاهم عدداً من الأسرى عونا. وأمر بضرب رقاب باقيرهم، وقال لأهل تلك الناحية وللمرأة: «هل أغانكم الحَكَم؟» قالوا: «شفا والله الصدور، ونكى في العدو، وما غفل عَنَّا إذ بلغه أمرنا! فأغاثه الله وأعزَّ نصره!»

وفي سنة ١٩٦، غزا الحَكَمُ الى بلاد المشركين، وأوغل فيها، وأوقع بهم، وقفل. وفيها، مات تمام بن علقمة الثقفى.

¹⁾ وفي سنة ١٩٩، كانت المجاعة التي عمَّت الأندلس؛ ومات أكثر الخلق جهداً.

1) Reprise de B.

وفي هذه السنة، أغرى • الحكيم • عبد الله النسي الغزوة الشيعية المشهورة، وكانت بـيرشلونة: ألقى المشركين قد حأوا بها يوم احتلاله، وكان يوم الخميس؛ فأراد من معه مناقشة الحرب، ونشؤوا للقتال؛ فمعهم حتى إذا كان في اليوم الثاني، وهو يوم الجمعة وقت الزوال، أمر بتعبئة الكتاب، وأنصب الرُود؛ وقام، فصلى ركعتين؛ ثم نادى في الناس، وركب هو ومن معه، ونافض أهل الشرك. وما أحسبه فعل ذلك إلا ففهاً وعلماً وناسياً بحديث النبي صلعم حيث أمر بالقتال في تلك الساعة: فإن فيها تهب الأرواح، وتفتح أبواب الجنة، وتُستجاب الدعوات. فمعهم الله أكتاف المشركين، وانهموا. وقتل عامتهم، وفرق جمعهم. فلما أقبح عن القتال وانجبت الحرب، نصب قناة طوية، فالتفت في الأرض؛ وأمر بالرووس؛ فجمعت وطرحت حوائجها حتى غابت القناة فيها (1) ولم تظهر (1).

ذِكْرُ دُخُولِ الْحَكَمِ طَلَبِطُنَّةَ حِينَ خَافَتْ عَلَيْهِ

وذلك أنه أظهر الغزو إلى بلاد المشركين، وقصد ندمير، وهو برى في نفسه طلبطنة. فنزل ندمير، واضطرب فيها، ونازل بعض حصونها. وكتب إلى عمال الشجر بنزوله فيها وحره لها؛ فأمن أهل طلبطنة، وانتشروا في أساطيمهم، ونظروا في زروعهم، وله عليهم عيون. فلما صحَّ عبد أساطيم، جعل يتغرب من أحواز ندمير، وأخبار طلبطنة برده عليه. فلما أمكته الرخصة فيها، جدد السير إليها، وطوى المراحل؛ فوصل إليها ليلاً، وسبق بنطبع من الكشم. فدخل طلبطنة ليلاً. ولم يعلم بدخوله، وأمنها في غفلة، وأبوابها مننحة. وبتاع العسكر عليه بفقد رقة كل أحد. فملكها، وحال بين أهلها وبينها، وقطع الخروج عن كان بها إلى من كان بخارجها. فاستوسق له ملكها دون مؤنة ولا قتال.

1-1) Manque dans A.

فاستنزل أهلها من الجبال الى السهل، وحرَّق ديارها، وسكَّتهم في الصحراء.
ثمَّ رَدَّم اليها.

وفي سنة ٢٠٠، أغزى * الحكم وزير عبد الكريم بن مُغيث الى بلاد P. ٧٧
المشركين؛ فدخلها، وتوسَّطها، وأهلك معائشها ومرافقها، وحطم زروعها،
وهدم مسانيلها وحصونها، حتَّى استوفى جميع قرى وادي أرون. فمُحِدت اليه
الطاغية - دمرها الله! - وانجلبت^١ النصرانية من كلِّ مكان، وأقبلت الجموع،
ونزلت بعدوة نهر أرون؛ وصار النهرُ حاجزاً بينهم وبين المسلمين. فلما أصبح،
نهض عبدُ الكريم بن معه الى مخاض الوادي؛ ونهض أعداء الله اليهم؛ فقاتلوهم
على كلِّ مخاضة منها؛ فجالدهم المسلمون عليها مجالدة الصابرين المحنسين. واقنعم
أعداء الله النهر اليهم؛ فافتلوا على مخاضته. ثمَّ حمل المسلمون عليهم حملة صادقة،
فأضغطوهم في المضائق، وأدخلوهم على غير طريق؛ فأخذتهم السيوفُ والضُّعُنُ
بالرماح^٢ والغرق في المياه^٢؛ فقتل من المشركين عددٌ عظيمٌ لا يُحصى كثرةً.
ومات أكثرهم بالنردى ودرَس بعضهم بعضاً، وصاروا بعد البطاعة والمجاندة
بالرماح والسيوف الى القذف بالحجارة؛ وأكثروا الحراس بالمخاض، ووعروها
بالحشب، وحفروا الخناير، وخندقوا الخنادق. ونزلت الأمطار؛ وكان قد فرغ
ما كان لأعداء الله من المرافق؛ وضافت الحمال أيضاً بالمسلمين؛ فقتل عبدُ
الكريم ظافراً لسبع خاؤون من ذى القعدة.

ولم يكن في سنة ٢٠١ صائفة ولا حركة مشهورة.

ذِكْرُ هَيْجِ أَهْلِ الرَّبِضِ ثَانِيَةً فِي سَنَةِ ٢٠٢

كان من أهل ربض قرطبة في هذه السنة ما نستعيد بالله من الخذلان في مشه.
وذهاب التوفيق. وقد اختلفت الروايات في سبب قيام الناس وهيجهم؛ فمنهم

1) انجلت. A.

2-2) Manque dans A.

من يقول إنَّ ذلك الهَبِيج كان أَضْلُهُ الْأَشْرَ وَالْبَطْرَ، إذ لم تكن ثمَّ ضرورةٌ من إجحاف في مال، ولا انتهاك لحرمة، ولا تعسف في ملكة، والحال تدلُّ على صحَّة ذلك: فَإِنَّه لم يكن على الناس وظائف، ولا مغارم، ولا سُخْرٍ، ولا شَيْءٌ يكون سبباً لخروجهم على الساطان، بل كان ذلك أشراً وبطراً، وملاً للعافية. وطبعاً جافياً، وعتلاً غيبياً، وسعياً في هلاك أنفسهم - أعادنا الله من الضلال والخذلان، وأسباب البوار والخسران!

ولما انتاجوا وقاموا على السلطان، ناصبهم الحكمُ القتال، وواضعهم الحرب. وانحاش اليه حاشيته وجنده، ونأب من كلِّ وجه رجاله. وقامت الحرب بين الجند وعامة قُرْطُبة على ساق. ثمَّ تكاثرت العامة، وهاجت الدهاء السوداء؛ فلم يزدوا على أن ظهروا في ذلك الحين ظهوراً لم يبلغهم الى أمل فلما اشتغلوا بالقتال. احتيل عليهم بمثل حيلة يوم الحرّة، وهم لا يشعرون لاشتغالهم بالقتال؛ فخرج عُبيد الله بن عبد الله السَلَسِيُّ المعروف بصاحب الصوائف، وإسحاق بن المنذير القرشيُّ الى باب الحِسر، مع من أمكنهما من الفرسان والرجالة، وانفوا مع العامة، وجالدوهم حتى أزاجوهم وأدخلوهم الحِسر؛ وفتح باب المدينة عند الحِسر، ودخل الذين سمينا¹ على باب الحديد؛ ثمَّ افتحموا على الزُفاق الكبير، وخرجوا على الرملة الى مخاضة هناك، وجازوا النهر، واجتمعوا مع من سواي عليهم من حشود الكور، إذ كانوا قد أُندروا قبل ذلك بما كان بدا منهم، وظهر من علاماتهم. فلما اجتمعوا، أقبل بعضهم من وراء الرض، وشرع بعض في طرح النار في الدور، ودسوا من أخير العامة بما نزل بهم في دورهم وذراريمهم وعيالهم؛ فلم يبقَ أحدٌ منهم دون أهله ومنزله، وانصرفوا راجعين نحوها. فأخذتهم السيوف من أمامهم وورائهم؛ فقتلوا قتلاً ذريعاً، وتبعوا في الأريفة والطرق، يُقتلون؛ ونجا منهم من تأخر آجله، ففر، فلم يَأوِ على

1) A. ajoute ودخلوا.

أهل ولا ولد. وأخذ منهم ثلاثمائة رجل؛ فصأبوا على الوادي، صنًا واحداً من المَرَجِ إلى المَصَارَةِ.

وكان الحَكَمُ قد عزم على تنبيعهم بالأندلس، وقتلهم حيث وجدوا؛ فكسر عليه بعض أصحابه، وذكره صنَعُ الله * له فيهم؛ فازعوى وكفَّ. فخرجوا أفواجاً ^{p. ٧٩} بأهاليهم وأولادهم، ولم يعرض لأحد منهم في شيء من بلاد الأندلس، وهي طاعته ومُلْكُه، ولا نالهم ضرٌّ بعد وقت المعركة وغلبان الحال، كرماً وعتواً من الأمير الحَكَمِ - رحمه الله! - وعفَّ الحَكَمُ عن الأموال والحرم. وتفرَّق أهل الرِّبَضِ في جميع أقطار الأندلس؛ ومنهم من جاز البحر إلى العدو بالأهل والولد؛ فاحتلوا بعدوة فاس، فهمُ عدوة الأندلس منها؛ فصبروها مدينةً. ومنهم أهل جزيرة إقريطش؛ فذكر أنه لم يخرج منهم طائفةٌ بناحية من نواحي الدنيا إلا وتغابوا عليها، واستوطنوها على فهر من أهلها. وأكثر من هرب من أهل العلم والخير ممن اتهم أو خاف على نفسه إلى ناحية طليطلة، ثم آمنهم الحَكَمُ، وكتب لهم أماناً على الأنفس والأموال، وأباح لهم النسخ في البلدان حيثما أحبوا من أقطار مملكته، حاشى قرطبة أو ما قرب منها.

وفي سنة ٢٠٦، اشتدَّ مرضُ الحَكَمِ بن هشام؛ فأخذ البيعة لابنه عبد الرحمن، ثم للمغيرة من بعده. وانعدت البيعة يوم الأربعاء لحدى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة من السنة. فبويع له ذلك اليوم في القصر؛ واختلف الناس بعد ذلك اليوم إلى دار عبد الرحمن بن الحَكَمِ يباعونه؛ وباعوا المغيرة في دار أخيه عبد الرحمن أيضاً؛ ثم ركب المغيرة إلى الجامع، ونزل فيه يوماً بعد يوم لمبايعة الناس له؛ وكانوا يباعونه عند المنبر؛ ثم باعوه في داره. ولما انقضت البيعة لعبد الرحمن والمغيرة بعده، أمر الحَكَمُ بن هشام بهدم التندق الذي كان بالرِّبَضِ؛ وكان متقبَّله من أهل الإضرار والفسق؛ فهُدِمَ. وتوفى الأمير الحَكَمُ يوم الخميس لأربع بقين من ذى الحجة من السنة؛ وصلى عليه ابنه عبد الرحمن؛ ودفن بالنصر.

بعض أخباره وسيره

كان الحكم - رحمه الله! - شديد الحزم، ماضى العزم، ذا صواة تنقى. وكان حسن التدبير في سلطانه، وتولية أهل الفضل والعدل في رعيته؛ وكان مبسوط اليد. وكان له قاضي كفاه بورعه وعلمه وزهده؛ فمرض مرضاً شديداً؛ فاغتم الحكم لمرضه؛ فذكر بعض خاصته أنه أرق ليلة أرقاً شديداً، وجعل يتململ على فراشه؛ فقبل له: «أصلح الله الأمير! ما الذي عرض؟» فقال: «ويحكم! إني سمعت في هذه الليلة نادية، وقاضينا مريضاً، وما أراء إلا وقد قضى نحبه. فأين لي بمثله، ومن يقوم بالرعية مقامه؟» فأت القاضى في تلك الليلة، وهو المصعب بن عمران قاضى أبيه. فولى بعد محمد بن بشير.

فكان أفصد الناس الى حق، وأبعدهم من جور، وأشدهم بحكم. ورفع اليه رجل من أهل كورة جيان أن عاملاً للحكم اغتصبه جارئة، وصيرها الى الحكم؛ فوقعت من قلب الحكم كل موقع؛ فأثت الرجل أمره عند القاضى، وأناه بيينة تشهد على معرفة ما تظن منه وسألكه للجارئة وبمرفتم بها. فأوجبت السنة أن تحضر الجارئة؛ فاستأذن القاضى على الحكم؛ فأذن له؛ فلما دخل عليه، قال له: «أيتها الأمير! إنه لا يتم عدل في العامة دون إقامته في الخاصة!» وحكى له أمر الجارئة، وخبره بين إرازها للبينة لبشهاد على عينها، أو عزله. فقال له الحكم: «أولا أدعوك الى خير من ذلك! تمناع الجارئة من صاحبها بأبلغ ما يطلب فيها.» فقال القاضى: «إن الشهود قد شهدوا من كورة جيان، وأتى الرجل بطلب الحق في مظاته؛ فلما صار بيابك، تصرفه دون إفاذ الحق له؛ وأعل قائلاً يقول: باع ما لا يملك بيع مفور!» فلما رأى عزمه على ذلك، أمر بإخراج الجارئة من قصره؛ فشهد الشهود عند على عينها، وقضى بها لصاحبها. وكان هذا القاضى محمد بن بشير، إذا خرج المسجد، وجلس للأحكام،

جلس في رداء مُعَصَفَرٍ، وشعر مَفَرَّقٍ؛ فإذا طُلِبَ ما عنده، وَجِدَ أَفْضَلَ النَّاسِ وَأَوْرَعَهُمْ.

وكان الحَكَمُ يقول: «ما تحلى الخلفاء بمثل العدل!» وكانت فيه بظالة، إلا أنه كان شجاع النفس، باسط الكف، عظيم العفو. وكان يُسَاطُ قُضائِهِ وحُكْمَهُ على نفسه، فضلاً عن ولدٍ وخاصته. وكانت للحَكَمِ أَلْفُ فَرَسٍ مَرْبُوطَةٌ بباب قصره على جانب النهر، عليها عشرة من العُرَفَاءِ، تحت يَدِ كُلِّ عَرَفٍ مائة فَرَسٍ؛ فإذا بلغه عن نائر نارٍ في أطرافه، عاجته قبل استحكام أمره؛ فلا يشعر حتى يُحَاطَ به. وجاءه الخبر يوماً أَنَّ جَايِرَ بْنَ لَيْدٍ مُخَاصِرٌ لِحَيَّانَ، وهو يلعب بالصَوْلَجَانِ في القصر؛ فدعا بعريفٍ من أولئك العُرَفَاءِ، وأسرَّ إليه أن يخرج من تحت يده إلى جَايِرِ بْنِ لَيْدٍ؛ ثم فعل كذلك مع أصحابه من العُرَفَاءِ. فلم يشعر ابن لَيْدٍ حتى تساقطوا عليه مُسْرَبِلِينَ في الحديد؛ فلما رأى العدو ذلك، سَقَطَ في يده، وظنَّ أَنَّ الدُّنْيَا قد حُشِرَتْ إليه؛ فولى من معه منهزماً.

وكان الحَكَمُ فصيحاً بليغاً شاعراً مجيداً. فمن شعره - رحمه الله! - نغزل، وذلك أنه كان له خمسُ جوارٍ قد استخلصوهن لنفسه وملكهن أمره؛ فذهب يوماً إلى الدخول عليهن؛ فأبينَّ عليه، وأعرضن عنه. وكان لا يصبر عنهن. فقال [البسيط]:

قُضِبَ مِنَ الْبَارِ مَاسَتْ فَوْقَ كُشْبَانِ	أَعْرَضْنَ عَنِّي وَقَدْ أَرَمَعْنَ هِجْرَانِي
نَاشِدُهُنَّ بِحَقِّي فَأَعْتَزَمْنَ عَلَى	الهِجْرَانِ حَتَّى خَلَا مِنْهُنَّ هَيْمَانِي
مَلَكْنِي مُلْكَ مَنْ ذَلَّتْ عَزِيمَتُهُ	لِلْحَبِّ ذُلٌّ أَسِيرٍ مَوْتَقِي عَانِي
مَنْ لِي تُغْنِيَنِي الرُّوحُ مِنْ بَدَنِي	غَضِبْنِي فِي الْهَوَى عَزِي وَسُلْطَانِي

* ثُمَّ إِنَّهُنَّ عُدْنَ عَلَيْهِ بِالْوَصْلِ؛ فَقَالَ [خفيف]:

نِلْتُ كُلَّ الْوِصَالِ بَعْدَ الْبِعَادِ	فَكَأَنِّي مَلَكْتُ كُلَّ الْعِبَادِ
وَتَأَهَى السُّرُورُ إِذْ نِلْتُ مَا لَمْ	يُغْنِ فِيهِ تَكَاثُفُ الْأَجْنَادِ

ومن ملبح قوله فيهنّ - رحمه الله! - [خفيف]:

ظَلَّ مِنْ فَرَطٍ حُبِّهِ مَمْلُوكًا وَلَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مَلِيكًا
 إِنْ بَكَى أَوْ شَكَاهُ الْهَوَى زَيْدًا ظَلَمًا وَبِعَادًا يُدْنِي حِمَامًا وَشَيْدًا
 تَرَكَتْهُ جَاذِرُ النَّصْرِ صَبًا مُسْتَهَامًا عَلَى الصَّعِيدِ تَرِيكًا
 يَجْعَلُ الْخَدَّ مَائِلًا فَوْقَ تَرْبٍ وَهُوَ لَا يَرْضَى الْحَرِيرَ أَرِيكًا
 هَاكَ أَيْحَسُنُ النَّذْلُ لِلْحُرِّ إِذَا كَانَ فِي الْهَوَى مَمْلُوكًا

وله - رحمه الله! - أشعار كثيرة في الرّاضيين الفائزين عليه، لا يُجاريه فيها حدّ. وقد تقدّم منها ما يستدلّ به على فضله. ولما دنت وفاته، عتب نفسه فيما تقدّم منه عتباباً، وتاب الى الله متاباً، ورجع الى الطريقة السُّلّية، وقال: إن الآخرة هي الأبقى¹ والأولى؛ فترين بالتفوى، واعنصم بالعروة الوثقى؛ وأقرّ بذنوبه واعترف، وأنس الى موله تعالى إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سَفَّ². وكان من عباد الله المتّقين، الى أن أتاه من ربه اليقين. فتوفّي - رحمه الله! - سنة ٢٠٦.

خِلافة عبد الرّحمن بن المحكم بن هشام

كُنْيَتُهُ: أَبُو الْمَطْرَفِ. أُمُّهُ: تُسَمَّى حَلَاوَةَ. مَوْلِدُهُ: سنة ٧٦. حَاجِبُهُ: عبد الكرم بن عبد الواحد. وَرَرَاؤُهُ: تسعة؛ رِزْقُ كُلِّ وَاحِدٍ ثَلَاثُمِائَةِ دِينَارٍ. كُتَابُهُ: ثلاثة: عبد الكرم المذكور، وسُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ، وَعَبْسِيُّ بْنُ شُهَيْدٍ. قُضَاؤُهُ: أحد عشر؛ منهم: بجبي بن معمر، وقبلة مسرور بن محمد بن بشير، ثم سعيد ابن محمد بن بشير، ثم بجبي المتقدم الذكر، وغير هؤلاء؛ وإِنَّمَا كَثُرَ الْقُضَاؤُ فِي آيَاتِهِ لِأَنَّ الْمَشَاوِرَ فِي عَزْلِهِمْ وَوَلَايَتِهِمْ بِجَبِي بْنِ بَجْبِي اللَّيْثِيِّ؛ فَكَانَ لَا يُوَلِّي رَجُلًا إِلَّا بِرَأْيِهِ؛ فَكَانَ بِجَبِي بْنُ بَجْبِي؛ إِذَا أَنْكَرَ مِنَ الْفَاضِي شَيْئًا، قَالَ لَهُ: «اسْتَعْفْ وَإِلَّا رَفَعْتُ بِعِزْلِكَ!» فَكَانَ يَسْتَعْفِي أَوْ يُشِيرُ بِجَبِي بِعِزْلِهِ، فَيُعْزَلُ.

1) Manque dans A.

2) Cor., VIII, 38.

نَقَشُ خَاتَمِهِ: «عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِقِضَاءِ اللَّهِ رَاضِي». وَكَانَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ خَاتَمٌ بِاسْمِهِ؛ فَتَلَفَ؛ وَأَمَرَ بِطَلْبِهِ، فَلَمْ يَوْجَدْ؛ فَأَعَادَ نَقَشَ خَاتَمَ جَدِّهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، بَعْدَ أَنْ خَرَجَ نَصْرُ الْفَتْحِيِّ مِنْ عِنْدِ الْأَمِيرِ هَذَا بِالْخَاتَمِ لِلنَّقْشِ، وَبَعَثَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّيْبِ السَّاعِرَ، وَقَالَ لَهُ: «إِنَّ الْأَمِيرَ أَمَرَ بِنَقْشِ هَذَا الْخَاتَمِ؛ فَقُلْ مَا يُنْقَشُ فِيهِ!» فَقَالَ [رَمَلٌ]:

خَاتَمٌ لِلْمُلْكِ أَضْحَى حُكْمُهُ فِي النَّاسِ مَاضِي
عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِيهِ بِقِضَاءِ اللَّهِ رَاضِي

فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ الْأَمِيرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَأَمَرَ بِنَقْشِهَا فِي الْخَاتَمِ. صِنْتُهُ: طَوِيلٌ، أَسْمَرٌ، أَفْنَى، أُعْيِنَ، أَكْحَجَلٌ، عَظِيمُ اللَّحْيَةِ يَخْضِبُ بِالْحِجَاءِ وَالكَثْمِ. بُوِيَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ يَوْمَ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لثَلَاثَ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ٢٠٦، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ. وَنَوَقِيَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ لثَلَاثَ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ٢٢٨. عُمُرُهُ: اثْنَانِ وَسِتُّونَ سَنَةً. خَلَاْفَتُهُ: أَحَدِي وَثَلَاثُونَ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَسِتَّةَ أَيَّامٍ. بَنُوهُ الذَّكَوْرُ: خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ، وَبَنَاتُهُ: اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ.

وَفِي سَنَةِ ٢٠٧، نَارَتْ بِتُدْمِيرِ فِتْنَةٍ بَيْنَ مُضَرَ وَسَمَنَ، وَدَامَتْ سَبْعَ سِنِينَ؛ فَأَغْزَى الْيَهُودِيُّ الْأَمِيرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي هَذَا الْعَامِ بِجَبِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ؛ ثُمَّ كَانَ يَبْعَثُ الْيَهُودِيَّ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ بِالْقُوَادِ؛ فَيَفْتَرِقُونَ؛ فَإِذَا قَتَلُوا، عَادُوا إِلَى الْفِتْنَةِ. وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ جَبِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَقَبِيْعَةٌ تُعْرَفُ بِوَقْعَةِ * الْبُصَاْرَةِ P. ١٢ بَلُوْرَقَةٍ، انْتَهَى مَلْعُ الْفِتْنَى فِيهِمْ إِلَى ثَلَاثَةِ آلَافٍ. وَفِيهَا كَانَ بِالْأَنْدَلُسِ جَوْعٌ شَدِيدٌ، مَاتَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ.

وَفِي سَنَةِ ٢٠٨، كَانَتْ الْغَزَاةُ الْمَعْرُوفَةُ بِغَزَاةِ الْبَيْتِ وَالْفِلَاحِ، غَزَاهَا عَبْدُ الْكَرِيمِ ابْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بِالصَّائِفَةِ، وَاحْتَلَّ بِالثَغْرِ؛ وَتَوَافَتْ عَلَيْهِ عَسَاكِرُ الْإِسْلَامِ، وَاخْتَلَفُوا فِي الدَّخُولِ عَلَى أَيِّ بَابٍ يَكُونُ إِلَى دَارِ الشَّرْكِ؛ ثُمَّ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَكُونَ

من باب ألبّة، إذ كان ذلك الباب أنكى للعدوّ وأحسم لدائه؛ فافتحوا من فجّ يُقال له جرّيني؛ وكان وراءه بسيط للعدوّ، فيه خزائنه وذخّره. فوقع أهل العسكر على تلك البساط، فاستصنّوها، وعلى ذخرك الخزائن، فانتهبوها؛ واستوعبوا خراب كل ما مرّوا عليه من العمران والنُرى، وأقنروها. وانصرف المسلمون غامين ظافرين. والحمد لله!

وفي سنة ٢٠٩، توفى عبد الكريم بن عبد الواحد؛ وكان قد أخذ في الحركة إلى أرض العدو؛ فاعتلّ. وعوّض منه الأمير عبد الرحمن بن الحكم أمية ابن معاوية بن هشام. فغزا بالصائفة إلى أوريط؛ فاحتلّ بها، وهي يومئذٍ للإسلام؛ فأخذ أهل الذنوب والريب، وعفا عن الباقيين؛ ثمّ تقدّم إلى شنت برية وتدمير. وكان أبو السماخ رئيسُ اليمانية يقوم بدعوة الأميين¹ على المضريّة. وكانت بينهم وقعة بمُرسية كوقعة يوم المُصارة بأورقة، فني فيها من المسلمين أنم. وكان انبعاث هذه الفتنة وسببها بين المضريّة واليمانية على ورقة دالية أخذها مضريّ من جنان يمانيّ؛ فقتله اليماني؛ فكان ذلك سبب الحروب التي دارت بين الفريقين؛ وأصلت أعواماً؛ وكانت الدوائر تدور أكثرها على اليمانية والنّتلى منهم، وذلك أحد عجائب الدهر.

وفي سنة ٢١٠، أمر الأمير عبد الرحمن ببنيان الجامع بمدينة جيان. وفيها، P. ٨٥ كتب إلى عامل تدمير أن يتزل بمُرسية ويتخذها موطناً؛ فكانت حينئذٍ موضع نزولهم وموضع فرارهم؛ وأمر بهدم مدينة أله من تدمير، ومنها نارت الفتنة أولاً وفيها، افتتح فرج بن مسرة² في أرض العدو حصن القلعة؛ وكان مسرة² عامل جيان.

وفي سنة ٢١١، نارت طوريل بتأكرنا؛ فأخرج إليه الأمير عبد الرحمن معاوية ابن غانم في حشد؛ فظفر به، وقطع عاديته.

1) الأميين B. 2) ميسرة B.

وفي سنة ٢١٢، غزا عبيد الله بن عبد الله البَلَنْسِيُّ بالصائفة الى دار الحرب؛ فجال في أرض العدو حتى بلغ بَرَشَاوَةَ، وتردد في تدوينها وانتسافها ستين يوماً.

وفي سنة ٢١٢، انقطعت الفتنة بتدبير، واستنزل أبو السماخ وغيره من القلاع، وانقطعت عاديهم؛ وصار أبو السماخ من ولاة الأمير عبد الرحمن ومن ثقاته.

وفي سنة ٢١٤، ثار الضَّرَابُ بَطَلِبُطَّةَ؛ واسمه هاشم؛ وسُمِّيَ الضَّرَابُ لِأَنَّهُ لما أحرق الحَكَمُ طَلِبُطَّةَ، وأنزل أهلها منها الى السَّهْلِ، أخذ رهائهم. فدخل حينئذٍ هاشم الضَّرَابُ قُرُطْبَةَ، وصار يضرب بالمِعْوَلِ في الحدادين أجيراً؛ فعرف بالضَّرَابِ. ثم خرج من قُرُطْبَةَ الى طَلِبُطَّةَ؛ فاستدعى أهل الشرِّ والفساد، وأبهم؛ فتألب اليه منهم نفرٌ؛ فخرجوا يغربون على العَرَبِ والبَرَبِ. وتسامع أهل الشرِّ به؛ فقطعوا اليه، حتى اجتمع له منهم جمعٌ عظيمٌ وخلقٌ كثيرٌ؛ فعلا ذكره، وانتشر صيته. وأوقع بالبَرَبِ بَشَنَّتَ بَرِيَّةَ، ودارت له عليهم دوائرٌ. فأخرج الأمير عبد الرحمن اليه محمد بن رُسْتَمٍ^١، وأمره بحربه؛ فحاربه في هذه السنة.

وفي سنة ٢١٦، توافقت الجنود لمحمد بن رُسْتَمٍ عامل الثغر؛ فناهض هاشماً الضَّرَابِ. وكان قد تغلب على جانب الثغر. وكان عبد الرحمن قد استنصر محمداً ابن رُسْتَمٍ في حقه، وكتب اليه يعينه؛ فنفذ ابن رُسْتَمٍ، والتقى مع * هاشم الضَّرَابِ؛ P. ٨٦ ف وقعت بينهم حربٌ شديدةٌ أياماً؛ ثم انهزم هاشم، وقُتل هو ومن كان معه؛ وكانوا آلافاً.

وفي سنة ٢١٧، حوصرت ماردة وضيق عليها، حتى فرَّ عنها خلقٌ كثيرٌ، وقُتل منهم كثيرٌ.

وفي سنة ٢١٨، كان الكسوف العظيم، الذي توارت معه الشمس، وبدأ

1) A. et B. وسيم: de même plus loin.

الإظلام؛ وكان ذلك قبل زوال الشمس، في أواخر رمضان. وفيها، استوزر الأمير عبد الرحمن ابن شهيد واستجبه. وفيها، قامت الزيادة في المسجد الجامع بفُرطبة من الأرجل التي بين السواري الى القبلة.

وفي سنة ٢١٩، غزا بالصائفة أمية بن الحَكَم الى طَلَبُطَّة وحاصرها؛ ثم قتل العسكر بعد أن أنف زروعهم وقطع ثارهم. وأبقى بقلعة رباح ميسرة التي لحاصرة طَلَبُطَّة؛ فخرج جمع عظيم من طَلَبُطَّة يريدون قلعة رباح؛ فبلغه خبرهم؛ فجمع الجموع، وكمن الكائن. فلما قربوا منها، وفرقوا¹ خيلهم في الغارة، خرجت عليهم الكائن؛ فقتلوا، وحزرت رؤوسهم؛ فجمعت بين يدي ميسرة؛ واجتمع منها جمعة عظيمة. فلما رأى ذلك، ارباع وداخله الندم؛ فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً حتى مات ندماً وأسفاً.

وفي سنة ٢٢٠، غزا الأمير عبد الرحمن؛ فجعل صدر وجهته على طَلَبُطَّة، وولى أبا السماخ قلعة رباح، وأبقى عنده خيلاً كثيفة ورجلاً كثيرة لمناهضة طَلَبُطَّة، ونفدّم هو الى كور الغرب. وكان سليمان بن مرثين قد تحبل عليه بجبي الماردى؛ فأخرجه من ماردة؛ فكان في قنن الجبال حيناً؛ فحلّ عليه الأمير في هذه الغزاة، وحاصره حتى ضاق سليمان بن مرثين في الحصن؛ فخرج ليلاً؛ فبينما هو يمشى، إذ وافق صخرة ملساء على وجه الأرض؛ فزلق به الفرس؛ فسقط، ومات. ووجه رجل؛ فأحتر رأسه، وأدعى قتله؛ ثم عرف أمره. P. ٨٧

وفي سنة ٢٢١، افتتحت طَلَبُطَّة. وكان السيب في ذلك أن ابن مهاجر خرج عنها، ونزع الى قلعة رباح، واستدعى القواد؛ فخرجوا اليه. فنهض بهم الى أبواب المدينة، وقطع عنهم مرافقهم. فكان ذلك أقوى الأسباب في افتتاحها. وكان عبد الواحد الإسكندراني بعثه الأمير اليهم؛ فوجدهم قد بلغ بهم الجهد.

١) وفرقوا.

ثمَّ أُطْلِعَ عَلَيْهِمُ الْأَمِيرُ؛ فَافْتَتَحَهَا فَهْرًا، وَدَخَلَهَا عَلَى حُكْمِهِ، وَأَمَرَ بِتَجْدِيدِ الْفَصْرِ
الَّذِي كَانَ بِنَاءَ عَمْرُوسَ فِي أَيَّامِ الْحَكْمِ عَلَى بَابِ الْحِمْزِ. وَقِيلَ إِنَّ الَّذِي افْتَتَحَ
طَبَقَةَ الْوَلِيدِ بْنِ الْحَكْمِ، وَجَّهَهُ إِلَيْهَا أَخُوهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ.

وَفِي سَنَةِ ٢٢٢، افْتَتَحَهَا عِنْدَ، وَدَخَلَهَا فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ
عَلَى حُكْمِهِ.

وَفِي سَنَةِ ٢٢٣، أَغْرَى الْأَمِيرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكْمِ أَخَاهُ الْوَلِيدَ بْنِ الْحَكْمِ
إِلَى جَبَلِيَّةٍ؛ فَدَخَلَ مِنْ بَابِ الْغَرْبِ مَعَ قَطِيعٍ مِنَ الْعَسْكَرِ؛ فَدَوَّخَهَا. وَكَانَتْ
لَهُ فِتْوَاحٌ كَثِيرَةٌ.

وَفِي سَنَةِ ٢٢٤، أَغْرَى الْإِمَامُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنَهُ الْحَكْمَ إِلَى دَارِ الْحَرْبِ،
وَأَمَرَ بِالنَّجْوَلِ فِي جِهَاتِ الثَّغُورِ، لِيَتَعَرَّفَ أَخْبَارَهَا وَمَصَالِحَهَا. وَأَمَرَ بِإِصْلَاحِ
قَنْظَرَةَ سَرَقُطَةَ. وَدَخَلَ الْحَكْمُ بِالصَّائِفَةِ إِلَى دَارِ الْحَرْبِ؛ فَدَوَّخَهَا. وَقَتَلَ مِنَ
الْمَشْرِكِينَ مَا لَا يُحْصَى. وَاجْتَمَعَ مِنْ رُؤُوسِهِمْ أَكْدَسُ كَالْجِبَالِ، حَتَّى كَانَ الْفَارِسُ
يَقِفُ مِنْ نَاحِيَةٍ؛ فَلَا يَرَى صَاحِبَهُ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى مِنْ عِظَمِهَا.
وَفِيهَا، كَانَتْ رُجُومٌ بِالنُّجُومِ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ؛ وَسَائِرُ الْكَوَاكِبِ مِنْ
قِبَلَتِهَا إِلَى جَوْفٍ، وَمِنْ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ، بِجَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ.

وَفِي سَنَةِ ٢٢٥ غَزَا الْإِمَامُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِنَفْسِهِ أَرْضَ جَبَلِيَّةٍ. فَفَتَحَ
حَصُونَهَا، وَجَالَ فِي أَرْضِهَا. وَطَالَتْ غَزَاؤُهُ، وَتَعَبَ كَثِيرًا؛ فَأَرِقَ فِي بَعْضِ
الليالي؛ فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ، حَضَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الشَّيْبَانِيِّ الشَّاعِرُ؛ فَوَصَفَ
لَهُ أَرْقَهُ، وَأَنَّهُ * تَذَكَّرَ بَعْضَ مَنْ حَنَّ إِلَيْهِ؛ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الشَّيْبَانِيِّ P. ٨٨
[مَتَّارِب]:

عَدَائِي عَنكَ مَزَارُ الْعِدَى وَقَوْدِي إِلَيْهِمْ لُهَاماً مَهِيَباً
وَكَمْ قَدْ تَعَفَّتْ مِنْ سَبَبٍ وَجَاوَزَتْ بَعْدَ دُرُوبِ دُرُوباً⁽¹⁾
وَأَدْرِعُ النَّفْعَ حَتَّى لَيْسَتْ مِنْ بَعْدِ نَضْرَةٍ وَجَهِي شُحُوباً
أَلَا قِي بَوَجْهِي سُومَ الْهَجِيرِ وَقَدْ كَادَ مِنْهُ الْخَصَى أَنْ يَذُوباً
أَنَا ابْنُ الْهَشَامِيِّنَ مِنْ غَالِبٍ أَشْبُ حُرُوباً وَأَطْفِي حُرُوباً⁽²⁾
وَبِي أَدْرَكَ اللَّهُ دِينَ الْهُدَى فَأَحْيَيْتُهُ وَأَضْلَمْتُ الصَّلِيْبَا
سَوَّوْتُ إِلَى الشِّرْكِ فِي جَحْفَلٍ مَلَأْتُ الْحُزُونَ بِهِ وَالسُّهُوبَا

وفي سنة ٢٢٦، غزاً بالصانعة إلى جابقية من بلاد العدو، مطرف بن عبد
الرحمن؛ فتوسط بسبطهم، وذهب بنعمتهم؛ وكان القائد عبد الواحد بن يزيد
الإسكندراني.

وفي سنة ٢٢٧، خرج، عميد الله بن عبد الله صاحب الصوائف؛ فلما
حصل بين أربونة وسرطانية، تجالبت الأعداء من كل ناحية، وأحاطوا بالعسكر
ليلاً؛ فقاتلهم المسلمون الليل كله؛ فلما انبلج الضوء، أيد الله المسلمين، وهزم
الأعداء.

وفي سنة ٢٢٨، خرج الأمير عبد الرحمن بنفسه إلى أرض العدو، وخالف
في النصر ولد المنذر، وجعل على ميمته ولد محمداً وعلى البيصرة ولد المطرف.
فلقى جيشاً كبيراً من المشركين؛ فناشبههم الحرب؛ فأنزل الله نصره على المسلمين،
وهزموا المشركين، وأثخنوا فيهم القتل. وأفاء الله على المسلمين من ذراري أهل
P. ٨٩ • بنبلونة وخیلهم وأساحتهم ما عظم به من الله سبحانه المن. وقفل غزيراً في
منتصف شوال. وكان خروجه من قرطبة لتسع بقين من شعبان.

1) ولاقيت بعد دُوب دُوباً B. 2) كروبا A.

وفي سنة ٢٢٩، خرج الأمير عبد الرحمن لمحاورة موسى بن موسى بنطيلة؛ فدوّخ بلاده، ثمّ صالحه. ثمّ تقدّم الى بنبلونة؛ فكانت له بها وقعة عظيمة على المشركين، فني فيها أعداء الله؛ وكان معهم موسى بن موسى؛ فباله ورجاله ما نالهم.

وفيها، ورد كتاب وهب الله بن حزم عامل الأشبونة، يذكر أنه حلّ بالساحل قبلة أربعة وخمسون مركباً من مراكب المَجُوس، معها أربعة وخمسون قارباً؛ فكتب اليه الأمير عبد الرحمن وإلى عمال السواحل بالتحفظ.

دخول المَجُوسِ إِشْبِيلِيَّةَ فِي سَنَةِ ٢٣٠

فخرج المَجُوسُ في نحو ثمانين مركباً، كأنها ملأت البحر طيراً جونا؛ كما ملأت القلوب شجواً وشجونا. فحلّوا بأشبونة؛ ثمّ أقبلوا الى قادس، الى شدونة؛ ثمّ قدموا على إِشْبِيلِيَّةَ؛ فاحتلّوا بها احتلالاً، ونازلوها نزالاً، الى أن دخلوها قسراً، واستأصلوا أهلها قتلاً وأسرّاً. فبقوا بها سبعة أيام، يسفون أهلها كأس الحِمَامِ. واتصل الخبر بالأمير عبد الرحمن؛ فقدم على الخليل عيسى بن شهيد الحاجب، واتصل المسلمون به اتصال العين بالحاجب. وتوجه بال خليل عبد الله ابن كليب وان رستم¹ وغيرها من القواد واحتلّ بالشرف. وكتب الى عمال الكُور في استنفار الناس؛ فحلّوا بقرطبة، ونفر بهم نصر الفتي. وتوافقت للمَجُوسِ مراكب على مراكب، وجعلوا يقتلون الرجال، ويسبون النساء، ويأخذون الصبيان، وذلك بطول ثلاثة عشر يوماً. ذكر ذلك في «بهجة النفس». وفي كتاب «دُرر القلائد»: «سبعة أيام، كما تقدّم. وكانت بينهم وبين المسلمين ملاحم. ثمّ نهضوا الى قِبَطِيلِ؛ فأقاموا بها ثلاثة أيام، ودخلوا قُورَةَ، على اثني عشر P. ٩٠ ميلاً من إِشْبِيلِيَّةَ؛ فقتلوا من المسلمين عدداً كثيراً؛ ثمّ دخلوا الى طلياطة، على ميّين من إِشْبِيلِيَّةَ؛ فنزلوها ليلاً، وظهروا بالغداة بموضع يُعرف بالبخارين؛ ثمّ

1) A. et B. وسيم (sic) et toujours de même ensuite.

مضوا بمراكبهم، واعتزكوا مع المسلمين. فانهزم المسلمون، وقتل منهم ما لا يحصى. ثم عادوا الى مراكبهم. ثم نهضوا الى شدونة، ومنها الى قاديس، وذلك بعد أن وجه الأمير عبد الرحمن قواده؛ فدافعهم ودافعوه؛ ونصبت المجانيق عليهم، وتوافت الأمداد من قرطبة اليهم. فانهزم المَجُوس وقتل منهم نحو من خمسمائة عُلج؛ وأصيبت لهم أربعة مراكب بما فيها؛ فأمر ابن رستم بإحراقها وبيع ما فيها من النسيء. ثم كانت الوقعة عليهم بقرية طَلْبَاطَة يوم الثلاثاء لخمس بقين من صفر من السنة، قُتل فيها منهم خلقٌ كثيرٌ، وأحرق من مراكبهم ثلاثون مركباً. وعُتِقَ من المَجُوسِ بِإِشِيلِيَّةِ عددٌ كثيرٌ، وُرِّفِعَ منهم في جُدُوعِ النَّخْلِ التي كانت بها. وركب سائرهم مراكبهم، وساروا الى لبلة؛ ثم توجهوا منها الى الأشبونة؛ فانقطع خبرهم.

١) وكان احتلالهم بإشيلية يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من المحرم من سنة ١٢٢٠. وكان بين دخولهم الى إشيلية وخروج من بقي منهم وانقطاعهم اثنان وأربعون يوماً؛ فقتلهم الله وأبادهم، وبدد عددهم وأعدادهم؛ وقتل أميرهم نعمة من الله وعذاباً، وجزاء بما كسبوا وعقاباً. ولما قتل الله أميرهم، وأفضى عددهم، وفتح فيهم، خرجت الكتب الى الآفاق بخبرهم. وكتب الأمير عبد الرحمن الى من بطانة من صنهاجة، يُعلمهم بما كان من صنع الله في المَجُوسِ، وبما أنزل فيهم من النعمة والهلكة؛ وبعث اليهم برأس أميرهم وبماتتى رأس من أنجدهم. P. 91

وفي سنة ٢٢١، غزا بالصائفة جليقية محمد بن الأمير عبد الرحمن؛ فحصرها، وحصر مدينة ليون، ورمأها بالمجانيق. فلما أيقنوا بالهلاك، خرجوا ليلاً، ولجؤوا الى الجبال والغياض؛ فأحرق ما فيها، وأراد هتَمَ سورها؛ فوجد سَعَتَهُ^٢ ثمان عشرة ذراعاً؛ فتركه؛ وأمعن في بلاد الشرك فتلاً وسياً.

1-1) Manque dans B. 2) فوجده سبع أو A.

وفي سنة ٢٢٢، فحطت الأندلس فحطاً شديداً؛ وكانت فيها مجاعة عظيمة، حتى هلكت المواشي، واحترقت الكروم، وكثر الجراد.

وفي سنة ٢٢٤، أمر الأمير بتوجيه العساكر الى أهل جزيرة ميورقة، لنكايتهم، وإذلالهم، ومجاهرتهم^١ بنقضهم العهد، وإضرارهم بمن مرّ عليهم من مرّاكب المسلمين. فغزتهم ثلاثمائة مركب؛ فصنع الله للمسلمين جيلاً، وأظفرهم بهم، وفتحوا أكثر جزائرهم.

وفي سنة ٢٤ المذكورة، توفي بجي بن بجي؛ فاستراح القضاة من همه^٢.

وفي سنة ٢٢٥، ورد كتاب أهل ميورقة وميورقة الى الأمير عبد الرحمن، يذكرون ما نالهم من نكاية المسلمين لهم؛ فكتب اليهم كتاباً أذكرُ هنا فصلاً منه، وهو: أما بعد، فقد بلغنا كتابكم، تذكرون فيه أمركم، وإغارة المسلمين الذين وجهناهم اليكم لجهادكم، وإصابتهم ما أصابوه منكم من ذراريكم وأموالكم، والمبلغ الذي بلغوه منكم، وما أشنيتُم عليه من الهلاك. وسألتمُ التدارك لأمركم، وقبول الجزية منكم، وتجديد عهدكم على الملازمة للطاعة، والنصيحة للمسلمين، والكف عن مكرورهم، والوفاء بما وتحملونه عن أنفسكم. ورجونا أن يكون فيما عوقبتُم به صلاحكم، وقبوعكم عن العود الى مثل الذي كنتم عليه. وقد أعطيناكم عهداً الله وذيّمته!»

وفيها، كان سبيلٌ عظيمٌ بجزيرة الأندلس، حمل وادي شيل، وخرّب فوسين من حنايا قنطرة * إسنيجة، وخرّب الأسداد^٣ والأرجاء. وذهب السبيل P. ٩٢ بست عشرة قرية من قرى إشبيلية على النهر الأعظم. وحمل وادي تاجه؛ فأذهب ثمان عشرة قرية؛ وصار عرضه ثلاثين ميلاً.

وفي سنة ٢٢٦، نار رجل من البربر، يُقال له حبيب البرنسي، بجبال

١) A. et B. Peut-être faut-il lire مجاهدتكم. ٢) A. سه.

٣) A. et B. الداد (sic).

الجزيرة؛ وتأبش إليه جماعة من أهل الشر والفساد؛ فأخرج إليه عبد الرحمن الأجداد. فلما وصلوا إليه، ألقوا البربر قد قصدوا حبيباً ومن تأبش إليه؛ فتغلبوا على المعقل الذي كان انصوى إليه، وأخرجوه عنه، وقتلوا عدة كثيرة من أصحابه. وافترق بقتلهم عنه، ودخل حبيب في غمار الناس. فكذب الأمير عبد الرحمن إلى عمال الكور بالبحث عنه.

وفي سنة ٢٢٧، قام رجل من المعلين بشرق الأندلس؛ فادعى النبوة، وبأول القرآن على غير تأويله؛ فأتبعه جماعة من الغوغاء، وقام معه خلق كثير. وكان من بعض شرائعه النهي عن قص الشعر وتقليم الأظفار، ويقول: «لا تغيير لخلق الله!» فبعث إليه يحيى بن خالد؛ فأتى به. فلما دخل عليه، كان أول ما خاطبه به أن دعاه إلى اتباعه والأخذ بما شرع؛ فشاوَرَ فيه أهل العلم؛ فأشاروا بأن يُستتاب فإن تاب، وإلا قُتل. فقال: «كيف أتوب من الحق الصحيح!» فأمر بصلبه. فلما رُفع في الخشبة، قال: «أنتقلون رجلاً أن يقول: ربي الله!» فصلى، وكتب إلى الأمير بخبره.

وفي سنة ٢٢٨، توفى الأمير عبد الرحمن بن الحكم - رحمه الله! - ليلة الخميس لثلاث خَوْنٍ من ربيع الآخر من السنة. وما زال يقنن المائت، وسنى المكارة والمناخر، حتى قبضته شعوب، وزداه مُردى القبائل والشعوب.

ذكر بعض أخبار علي الجهملة وسيره

لما ولي الأمير عبد الرحمن، بعث في إخوته وأهله ووزرائه؛ فبايعوه، وبايعته العامة. ثم صلى على أبيه الحكم. فلما قضى صلاته وواراه، جلس بالأرض منطاطماً، ليس تحته وطاء، وجلس من كان معه. ثم افتتح القول؛ فقال: «الحمد لله، الذي جعل الموت حتماً من فضائه، وعزماً من أمره، وأجرى الأمور على مشيئته؛ فاستأثر بالملكوت والبقاء، وأذل خلفه بالفناء؛ تبارك

اسمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ⁽¹⁾ | وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا! وَكَانَ مُصَانِنًا
بِالْإِمَامِ - رَحِمَهُ اللهُ! - مِمَّا جَاءَتْ بِهِ الْمُصِيبَةُ، وَعَظُمَتْ بِهِ الرِّزْيَةُ؛ فَعِنْدَ اللهِ
نَحْتَسِبُهُ، وَإِيَّاهُ نَسْأَلُ إِلهَامَ الصَّبْرِ، وَإِلَيْهِ نَرْغَبُ فِي كَمَالِ الْأَجْرِ وَالذَّخْرِ! وَعَهْدَ
الْبِنَا فِيكُمْ بِمَا فِيهِ صَلَاحٌ أَحْوَالِكُمْ وَاسْتِنَا مِمَّنْ يَخَالِفُ عَهْدَهُ، بَلْ لَكُمْ لَدَيْنَا الْمَزِيدُ
إِنْ شَاءَ اللهُ! « ثُمَّ قَامَ عَنْهُمْ، وَخَرَجَتْ لَهُمُ الْأَمْوَالُ وَالْكَسَى عَلَى قَدَرِ أَقْدَارِهِمْ.
وَكَانَ شَاعِرًا، أَدِيبًا، ذَا هِمَّةٍ عَالِيَةٍ. وَكَانَتْ لَهُ غَزَوَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَفَتْوحَاتٌ
فِي دَارِ الْعَدُوِّ شَهِيرَةٌ، يَخْرُجُ إِلَيْهَا فِي الْعَدَدِ الْجَمِّ، وَالْعَسْكَرِ الضَّخْمِ، يَخْرِبُ
دِيَارَهُمْ، وَيُعَفِّي أُنْثَاهُمْ، وَيَقْتُلُ ظَاهِرَ الْاِعْتِلَاءِ، قَاهِرَ الْاِعْدَاءِ. لَمْ يَلْتَقِ الْمُسْلِمُونَ
مَعَهُ بِوَسْءٍ، وَلَمْ يَرَوْا فِي مَدَّتِهِ يَوْمًا عَيُوسًا. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَرَى عَلَى سَنَنِ الْخُلَفَاءِ
فِي الزِينَةِ وَالشَّكْلِ، وَتَرْتِيبِ الْخِدْمَةِ. وَكَسَى الْخِلَافَةَ أُجْبَهَةَ الْجَلَالَةِ؛ فَشَيَّدَ الْقُصُورَ،
وَجَلَبَ إِلَيْهَا الْمِيَاهَ، وَبَنَى الرَّصِيفَ،⁽²⁾ وَعَمِلَ عَلَيْهِ السَّقَائِفَ؛ وَبَنَى الْمَسَاجِدَ
الْجَوَامِعَ بِالْأَنْدَلُسِ؛ وَعَمِلَ السَّقَايَةَ عَلَى الرَّصِيفِ⁽²⁾، وَأَحْدَثَ الطَّرُزَ، وَاسْتَنْبَطَ
عَمَلَهَا؛ وَاتَّخَذَ السِّكَّةَ بَقَرْطَبَةٍ. وَفُخِمَ مُلْكُهُ. وَفِي أَيَّامِهِ دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ نَفِيسُ
الْوِطَاءِ وَغَرَائِبُ الْأَشْيَاءِ؛ وَسَبَقَ ذَلِكَ إِلَيْهِ مِنْ بَغْدَادَ وَغَيْرِهَا. وَعِنْدَمَا قُتِلَ
مُحَمَّدُ الْأَمِينُ، ابْنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ، وَانْتَهَبَ مُلْكُهُ، سَبَقَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ كُلُّ نَفِيسٍ
غَرِيبٍ مِنْ جَوْهَرٍ وَمَتَاعٍ. وَفُصِدَ بِالْعِقْدِ الْمَعْرُوفِ بِعِقْدِ الشِّفَاءِ⁽³⁾؛ وَكَانَ لَزِيذَةً
أُمِّ جَعْفَرٍ.

* وَمِنْ مَآثِرِهِ أَنَّهُ كَانَ وَرَدَ عَلَيْهِ يَوْمًا أَمْوَالٌ مِنْ بِلَادِهِ، لِعَطِيَّاتِ أَجْنَادِهِ؛ وَ
فَادْخَلَتْ إِلَيْهِ، وَجُعِلَتْ الْخَرَائِطُ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَكَانَ بَعَثَ فِتْيَانَهُ؛ فَخَلَا مَجْلِسُهُ إِذْ
ذَاكَ، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ هُنَاكَ، حَاشِيَ فِتْيَانِ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاقِفًا، وَعَلَى خِدْمَتِهِ الْخَاصَّةِ
عَاكِفًا؛ فَغَشِيَتْ الْأَمِيرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ نَعْسَةٌ، ظَنَّتْهَا الْفِتْيَةُ مُمَهَّزَةً وَخُاسَةً؛ فَخَبِضَ عَلَى
خَرِيطةٍ مِنْ ذَلِكَ الْمَالِ، وَأَسْدَلَ عَلَيْهَا كُمَّهَ اسْبَغَ إِسْدَالَ، وَالْأَمِيرُ يَلَاحِظُهُ
بِطَرْفِ خَفِيِّ، وَيَصْهَمُ عَنْهُ صَهْمَ بَرٍّ حَفِيِّ؛ فَفَازَ الْفِتْيَةُ بِمَالِهِ، وَنَاطَ بِهِ أَسْبَابَ

1) Allusion à Cor. LXXII, 3. 2-2) Manque dans B. 3) A. et B. الشبا (sic).

أما. وما رجع النسيان. أمرهم الأمير عبد الرحمن برفع تلك الخرائط المبسوطة؛
فوجدوا نصن تلك الخريطة؛ فتدفعوا فيها بذلك. كل بقول لصاحبه:
« أنت أخدمت من هناك! » فقال له الأمير: « اسكنوا عن هذا! فقد أخذها من
لا يردها. وعاء من لا ينوها! » فكان هذا مما عر من كرمه وفضله.

وكانت له جارية تسمى عروب. كان بها دينا؛ فصلت عنه يوماً، وأندت
هجره. فأرسل فيها؛ فامتنعت عليه. وأغفلت على ليلها بيتاً. فأمر ببيان الباب
والخريطة مملوءة من الدرهم. استرشاه لها. واستعصفاً لوضيعة. وما فتحت الباب،
فأضحت الخرائط من كل جانب؛ فأخذت. فأضحت فيها نحو من عشرين نقداً؛
وأمرها. عند قبيلته عشرة آلاف دينار؛ فعمل بعض من حضر من وزيره يعظم
الأمر عليه؛ فذل له الأمير عبد الرحمن: « إن لاسه أسس منه خسر ورفع
فسراً؛ وثمن رقي من هذا لخصماء منظرها. ورصف في أسس جوهره. ففند
أمره من خفة جوهر بعض الأعيان. وبذهب الأسس. وهو على وجه
الأسس من رزاجه. وشريف جوهره أقر العين. وجميع برهن. من وجره كل
منه إلى ابنه الحسن؛ ووضعه. وألقى عليه نكاحاً بهجته: « ثم قال بعد منه من
شهر شاعر وكب حصر: « هل يحضرك شيء لا في معنى؟ » وأند [أصول]:

تفترق حصىه بوقيت وأخسر
عن نعل عن س الشمس والسر
من فداوت فند. كما في حفة
وم لك شيت فته لدا سري
فد ربه من صلفه لخر جوهر

وأضحت الأمير الأيت وعرب. طرف شديد. وأند الأمير مر جلاً [عوس]:
فرضت. أن شهر على الشقر
وجل عن الأوهام وندهن والنيكر
لنا شافهنة الأذن ذي سحرها
في النسب إنداء فجول عن ليحسر
فقر عين من منعة بكر
كما فوق الرؤس المنعم بالزهر
نظامتهما منها على الجيد والنعير
فلس سر الرحمن من كل ما سر
نرى بورذ فوق التسمين بخدها
فتو نبي مسكت قبي وناظري

ثم أمر لابن الشَّير ببدرة فيها خمسمائة دينار؛ فخرج مع الوصيف يحملها له تحت إبطه. فلما تَوَارَى عن الأمير، قال له الوصيف: «أين لذات العبر، يا ابن الشَّير؟» فقال: «تحت إبطك يا سيدي!»

ودخل عليه الغزال الشاعر يوماً؛ فقال الأمير [كامل]:

جاء الغزالُ بحُسْنِهِ وَجَمَالِهِ

فقال له الوزير: أجزء. ما بدأ به الأمير! فقال الغزال [كامل]:

قَالَ الْأَمِيرُ مُدَاعِباً بِمَقَالِهِ جَاءَ الْغَزَالُ بِحُسْنِهِ وَجَمَالِهِ
أَيْنَ الْجَمَالُ مِنْ أَمْرِي؟ أَرَبِي عَلَى مُتَعَدِّ السَّبْعِينَ مِنْ أَحْوَالِهِ
• وَقَلَّ الْجَمَالُ لَهُ الْجَمَالُ مِنْ أَمْرِي •
وَأَعَادَهُ مِنْ بَعْدِ جِدَّتِهِ بَلِي وَأَحَالَ رَوْنَقَ وَجْهِهِ عَنْ حَالِهِ
وهي طويلة.

ومن قول الإمام عبد الرحمن - رحمه الله! - يَصِفُ حَالِ الْمَعْرُوفِ.
فَأَبْدَعَ [طويل]:

أَرَى الْمَرْءَ بَعْدَ الْعَزْلِ يَرْجِعُ عَقْلُهُ وَقَدْ كَانَ فِي سُلْطَانِهِ لَيْسَ يَعْقِلُ
فَتَلْفِيهِ جَهَمَ الْوَجْهِ مَا كَانَ وَالْيَا وَيَسْأَلُ عَنْهُ ذَلِكَ سَاعَةَ يُعْزَلُ
وكتب إليه بعضُ عماله يسأله عملاً رفيعاً ليس من شاكلته؛ فوقع له في أسفل كتابه: «مَنْ لَمْ يُصَبَّ وَجْهَهُ مَطْلَبِهِ، كَانَ الْحِرْمَانُ أَوْلَى بِهِ!» ومثل هذا كثير مما يدل على فضله.

خِلاَفَةُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ

كُنِيَّتُهُ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ. أُمُّهُ: بَيْهَيْرٌ. مَوْلِدُهُ: فِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ٢٠٧.
وَزَرَاؤُهُ وَقُوَادُهُ: اثْنَا عَشَرَ حُجَّابُهُ: اثْنَانِ، ابْنُ شُهَيْدٍ وَابْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ. كُتَابُهُ:

1) Hémistiche de lecture douteuse dans A. et B.

ثلاثة، عبد الملك بن أمية، وحامد بن محمد الزجالي، وموسى بن ابان. قضائه: أحمد بن زياد، ثم عمرو بن عبد الله المعروف بالقبعة، ثم سليمان بن أسود الغافقي. نقش خاتمه: بالله يثق محمد وبه يعتصم. صفته: أبيض، مشرب بحمرة: ربعة، أوقص، وافر اللحية يُخضب بالحناء والكتم. بنوه: ثلاثة وثلاثون. بناته: إحدى وعشرون. بويج يوم الخميس لأربع خلون لربيع الآخر سنة ٢٢٨، وهو ابن ثلاثين سنة وخمسة أشهر. وتوفي يوم الخميس لليلة بقيت من شهر صفر سنة ٢٧٢. عمره: خمس وستون سنة وأربعة أشهر. وكانت خلافته أربعاً وثلاثين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً.

وفي سنة ولايته، نار عليه أهل طليطلة، وحبسوا العارل عندهم، حتى أُطلقت رهائنهم من قرطبة، وحينئذ أطلقوه. P. ٩٧

وفي سنة ٢٢٩، خرج الحكم ابن الأمير عبد الرحمن إلى طليطلة بالصائفة. وكانت قلعة رباح قد أُفترت، خوفاً من أهل طليطلة. فاحتلها الحكم، وأمر بنيان سورها، واسترجاع من فر من أهلها إليها.

وفيها أخرج الأمير محمد إلى شدلة قاسم بن العباس وتمام بن أبي العطف صاحب الخيل، ومعهما الحشم. فلما حلاً بأندوجر، خرجت عليهم كائن أهل طليطلة، ووقعت الحرب، وكثر القتل؛ فانهزم قاسم وتمام، وأصيب ما في العسكر. وفي ذلك يقول صفوان بن العباس أخو قاسم المذكور [رمل]:

ضَرَطَ الفَاسِمُ يَوْمًا ضَرَطَ في القَرْمِيطِ
مَاتَ مِنْهَا كُلُّ حُوتٍ كَانَ في البَحْرِ المَحِيطِ

وكانت هذه الواقعة في شوال.

وفي سنة ٢٤٠، خرج الأمير محمد بنفسه إلى طليطلة في المحرم. فلما اتصل بأهلها ذلك، أرسلوا إلى أردن بن إذفونش صاحب جليقية، يعلمونه بحركته

ويستمدون به. فبعث اليهم أخاه غُثُون¹ في جمع عظيم من النصارى. فلما اتصل ذلك بالأمير محمد، وقد كان قاربَ طَلَيْطَلَة، أعمل الحيلة والكَيْد، واستشعر الحزم؛ فعياً الجيوش، وكمن الكائن باحية وادي سَلِيط؛ ثم نصب الرُدُود، وطلع في أوائل العسكر في قَلَّةٍ من العَدَد. فلما رأى ذلك أهل طَلَيْطَلَة، أعلموا العَلَج بما عابوه من قَلَّةِ المسلمين؛ فتحرَّك العَلَجُ فرحاً، وقد طمع في الظفر والغنيمة وانتهاز الفرصة. فلما التقى الجمعان، خرجت الكائن عن بين وشمال، وتوارت الخيلُ أرسالاً على أرسال، حتى غَشِيَ الأعداء منهم ظَلَلٌ كالجبال؛ فانهزم المشركون وأهل طَلَيْطَلَة، وأخذتهم السلاح، هَذَا بالسبوف، وطعنوا بالرماح؛ فقتل الله عامتهم، وأباد جماعتهم. وحيز من *رووسهم مما كان في المعركة وحواليها ثمانية P. ٩٥
الآف رأس، وجبعت ورصعت؛ فصار منها جبلٌ علاه المسلمون، يكبرون ويهللون ويحمدون ربهم ويشكرون. وبعث الأمير محمد بأكثرها إلى قُرْطَبَة، وإلى سواحل البحر، وإلى العدو. وانتهى عَدَدُ من فُقد منهم في هذه الواقعة إلى عشرين ألفاً. وكانت في شهر محرم من السنة.

وفي سنة ٢٤١، شن الأمير محمد قلعة رباح وطلَيْبيرة بالحشم. ورب فيها الفُرسان؛ وترك فيها عاملاً حارث بن بزيع. وفيها، جدد الأمير محمد طُرُز² الجامع بقُرْطَبَة وأنفن نُفوشه. وفيها، حشد الأمير محمد، ودخل إلى آلبَة وإفلاخ، وبلغ إلى أقصاها، وافتتح كثيراً من حصون المشركين.

وفي سنة ٢٤٢، كتب الأمير محمد إلى موسى بن موسى بجشد الثغور والدخول إلى بَرِشْلُونَة؛ فغزا إليها، واحتلَّ بها، وافتتح في هذه الغزاة حصن طَرَاجَة³، وهي من آخر أحوار بَرِشْلُونَة؛ ومن خمس ذلك الحصن زيدت

1) B. غُثُون (Gaston).

2) Sic dans A. et B. Peut-être faut-il lire طُرَر.

3) A. طراحة; B. طراخة.

الزوائد في المسجد الجامع بسرقسطة؛ وكان الذي أسسه ونصب مجرأه حنّص الصنعاني - رضه - وهو من التابعين.

وفيها وجه الأمير محمد ابنه المنذر بالجيوش الى طليطلة؛ فحاصرها، وأقام عليها ينسف معاشها.

وفي سنة ٢٤٢، كانت وقعة عظيمة في أهل طليطلة، وذلك أنهم خرجوا الى طليطلة؛ فخرج اليهم فائدها مسعود بن عبد الله العريف، بعد أن كمن لهم الكائن؛ فقتلهم قتلاً ذريعاً، وبعث الى قرطبة بسبعائة رأس من رؤوس أكابرهم.

وفي سنة ٢٤٤، خرج الأمير محمد بنفسه الى طليطلة، وعددهم قد قل، وحدهم قد قل، بتواتر الوقائع عليهم، ونزول المصائب بهم؛ فلم تكن لهم حرب إلا بالفتنة. ثم أمر الأمير بنقطع الفتنة، وجمع العرفاء من البنائين والمهندسين، وأداروا الحيلة من حيث لا يشعروا أهل طليطلة. ثم نزلوا¹ عنها؛ فبينما هم مجتمعون بها، إذ اندقت بهم، وتهدمت نواحيها، وانكسرت بين كان عليها من الحماة والكهاة؛ فغرقوا في النهر عن آخرهم؛ فكان ذلك من أعظم صنع الله فيهم.

وفي سنة ٢٤٠، دعا أهل طليطلة الى الأمان؛ فعقد الأمير لهم؛ وهو الأمان الأول.

وفيها، خرج المجرس أيضاً الى ساحل البحر بالغرب، في اثني وستين مركباً؛ فوجدوا البحر محروساً، ومراكب المسلمين معدة، تجرى من حائط إفرنجية الى حائط جليقية في الغرب الأقصى. فتقدم مركبان من مراكب المجرس؛ فتلاقت بهم المراكب المعدة؛ فوافقوا هذين المركبين في بعض كور باجة؛ فأخذوها بما كان فيهما من الذهب والنضة والسبي والعدة. ومرت سائر مراكب المجرس في الريف حتى انتهت الى مصب نهر إشبيلية في البحر؛ فأخرج الأمير الجيوش، ونفر الناس من كل أوب؛ وكان فائدهم عيسى بن الحسن الحاجب.

١) أخذتوني: B. ajoute: ٢) تولوا: Peut-être: A. نزلوا ١)

وتقدّمت المراكب من مصب نهر إشبيلية حتى حلّت بالجزيرة الخضراء؛ فتغلبوا عليها، وأحرقوا المسجد الجامع بها؛ ثمّ جازوا إلى العُدوة؛ فاستباحوا أربابها؛ ثمّ عادوا إلى ريف الأندلس، وتوافوا بساحل نُدْمِير؛ ثمّ اتّهبوا إلى حصن أوربولة؛ ثمّ تقدّموا إلى إفرتجة؛ فشتوا بها، وأصابوا بها الذراري والأموال، وتغلبوا بها على مدينة سكوها، فهي منسوبة إليهم إلى اليوم، حتى انصرفوا إلى ريف بحر الأندلس، وقد ذهب من مراكبهم أكثر من أربعين مركباً. ولقبهم مراكب الأمير محمد؛ فأصابوا منها مركبتين بريف شدونة، فيها الأموال العظيمة. ومضت بقية مراكب الجوس.

وفي سنة ٢٤٦، أغزى الأمير محمد بن عبد الرحمن إلى أرض بنسלוته أحد قواده؛ فخرج في هذه الغزوة خروجا لم يخرج قبّله مثله جمعا وكثرة، وبكّل عدّة، وظهور هبة. وكان غزوية إذ ذاك منظاراً مع أردون * صاحب ١٠٠. جليقية؛ فأقام هذا القائد يدوخ أرض بنسلوته، متردداً فيها اثنين وثلاثين يوماً، بحرب المنازل، وينسف الثمار، ويفتح القرى والحصون. وافتتح في الحملة حصن قشيل، وأخذ فيه قرنون بن غزوية المعروف بالأنقر، وقدم به إلى قرطبة؛ فأقام بها محموساً نحواً من عشرين سنة؛ ثمّ رده الأمير إلى بلده، وعمر قرنون مائة وست وعشرون سنة.

وفي سنة ٢٤٧، قال الرازي: غزا محمد بن السيم أرض الحرب، وعامل الثغر إذ ذاك عبد الله بن يحيى. وكان كتب موسى بن موسى يذكر ما ناله ونال أهل بلده في إداختهم أرض الجليقيين، وما وصل إليهم من النصب، وسأل أن يكون دخول العسكر على غير ناحيته؛ فأسعف في ذلك، ودغلت العساكر على غير بلده.

وفي سنة ٢٤٨، تقدّم موسى بن موسى لمقاتلة ابن سالم في وادي الحجارة؛ فنالته جراح منعتة الركوب بعدها؛ وكانت سبباً لهلاكه؛ فتوفى في هذه السنة.

وفي سنة ٢٤٩، خرج عبد الرحمن ابن الأمير محمد إلى حصون ألبنة والفلاح؛ وكان القائد عبد الملك بن العباس؛ فافتتحها، وقتل الرجال، وهدم البيان؛ وانتقل في بساطها من موضع إلى موضع بحطم الزروع، ويقطع الثمار. وأخرج أردون بن إذفوش أخاه إلى مضيق النج ليقطع بالمسلمين، ويتعرضهم فيه؛ فتقدم عبد الملك؛ فقاتلهم على المضيق، حتى هزمهم وقتلهم وبدددم؛ ثم وافتهم بقية العساكر. وأظلمت الخيل من كل الجهات؛ فصير أعداء الله صبراً عظيماً؛ ثم انهزموا. ومنح الله المسلمين أكتافهم؛ فقتلوا قتلاً ذريعاً؛ وقتل لهم تسعة عشر قوماً من كبار قوادهم.

وفي سنة ٢٥٠، كملت مقصورة المسجد الجامع بقرطبة؛ وبني فيها الأمير محمد بيانا كثيراً في الفصر الكبير والشمخ الخارجة عنه. ولم تكن في هذه السنة صائفة، استغنى* بالغزوة المتقدمة، وأرجح العسكر فيها. P. 101

وفي سنة ٢٥١، كانت غزوة ألبنة والفلاح أيضاً (هزيمة المرغونيز - أخزاه الله ١١١-)؛ خرج إلى هذه الغزاة عبد الرحمن بن محمد، وتقدم حتى حل على نهر دوبر. وتوالت عليه العساكر من كل ناحية، فرتبها. ثم تقدم؛ فاحتل بفتح بردش^١؛ وكانت عليه أربعة حصون؛ فغلب العسكر عليها، وغنم المسلمون جميع ما فيها وخرّبوها؛ ثم انتقل من موضع إلى موضع، لا يمر بمسكن إلا خرّبه، ولا موضع إلا حرّقه، حتى اتصل ذلك في جميع بلادهم. ولم يبق لردريق صاحب الفلاح، ولا لردمير^٢ صاحب توفة، ولا لغندشلب صاحب برجية، ولا لغومس صاحب مسانقة، حصن من حصونهم إلا وعمه الخراب. ثم قصد الملاحه، وكانت من أجل أعمال ردريق؛ فحطم ما حوالها وعنا آثارها. ثم تقدم يوم الخروج على فتح المرغونيز؛ فصد العسكر عنه، وتقدم ردريق بحشوده وعسكره؛ فحل على الخندق المجاور للمرغونيز. وكان ردريق قد عانى

1) Sic dans A. et B.

2) A et B. برديش.

3) Manque dans A.

تَوَعِيرَهُ أَعْوَاماً، وَسَخَّرَ فِيهِ أَهْلَ مَمْلَكَتِهِ، وَقَطَعَهُ مِنْ جَانِبِ الْهَضْبَةِ؛ فَارْتَفَعَ جُرْفُهُ، وَانْفَطَعَ مَسْلُكُهُ؛ فَتَزَلَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٌ عَلَى وَادِي إِبْرَةَ بِالْعَسْكَرِ، وَعَبَّأَ الْفَائِدَ عَبْدَ الْمَلِكِ لِقِتَالِهِ؛ وَعَبَّأَ الْمُشْرِكُونَ، وَجَعَلُوا الْكَمَائِنَ عَلَى مِيقَاتِ الدَّرْبِ وَمِيسَرَتِهِ. وَنَاهَضَ الْمُسْلِمُونَ جَمُوعَ الْمُشْرِكِينَ بِصُدُورِهِمْ؛ فَوَقَعَ بَيْنَهُمْ جَلَادٌ شَدِيدٌ. وَصَدَّقَ الْمُسْلِمُونَ الْفِتَاءَ؛ فَانْكَشَفَ الْأَعْدَاءُ عَنِ الْخَنْدَقِ، وَانْحَازُوا إِلَى هَضْبَةٍ كَانَتْ تَلِيهِ. ثُمَّ نَزَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٌ، وَنَصَبَ فُسْطَاطَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالنُّزُولِ وَضَرْبِ أَسْبَاتِهِمْ؛ فَأَقَامَتِ الْحَلَّةُ. ثُمَّ نَهَضَ الْمُسْلِمُونَ إِلَيْهِمْ؛ فَصَدَقُوهُمْ الْقِتَالَ، وَضَرَبَ اللَّهُ فِي وُجُوهِ الْمُشْرِكِينَ، وَمَنْحَ ١٠٢ P. ١٠٢ الْمُسْلِمِينَ أَكْتَانَهُمْ؛ فَفُتِلُوا أَبْرَحَ قَتْلًا؛ وَأُسِرَ مِنْهُمْ جَمُوعٌ. وَاسْتَمَرُّوا فِي الْهَزِيمَةِ إِلَى نَاحِيَةِ الْأَهْزُونِ، وَاقْتَحَمُوا نَهْرَ إِبْرَةَ بِالْإِضْطِرَارِ فِي غَيْرِ مَخَاضَةٍ؛ فَمَاتَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ غَرَفًا. وَكَانَ الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ فِيهِمْ مِنْ ضَحَى يَوْمِ الْخَمِيسِ لَانْتِثَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ رَجَبٍ إِلَى وَقْتِ الظُّهْرِ. وَسَلَّمَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ وَانصَرَّهُمْ عَلَى الْمُشْرِكِينَ. وَكَانَ فِدْلًا مِنْهُمْ إِلَى الْوَعْرِ وَالْغِيَاضِ، عِنْدَمَا أَخَذَتْهُمُ السِّيُوفُ، جَمُوعٌ؛ فَتَسَبَّعُوا وَقْتَلُوا؛ ثُمَّ هُنِكَ الْخَنْدَقُ وَسُوَّى حَتَّى سَهَّلَ، وَسَلَكَهُ الْمُسْلِمُونَ غَيْرَ خَائِفِينَ وَلَا مُضْغَطِينَ. وَأَعْظَمَ اللَّهُ الْبَيْتَةَ لِلْمُسْلِمِينَ بِالصُّنْعِ الْجَمِيلِ، وَالْفَتْحِ الْجَلِيلِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَكَانَ مَبْلَغُ مَا حِيزَ مِنْ رُؤُوسِ الْأَعْدَاءِ فِي تِلْكَ الْوَقِيعَةِ عَشْرِينَ أَلْفَ رَأْسٍ وَأَرْبَعِينَ رَأْسًا وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ رَأْسًا.

وَفِي سَنَةِ ٢٥٢، خَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٌ غَازِيًا إِلَى آلِيَةِ وَالْفَلَاحِ؛ فَحَارَبَ أَهْلَهَا، وَأَفْسَدَ زُرُوعَهَا، وَغَادَرَهَا هَشِيمًا. وَكَانَ أَهْلُ هَذَا الْجَانِبِ فِي ضَعْفٍ وَوَهْنٍ شَدِيدٍ أَجَاهَهُ إِلَى الْمَنْعِ مِنَ التَّجْمَعِ وَالْإِحْتِشَادِ، لِإِمَّا نَاهُمْ فِي الْعَامِ الْفَارِطِ مِنَ النَّهْبِ وَالْقَتْلِ الدَّرِيعِ.

وَفِي سَنَةِ ٢٥٢، خَرَجَ الْحَكَمُ ابْنُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٌ غَازِيًا إِلَى جَرَيْنِيْقِ؛ فَجَالَ فِي أَرْضِ الْأَعْدَاءِ، وَحَلَّ عَلَى حِصْنِ جَرَيْنِيْقِ، وَحَاصَرَهُ حَتَّى فَتَحَهُ عُنُوقًا.

وفيها كانت بالاندلس مجاعة عظيمة متوالية.

وفي سنة ٢٥٤، خرج الأمير محمد إلى ماردة، وأظهر أن استعداده لطأبطله. وكان بماردة قوم من المستنزين. فلما فصل من قرطبة، وتقدم بالمحلات إلى طريق طلبطلة، نكب إلى ماردة؛ فاحتل بهم، وهم في أمن وعلى غفلة. فتحصنوا في المدينة أياماً. ثم ناهض القنطرة؛ فوقع القتال، واشتد الحرب حتى غلبوا عليها؛ فأمر الأمير بتخريب رجل منها؛ فكان ذلك سبباً لإذعان أهل ماردة؛ فطاعوا على أن يخرج فرسانهم، وهم يومئذ عبد الرحمن بن مروان، وابن شاكر، ومكحول، وغير هؤلاء؛ وكانوا أهل بأس ونجدة وسالة مشهورة. فخرج المذكورون ومن هو مثلهم إلى قرطبة بعيالهم وذراتهم. وولى عليها سعيد ابن عماس القرشي، وأمر بهدم سورها؛ ولم يبق إلا قصبتها لمن يرد من العمال.

وفي سنة ٢٥٥، خرج الحكم ابن الأمير محمد، وقصد مدينة سرتة. وكان قد تغلب بها سليمان بن عبدوس، وخالف فيها؛ فبادرته الصائفة، وحلت به العساكر، وأحذقت بالمدينة، ورُميت بالمجانيق، حتى هُتكت أسوارها. فقام أهلها على سليمان بن عبدوس؛ فطاع، ونزل؛ فقدم به قرطبة؛ فسكنها.

وفي سنة ٢٥٦، غدر عمرو بن عامر وشقة وملكها، وظهرت عاديته في الثغر؛ فأخرج الأمير إليه فطيعاً من الحشم والعدة، وقصد بها لاردة ابن مجاهد المعروف بالندميري؛ فلزمها. وحشد عبد الوهاب بن مغيث الحشود، وقدم عليهم عبد الأعلى العريف، وبعثه إلى وشقة. فلما بلغ عمرو بن خبزه، خرج عن وشقة، وأسر بها لب بن زكرياء بن عمرو بن وكان أحد قتل عامر السلطان بها موسى بن غلند^١؛ فقتل لب وعاق من السور.

١) A. et B. غلند.

وفي سنة ٢٥٧، خرج الى الثغر عبد الغافر بن عبد العزيز؛ وكان نطيطة. فقبض على زكرياء بن عمروس وعلى اولاده وجماعة من أهل بيته، وجرل بهم على باب مدينة سرقسطة، وقتلهم بها. وقفل الى قرطبة بالرووس.

وفي سنة ٢٥٨، كانت في الثغر ثورات وحركات، منها أن مطرفاً وإسماعيل ابني لب، ويونس بن زباط غدروا بعبد الوهاب بن مغيث، عامل نطيطة، وابنه محمد عامل سرقسطة. فتنقبضوا عليهما، وملكوا في هذا العام الثغر. وكان توفي مطرف في صفر، ودخل إسماعيل سرقسطة في ربيع الأول.

وفي سنة ٢٥٩، خرج الأمير محمد بن نفسه الى الثغر، وحل في وجهته بطباطة، ١٠٤. وأخذ رهائهم، وعقد أمانهم، وقاطعهم على قطع من العشور يودونه في كل عام، وهو الأمان الثاني. واختلفت أهواؤهم في عمالمهم؛ فطلب قوم منهم تولية مطرف بن عبد الرحمن، وطلب آخرون تولية طريشة^١؛ فولى كل واحد منهما جانباً، ونفسها المدينة وأقاليمها على حدود مفهومة معلومة؛ ثم تنازعا، وأراد كل واحد منهما الانفراد بملك طباطة. ثم غالب الداعون الى تقديم طريشة^١ ابن ماسوية، وتأخير مطرف المذكور. وكان الأمير محمد تلقاه في وجهته هذه، في الارتحال والاحتلال، طلائع الظفر، وبادر الترح والناصر. ونحوّل في الثغر محاصراً لبني موسى، ومضيقاً عليهم. ثم تقدم الى بسبلونة؛ فوطى أرضها، وأذل أهلها، وخرّبها؛ ثم قفل؛ فحل بقرطبة، ومعه جماعة من الثوار الناكثين المفسدين. فلما أخذ راحته، أمر بقتل مطرف بن موسى وبنيه، وأمر بإطلاق كاسيم، وكان لا ذنب له. فلما أخرج مطرف وبنوه القتل، وأخرج كاسيم للإطلاق، وكان يعرف بالأصبحي، قال: «لا خير في العيش بعد هؤلاء!» فقدم القتل قبائلهم، ورفعت رؤوسهم.

١) A. et B. طريشة.

وفي سنة ٢٦٠، خرج المنذر بن الأمير محمد إلى سرقسطة وبنبلونة؛ وكان القائد هاشم بن عبد العزيز. فاحتل سرقسطة، وانهب زروعها، وأذهب ثمارها وأشجارها، ونقل أطعمتها إلى وشقة، ونفد إلى بنبلونة؛ فجال في أرضها، وأتلف معاش أهلها.

وفيها، كانت المجاعة التي عمّت الأندلس؛ ومات فيها أكثر الخلق.

وفي سنة ٢٦١، هرب ابن مروان الحارثي من قرطبة مع رجال ماردة المنزليين^١ منها، واستقروا بقلعة الحنش. فغزاه الأمير محمد، وحاصره حصاراً قطعته وضيق عليه مدة من ثلاثة أشهر، ألجأه فيها إلى أكل الدواب؛ وقطع عنه الماء، ورماه * بالجانيق، حتى أذعن، وطلب الأمان، وشكى ثقل الظهر وضيق الحال؛ فأباح له الأمير محمد الرحيل إلى بطليوس والحلول بها؛ وهي يومئذ قرية؛ فخرج إليها، وقفل عنه.

وفي سنة ٢٦٢، خرج المنذر بن الأمير محمد إلى ابن مروان؛ وكان القائد هاشم بن عبد العزيز؛ وهو الذي كان سبب هروب ابن مروان، لأنه قال له من بين الوزراء: «الكأب خير منك!» وأمر بصنع فناه، واستبلغ في خزيه؛ فهرب مع أصحابه، وذلك في خبر طويل. وكان ابن مروان قد ابني بطليوس حصناً، وجعله موطناً، وأدخل فيه أهل ماردة وغيرهم من أهل المكافئة له على الشر. فلما انتهى إلى ابن مروان تحرك العسكر إليه، تنقل عن بطليوس، وحل بحصن كركي^٢؛ واجتمع أهل ماردة إليه فيه؛ فترك العسكر بمقرية من الحصن. وكان هاشم قد بعث إلى منبث شلوط خيلاً ورجلاً لضبطه. وكان سعدون الرماري^٣ قد دخل^٤ إلى بلاد الشرك مستهدداً؛ فجاه^٤ بمدد من المشركين، وأظهر أنه في قلعة؛ فكتب بذلك^٥ عامل حصن منبث شلوط إلى

1) B. المنزليين. 2) A. et B. كركر. 3) B. الرماري.

4-4) Lacune dans A. 5) B. وهرب.

هاشم؛ فرأى هاشم أن ذلك فرصة في سعدون؛ فبادر بالخروج من العسكر على غير تعبئة ولا أهبة، في خيل قليلة. وأحص هاشم، وجاوز الوعر، وأبعد عن العسكر؛ فأخذت المضايق عليه، وناشوه القتال؛ فأخذته جراح، وقُتل من أصحابه جماعة؛ وأسر هاشم المذكور. ولما اتصل خير هاشم بالأمير محمد، وقع في جانبه، وقال: «هذا أمر جناه على نفسه بطيشه وعجلته!» ثم ردّ ولدك عوضاً منه. وحصل هاشم أسيراً بيد ابن مروان الذي صفعه في أسره في قرطبة؛ فبرّه ابن مروان، وأكرمه، وأحسن إليه، ولم يعاقبه بما فعل معه.

وفي سنة ٢٦٢، خرج المنذر بن الأمير محمد، وجعل طريقه على ماردة. فلما انتهى ذلك إلى ابن مروان، زال عن بطليوس؛ واحتل بها قائد المنذر P. ١٠٦ الوليد بن غانم؛ فحرب ديارها. وتقدم ابن مروان إلى بلاد العدو.

وفي سنة ٢٦٤، حارب المنذر سرقسطة، وأفسد ما ألفى من زروعها؛ ثم تقدم إلى تطيلة والنواضع التي صار فيها بنو موسى؛ فانتسفها، وأجال العسكر عليها.

وفيها، دخل البراء بن مالك من باب قلسيرية إلى جليقية بحشود الغرب، وتردد هناك حتى أذهب نعيمهم. وفيها، انطلق هاشم من الأسر.

وفي سنة ٢٦٥، ظهرت الفتنة وظهر الشر في جانب كورة رية والجزيرة وتاكرنا؛ وظهر بجبي المعروف بالجزيري؛ فغزاه هاشم؛ فأذعن له، وقدم به إلى قرطبة.

وفي سنة ٢٦٦، خرج عبد الله بن الأمير محمد إلى كورة رية ونواحي الجزيرة، وبني حصوناً في تلك النواحي؛ ثم قتل. وفيها، أمر الأمير محمد بإنشاء المدايك بقرطبة ليتوجه بها إلى البحر

المحيط عبد الحميد الرُعَيْبِيُّ¹ المعروف بابن مُغِيث؛ وكان قد رفع اليه رافع
أَنَّ جَلِيْفِيَّةً من ناحية البحر المحيط لا سُورَ لها، وأنَّ أهلها لا يمتنعون من
جيش إن غَشِيَهُم من تلك الناحية. فلما كملت المراكب بالإنشاء، قُدِّمَ عبد
الحميد بن مُغِيث عليها. فلما دخل البحر، تقطعت المراكب كلها وتفرقت،
ولم يجتمع بعضها الى بعض. ونجا ابن مُغِيث.

وفي سنة ٢٦٧، التاثت الحصون المتناة بِرِيَّة وناكرنا وجهه الجزيرة.
وفيها، ابتدا شرُّ اللَّعين² عمر بن حفصون، الذي أعبى الخلفاء أمره، وطالت
في الدنيا فنتته، وعظم شره؛ فقام في هذه السنة على الأمير محمد بناحية رِيَّة.
فنتدم اليه عامر بن عامر؛ فانهزم عامر وأسلم قبته؛ فأخذها ابن حفصون، وهو
أول رواق ضرته؛ فاستكن اليه أهل الشر. وعزل الأمير عامراً عن كورة رِيَّة،
ولأها عبد العزيز بن عباس؛ فهادته ابن حفصون، وسكنت الحال بينهما.
ثم عزل عبد العزيز، ونحرك ابن حفصون، وعاد الى ما كان عليه من الشر.
وخرج هاشم بن عبد العزيز الى كورة رِيَّة يطلب كل من كشف وجهه في
الفتنة وأظهر الخلاف، وأخذ رهائن أهل ناكرنا على إعطاء الطاعة.

ومن العجائب في هذا العام، ما ذكره الرازي وغيره. قال³: زلزلت الأرض
بقرطبة زلزلاً شديداً، وهاجت ريحٌ عند صلاة المغرب؛ فأنارت سحاباً فيه
ظلمات ورعد وبرق؛ فصعق سنة نفر، وانقلبو على ظهورهم، مات إثنان؛
وخرَّ جميع الناس سجداً إلا الإمام، فإنه ثبت قائماً؛ وكان الرجلان اللذان ماتا
أقرب الناس الى الإمام؛ فاحترق شعر أحدهما وأسود وجهه وشفه الأبر؛
والآخر ظهر بشفه الأيمن سواداً؛ والأربعة الصرعى مكثوا حتى فرغ الإمام؛
فسئلوا عما أحسوا؛ فقالوا: «أحسنا ناراً كأنها الموج الثقبيل⁴». ووجد أهل
المسجد رائحة النار، ولم يوجد للصاعفة أثرٌ في سقف ولا حائط. واهتزت لهذا

1) B. الوعكي. 2) Manque dans A. 3) B. قالوا. 4) B. لوح ثقبيل.

الزلازل الفصور والجبال، وهرب الناس¹ الى الصّحارى، ضارعين الى الله تعالى. وعمّ هذا الزلزال من البحر الشّامى الى آخر الجوف وإلى آخر أرض الشّرك، لم يخلف في ذلك مُخْتَلِفٌ.

وفي سنة ٢٦٨، خرج المُنْدِر ابن الأمير محمّد، والقائد هاشم بن عبد العزيز؛ فقصد الثّغر الأقصى، وحطّم سَرَقُسطة، وافتح حصن رُوطة؛ ثمّ تقدّم الى ألبّة والفِلاع، وافتتح حصوناً كثيرة²، وأخلى حصوناً كثيرة³، خوفاً من معرّة العسكر، ونوقعاً من تغلبه.

وفيها، فسد ما بين المُنْدِر وبين الوزير هاشم بن عبد العزيز.

وفي سنة ٢٦٩، قال الرّازى: وفي سنة ٢٦٩، غزا محمّد بن أميّة بن شهيد إلى كورة ريّة وكورة إلبيرة. وكانوا بجبال توحش ونفار؛ فسكن أحوال أهلها، وهدن الناس بها، ونظرني استنزال رجال بجبال ريّة وغيرها من بنى ١٠٨ رِفاعة وغيرهم.

وفي سنة ٢٧٠، استتمّ محمّد بن أميّة بن شهيد استنزال بنى رِفاعة. وأناه في هذه الغزاة كتاب الأمير محمّد بتولية عبد العزيز بن العباس كورة إلبيرة؛ فولاه، وقفل.

وفيها، غزا هاشم كورة ريّة، واستنزل عمّر بن حفصون من جبل برّشتر وقليم به قرطبة؛ فأنزله الإمام، وأوسع له في الإكرام.

وفي سنة ٢٧١، هرب عمر بن حفصون من قرطبة، ولجأ الى جبل برّشتر؛ فانتدب الأمير محمّد الى حربه؛ وحوصر في السنة الآتية.

وفي سنة ٢٧٢، خرج عبد الله ابن الأمير محمّد، والقائد هاشم بن عبد العزيز. وقصد الغرب الى ابن مروان، وهو بجبل اشبرغزة³؛ فنازله وحاربه.

1) A. ajoute الفصور. 2-2) Manque dans B. 3) A. شرعية; B. الشبرغرة.

قال حَيَّان بن خَلْف في عُمَر بن حَفْصُون: هو كبير الثُّوَار بالأندلس ونَسَبُه: عُمَر بن حَفْص، المعروف بِحَفْصُون، بن عُمَر بن جَعْفَر بن شَتِيم بن ذُبْيَان ابن فَرَعَاوِش¹ بن إِذْفُونِش، من مَسَالِمَةِ الدِّمَّة، من كورة تَاكْرُنَا من عَمَل رُنْدَة. وكان الذي أسلم منهم جَعْفَر بن شَتِيم؛ فَنَشَا نَسْلُه في الإسلام. وكان له من الولد الذكور عُمَر وعَبْد الرَّحْمَن؛ فَوَالِدَ عُمَر بن جَعْفَر حَفْصَاً. وولد حَفْصُون هذا عُمَرُ هذا النَّائِرُ المَلْعُونُ؛ فَعُمَرُ هذا هو الذي نَارَ على الأمير مُحَمَّدٍ أَوَّلًا، ثُمَّ بَلَغَ بَعْدَ ذَلِكَ في الشَّقَاقِ وَالْفِتَنِ مَبْلَغًا لَمْ يَبْلُغْهُ نَائِرٌ بِالأندلس. واستوطن لأوَّلَ نِفَاقِهِ حِصْنَ بَرَنْشَرِ قَاعِدَةٍ وَحَضْرَةٍ، وهي أَمْنَعُ فِلاَعِ الأندلسِ فَاطِبَةَ، وذلك في هَذِهِ السَّنَةِ، وهو تَارِيخُ صَعُودِهِ الأخرِ إِلَيْهَا الذي تَوَطَّدَ لَهُ مُلْكُهُ فِيهَا، وَخَالَفَ على السُّلْطَانِ حَتَّى رَضِيَ عَنْهُ بِالمُتَارِكَةِ. وَأَتَّصَلَتْ أَيَّامُهُ في ظُهُورِ وَعِزَّةٍ حَتَّى قَدَّمَ فِيهَا ثَلَاثَةَ مِنْ خُلَفَاءِ المُرَوَانِيِّينَ أئِمَّةَ الجَمَاعَةِ بِالأندلسِ - رَحِمَهُمُ اللهُ! - أَوَّلُهُمْ هَذَا الأميرُ مُحَمَّدُ؛ وَتَخَلَّفَ بَعْدَهُمُ إلى أَنْ هَلَكَ على يَدِ الرَّابِعِ مِنْهُمْ، وهو عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ، على مَا يَأْتِي مُفَسَّرًا.

P. 106

وفي سنة ٢٧٢، خرج المُنْدَرِ بن الأمير مُحَمَّدٍ إلى كورة رِيَّة، والفائدُ مُحَمَّدُ ابن جَهْوَرٍ. فقصد مدينة الحامة، وفيها حارث بن حمدون من بني رفاعه؛ وكان مظاهراً لعمر بن حفصون، وكانا قد اجتمعا بالحامة. فإزلهما، وناهضهما، وأحرق بهم من كل ناحية؛ وأقام محاصراً لهم شهرين. فلما وصل اليهم الضيق، برزوا إلى باب المدينة خارجاً، مستقبليين للحرب. وقام بها؛ فأنته جراح، وشلت يده؛ ثم انهزم هو وأصحابه، وصاروا بين قبيل وفيل. ودخل باقهم في الحامة. فبينما المنذر في هذه الحال من السرور، إذ أتاه الخبر بموت أبيه الأمير مُحَمَّد بن عبد الرحمن، ليلة الخميس ليلة بقيت من شهر صفر من السنة؛ ودفن في القصر. وأذركه المنذر قبل مواراته وصلى عليه.

1) Vocalisé dans B.

بعض أخباره وسيره

كان الأمير محمد - رحمه الله! - فصيحاً، بليغاً، عظيم الإناة، منزهاً عن الفبيح، بوثير الحق وأهله، لا يسمع من باغٍ، ولا يلتفت إلى قول زائع. وكان عافلاً، على أخلاق حميلة ومكارم حميدة، ذا بديهة وروية، يرى كل من باشره وحدته أن له الفضل المستبين في إدراكه، وفهمه، ودقة ذهنه، واطيف فطنته، وجزالة رأيه. وكان أعلم الناس بالحساب وطرق الخدمة. وكان متى أغضل منها شيئاً، رجع إليه فيه؛ وإذا أخذ أحد من خزائنه وأهل خدمة الحساب بشيء من ذلك، لم يجز عليه بأدنى لحظة أو نظرة. ولقد استدرك على بعض خزائنه في صكٍ يشتمل على مائة ألف دينار خمس درهم؛ فرد الصك، وأمر بنصحيته؛ فجمع الخدمة والكتاب عليه؛ فلم يفعلوا على ذلك النقصان لديته وخفائه؛ فرجعوا إليه معترفين بالتقصير، وأعلموا الرسول؛ فرد الصك إليه وأعلمه باعترافهم؛ فعلم لم على موضع الخطاء؛ فإذا هو خمس درهم. P. 110

وقال هاشم بن عبد العزيز: كان الأمير محمد - رحمه الله! - أصح الناس عقلاً، وأحسنهم تمييزاً، وأبصرهم بوجه الرأي. وكان يستشيرنا؛ فنجتهد ونقول ونعصّل؛ فإن أصبنا، أمضى ذلك؛ وإن كان في الرأي خلل، قام فيه بالحجة، وأبانه بما تعجز الأوهام عنه تنفيحاً وتهذيباً.

ومما يحفظ عنه أنه قال لهاشم في شيء أنكره عليه من تدم الثبوت: «يا هاشم! من أثر السرعة أنضت به إلى الهفوة. ولو أنا أضغينا إلى محور زلأنك، وأصغنا إلى هفوانك، أكننا شركاءك في الزلّة، وقسماءك في العجلة! فهلاً عليك، ورويداً بك! فإياك إن بعجل بعجل لك!» وكان، مع شتته وأبانه، وإفياً لمواليه في أنفسهم وأعقابهم، لا يكدر عنده كادح في شيء عن أحدهم، فبسهه أو يسبهه.

ولقد رأى الكتابة عبد الملك بن عبد الله بن أمية اصطناعاً له، وعائدة

عليه ؛ فردّ عليه يوماً جواباً يقول فيه : «قد فهمنا عنك ، ولم نأت ما أتيناك
 عن جهل بك ، لكن اصطناعاً لك ، وعائدة عليك . وقد آبعنا لك الاستعانة
 بأهل البفظة من الكُتّاب . فتخيّر منهم من نثقُ به ونعتمدُ عليه . ونحن نُعينك
 على أمرك بتفقد كُتُبك والإصلاح عليك ، الى أن تركب الطريقة وتُبصر الخدمة
 إن شاء الله تعالى ! » فحمدك على الخطة اشرفها من رأى نفسه أولى بها لاستكمال
 أدواتها ؛ فطوّبَ عليها . وكان أشدّ الناس في ذلك هاشمُ بن عبد العزيز ،
 يُبّر سقّاطيه ، ويتبع هدّوايه ، ويُشنع عليه ؛ والأمير محمدُ بقطته يتغافل له .
 فلما طال عليه الصبر ، دعا هاشماً ، وقال له : «قد أكثر أهلُ خدمتنا وأكثرت
 في هذا الكُتّاب : تذكرون جهله وقدامته ، وقد ضمّنا إليه من الكُتّاب من
 يستعين به ، ويستظهر على خدمته بمكانه ؛ وإنما تقفوا بخدمتنا ، ونسلكُ بمراتبنا
 طريق من ابتدأها وأسّسها ووضع أهلها فيها . وإذا كنّا لا نُخلفُ آباءكم بكم ،
 ولا نُخلفكم بأبنائكم ، فعند من تصنع إحساننا ونربُّ أباينا ؟ أعد أبناء الفرّابين
 أو الحزّارين أو أمثالهم من المُتّهبين^(١) ؟ وأنت كنت أحقّ بالحصص على هذا ،
 وتصوب الرأي فيه ، لما يرجو من مثله في أولادك وعقبك ! » فرجع هاشم
 الى الشكر له وتقبل بك ورجله .

وكان - رحمه الله ! - مأمولاً محبوباً في جميع البلدان . وكان محمد بن أفلح
 صاحبُ باهرت لا يُقدّم ولا يؤخّر في أموره ومُعْضلاته إلا عن رأيه وأمره ؛
 وكذلك بنو مدرّار بسجلماسة . وكان قرولش^(٢) ملك إفرنجة يسترجع عقله ؛
 فيهداه وتُحفه ؛ وهو (أعنى قرولش^(٢)) الذي عمل صورة عيسى من ثلاثمائة
 رطل من ذهب خالص ، وصفها بالياقوت والزبرجد ، وجعل لها كُرسياً من ذهب
 خالص منقّص بالياقوت والزبرجد أيضاً ؛ فلما اكمل ذلك ، سجد له وأسجد له
 جميع أهل إفرنجة في ذلك التاريخ ؛ ثمّ دفعه الى صاحب كيسة الذهب برومة .

1) Manque dans A. 2) Leçon proposée (Carolus [Charles le Chauve]) à la
 place de la leçon فرذلد (Ferdinand) offerte par A. et B.

وكان الأمير محمد - رحمه الله! - مهتلاً بأمور رعيتته، مراقباً لمصالحها. ووضع عن أهل قُرطبة ضريبة المحشود والبعوث. وقال ابن حيان: كانت عدّة الفرسان المستنفرين لغزو الصائفة المجردة الى جليقية في مدة الأمير محمد مع الوالد عبد الرحمن ابنه على هذه التسمية المفصلة: من ذلك كورة البيرة: ألفان وتسعمائة؛ جيان: ألفان ومائتان؛ قبرة: ألف وثمانمائة؛ باغ: تسعمائة؛ ناكزنا: مائتان وتسعة وتسعون؛ الجزيرة: مائتان وتسعون؛ إسجة: ألف ومائتان؛ قرمونة: مائة وخمسة وثمانون؛ شدونة: ستة آلاف وسبعمائة وتسعون؛ رية: ألفان وستمائة؛ فخص الباطوط: أربعمائة؛ مؤرور: ألف وأربعمائة؛ تدمير: مائة وستة وخمسون؛ ريبنة: مائة وستة؛ قلعة رباح وأوريط: ثلاثمائة وسبعة وثمانون. قال: ونفر من أهل قُرطبة لهذه الغزوة عدد لم يوقف على قدره. وكان هذا العدد الذي غزا به بعد أن رفع الضريرة التي كانت على أهل قُرطبة وأقاليمها وغيرها من البلاد؛ وقطع عنهم المحشود التي كانوا يؤخذون بتجديدها في كل سنة للصوائف الغازية لدار الحرب، وأسقطها منهم ووكّلهم الى اختيار أنفسهم في الطواعية للجهاد من غير بعث¹⁾. فحسن موقع ذلك منهم، وتضاعف حمدهم له وشكرهم واعتباطهم بدولته.

وذكر جماعة من المؤرخين، عن بقى بن مخلد، أنه قال: ما كَلَّمْتُ أحداً من ملوك الدنيا أكمل عقلاً ولا أبلغ فضلاً من الأمير محمد. دخلت عليه يوماً في مجلس خلافته؛ فافتتح الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي صلّم؛ ثم ذكر الخلفاء خليفة خليفة؛ فحلى كل واحد منهم بتخليته، ووصفه بصيته، وذكر مآثره ومناقبه بأفصح لسان وأبلغ بيان، حتى انتهى الى نفسه؛ فسكت. وفي صدر دولته سعى بقى بن مخلد الى الأمير محمد؛ وذلك أنه لما قدم بقى بن مخلد من المشرق عن رحلته الطويلة بما جمع من العلوم الواسعة والروايات العالية والاختلافات الفقهية، أغاظ ذلك فقهاء قُرطبة أصحاب الرأي والتقليد،

1) بحث B.

الزاهدين في الحديث، الفارسين عن علوم التحقيق، المقصّرين عن التوسع في المعرفة، فحسدوه، ووضعوا فيه القول القبيح عند الأمير، حتى ألزموه الدّعة، وشنّوا¹⁾ إلى العامة. ونحطى كثيرٌ منهم برؤيته إلى الإلحاد والزندقة، وتشاهدوا عليه بغايط الشهادة، داعين إلى سنك دمه؛ وخطبوا الأمير محمداً في شأنه، يعرفونه بأمره، ويكثرون عليه بكل ما يرجون به الوصول إلى سنك دمه، ويسألونه تعجيل الحكم فيه. فاشتد خوف بقی بن مَخْدَجِدًا، واستر خوفًا على دمه، وعمِلَ على الفرار عن الأندلس إن أمكنه ذلك. فأرشد الله إلى التعق بَحْبَلِ هاشم بن عبد العزيز، وسؤاله الأخذ بيدك، وكتب إلى الأمير محمد، نُشِدَ الله في دمه، ويسأله التثبت في أمره، والجمع بينه وبين خصومه، وسارع حجته، فبأني في ذلك بما يوقه الله له. فالتقى الله في نفس هاشم الإصغاء إلى شكواه، والاعتناء بأمره؛ فشر له عن ساعده، وأوصل كتابه إلى الأمير محمد بشرح حاله؛ فعطف عليه، وأنهم الساعين به إليه؛ فأمر بتأمين بقی بن مَخْدَجِدًا، وإحضاره مع الطالبين له؛ فناظروا بين يديه؛ فأدلى بقی بحجته، وظهر على خصومه؛ واستبان الأمير محمد حقدهم إياه لتقصيرهم عن مداه. فدفعهم عنه. وبقدم إليه طائفة قدمه، ونشر عله. وأمر بإيصاله إليه في زمرة من الفقهاء، والرفع من منزلته؛ فاعتلى ذروة العلم، ولم يزل عظيم القدر عند الناس وعند الأمير محمد إلى أن مات - رحمه الله!

وفي صدر دولته. توفى عالم الأندلس عبد الملك بن حبيب، وذلك في رمضان سنة ۲۴۹. وهو عبد الملك بن سليمان بن مروان بن جيهانة بن عباس ابن مرزاس السليبي، يكنى أبا هارون؛ أولة من كورة إبييرة، ونقله الأمير محمد إلى قرطبة، بل نقله أبوه عبد الرحمن بن الحكم. وكان محمد بن عمر بن لبيبة يقول: عالم الأندلس عبد الملك بن حبيب، وعقلها بجبي بن بجبي، وقيتها عيسى بن دينار. قال ابن وضاح وغيره: لم يقدم الأندلس أحد أفقه

1) وبعضه. B.

من سَخْنُون، إِلَّا أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ هُوَ أَطْوَلُ لِسَانًا مِنْهُ، يَعْنِي ابْنَ حَبِيبٍ.
وَكَانَ ابْنُ حَبِيبٍ أَدِيبًا، نَحْوِيًّا، حَافِظًا، شَاعِرًا، مُنْصَرِّفًا فِي فُنُونِ الْعِلْمِ مِنَ
الْأَخْبَارِ وَالْأَنْسَابِ وَالْأَشْعَارِ. وَ لَهُ مُؤَلَّفَاتٌ حَسَنَاتٌ فِي الْفِقْهِ وَالْأَدَبِ وَالنَّوَارِخِ
كَثِيرَةٌ. (1) قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: بَضَاعَتُهُ فِي الْحَدِيثِ مُزْجَاةٌ (2). وَكَانَتْ عِلَّتُهُ الَّتِي مَاتَ
مِنْهَا الْحَصَى. وَتُوُفِّيَ وَسِنُهُ أَرْبَعٌ وَسِتُونَ سَنَةً. وَكُتِبَ إِلَى الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
الْحَكَمِ فِي لَيْلَةِ عَاشُورَاءَ [بَسِطُ]:

لَا تَنْسَ، لَا يَنْسَكَ الرَّحْمَنُ، عَاشُورَا وَأَذْكُرُهُ لَا زَلَّتْ فِي الْأَخْبَارِ مَذْكُورَا
مَنْ بَاتَ فِي أَيْمَلِ عَاشُورَاءَ ذَا سَعَةٍ يَكُنْ بِعَيْشَتِهِ فِي الْحَوْلِ مَحْبُورَا
فَارْغَبْ، فَدَيْتُكَ، فِيهَا فِيهِ رَغْبِنَا خَيْرُ الْوَرَى كُلِّهِمْ حَيًّا وَمَقْبُورَا

وخرج الأمير محمد بن عبد الرحمن إلى الرضافة يوماً مُتَسَرِّهَاً، ومعه هاشم
ابن عبد العزيز؛ فكان بها صدرَ نهاره على لذته؛ فلما أمسى، واختلط الظلام،
انصرف إلى القصر، وبه اخلاطٌ. فأخبر من سَمِعَهُ وهاشمٌ يقول له: «يا ابن
الخلائف! ما أطيب الدنيا لولا الموت!» فقال له الأمير: «يا ابن اللخناء!
لحنت في كلامك! وهل ملكنا هذا الملك الذي نحن فيه إلا بالموت؟
فلولا الموت، ما ملكناه أبداً!»

وكان الأمير محمد - رحمه الله! - غزاه لأهل الشرك والاختلاف. وربما
أوغل في بلاد العدو السنة الأشهر والأكثر، بحرق وينسف. وله وقعة وادي
سليط، وهي من أمهات الوقائع؛ ولم يعرف بالأندلس قبلها مثلها. وفيها يقول
عباس بن فراس، وشعره يكفيننا من صفتها؛ وهو [طويل]:

وَمُخْتَلَفِ الْأَصْوَاتِ مُؤْتَلَفِ الرَّحْفِ (2) أَلْهُومِ النَّلَا عَيْلِ الْفَنَائِلِ (3) مُلْتَفِ
إِذَا أَوْمَضَتْ فِيهِ الصَّوَارِمُ خِلْتَهَا بُرُوقاً تَرَاهِي فِي الْجَهَامِ (4) وَتَسْتَخْفِي

1-1) Manque dans A. 2) A. et B. مختلف الزحف.

3) A. القبائل. 4) B. الظلام.

كَانَ ذُرَى الْأَعْلَامِ فِي مَبْلَانِهِ
 وَإِنْ طَحَنَتْ أَرْحَاؤُهَا ۱) كَانَ فُطْبُهَا
 سَعِيٌّ خِتَامِ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٌ
 فَمِنْ أَجْلِهِ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ غُدُوَّةً
 بَكَى جَبَلًا وَادِي سَلْبِطٍ فَأَعْوَلَا
 دَعَاهُمْ صَرِيخُ الْحَيْنِ فَاجْتَمَعُوا لَهُ
 • فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بَعْضُهَا
 كَانَ مَسَاعِيرَ الْمَوَالِمِ عَلَيْهِمْ
 بِنَفْسِي سَنَانِينَ الْوَعْيِ حِينَ صَمَّتَ ۳)
 بِقَوْلِ ابْنِ بُولَيْشٍ ۴) لِيُوسَى وَقَدْ وَتَى ۵):
 قَتَلْنَا لَهُمُ الْفَأَ وَالْفَأَ وَمِثْلَهَا
 سِوَى مَنْ طَوَّاهُ النَّهْرُ فِي مُسَاجِيهِ

قال أبو عمر السالمتي: كانت أول غزوانه إلى بلد العدو، وقد حشد لها
 وجند، وصوب كيف شاء وصعد. أتى العدو وقد ضاق بخيله النضاه الواسع،
 والمكان الدني والشاسع، وهو متأهب لبقائه! متوجهة إلى تلقائه. فخامر الأمير
 محمداً الخزع، وشانه الروع والنزع. وظن أن لا منجاة من الكفار، وأن المسلمين
 هناك طعن الشفار؛ فرأى من الحزم الأوكد، والنظر الأحميد الأرشد، الرجوع
 عن تلك الحركة. لقوله تعالى: وَلَا تُسْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۶)؛ فقام رجل؛
 فقال: «أبها الأمير! قال الله سارك ونعالي: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ
 قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَخَاشَوْهُمْ إِلَّا آتَاهُ ۷). فقال له الأمير محمد: «والله! ما جئنت ۸)
 نفسي، إلا أنه لا رأى لمن لا يطاع، واستُ استطيع أن أجاهد وحدي!» فقال
 له العتي: «والله! ما أراه قذف بها على لسانه إلا ملك! فاستخبر الله في ليلك

1) B. أركانها. 2) A. B. حلى. 3) A. جمعت. 4) B. برليس. 5) B. نشا.

6) Cor., II, 191. 7) Cor., III, 167-168. 8) A. حذرت.

هذا وفي يومك!» فأراه الله في مُقابلة العدو الرّشاد، وألهمه التوفيق والسداد. فندب الناس الى لقاء أعداء الله وأنصر دينه، وأن يكون كل على حسن ظنه من الظفر ويقيه. فلما انعقدت راياتهم، وتأكدت على المفارعة نياتهم. قدّم عليهم الأمير محمد ابنه المُنذر، إذ كان مشهوراً بالبأس، محبوباً في الناس. فسار المسلمون الى أن التقى الجمعان، والتفت الفريقان؛ فأعقب الله لأوليائه P. 116 ظفراً ونصراً، وجعل بعد عُسْرٍ يُسرّاً. قال: ولم يوذن مؤذِنُ الظُّهرِ إلا ومن رؤوس الأعداء جملة آلافٍ مقطوعة لأعداء الله؛ وذلك من فضل الله. وفي هذا الفتح يقول العُتبيُّ، بمدح الأمير محمداً في قصيد طويل أذكر هنا بعضه، وهو [كامل]:

سَائِلٌ عَنِ الثَّغْرِ الصَّوَارِمِ تَصْدُقِ	وَاسْتَنْطِقِ الشُّرَّ الْعَوَالِي تَنْطِقِ
تَرَكَتْ وَقَائِعَ فِي الثُّغُورِ وَقَدْ غَدَّتْ	مَثَلًا بِكُلِّ مُغْرَبٍ وَمُشْرِقِ
وَأَدَاخَ أَرْضِ الْمُشْرِكِينَ بِوَقْعَةٍ	تَرَكَتَهُمْ مِثْلَ الْأَشْيَاءِ الْمُحْرَقِ
جَادَتْ عَلَيْهِمْ حَرْبُهُ بِصَوَاعِقِ	تَرَكَتَهُمْ مِثْلَ الرَّمَادِ الْأَزْرَقِ

خِلاَفَةُ الْمَنْذِرِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ

كُنْيَتُهُ: أَبُو الْحَكَمِ. مَوْلِدُهُ: سَنَةَ ٢٢٩. أُمُّهُ: تُسَمَّى أُنْثَى^١، وَلَدَتْهُ لِسَبْعَةِ أَشْهُرٍ. وَزُرَّاءُوه: أَحَدُ عَشَرَ. كُتَّابُهُ: اثْنَانُ: سَعِيدُ بْنُ مَبِشَّرٍ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ شُهَيْدٍ. حَاجِبُهُ: عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ شُهَيْدٍ. قَوَّادُهُ: سَبْعَةٌ. قَاضِيهِ: أَبُو مُعَاوِيَةَ عَامِرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ اللَّخْمِيُّ. نَفْسُ خَاتَمِهِ: الْمُنْذِرُ بِفِضَاءِ اللَّهِ رَاضٍ. صِفَتُهُ: أَسْمَرٌ، جَعْدُ الشَّعْرِ، بِوَجْهِهِ أَثَرُ جُدْرِيٍّ، يُخِضَّبُ بِالْحِنَاءِ وَالكَتَمِ. أَوْلَادُهُ الذَّكَورُ: خَمْسَةٌ، وَالْإِنَاثُ: ثَمَانٌ. يُوْبَعُ يَوْمَ الْأَحَدِ لثَمَانِ خَلْوَانَ مِنْ رِبْعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ ٢٧٣، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَسَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا؛ وَتُوُفِّيَ فِي

١) أ. أيل.

غزاة له على برّيشتر يوم السبت لئنصف من صفر سنة ۲۷۵. عمره: ستة وأربعون سنة. خلافته: ستان إلا سبعة عشر يوماً. ودفن بنصر قرطبة، وصلى عليه أخوه عبد الله، جدّ الناصر.

وأصل به موت أبيه، وهو على حصن الحامة يُقابل المرند اللعين عمر ابن حفصون؛ فقتل الى قرطبة. ونسبت له البيعة في اليوم الثاني من وصوله؛ ففرق العطاء في الجند، ونحّب الى أهل قرطبة والرعايا بأن أسقط عنهم عشر العام وما يلزمهم من جميع المقرم.

P. 117

وكانت أكثر حصون ربة قد حصلت في طوع ابن حفصون؛ فبعث اليها الإمام المنذر الأجناد؛ فانصرفت الى الطاعة.

ولما بلغ ابن حفصون موت الأمير محمد، وانصرف عنه المنذر على ما تقدم، نهض من فوره؛ فراسل الحصون التي بينه وبين الساحل كلها؛ فأجابه وطاعت له. ونهض الى باعه وجبل شبية؛ فأخذ من الأموال ما لا يوصف، كل ذلك منه بلا قوة، ولا كثرة من مال، ولا عدد؛ ولكنه كان عذاباً من الله ونقمة انتقم بها من عبده. وانفق له زمان هرج وقلب فاسية فاسدة ونفوس خبيثة، متطلعة الى الشر، مشرّبة الى الفتنة. فلما ثار، وجد من الناس انقيادا وقبولاً للمشاكلة والموافقة؛ فتألبت له الدنيا، ودخل الى الناس من جهة الألفة، وقال: «طال ما عنف عليكم السلطان، وانتزع أموالكم، وحملمكم فوق طافتكم، وأذنتكم العرب، واستعبدتكم؛ وإنما أريد أن أقوم بشاركم، وأخرجكم من عبوديتكم!» فكان ابن حفصون لا يُورد هذا على أحد إلا أجابه وشكره. فكانت طاعة أهل الحصون بهذا الوجه. وكان أتباعه شطار الناس وشرارهم. فكان بينهم بفتح البلاد، وغنائم الأموال. وكان مع ذلك منجيباً لأصحابه، متواضعاً للألفة. وكان، مع شره وفسفه، شديد الغيرة، حافظاً للحرمة؛ فكان ذلك مما يُبيل النفوس اليه. ولقد كانت المرأة في أيامه تجرى بالمال والمتاع من بلد الى بلد منفردة، لا يعترضها أحد من خلق الله. وكانت عقوبته السيف، يُصدق المرأة

والرجل والصبي أو من • كان على من كان، لا يطلب على ذلك شاهداً أكثر P. 11A من الشكوى. وكان يأخذ الحق من ابنه، ويبرئ الرجال، ويكرم الشجعان؛ وإذا قدر عليهم، عفا عنهم. وكان يسورهم بأسورة الذهب إذا اختصلوا. فكانت هذه الأشياء كلها عوناً له. وانتهى ابن حنصون بعبادته¹ إلى قبرة وما أمامها إلى قرية الجالية، وأغار على الفبديق من البيرة، وعلى أحواز جبان، وأسر عبد الله ابن سماعة عامل باغه.

وكان اجتمع إلى حصن آشر من حوز رية وبقرية من قبرة جمع الشر من أصحاب ابن حنصون. فراع أهل قبرة أمرهم وهأبؤهم. واتصل بالأمير المنذر خبرهم؛ فأرسل أصبع بن فطيس في خيل كثيفة إلى حصن آشر؛ فحاصرهم حتى افتتحه، وقتل من كان فيه. وأخرج الأمير المنذر عبد الله بن محمد بن نصر وأبدون² الفتى بجبل إلى ناحية لجانة من قبرة؛ وكان بها مسلحة لابن حنصون؛ فنازلوهم وقتلوهم حتى أفنؤهم.

قال الرازي: وفي سنة ولاية الإمام المنذر، غزا محمد بن لب إلى ألبه والفلاح ومعه جموع المسلمين؛ ففتح الله للمسلمين، وقتلوا المشركين قتلاً ذريعاً. وفي هذه السنة، أعني سنة ٢٧٢، في جمادى الأولى، أمر الأمير المنذر بسجن هاشم بن عبد العزيز وزير أبيه وخاصته، وأمر بقتله في جمادى الأولى؛ وسبب ذلك أن هاشماً كان يمسد مكانه من الأمير محمد وخاصته به؛ فكانوا يسعون به عند المنذر، ويكررون ذلك عليه، حتى تنافرت النفوس. فلما مات الأمير محمد، وولى المنذر، أراد أن يفي له ويتبع فيه فعل أبيه؛ فولاه الحجابة. ثم تمالؤوا عليه، وأكثروا، وحرفوا³ عليه الكلام، وتأولوا عليه أقبح التأويل، حتى نفذ قضاء الله فيه. وكان مما تأولوا عليه أن هاشماً أنشد عند مواراة الأمير محمد - رحمه الله! - [وافر]:

1) وصرفوا A. 2) وأبدون A. 3) بعبادته A.

أُعْزَى يَا مُحَمَّدُ عَنْكَ نَفْسِي آمِينَ اللَّهُ ذَا الْبَيْنِ الْحِجَامِ
فَهَلَّا مَاتَ قَوْمٌ لَمْ يَمُوتُوا وَدُفِعَ عَنْكَ لِي كَأْسُ الْحِجَامِ

فتأولوا أنه يريد بقوله «لَمْ يَمُوتُوا» المنذر. وكتب هاشم من حبه الى جاريته عاَج [طويل]:

وَإِنِّي عَدَانِي أَنْ أَزُورِكَ مَطْبِقُ وَدَابُّ مَنِيعٍ بِالْعَدِيدِ مُضَبُّ
فَإِنْ تَعَجَّبِي يَا عَاجُ مِمَّا أَصَابَنِي فَنِي رَيْبِ هَذَا الدَّهْرِ مَا يَنْجَبُ
تَرَكْتُ رِشَادَ الْأَمْرِ إِذْ كُنْتُ قَادِرًا عَلَيْهِ فَلَاقَيْتُ الَّذِي كُنْتُ أَرْهَبُ
وَكَمْ قَائِلٍ قَالَ: أَنْجِ وَبِحُكِّ سَالِيَا فَنِي الْأَرْضِ عَنْهُمْ مَسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ
فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ الْفِرَارَ مَذَلَّةٌ وَنَفْسِي عَلَى الْأَسْوَاءِ أَخْلَى وَأَطْيَبُ
سَأَرْضِي بِحُكْمِ اللَّهِ فِيمَا يَنْوِي وَمَا مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَهْرَبُ
فَمَنْ يَكُ أَمْسَى شَامِنًا بِي فَإِنَّهُ سَبَهْلٌ فِي كَأْسِي وَشَيْكَا وَيَشْرَبُ

ثم بعث فيه الأمير لبلاً؛ فقتله، ووجن أولاده وحاشيته، وانتهب ماله، وهدم داره، وألقى أولاده في السجن، وألزمهم غُرمَ مائتي ألف دينار؛ فلم يزالوا في السجن والغُرمَ الى موت المنذر وولاية أخيه عبد الله؛ ثم أطلقهم عبد الله، وصرّف عليهم ضياعهم، وولى أحدَهم الوزارة والقيادة. وفيها، كانت الوقعة على أهل طَلَبُطْلَةَ؛ وكانوا قد جيشوا البربر المنفيين من تَرْجِيلَهُ، فقتل منهم أُلُوفٌ.

وفي سنة ۲۷۴، خرج الأمير المنذر بجيشه الى عمر بن حفصون؛ فافتتح حصونه بريّة، والحصون التي بجهة قَبْرَةَ؛ ثم توجه الى حضرته برّيشتر؛ فحاصره فيها، وأفسد ما حوالَيْه، وضيق عليه؛ ثم انتقل عنه الى أَرْجِدُونَةَ، وبها عيشون؛ فأقام عليها مُحَاصِرًا لها ومُضَيِّقًا على أهلها، الى أن نذوا عيشوناً وأهلكه، وأسلموه بذنبه؛ فدخلها الأمير المنذر، وقبض على عيشون وأصحابه. وظفر أيضاً ببني مطرُوح، وم: حَرْبٌ، وَعَوْنٌ، وَطَالُوتٌ، وافتتح حصونهم بجبل بَاعَةَ، وأتى بهم

الى الأمير أسارى؛ فبعث بنى مطروح الى قرطبة، وأمر بقتلهم وصلبهم؛ وكانوا
 اثنين وعشرين رجلاً؛ فصلبوا بأجمعهم؛ وصلب مع عيشون في الحنبة خنزير
 وكلب. وكان السبب في ذلك أن عيشوناً كان يقول: «إذا ظفرت بي، فليصنبي
 وليصنّب عن يميني خنزيراً وعن يساري كلباً!» وكان يثق بنفسه في القتال ثقة
 شديدة، ويأمن من أن يؤخذ لشدة وشجاعته. فلما يش الأمير منه، دس الى
 بعض أهل أرجذونة بأن يتحيل في أخذ عيشون؛ فأجابه، ووعده بأخذه. فلما
 كان في بعض الأيام، دخل بيت أحدهم بغير سلاح، وقد استعد له بكبيل؛
 فأوثق به وبعث به الى الأمير المنذر.

شأن عمر بن حفصون في أيام المنذر - رحمه الله!

ولما كان في العام الثاني من ولايته وهي هذه السنة المورخة، خرج في عديد
 الأكثر، وقصد برشتر. فحلّ عليها أحفل احتلال، وقابل ابن حفصون بها أشد
 قتال؛ وانتشرت خيله في تلك الأقطار، واستولت على السهول والأوعار. ثم
 عطف الأمير الى مدينة أرجذونة لبتيرها شيراً، ويولي أهلها يوماً عبوساً
 قنطريراً، لدخولهم في طاعة ابن حفصون، ونزوعهم الى ما نزع إليه أهل تلك
 الحصون؛ فخرجت رسلهم الى الأمير؛ فتلقتهم بالسمع والطاعة والدخول في جمهور
 الجماعة؛ فتقبل نزوعهم، وأأس جميعهم. وتغلب على القصة إثر ذلك؛ وأسر
 عامل ابن حفصون هنالك. واستمر اللعين ابن حفصون على ضلالته وغيته، ولم
 يثن عناناً عن عادته وبعيه. فخرج اليه * الأمير ثانية وحاصره حصاراً، وقد
 R. 121
 عدم ابن حفصون أعواناً وأنصاراً. فلما رأى الأمير أخذ بمخفه، وسد أفواه
 طرقه، أعمل سوانح الفكر، في الخديعة والمكر، ليعتصم بذلك من تلك الحبال
 المنصوبة، والأشراك المعترضة المضروبة؛ فأظهر الإنابة الى الطاعة، وشهر النصيحة
 جهداً الاستطاعة، على أن يكون عند الأمير من خاصة جنده، ويسكن قرطبة
 بأهله وولده، وأن يلحق أبناءه في الموالى، ويتابع الإحسان قبلة ويوالى. فأجابه

الأمير الى مطلبه بأكد الأيمان؛ وكتب له بذلك مبادراً عَفْدَ أمان، وقطع لأولاده أرفع الثياب؛ وأوقرت لهم الدواب، بالأموال والأسباب، إسباغاً عليهم بالإفضال، وتوزيعاً لهم في الأماني والآمال. وسأل اللعين¹ مائة بغل يحمل عليها جملة مناعه وعباله، وجعل طلبها قوة لمكره واحتياله. فأمر الأمير بالبغال أن تحمل إليه، وتوضع بين يديه؛ وقد جعل عليها عشرة من العرفاء بمائة وخمسين فارساً إتماماً للإكرام، وإنعاماً على إنعام. فأرسل عمر بن حفصون جميعهم الى برّشتر حيث أهله وولده، وطريقه من المال ومثله. وانحلّ العسكر عن الحصن إذ ذاك. وفضل القاضي والفقيه عن تمام الصلح من هناك، وظنهم قد غلب أن لا كذب ولا مین، وأن قد نيل من الراحة من شغبه أملاً وقرة عين. فلما انتفض جمع ذلك العسكر، وانتفض ذلك المعسكر، ودخل الليل، وامتدّ للنايك الذئب، هرب عمر بن حفصون من ذلك الحصن، وسار الى برّشتر في ظلّ الأمان. فلقى العرفاء؛ فناصرهم القتال، وأخذ تلك البغال، وعاد الى سيرته الأولى، وقال لشيعته: «أنا رُكِمَ الأعلى» فأقسم الأمير المنذر أن يقصده ويحلّ عليه، ولا يقبل منه أو يلقى يده إليه؛ فأعمل الغزو الى برّشتر، وجمع لها الجمع الأكبر. فلما احتلّ عليها، أمر أن يُحْدَقَ بها، ويُحاطَ بجوانبها، وإن يعتمز لقتالها اعتزاماً، وبلتزم مُحاصرتها التزاماً.

P. 122

فظهر من حزم الأمير المنذر وعزمه ما يئس معه ابن حفصون، من البقاء في تلك الحصون. فبقى الأمير على حصن برّشتر، يرومه رَوْماً، مدة من ثلاثة وأربعين يوماً. وكان قد أصابته علة² أكرثت نفسه، وكدرت أنسه²؛ فبعث في أخيه عبد الله لينوب منابه، وينتدب في تلك الحال انتدابه. فلما وصل إليه، وحصل في الميظلة لديه، خرجت في الحين رُوحه، وبكاه من كان يغدوه وبرُوحه. فوقع الخرم في العسكر إثر موته، وتفرق الناس عند قوته. ولم يقدر اخوه عبد الله على ضبطهم، وعقد ما انحلّ من رباطهم. واستنطال عمر بن حفصون

1) Manque dans A. 2-2) B. أكرثت نفسه وكدمت شمه.

في المحلة، وانتهبها بالجملة. وحمل الأمير المنذر على جمل^١ الى قرطبة؛ فدفن مع أجداده هنالك، وصار عند الناس أهون مفقود وأيسر هالك، إذ كان قد اضطرهم في ذلك المقام، وندبهم الى الثبات هنالك والمقام.

وفي هذه السنة، كان الفتح الشديد بالأندلس؛ فاستسقى الناس. فنزل نلج كثير في أول يوم من يني، ولم ينزل غيث. ثم استسقوا مراراً؛ فلم يهطروا؛ فحامر الناس الفتح. فلما دخل من فبرر بعض أيام، سقى الناس، وارتفع البأس؛ فاستبشروا بفضل الله، وأعلنوا بشكره. فقال العكي في ذلك، يدح الأمير المنذر [كامل]:

نَزَلَ الْحَيَا الْمُحْيِي وَطَابَتْ أَنْفُسُ إِذْ كَانَ سُوءَ الظَّنِّ فِيهَا يَهْجِسُ
أَحْبَى الْإِلَاهِ عِبَادَهُ مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ مِنَ الْفَنَطِ النَّفُوسُ نُوسِسُ
مُتَلَفِيًّا فِيهِ بَعَادِ رَحْمَةٍ لَوْلَا عَوَائِدُهَا طَوَّنَا الْأَبُوسُ
مَلِكُ الْمَلُوكِ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ... حُسْنِي وَعَزَّ جَلَالُهُ الْمُتَقَدِّسُ

ومنها:

* بِالْمُنْذِرِ الْبَيْتُونَ طَابَ زَمَانُنَا وَبَطِيبِ دَوْلَانِيهِ تَطِيبُ الْأَنْفُسُ

P ١٢٤

الى قوله:

خُذْهَا أَمِينَ اللَّهِ وَأَبْنَ أَمِينِهِ مِنْ شَاكِرٍ فِي الشُّكْرِ لَيْسَ يُدَلِّسُ

وفي سنة ٢٧٥، توفى الأمير المنذر - رحمه الله! - وقد ذكر موته على حصن برشتر محاصراً للخبيث ابن حفصون. وكانت وفاته منتصف شهر صفر من السنة المذكورة، وهو ابن ست وأربعين سنة. وملك ستين إلا أياماً.

1) Manque dans B, qui donne à la place: رحمه الله.

بعض سيره وأخباره

كان الأمير المنذر - رحمه الله! - يحب إخوته، ويكرمهم، ويُدني مجالسهم، ويصليهم، ويحضرهم مجالس أنسه. وكان يُجزل العطاء للشعراء؛ فيُنشدونه غزباً وراجعاً. وكان من شعرائه أحمد بن عبد ربه، والعمري، وغيرها. ولم يكن أحد من الخلفاء قبله مثله شجاعةً وصرامةً وعزماً وحزماً. ولقد بلغ في سنة بذلك ما لم يبلغه غيره في الدهر. ولقد كان أبطال الرجال وأنجادهم من أهل الفتنة يُدعون إليه دون محنة، ويُسلون إليه بالطاعة قبل أن يطلبها. وإن الخبر المستفيض عن الشيوخ أنه، لو عاش المنذر عاماً واحداً زائداً، لم يبق برية منافق؛ وأخباره تدل على ذلك. وأول أخباره الدالة على ذلك أنه، لما أتاه موت أبيه، لم ينعه ذلك من التعرّج عن القصد واختصار الطريق، ولا شغله أمر مهم ولا أمر جليل عن آخر؛ فجعل طريقه على رية؛ فهذب أمرها، وولى عليها سليمان بن عبد الملك بن أخطل، وعبد الرحمن بن حريش، وأدخل معها أهل المعارك من العرب والحشم. ثم جمع في يوم واحد مابيعته، وإعطاء الجند، والنظر فيما أسقط من الأزيمة عن الرعية، وما فعله من الاستحسان إلى أهل قرطبة بإسقاط العشور عنهم، والنظر في النذب وإخراج الفائد. وهاكذا كان فعله في جميع أسبابه؛ وبحسب ذلك كان انقياد الأشياء له.

• خلافة عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم

P 124

كنيته: أبو محمد. مولده: في النصف من ربيع الآخر سنة ٢٢٩. أمه: تسمى بهار وقيل: عشار^١. حجابته: اثنان: عبد الرحمن بن شهيد وابن السليم. وزراؤه: ستة وعشرون. كتابه: ثلاثة: عبد الله بن محمد الزجالي، وعبد الله بن محمد بن أبي عبدة، وموسى بن زياد. صفته: أبيض، مشرب

١) عبار. 1)

بَحْمَرَةَ، أَصْهَبَ، أَرْزَقَ، أَقْنَى الْأَنْفَ، رُبْعَةً، يُخَضَّبُ بِالسَّوَادِ. بنوه: أحد عشر،
أحدهم محمد المقتول، والد عبد الرحمن الناصر. بناته: ثلاث عشرة. بويغ في
اليوم الذي مات فيه أخوه المنذر في المحلة على بربشتر، وذلك يوم السبت في
النصف من شهر صفر سنة ٢٧٥. ثم قفل إلى قرطبة بأخيه المنذر ميتاً؛ فاستتم
البيعة بقرطبة، ودفن أخاه بعدها. وتوفي عبد الله سنة ٣٠٠، وهو ابن اثنين
وسبعين سنة؛ فكانت خلافته خمسا وعشرين سنة، وخمسة عشر يوماً. ومن
قول ابن عبد ربه فيه [طويل]:

خِلافةُ عَبْدِ اللَّهِ حَجَّ عَلَى الْوَرَى فَلَا رَفَتْ فِي عَصْرِهِ وَفُسُوقُ
تَجَلَّتْ دِيَا حِي الْحَيْفِ عَنْ نُورِ عَدْلِهِ كَمَا ذَرَّ فِي جَنَحِ الظَّلَامِ شُرُوقُ
وَنَفَى سَهْمَ الدِّينِ بِالْعَدْلِ وَالنَّفَى فَهَذَا لَهُ أَصْلٌ وَذَلِكَ فُوقُ
وَأَعْلَنَ أَسْبَابَ الْهُدَى بِضَبِيرِهِ فَأَيْسَ لَهُ إِلَّا بِهِنَّ عُلُوقُ
وَمَا عَافَهُ عَنْهَا عَوَائِقُ مُلِكِهِ وَأَمْسَالُهَا عَنْ مِثْلِهِنَّ تَعُوقُ

وأفضت الخلافة إليه، وقد تخيفها النكث، ومزقها الشقاق، وحل عراها
النفاق؛ والفتنة مستولية، والدجنة متكيفة، والقلوب مختلفة، وعصى الجماعة
منصدعة، والباطل قد أعلن، والشر قد اشتهر؛ وقد * تملاً على أهل الإيمان P. ١٢٥
حزب الشيطان؛ وصار الناس من ذلك في ظلماء ليل داج، لا إشراق لصباحه،
ولا أفول لنجومه. وتآلب على أهل الإسلام أهل الشرك ومن ضاهاهم من
أهل الفتنة، الذين جردوا سيوفهم على أهل الإسلام؛ فصار أهل الإسلام بين
قتيل ومحروب ومحصور، يعيش مجهوداً، ويموت هزلاً؛ قد انقطع الحرث،
وكاد ينقطع النسل. فناضل الأمير مجتهد، وحمى مجتهد، وجاهد عدو الله وعدوه.
وانقطع الجهاد إلى دار الحرب، وصارت بلاد الإسلام بالأندلس هي الثغر
المخوف؛ فكان قتال المنافقين وأشباههم أوكد بالسنة، والأزم بالضرورة.

فأول ما تناوله، ونظر فيه، أن وجه إبراهيم بن خبير لاخذ بيعة ابن
حنصون وبيعة من قبله. ففصد إبراهيم إليه، وطلب طاعته؛ فظهر منه حسن

مَذْهَبٍ؛ فَأَخَذَ بَيْعَتَهُ، وَصَدَرَ عَنْهُ؛ وَقَدِمَ مَعَهُ حَنْصُ ابْنِهِ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ؛
فَأُخِذَتْ عَلَيْهِمُ الْبَيْعَةُ، وَرَدَّاهُمُ الْأَمِيرُ مَحْبُورِينَ بِالْكَرَامَةِ وَالرَّعَايَةِ. فَبَقِيَ ابْنُ حَنْصُونَ
سَامِعًا مُطِيعًا مُتَّهِبًا عَمَّا نُهِيَ عَنْهُ، وَاقْفًا عِنْدَ مَا أُمِرَ بِهِ. ثُمَّ تَعَدَّى بَعْدَ ذَلِكَ
حَدَّهُ، وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى مَا نُهِيَ عَنْهُ؛ فَلَمْ يَدْعُ مَالًا عِنْدَ مَنْ أَمَكَنَهُ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى
أَهْلِ الْكُورِ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَأَمْضَى نَفْسَهُ عَلَى عَادَتِهِ الذَّمِيمَةِ مِنَ الْفَسَادِ وَقَطَعَ
السَّبِيلَ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ وِلَايَةِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ.

وَفِي سَنَةِ ٢٧٦، خَرَجَ الْأَمِيرُ عَبْدِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ إِلَى بَرْتَشْتَرٍ وَحَصُونِ رَيْةً؛
فَاتَسَفَّ مَعَايِشَهَا، وَقَتَلَ عِنْدَهَا، وَقَدْ شَدَّ نَاكُ النَّاحِيَةِ؛ وَأَبَقِيَ بِحَاضِرَةِ رَيْةٍ
مُحَمَّدُ بْنُ ذَيْنٍ^١ مِنْ أَهْلِ قَرْطُبَةَ؛ فَمَخْرَجَ ابْنَ حَنْصُونَ فِي إِثْرِهِ، وَتَأَلَّفَ إِلَيْهِ
الْمَسَدُونَ؛ فَأَتَوْا إِلَى إِسْنِجَةَ، فَاحْتَلَوْهَا، ثُمَّ إِلَى حِصْنِ إِسْتَبَّةٍ، فَأَخَذُوهُ؛ فَأَخْرَجَ
إِلَيْهِمُ الْأَمِيرُ حَيْشًا؛ فَتَزَلَّ ابْنُ حَنْصُونَ، وَاعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ؛ فَعَفَدَ لَهُ الْأَمِيرُ أَمَانًا.
وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَلى مُحَمَّدُ ابْنُ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ كُورَةَ إِشْبِيلِيَّةٍ؛ فَمَخْرَجَ فِي
أَتَمِّهِ بَعْضُ عَرَبِ إِشْبِيلِيَّةٍ إِلَى قَرْمُونَةَ؛ فَضَبَطُوهَا.

P. 126

وَفِيهَا، ثَارَ [أَوْ بَجِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ] عَبْدِ الْعَزِيزِ النَّجِيبِيِّ
الْمَعْرُوفِ بِالْأَنْفَرِ.

وَفِيهَا، نَقَضَ ابْنُ حَنْصُونَ وَفُصِدَ بَيَّانُهُ؛ فَحَارَبَ أَهْلَهَا. ثُمَّ أَعْطَاهُمُ الْعَهْدَ؛
فَلَمَّا تَزَلُّوا إِلَيْهِ، غَدَرَهُمْ. وَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، وَسَبَى ذُرَارِيَهُمْ.
وَفِيهَا، انْتَفَضَ أَهْلُ حَيَّانَ، وَأَخْرَجُوا عَامِلَهَا عِمَّاسَ بْنَ أَفِيطَ، وَمَلَكَهَا
ابْنُ شَاكِرٍ.

وَفِي سَنَةِ ٢٧٧، وُلِدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ.

وَفِيهَا، غَزَا الْفَائِدُ ابْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ إِلَى حَيَّانَ، وَفِيهَا ابْنُ شَاكِرٍ مُخَالِفًا؛
فَحَارَبَهُ، وَحَاصَرَهُ، وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، وَأَحْرَقَ كَثِيرًا مِنْ دُورِ حَيَّانَ.

١) دفين B; دين A.

وفيها، خرج حنص بن الحرّة الى سوار، وكمن له الكائن، واغار عليه؛ فلما خرج سوار في طلبه، خرجت عليه الكائن؛ فقتل.

وفيها، قتل ابن شاكر النائر بجيان. وسبب قتله أنّ ابن حفصون أراد أن يراجع طاعة الأمير، وأن يتقرب اليه بقتل ابن شاكر؛ فبعث اليه خيلاً يريه أن يده على عدوه؛ فأقبل المدد اليه؛ فلما خرج اليهم، فتكوا به وقتلوه، وبعثوا برأسه الى ابن حفصون؛ فبعث به الى الأمير عبد الله. وعند ذلك توجه ابن حفصون الى جيان؛ فأغرم أهلها الأموال الجسيمة. وأقامت جيان وإييرة مدة دون عامل من الأمير.

وفي سنة ٢٧٨، خرج الأمير عبد الله الى بلاني من عمل قبرة، وبها عدو الله ابن حفصون مع جماعة كبيرة من أصحابه أهل الفساد والارتداد. وكانوا قد أضروا بأقاليم قرطبة، وضيقوا عليهم حتى أغاروا على أغنام قرطبة. فخرج اليهم الأمير مسنهلاً صفر، واحتل به؛ فانهضه وصادقه القتال؛ فانهزم هو ومن معه، ولجأ الى حصنه مع ملا من أصحابه، وعوجل عشيرته عن الدخول معه، وأتبعوا؛ فلم يخلص منهم أحد. فبات الأمير قرير عيب، والمسلمون كذلك، وقد أخذوا عليه نك الليلة الباب وجاء أن يأتي الصباح، فبوخذ داخل P. ١٢٧ الحصن. ثم خرج منه مع بعض أصحابه، ونجا ونجوا. ولما أصبح، أعلم السلطان بخبره؛ فأرسل الخيل في أثره؛ فلم يعلم له خبر. ودخل الأمير الحصن يوماً آخر؛ فوجد مترعاً بالذخر، ملآن من العدد؛ وكان عدد عسكر الأمير ثمانية عشر ألف فارس. وقيل إن ابن حفصون ألّب أهل حصون الأندلس كلها. وأقبل إليه في ثلاثين ألفاً. ووقعت الحرب بينهم؛ فانهزم عدو الله، وقتل أكثر من كان معه. ودخلت جملة منهم في محلة الأمير؛ فأمر بالتقاطهم؛ فأتى بألف رجل منهم؛ فقتلوا صبراً بين يديه. هاكذا ذكر في «بهجة النفس».

ثم قصد الأمير إسبجة؛ فنازلهم، وحاربهم، وقتل لهم عدداً كثيراً. فلما أخذهم

الجهد، رفعوا الأبطال على الأيدي في الأسوار، مستصرخين، ضارعين، راغبين
في العفو؛ فعفا عنهم.

وفي سنة ٢٧٩، غدر أهل أَرْجِدُونَة بأحمد بن هاشم. وفتن ابنُ حنصون
ما كان انعقد من السلم والطوع.

وفي سنة ٢٨٠، توجه المَطْرَف بن الأمير عبد الله بالجيش الى ابن حنصون
ببَرْبَشْتَر؛ فحاصرها، وهتك جميع ما حوالبها.
وفيها، أمر الأمير عبد الله ببنان حِصْن لَوْثَة، وأبقى عليه إدريس بن
عبيد الله.

وفيها، دخل إِذْفُونَس بن أَرْدُون مدينة سَمُورَة وبنائها؛ وكانت من بنيان
عَجَم طَلَبِطَلَة.

وفي سنة ٢٨١، أغزى الأمير عبد الله عبد الملك بن أمية؛ ففتنم الى حصون
ابن مَسْتَنَة، ونازل حصن آشَر، وحاربهُ، وقتل من أهله عدداً كثيراً، وهدم
حصن السَّهْلَة. ثم قتل الى قَرْطَبَة.

وفي سنة ٢٨٢، غزا بالصائفة المَطْرَف ابن الأمير عبد الله. وفاد الصائفة
عبد الملك بن أمية. فلما كان بمقرية من إشبيلية، قبض على القائد عبد الملك،
وقتلهُ، * وفتنم على قيادة العسكر أحمد بن هاشم. وأقام العسكر في الموضع أربعة
أيام، وكتب أماناً لأهل إشبيلية، وأماناً لأهل شذونة؛ فدانت له، وقبض
جبايتها، ودوخ تلك البلاد. ثم رحل الى إشبيلية؛ فناشهم الحرب؛ فانهزم أهل
إشبيلية، ووقع فيهم القتل الى سور المدينة. ثم أجاز الوادي؛ ففتنم القري
بالنسف والتغيير.

وفي هذه السنة، ضمَّ المَطْرَف ابن الأمير عبد الله إبراهيم بن حجاج وابن

خَلْدُونُ وَابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الشَّدُونِيُّ إِلَى السِّجْنِ، وَأَوْثَقَهُمْ فِي الْحَدِيدِ. وَقَطَعَ لِسَانَ
مَحْنُونِ الْكَاتِبِ، وَضَرَبَ ظَهْرَهُ.
وَفِيهَا، أُمَّتُ جَبَايَةَ إِشْبِيلَةَ. وَعِنْدَ مَا أَنْتَ، أَطْلُقُ ابْنَ حَجَّاجِ بْنِ خَلْدُونِ
وَالشَّدُونِيَّ مِنْ سِجْنِ قُرْطُبَةَ.

ذِكْرُ ثَوْرَةِ بَنِي حَجَّاجٍ بِإِشْبِيلِيَّةِ

وَذَلِكَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ حَجَّاجٍ تَرَكَ وَآدَهُ رَهِينَةً بِقُرْطُبَةَ، وَرَجَعَ إِلَى بَلَدِهِ
إِشْبِيلَةَ؛ فَتَوَزَّعَ كُورَتَهَا عَلَى بَصَفَيْنِ: خَرَجَ إِبْرَاهِيمُ بِالنِّصْفِ، وَابْنُ خَلْدُونِ
بِالنِّصْفِ. وَبَقِيََا كَذَلِكَ أَعْوَامًا. وَكَانَ الْأَمِيرُ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ أَخَذَ فِي الضَّرْبِ بَيْنَهُمَا،
وَيَكْتَسِبُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَا يَرَاهُ مِنْ صَاحِبِهِ. فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ، كَتَبَ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَجَّاجٍ وَكُرَيْبُ بْنُ خَلْدُونِ إِلَى الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ فِي مَصَالِحِهِمَا؛ وَكَتَبَ
مَعَهُمَا خَالِدُ بْنُ خَلْدُونِ أَخُو كُرَيْبٍ كِتَابًا يُغْرِى فِيهِ بِإِبْرَاهِيمِ بْنِ حَجَّاجِ عَبْدِ
الْأَمِيرِ، وَيَقُولُ إِنَّهُ فِي قَبْضَتِهِمْ. فَكَتَبَ لَهُ جَوَابَهُ عَلَى نَصِّ كِتَابِهِ. وَخَرَجَ الْمُخَايَلُ
بِالْكِتَابِ إِلَيْهِمْ؛ فَسَطَّ لَهُ كِتَابُ خَالِدِ الَّذِي كَانَ بَعَثَ لِلْأَمِيرِ؛ فَأَخَذَهُ بَعْضُ
فِتْيَانِ النَّصْرَةِ؛ فَقَرَأَهُ وَعَلِمَ مَا فِيهِ؛ فَدَفَعَهُ لِرَسُولِ إِبْرَاهِيمِ بْنِ حَجَّاجٍ، وَقَالَ لَهُ:
«اسْبِقْ بِهِ مَوْلَاكَ!» فَلَمَّا وَصَلَ الرَّسُولُ وَالْكِتَابُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، عَلِمَ حَقِيقَةَ مَا
يَحْتَوِي عَلَيْهِ ابْنُ خَلْدُونِ مِنْ سُوءِ الْبَايَطِنِ. وَكَانَ هَذَا فِي سَنَةِ ٢٨٦. فَعِنْدَ
ذَلِكَ، تَلَطَّفَ إِبْرَاهِيمُ فِي طَعَامِهِ، وَدَعَا ابْنَ خَلْدُونِ؛ فَوَصَّلَا إِلَيْهِ. فَلَمَّا اسْتَقَرَّ
الْمَجْلِسُ بَيْنَهُمَا، أَخَذَ إِبْرَاهِيمُ فِي عِتَابِ كُرَيْبٍ وَأَخِيهِ خَالِدِ، وَأَخْرَجَ الْكِتَابَ الَّذِي
بَعَثَ بِهِ الْأَمِيرُ إِلَيْهِمَا، وَأَوْقَفَهُمَا عَلَيْهِ، وَأَبْلَغَ فِي عِتَابِهِمَا، وَأَكْثَرَ فِي ذَلِكَ
عَلَيْهِمَا. فَأَخْرَجَ خَالِدٌ سِكِّينًا كَانَتْ فِي كَيْبِهِ؛ فَضَرَبَ بِهَا رَأْسَ إِبْرَاهِيمِ بْنِ
حَجَّاجٍ؛ فَزَقَّ فَلْتَسُوتَهُ، وَضَرَبَهُ فِي وَجْهِهِ. فَلَمَّا صَدَرَ مِنْ ذَلِكَ، نَهَضَ إِبْرَاهِيمُ،
وَدَعَا مِنْ حَضْرَةِ مَنْ رَجُلَهُ؛ فَعَلَوْهُمَا بِالسِّيفِ، حَتَّى قَتَلُوهُمَا. وَأَلْفَى رَأْسَيْهِمَا إِلَى
أَصْحَابِهِمَا وَرَجُلَيْهِمَا؛ فَتَفَرَّقُوا. وَتَتَبَعَهُمْ إِبْرَاهِيمُ بِالْقَتْلِ وَالنَّهْبِ، وَدَفَنَ جَسَدِي ابْنِ

خَلَدُون؛ وَاِنْفَادَ لَهُ جَمِيعُ أَهْلِ الْكُورِ الْمَلَاصِفَةِ لِإِشْبِيلِيَّةِ. وَخَاطَبَ عِنْدَ ذَلِكَ
الْأَمِيرَ عَبْدِ اللَّهِ، يَتَبَرُّاً لَهُ مِنْ دَمِهِمَا، وَيَقُولُ إِنَّهُمَا كَانَا يَحْمِلَانِيهِ عَلَى النَّكْتِ،
وَإِنَّهُ الْآنَ عَلَى الطَّاعَةِ؛ وَطَلَبَ مِنْهُ وَلايَةَ إِشْبِيلِيَّةِ. فَأَجَابَهُ الْأَمِيرُ إِلَى ذَلِكَ.
وَإِنْفَرَدَ إِبْرَاهِيمُ بِوَلايَةِ إِشْبِيلِيَّةِ؛ فَاجْتَبَى الْأَمْوَالَ، وَاصْطَنَعَ الرُّجَالَ، وَارْتَفَى فِي
الْأَحْوَالِ، وَامْتَدَّتْ لِفَضَائِلِهِ الْأَمَالَ. وَكَانَ لَهُ حَمِيدٌ آثَارٌ، وَجَمِيلٌ أَخْبَارٌ، فَاقَ بِهَا
أَهْلَ عَصْرِهِ. وَحَسَنَ فِي الْأَفَاقِ طَيْبٌ ذَكَرَهُ.

وَلَمْ يَزَلْ بَعْدَ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَجَّاجٍ يَشْتَطُّ عَلَى الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ، إِلَى أَنْ
سَأَلَهُ إِطْلَاقَ وَلَدِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الرَّهْمِيِّ عِنْدَهُ. فَلَمْ يَسْعَنْهُ الْأَمِيرُ عَبْدِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ.
فَنَبَذَ إِبْرَاهِيمُ الطَّاعَةَ عِنْدَ ذَلِكَ، وَظَاهَرَ أَنَّ حَفْصُونَ، وَأَمَدَّهُ بِالْمَالِ وَالرُّجَالَ،
نِكَايَةً لِلْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ. فَفَوَيْتَ شَوْكَةُ ابْنِ حَنْصُونَ، وَازْدَادَ بِهِ طَاعِيَةً؛ وَفِي
خِلَالَ ذَلِكَ، لَمْ يَزَلْ إِبْرَاهِيمُ يُدَسِّسُ وَيُرْسِلُ مَنْ يُشِيرُ عَلَى الْأَمِيرِ بِإِطْلَاقِ وَلَدِهِ،
وَيَنْضَمُّنَ لَهُ عَوْدَهُ إِلَى الطَّاعَةِ، حَتَّى وَافَقَ السَّلْطَانَ عَلَى ذَلِكَ؛ فَاطْلَقَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنَ إِبْرَاهِيمِ، وَأَعْظَمَ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِ، وَجَدَّدَ لَهُ التَّسْجِيلَ عَلَى بِلَدِ إِشْبِيلِيَّةِ. فَعَادَ
إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَا كَانَ أَوَّلًا عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ، وَاسْتَفَامَتِ أَحْوَالَ تِلْكَ النُّوَاحِي
عَلَى يَدَيْهِ. P. 130

قَالَ حَيَّانُ بْنُ خَافٍ: لَمَّا مَلَكَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَجَّاجٍ إِشْبِيلِيَّةَ وَقَرَمُونَةَ وَمَا
وَالِهَا، ارْتَفَعَ ذِكْرُهُ، وَبَعْدَ صَيْتِهِ، وَاتَّخَذَ لِنَفْسِهِ جُنْدًا، وَرَتَّبَ لَهُمُ الْأَرْزَاقَ كَنِعْلِ
السَّلْطَانَ؛ فَكَمُلَ فِي مَصَافِقِهِ خَمْسَمِائَةٌ فَارِسَ. وَكَانَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ حَجَّاجٍ فِي بَسَاطِ
السَّلْطَانَ بِقُرْطُبَةَ قَوْمٌ يَقْفُونَ فِي حَقِّهِ، وَيُعْلِمُونَهُ بِمَا عِنْدَ السَّلْطَانَ مِنْ حَالِهِ،
وَيَنْصَحُونَهُ فِي أَمْرِهِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ، أَقْلَعَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مُوَافَقَةِ ابْنِ حَفْصُونَ،
وَاعْتَرَفَ بِحَقِّ أَمِيرِ الْجَمَاعَةِ؛ فَعَامَلَهُ الْأَمِيرُ بِمَا شُهِرَ لَهُ مِنَ النُّضْلِ. وَكَانَتْ مَنزَلَتُهُ
عِنْدَ أَعْلَى مَنزَلَةٍ، إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ - رَحِمَهُ اللَّهُ!

وَذَكَرَ حَيَّانُ أَيْضًا قَالَ: كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ حَجَّاجٍ فِي بِلَدِ إِشْبِيلِيَّةِ قَاضِيٌ يَقُومُ

بالحكم، وصاحب مدينة يقيم الحدود، جرى في ذلك كله مجرى السلطان في حضرته. قال: وكان فظاً على أهل الرّيب، فامعاً لأهل الشّر؛ وكان مُتَجَمَعاً على البرّ والبحر، منصوداً بالغرائب والطرف. وكانت له بإشبيلية طُرُزٌ يُطَرِّزُ فيها على اسمه كِنِعْلُ السلطان إذ ذاك؛ وكانت قرْمُونَة تحت مملكته؛ وهو الذي حصنها وحسن بِنان سورها؛ وفيها كان مرْتَبُ خيله المنخّذة لركوبه؛ وبينها وبين إشبيلية كان تردّاده سائر أوقاته. وكان جواداً، ممدّحاً، يرنّاح للثناء، ويُعطى الشعراء، ويضاهى في فعله كبار الأمراء، ويتنفّد أهل البيوت والشرف بالعطاء¹. وكان أهدل قرطبة منعرّضين لسيبه، فيكرمهم ويصّأهم. وقد اتجعه شاعرهم الأكبر أبو عمر أحمد بن عبد ربّه من بين جميع ثوار ذلك الوقت بالأندلس؛ فعرف قدره، وأفضل عليه.

ومن قوله فيه، يَصِفَ تنقله من إشبيلية الى قرْمُونَة [طويل]:

الآن إبراهيم لجة ساحل من الجود أُرست فوق أجة ساحل
 فإشبيلية الزهراء نزهى بجديه وقرْمُونَة الغراء ذات النضائل
 إذا ما تجلت نلك من نور وجهه عادت هذه للناس في زى عاقل
 وإن حلّ هدى فهو يوحش هذه فنهدى برسل نحوّه ورَسَائِلِ

P. 171

وهي طويلة. ومن قوله أيضاً من قصيد طويل [وافر]:

كتاب الشوق يطويه النواد ومن فيض الدموع له مدد
 نخط يد البكاء به سطوراً على كيدي وبلها السهاد
 وكيف وبى فواد مسنطير لمن لا يستطير له فواد
 أمن يمن يكون الجود خلوا وإبراهيم حاسبها الجواد
 زيارته لمن يأتيه حج ومدحته رباط أو جهاد
 وما لي في النخف عنه عذر ولى في الأرض راحلة وزاد

1) Tout ce qui suit manque dans B jusqu'à la fin de la seconde citation

١) ولأحمد بن عبد ربه في إبراهيم بن حجاج أشعار كثيرة، ولغيره من الشعراء. وذكر ابن أبي النباش أن محمد بن يحيى القلنطي الشاعر القرظي قصد الأمير إبراهيم بن حجاج يدحه بقصيدة نونية، أولها [خفيف]:

أزفت رحلتى فأهمت جفوناً

ثم أخذ في هجاء عشيرته أهل قرظبة، وكبرائها، وعظماء دولتها، فأفحش عليهم. فلما أنشد القصيدة لإبراهيم بن حجاج، زها به، وحرمه وأساء ذكره؛ فانصرف خائباً من نواله، جانباً ثمرة فعاله ومقاله. فلما وصل قرظبة، أخذ يهجو إبراهيم بن حجاج بقصيدة أولها [كامل]:

لا تنكري للين طول بكاءى

فلما بلغت إبراهيم، أغضبه؛ فأوصى من قال له عنه مغلظة: «دأبه إن عاد لما وقع فيه، لا أمرن بأخذ رأسه بقرظبة على فراشه!» فارتاع القلنطي المذكور لذلك، وكف. ²⁾ فكان هذا الفعل لإبراهيم في حق أهل قرظبة أجل مكرمه، وعد في جملة فضائله. ولأجل هذا ساقه الفاضل ابن أبي النباش - رحمه الله ²⁾! - وقد قصه العذري من الحجاز؛ فراعى حقه، وأكرم مثواه، وأناله جزيل خيره. ورفع الناس ذكره.

وقد ذكر أبو عامر السالمي في كتابه المسمى بـ«دُرر الفوائد وغرر الفوائد» أن الأمير الرئيس الهمام الجواد الحبيب أبا إسحاق إبراهيم بن حجاج سجع بحارية بغدادية أسماها قمر؛ فوجه بأموال عظيمة إلى المشرق في ابتياع هذه الحارية، إلى أن استقرت بدار مملكته إشبيلية؛ وكانت كالبدر المنير، ذات بيان وفصاحة ومعرفة بالألحان والغناء؛ فوجدها قمرًا عند أسماها؛ وكان لها شعرٌ يستحلى ويستحسن. فمن قولها تردُّ على من عاذلها [بسيط]:

قالوا أنت قمر في زى أطمارٍ من بعدما هتكت قلباً بأشعارٍ
نسى³⁾ على وحل تغدو على سُلٍ تشقُّ أمصارَ أرضٍ بعد أمصارٍ

1) Reprise du ms. B.

2-2) Manque dans B.

3) A. B. نسي.

لا حرّةٌ هي من احرارٍ موضعيها ولا لها غير ترسيلٍ وأشعار
 لو يعقلون لما عابوا غريبتهم لله من أمّة تزرى بأحرار
 ما لابن آدم فخرٌ غير هيبته بعد الديانة والإخلاص للباري
 دعني من الجهل لا أرضى بصاحبه لا بخلص الجهل من سبٍ ومن عار
 لو لم تكن جنة إلا للجاهلة رضى من حكم ربّ الناس بالنار

ولم تنزل مدة إبراهيم تتمشى على أحسن حال وأجزله، وأهدب زى وأكمله،
 تفصت زينا لعصره، وفخرآ له بها على أهل عصره، لم يلحقه في ذلك أحد في
 وقته، ولا قدر على نيل مرتبته، الى أن وافته منيته فجأة، وذلك عام ٢٨٨.
 وولى ابنه عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج بعد أبيه، وطالت مدته ثلاث
 عشرة سنة، وتوفي سنة ٢٠١. وكان أخوه محمد بن إبراهيم بن حجاج - رحمه
 الله - صاحب قرمونة في حياة أبيه وبعد موته الى أن مات أخوه، ولم ١٢٢ P.
 يستقر بإشبيلية، ولا حكمها. وقيل إنه دس على أخيه عبد الرحمن جارية سمته،
 فمات من ذلك.

قال ابن أبي الفياض: كان محمد بن إبراهيم بن حجاج صاحب قرمونة بعد
 موت أبيه، وكانت له بها دولة حسنة وأيامٌ صالحة، شهر في الفضل ذكره،
 وانبسط على ألسنة الناس شكره، فصد من الأقطار، ومدح بجيد الأشعار؛ فأنال
 القاصدين، ومنع المادحين. ولما توفي أبوه، ولى إشبيلية أخوه عبد الرحمن، إذ
 كان كبيره. وكان محمد يزيد على عبد الرحمن بأشياء من الحمائد، خص بها في
 وقته فحيد، وظهر أثر الإمارة في فعاله فشكر وحسد. وكانت دولته بقرمونة
 أضخم من دولة أخيه بإشبيلية وأطول، وذلك أربع عشرة سنة بعد موت أبيه.
 وتوفي عام ٢٠٢.

قال الرازي: افتتح الناصر لدين الله إشبيلية سنة ٢٠١. وكان سبب ذلك
 موت عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج المنتزى فيها بعد والده، واجتماع أهلها
 من بعد على تقديم أحمد بن مسلمة، ودفعهم لأخي عبد الرحمن محمد بن إبراهيم

صاحب قَرْمُونَةَ، ومخالفة محمد ومن معه بقَرْمُونَةَ، وإيادَه بسلطان الجماعة. فبعث
الناصرُ عسكرياً الى إشبيلية؛ فجرت بينهم حروبٌ عظيمةٌ. ثم بعث الأمير عبد
الرحمن الناصر الى محمد بن إبراهيم بن حجاج، وأمره بالنضيق على أهل إشبيلية،
وعقد له على ذلك، وأشرك معه فيه قاسم بن الوليد صاحب شُرطته في ذلك
الوقت؛ وكان بينه وبين محمد صداقة. فخرجا معاً من قُرطبة الى قَرْمُونَةَ، ومنها
دَنَوْا الى إشبيلية. فتردد محمد وقاسم بالجموع على إشبيلية، ومَلَكَا أَقَالِيمَ الشَّرَفِ،
وأقاليم طَالِقَةَ، وإقليم البَرِّ وغيرها، وأخذوا ببخني ابن مسلمة صاحب إشبيلية؛
P. 134 فاستجاش ابن مسلمة برأس النفاق اللعين ابن حَنْصُونَ؛ فأناه بنفسه، وخرج
معه من مدينة إشبيلية، وجاز النهر؛ وكان الجيش بحصن قَبْرَةَ، وفيه محمد بن
إبراهيم بن حجاج، وقاسم بن وليد؛ فخرجا اليهما من معها من حشم السلطان؛
فانهزم ابن حَنْصُونَ، وفرَّ على وجهه، حتى لحق بقلعه. فنامل ابن مسلمة مُنْشَبَهُ
مع ابن عمه محمد بن حجاج، ودخوله معه في وراثة أبيه، وأنه لا طاقة له به.
فأخذ في إصلاح ما بينه وبين السلطان الناصر؛ فراسله بأن يعطيه إشبيلية.
فوصله الحاجب بدر، ونمك السلطان إشبيلية دون إرافة دم ولا قتال. فلما
استقرَّ الحاجب بإشبيلية، أحضر أهلها، ووعدهم عن السلطان بكل جميل، وأن
يُجْرِيَ عليهم عوائدهم مع بني حجاج وزيادة على ذلك؛ فرضى القوم، وتم الأمر
للحاجب وابن مسلمة. وأخذ الحاجب في مخاطبة محمد بن حجاج، يُعرِّفه بتملك
السلطان إشبيلية، وأن السلطان أمره بالكفت عن حصارها. فعند وفوف محمد
على الكتاب، ساءه ذلك، وتغير له، وخرج من حصن قَبْرَةَ الذي كان به مع
قاسم بن وليد ناكثاً للطاعة؛ وسرى ليلته مع جموعه فاصداً بلك قَرْمُونَةَ؛ فلقى في
طريقه أغناماً لأهل قُرطبة؛ فأغار عليها، وحملها معه الى قَرْمُونَةَ؛ فدخلها،
وأظهر التمتع بها. فأخرج اليه الناصر لدين الله صاحب الحشم؛ فلما وصله
وخاطبه بما أمره به السلطان، ردَّ عليه الأغنام بحملتها.
ولما رجع صاحب الحشم الى قُرطبة، خرج محمد بن حجاج من قَرْمُونَةَ

بجيشه؛ فوصل إشبيلية عند الصباح؛ فهجم عليها. وكان بعض سورها مهدماً؛ فطمع فيها؛ فخرج اليه العادل عليها من قبل السلطان؛ فهزمه عنها؛ فرجع الى قرمونة. فلما علم الناصر بذلك، وجه عسكرياً الى عامل إشبيلية تقوية له؛ فحصن البلد على نفسه، وأمن من عادية محمد بن حجاج. ولما طال على الناصر تهادى محمد بن حجاج على العناد، بعث اليه صديقه ابن ولید، طالباً منه العودة الى ١٤٥. الطاعة؛ فلم يزل به حتى أظهر الإنابة له؛ فأنفذ محمد بن حجاج خاصته الى الناصر؛ فوصل إليه؛ فألقاه الناصر بنفسه، وشافهه بما ألقاه اليه محمد، وأعلمه أنه ينزعزل عن قرمونة ويسكن قرطبة. على أن يترك بها نائبه. فأجاب الناصر لذلك كله. ووعده بتتيم أغراضه. فلما وصل الرسول الى محمد بما ألقاه اليه الأمير الناصر، خرج من قرمونة في شهر رمضان المعظم من عام ٢٠١، ووصل قرطبة مع وجوه قومه وعدة من رجاله. فأمر لهم الناصر بالكسب ووصلهم على أقدارهم ومنازلهم عند محمد، وأجزل لهم الصلّة، وأعطى محمداً العطاء الجزل. وقرّبه من نفسه، وولاه من حينه خطة الوزارة، منوهاً، مرفّع الذكر. ثم خرج الناصر لدين الله غازياً؛ فاغزاه معه وزيراً.

وكان حبيب بن عمر الوالى على قرمونة من قبل السلطان قد امتنع بقرمونة. فحاصر الناصر قرمونة، ومحمد بن حجاج معه وزيراً؛ فسعى به عند السلطان من كان بحسبه، وقال له: «إنها نافق ابن عمر مع محمد وبأمره!» فعزله عن الوزارة، وحبسه، وحبس معه ابن ولید صاحب الشريطة. ثم أُطلقا بعد ذلك. فلم يلبث محمد بن حجاج بعد ذلك إلا يسيراً، وتوفى في شوال سنة ٢٠٢.

ومن أخبار عمر بن حفصون في أيام الأمير عبد الله

وعند ما ولي عبد الله الخلافة، ووافته الكُتُب من البلاد؛ واجتمعت على طاعته جميع العباد، رأى عمر بن حفصون على قرط عناده، وعتوه في الأرض وفساده، أن يدخل في جماعته، ويلتزم بفروض طاعته. فأرسل ابنه حفصاً

الى قُرْطُبَةَ مع جماعة من اصحابه، على أن يعقد وامع الأمير سلماً منتظماً، وصلحاً
 مبرماً، لا يُجِله حال، ولا يلحقه مُحال، على أن يستقرَّ عمر بن حفصون ببريشتر
 P. ١٢٦ على الطوع، ويفيم * بها على الطاعة والسبع. فقبل الأمير نزاعه، وسمع بإيقانه
 هنالك، وأصدر ابنه ورُسُلَه إصداراً جميلاً؛ ومنحهم براً جزيلاً، ووجه معهم
 عبد الوهَّاب بن عبد الرُّوف والياً على كورة رية، ومشاركاً لابن حفصون في
 عقده وحله، ومُساهماً له في توليته وعزله. فمكنا شريكين في الأمر والنهي، الى
 أن غلب ابن حفصون على عبد الوهَّاب، وأخرجه من الكورة مُنبت الأسباب.
 واشتدَّت معرفته، وتأكَّدت عاديته ومضرته، حتى همت الفرى بالخلاء، والناس
 بالجللاء. ولم يبقَ بالقبانية قرية إلا غشيتها الخيل، وعمتها الذلَّة والويل، قد
 ملك اللعين إسنجة وأرجذونة، وأجادهما ثقافاً، وصبر فيها من الآلات أصنافاً.
 فلما رأى الأمير عبد الله ما أحاط بقُرْطُبَةَ من ابن حفصون، ودار عليها
 من الحرب الزبون، أمر بإخراج السرايق الى فحص الربض بشقندة. فلما
 اشتدَّت أطناؤه، ومدَّت حباله وأسأبه، بعث ابن حفصون خيلاً تروى على
 شقندة لعلها تأخذ السرايق السلطاني وتفوز به، وتَهجم على البلد وتُحيط بجانبه.
 فخرجت لم الخيل إسر ذلك، وطردتهم طرداً من هنالك، ووصلت الى ابن
 حفصون؛ فدفعته عن الجهة، ومنعته من تلك الوجهة، وأوى الى حصن بُلَى
 بقبرة؛ فجمع له الأمير أهل قُرْطُبَةَ، وسار إليه في نحو أربعة عشر ألفاً. وحشد
 ابن حفصون نحو ثلاثين ألفاً؛ فصدمه الأمير من معه؛ فشرَّ عقده وفرق جمعه؛
 فعملت السيوف في رقابهم، وتبعَّت سبيل أعقابهم، حتى رويت الأرض من
 دماهم. ودخل الأمير عبد الله القلاع النائرة عليه؛ وصارت يومئذ في يديه.

وفي ذلك يقول ابن عبد ربه [كامل]:

رَامَ ابْنُ حَفْصُونَ النِّجَاةَ فَلَمْ يَسِرْ وَالسَّيْفُ طَالِبُهُ فَلَيْسَ بِسَاجِ
 * فِي لَيْلَةٍ أَسْرَتِ بِهِ فَكَأَنَّمَا خِيلَتْ نَفِيضَةً لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ
 مَا زَالَ يُلْفِحُ كُلَّ حَرْبٍ حَامِلٍ فَالآنَ أَنْجَحَهَا بِشَرِّ سَاجِ

رَكِبُوا الْفِرَارَ بَعْضُهُمْ قَدْ جَرَّبُوا غِبَّ السَّرِيِّ وَعَوَاقِبَ الْإِذْلَاجِ
وَإِذَا سَأَلْتَهُمْ مَوَالِي مَنْ هُمْ قَالُوا: مَوَالِي كُلِّ لَيْلٍ دَاجٍ.

وأما رجح ابن حفصون الى بربشتر، حشد أعوانه، وجدد للعرض ديوانه، وخرج بجمعه الى البيرة، وأدار بها حرباً مبيرة، الى أن تغلب عليها بأيده، وقبض على عاملها بكيد. فأخرج الأمير عبد الله العسكر إليه، وقدم ابن أبي عبدة عليه. فلما تدانى الفريقان، وتراءى الجمعان، هجمت خيل ابن أبي عبدة على خيل ابن حفصون؛ فعكستهم عكسا، وطست آثارهم طسا؛ وأثقل ابن حفصون بالجراح، وآب من النصر صفراً الراح، قد ركب الأوعار، واحتمل الحزى والعار؛ وبلغ حصن بربشتر مفلولاً، خاسراً ذليلاً. ثم عاد الى عاده، وسيل بغيه وفساده. وفي كل ذلك كان الأمير عبد الله يهزم جيشه، ويروع بأسه جأشه، حتى خمدت نيرانه، وملت أنصاره وأعوانه. فلما توفى الأمير عبد الله، وولى الناصر لدين الله، بادر الى الطاعة، والدخول في الجماعة. ثم نكت وغان، حتى هلكته الأزمان.

جُهْلَةُ الثُّوَارِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ فِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ،
الْمُخَارِجِينَ عَنِ الْجَمَاعَةِ، الْمُضْرِمِينَ لِنَارِ الْفِتْنَةِ

أولم ابن حفصون؛ وقد تقدم ذكره. وتأتى بقية أخباره بحسب السنين. وثار سوار بن حمدون بحصن من شافر؛ فقام الى جعد عامل البيرة بهن معه؛ فهزم جمعه، وأخذه أسيراً، وأراه يوماً عسيراً. ثم أطلقه من عقاله، وعنه بإفضاله، * وانصرف الى البيرة بلك، ومقر أهله ووالده. وسار سوار الى غرناطة، P. ١٢٨ وأغار على حصون ابن حفصون؛ فاجتمع أهل البيرة في نحو ثلاثة وعشرين ألفاً؛ فلقبهم سوار في عدد قليل؛ فلاذوا بالفرار والنفور، وصاروا كالهبياء المشور؛ ونبطت بهم الحثوف كسفاً، وقتل منهم على ما ذكر اثنا عشر ألفاً، وذلك

في سنة ٢٧٦. وكانت بين سوار هذا وابن حفصون ملاقاته انقلب فيها ابن حفصون مهزوماً، وتولى ملوماً مذموماً، قد أثقل بالجراح، وقُتِل قُوَادُهُ في ذلك الكفاح. وكان جعد النائر بالبيرة منفقاً مع ابن حفصون على النفاق، مُنْعَفِداً معه على الفساد في ملك الآفاق؛ فأعمل جعد الحيلة في الغدر بسوار جهده، وأظهر في ذلك نصيبه وجهده؛ فأغار على جهته يوماً، وقد آكن هنالك يوماً. وخرج هو نفسه في نفر يسير؛ فاكنسح وأغار، وأنجد في الجهة وغار. وظن سوار أن ليس وراءه أجناد تُنَجِّده، ولا أمداد تُبَدِّه؛ فبرز إليه بأهل المكان، وقد آبن بالظفر والإمكان. فلما انبسط من هنالك كالفرخ الأشير، ثارت الكمائن عليه كالجراد المنتشر، وأحدثت الخيل بسوار؛ فقتل نقتيلاً، وعاد عسكره مهزوماً مفلولاً. وأرسل جعد صاحب البيرة الى ابن حفصون برأس سوار، وأعلمه بالكتب الشامل لأعدائهم والبوار.

وثار سعيد بن جودي في ذلك التاريخ بالعرب، وعارض ابن حفصون بالحرب والحرب، حتى أغصه بريفه، وضايقه في سبيله هناك وطريقه؛ فرجع ابن حفصون الى الحيلة فيه والكد، إذ عجز عنه بالقوة والأيد، حتى قبض عليه، وصار أسيراً لديه، وأقام عنده بسبب شهرراً مكبولاً، الى أن قبِل فيه ابن حفصون مالا جزلاً قبولاً؛ فأطلقه من وثاقه؛ فجد في خلافه على أمير عبد الله وشقيقه، الى أن مكر به مكرأ، وقتل في دار عشيقته له يهودية غدرأ. وتولى أمر العرب بجانب البيرة محمد بن أضحى؛ فأمسى على طاعة الأمير عبد الله وأضحى؛ فناصر ابن حفصون الحرب، وعارضه بالطعن والضرب، الى أن ظفر به ابن حفصون في تلك المسالك، وصار عنده أسيراً هنالك؛ ففداه العرب منه بمال جسيم، ومشى من طاعة الأمير على منهاج قويم.

وثار العرب بإشيلية ثورة، وقبضوا على عاملها عنوة، وانتهبوا طارفه ومثلده، ولم يتركوا إلا أهله وولده، وقتلوا كثيراً من أعوانه، وعاثوا ما شأوا في سلطانه؛ فاجتمعت العساكر من قرمونة وسائر الأقطار، وأحاطت بإشيلية إحاطة

الذمك الدوّار؛ فغلبوا على الفائين فيها. وقتلوا منهم فرقة؛ فكانت الواقعة المعروفة بالدعفة.

وتغلب إبراهيم بن حجاج على إشبيلية تغلباً، ونصب لأحوار قرطبة منها حرباً وحرباً؛ وارتبط مع ابن حفصون على العبث التام، والاحتلال بقرطبة في ذلك العام. وتغلباً على الحصون والقلاع، وجداً في الكفاح والفراع، الى أن انتفض ما بينهما من السلم المنظم، والعهد المحكم المنبرم. وصالح ابن حجاج الأمير عبد الله؛ فأقره بإشبيلية. وصرف إليه زمامها، وأوقف عليه أعمالها وأحكامها.

وثار ديسم بن إسحاق، وغلب على مدينتي أورقة ومرسية، وما يليهما من كورة تدمير. وكان مؤدوداً من طبقات الناس، رفيقاً برعيته، جواداً، منتجعاً، له إفضال على الشعراء والأدباء.

وثار عبيد الله بن أمية، وملك كورة جيان، ودخل حصن [ابن عمر⁽¹⁾] وغيره. ومنهم، عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي، اقتعد مدينتي بطليوس⁽²⁾ وماردة؛ ففارق الجماعة، وجاور أهل الشرك، ووالاهم على أهل القبلة. ومنهم، عبد الملك بن أبي الجواد، اقتعد مدينة باجة وملكها، وتخصن بحصن مارتلة، وله حظ من المنعة تشييداً وعدة. وكان معارفاً لابن مروان. صاحب بطليوس في هذا التاريخ، وابن بكر صاحب أكشونية؛ فكانوا متآلبين على من خالفهم.

وثار ابن السليم، وهو منير بن إبراهيم بن محمد بن السليم، بمدينة ابن السليم، المنسوبة الى جده، من كورة شدونة؛ فاقصد في سيرته. ولم يظهر له الصاعقة. الى أن قتله منوك⁽²⁾ له يسمى غانده. وخلفه وليد بن وليد، وصار الى الطاعة عند هبوب ريحها بالخليفة عبد الرحمن الناصر.

B: ودخل حصن وغيره (A). ٩ (A). Rétabli d'après Muḫtabis, éd. Autuna, p. ٩ (A).

٢) غلام B. ٢) : ودخل حصن كذا وغيره.

ومنهم، محمد بن عبد الكريم بن إلياس، امتنع بقلعة وزد من كورة شدونة، وسعى للفتنة سعيه، ونمادى، حتى استنزله الناصر فيمن استنزل من الثوار. ومات بقرطبة.

وثار خير بن شاكر بحصن شوذر من كورة جيان، وظاهر زعيم الثوار عمر ابن حفصون؛ ففتك بخير المذكور، وأرسل برأسه الى الأمير عبد الله. ومنهم، عمر بن مضمم الهنزوني⁽¹⁾ المعروف بالملاحى؛ وكان جندياً مندوياً عند العامل بجزيرتها؛ فوثب عليه؛ فغدره، وضبط النصبه.

⁽²⁾ ومنهم، سعيد بن هذيل. كانت ثورته بحصن المثلون من كورة جيان؛ فبنى قصبته، وحصنها، وأعلن بالخلاف، حتى استنزله الناصر؛ فلحق بقرطبة الى أن مات⁽²⁾.

وثار سعيد بن مسننة بكورة باغه، واقعد حصونها؛ فاستنحل أمره وشره، وعمّ أذاه، واصطفى من حصونها التي ظهر عليها أربعة لا مثيل لها في الحصانة والمنعة.

وثار بنو هابل الأربعة: أكبرهم منير بن حريز بن هابل، وأخوه أبو كرامة P. 141 هابل بن حريز، وأخوه عامر، وأخوه عمر؛ ثاروا ببعض حصون جيان في أيام الأمير عبد الله، وخلصوا طاعته، وأطلقوا الغارة، وأطلعوا أهل النساد. ثم استنزلوا؛ فنزلوا على حكم الأمان؛ فحسنت طاعتهم وخدمتهم.

⁽³⁾ وثار إسحاق بن إبراهيم بن عطاق العقبلي بحصن متبشة؛ فبناه وحصنه وامتنع به، الى أن استنزله الخليفة الناصر الى قرطبة؛ وبها توفي⁽³⁾.

ومنهم، سعيد بن سليمان بن جودي؛ أمرته عرب إغرناطة وإبيرة؛ فضبط أمرهم، حتى دبّر عليه كبيران منهم بحيلة؛ فقتلاه بها. فلم ينظم للعرب هناك أمر بعد.

1) الهنزوني B.؛ البنزوني A.

(2-2) Manque dans B.

(3-3) Manque dans B.

وثار محمد بن أضحى بن عبد اللطيف الهمداني، من أكابر أبناء العرب بكورة إلبيرة، إلى أن هلك الأمير عبد الله؛ فاستنزله الناصر لدين الله عن حصنه، فبين استنزاله من الثوار. وكان ابن أضحى هذا مع رجولته أديباً بليغاً، يفوم بين أيدي الأمراء في المحافل، فيحسن القول، ويطيب الشاء. وله أخبار معروفة.

وثار بكر بن يحيى بن بكر، واقعد مدينة شنت مريّة من كورة أكشونية، وبنها حصناً اتخذ عليها أبواب حديد. وكان له ترتيب وأهبة، ورجال شجعان، وعدة موفورة. وكان ينشبه - بزعمه - في سلطانه بإبراهيم بن حجاج. وكان له أصحاب للرأي وكتاب للعمل. وكان له عهد مؤكّد إلى جميع من في طاعته بإضافة أبناء السيل، وفراء التريل. وحفظ المجتازين؛ فكان السالك بناحيتيه كالسالك بين أهله وأقاربه.

وثار ابنا مهلب، من وجوه قبائل البربر بكورة إلبيرة؛ وها خليل وسعيد؛ ثارا ثورة نظرائهما بجهنهما؛ فأقاما على سبلهما إلى أن استنزل الناصر أولادها بعد وفاتهما.

وثار سليمان بن محمد بن عبد الملك الشذوني بشريش شذونة؛ وهو الذي بنى تبريشة وحصنها.

(1) وثار ابنا جرج بحصن بكرور؛ ففسدت سيرتهما؛ فأخرجا عن الحصن.

فات • عبد الوهاب، ولحق محمد بن عبد الرحمن بن جرج بابن الشالينة؛ ١٤٢ P. وكان مصافياً له؛ فتنبله، واستخدمه، وبنى له حصن مورينة من كورة جيان؛ فأقام فيه إلى أن استنزله الناصر ونقله إلى قرطبة (1).

وثار أبو يحيى النجيب المعروف بالأنقر بمدينة سرقسطة وأعمالها، وقتل أحمد ابن البراء الفرشي عامل الأمير على سرقسطة، واستولى عليها؛ وأظهر التمسك

بطاعة الأمير عبد الله، وخاطبه، وهو ينسب ابن البراء الى الخلاف. فأظهر الأمير نصديقه، وسجل له على سرقسطة. فثبت بها قدمه.

وفي سنة ٢٨٢، أخرج الأمير عبد الله على العسكر هشام بن عبد الرحمن ابن الحكم الى كورة تدمير، في أواخر ربيع الأول. وكان القائد معه على الجيش أحمد بن أبي عبدة. ولما احتل بوادي بلون، تقدم فطبع من الخيل؛ فافتتح هنالك حصناً، وغنم ما كان فيه. ونوافت على العسكر حتود أهل الكور. ثم انتقل وطوى المراحل حتى حل بمرسية. ثم انتقل الى لورقة. فخرج اليه دبسم بن إسحاق؛ فحاربه؛ فهزم دبسم؛ ورجع الى لورقة وأقام محاصراً حتى قتل عنه العسكر. ثم خرج دبسم بن معه؛ فضرب في الساقة؛ فرجع إليه؛ فهزم وأُتبع حتى استغاث^١ بالوعر ونجا راجلاً، وأخذ فرسه. وقتل العسكر سالماً. وفقد في هذه الغزاة الماء، ومات فيها اثنان وثلاثون رجلاً عطشاً، وهلكت دواب كثيرة.

وفي سنة ٢٨٤، أخرج الأمير عبد الله ابنه أبان الى لبلبة. وكان ابن خصيب بحصن منت ميور، وكان قد ثار به؛ فحاصره، ونصب عليه المجانيق، ورماهم بها حتى ضُربوا ودعوا الى الطاعة؛ وانعقد أمانهم. وفي خلال ذلك دخل ابن حفصون إسنيجة الدخلة الثانية؛ فورد كتاب الأمير باستعجال الفول بسبب إسنيجة؛ فقتل العسكر. وكانت مدة هذه الحركة شهرين ونصفاً، وهي أول حركة أبان. P. ١٤٢

وفي سنة ٢٨٥، غزا أبان ابن الأمير عبد الله الى ابن حفصون، والثائد ابن أبي عبدة.

وفيها ايضاً، غزا عباس بن عبد العزيز الى حصن كركي وجبل البرانس؛ وقتل ابن يامين وابن موجل. وأخذ حصونهما.

١) رجوع الى B.

وفيها، تقدّم أُبّ بن محمّد من طَلَيْطَلَة الى حَيْرِ جِيَّان، ونازلَ حصن قَسْطَلُونَة؛ وكان فيها نصارى مجاربون عيّد الله بن أمية المعروف بابن الشالبيّة؛ فأخذ الحصن، وقتل العجم. ووفاه فيه قتلُ أبيه محمّد بن لبّ في مُحاصرتِه لسَرْفُطَة.

وفيها، كانت المجاعة الشديدة التي سُمّيت السنّة بها «سنّة أُمّ أَظَنّ».

وفي سنة ٢٨٦، أظهر ابن حفصون النّصرانيّة؛ وكان قبل ذلك يُسرّها؛ وانعقد مع أهل الشّرك وباطنهم^(١)، ونفر عن أهل الإسلام، ونابذهم؛ فتنبراً منه خلقٌ كثير. ونايذ عَوْسَجَة بن الحَلْبَع، وبنى حصن قَبِيظ، وصار فيه موالياً للأمير عبد الله، محارباً لابن حفصون. وأتصفت عليه المغازي من ذلك الوقت، ورأى جميع المسلمين أنّ حربه جهادٌ؛ فتتابعت عليه الغزوات بالصوائف والشواتي، ولا يبي القواد عنه في الحِلّ والترحال. وفي ذلك قال ابن قُلمُزم للفائد ابن أبي عبّدة [متقارب]:

فَفِي كُلِّ صَيْفٍ وَفِي كُلِّ مَشْتَى غَزَاتَانِ مِنْكَ عَلَى أَسْلِ حَالِ
فَتَيْلِكَ تُبِيدُ الْعَدُوَّ وَهَدِي تُبِيدُ الْإِمَامَ بِهَا بَيْتَ مَالِ

وفي سنة ٢٨٧ كانت الصّائفة مشجورة ما بين كورة موزور وكورة شدونة وكورة رية.

وفيها، قتل الفائد ابن أبي عبّدة طالب بن مؤلود الموروري. وفيها، صلب إسحاق وصاحبه؛ وكانا من رجال ابن حفصون؛ وفيها جرى المثلُ في الناس: «غَرَّرْتَنِي^(٢) يا إسحاق!» وذلك أنّ أحدهما قال هذه الكلمة لصاحبه، وهو يُرْفَع في الخشبة.

* وفي سنة ٢٨٨، قبضت رهائنُ ابن حفصون. وتحوّلت الصائفة بشدونة ١٢٢ P. وغيرها من الكور.

غررت بي B. (2) . وناطهم B. (1)

وفيها، عظم السَّيْلُ بِقُرْطَبَةَ، وانهدم رَجُلٌ من قنطرتها.
 وفيها، خرج من قُرْطَبَةَ أَحْمَدُ بن مُعَاوِيَةَ ابن الإمام هشام الى فَحْصِ
 البَلُوطِ. ثمَّ تَقَدَّمَ الى تَرَجِيْلِهِ؛ فأقام فيها مُدَّةً يسيرةً. وانحشدت إليه المحشود؛
 فدخل الى سَمُورَةَ وبها قُتِلَ في شهر ربيع الأول.

وفي (1) سنة 2٢٩١)، كان غزو أبان ابن الإمام عبد الله [رحمه الله]
 (الى رِيَّة)؛ [وفاد الخيل أحمد بن محمد بن أبي عبدة. وفصل يوم الخميس
 لخمس خلون من جمادى الآخرة؛] ونهض حتى احتل بوادي نسفانية (3)،
 واضطرب في هذه المحلة. وخرج إليه عمر بن حفصون؛ (ثمَّ التقيًا) فوعدت
 بينهما حربٌ شديدة؛ ثمَّ انكشفت الهزيمة على أصحاب (4) ابن حفصون؛ فقتل
 منهم عددٌ كثيرٌ؛ ثمَّ أضرم قُرَى وادي نسفانية وما حوالها نارا (5). [ثمَّ انتقل
 وحلَّ على وادي بينش المجاور لبشتر، ووقعت الحرب بين أهل العسكر وبين
 ابن حفصون؛ فانهزم ابن حفصون، وقتل له رجالٌ، وعُقرت له خيلٌ. واتصل
 الحريق في جميع قُرَى تلك الناحية. ثمَّ انتقل الى محلة طَلْجِيْرَةَ؛ فأقام بها أيامًا،
 يجارب فيها ابن حفصون كلَّ يوم، ويُنال منه. وفي هذه الأيام، أُحْرِفت مِئَةٌ
 لجعفر بن عمر بن حفصون. وفي هذه الغزاة، حُورِبَت طُرُشُ والرجل (6)، وقتل أخو
 زيني وجماعةٌ من حِمْاة ابن حفصون. ونُصِبَ المنجنيق على الرجل؛ فأثرفه

P. 140

1) Ici commencent les passages du fragment de 'Arib (ms. de Gotha) incorporés par Dozy au texte du *Bayān*. Sont signalés, comme dans le tome I^{er}: entre parenthèses (), les passages du *Bayān* qui ne figurent pas dans le ms. de 'Arib; entre crochets carrés [], les passages importants de 'Arib qui ne figurent pas dans les mss. du *Bayān*. Le manuscrit de Gotha sera signalé dans les notes de l'appareil critique par l'initiale G. 2) A. et B.: ٢٨٩. 3) A. et B. بَشْفَانِيَّة. 4) A. et

B. انجالت عن هزيمة اللعين. 5) A. et B. donnent à la suite pour la fin de l'année 291 وعمَّ الإحراق جميع القرى التي على الوادي، وولى مديراً. ثم انتقل الى حصن طُرُشُ بناحية: 291 وثمة: فغاربه ونصب عليه المنجنيق، على حصن الرجل. وكانت مدة هذه الغزاة ثلاثة أشهر.

6) Vocalisation incertaine.

وثلم في سوره. ثم تقدم القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة من حصن لوثة الى حصن الحُسن، في جرائد الخيل، وأبى أبان ابن الإمام عبد الله - رحمه الله - معسكراً بحلة لوثة؛ فحارب حصن الحُسن، وقتل عدداً من أهله، وأسر منهم جماعة، وانصرف بالرووس والأسرى الى لوثة. ثم قفل بالعسكر، ودخل قرطبة يوم الجمعة لخمس بقين لرمضان؛ فكانت هذه الغزاة ثلاثة أشهر وعشرين يوماً. وفيها، خرج لب بن محمد الى بايش¹ من أحواز آلبه، وذلك في رمضان؛ فافتتح حصن بايش وما يليه، والعلاج إذفئش يومئذ على حصن غزنون محاصراً لأهله. فلما بلغه دخول لب بن محمد بحصن بايش، ولّى هارباً.

وفيها، ثم في ذي الحجة، خرج لب بن محمد الى ناحية بليارش؛ فافتتح حصن لحرويه^(٩)، وحصن إيلاس، وحصن قشيل شنت، وحصن مؤلة، وقتل بهذه الحصون نحواً من سبعمائة عالج، وسبى بها نحواً من ألف سبية.

وفيها، توفي جعفر بن يحيى بن مزين الفقيه من أهل قرطبة؛ وكانت له رواية عن أبيه وغيره. وفيها، توفي أحمد بن هاشم القائد بمدينة غرناطة، ودُفن هنالك، وهو ابن أربع وسبعين سنة. وفيها، توفي إسحاق بن عبد الله الطيب. وفيها، مات عامر بن موصل الأصبغي بحصن ناجرة.

وفي سنة ٢٩٢، [كان خروج الصائفة الى عمر بن حفصون. ونجول العسكر على حصونه؛ فهتك بعضها. وقوطع البعض على وظيف يودونه. وفيها،] كانت الواقعة (العظيمة) على [عمر] بن حفصون بوادي بلون [من جيان]. وكان قد² توافى إليه أهل الخلف والخلعان، * وخرج مغيراً على المسلمين؛ P. ١٤٦. فهزمه الله، وقتل كثيراً ممن كان معه. وأدبره في شردمة قليلة، وأفنى أكثر رجاله في ذلك المعترك⁽²⁾.

نوافت اليه حشود عظيمة: Bayān (2-2). بانس (Banos). 1) A lire sans doute

لنوافي آجالهم؛ فأفنى في ذلك المعترك وقطعت دوابهم؛ وأفنت اللعين في شردمة قليلة.

أوفيتها، خرج ألب بن محمد لمحاصرة مدينة سرقسطة، وأخذ في ردم الخندق¹ المجاور لسورها وشرع في البنيان عليها. فلما كمل له ردم الخندق² وبنيان ما فيه، رحل عنه وأدخل ندبة فيه من رجاله.

وفيتها، توفي عبد الله بن قاسم بن هلال؛ وكانت له رحلة؛ وأدخل الأندلس كتب داوود العباسي³ وغيره. وفيها، توفي الوزير سليمان بن محمد بن وأنسوس، وعبد الرحمن بن أمية بن عيسى بن شهيد المعروف بدحيم، وتوفي أخواه عثمان ابن أمية وعيسى بن أمية⁴.

وفي سنة ٢٩٣. كان خروج الصائفة الى فهر بن أسد، وهو بحصن نش من كورة جيان؛ فافتتح الحصن، وأخذ فهدراً أسيراً، وقدم به الى قرطبة؛ فأمر الامام عبد الله - رحمه الله - بصلبه عند القصابين في ربيع الآخر.

أوفيتها، عزل محمد بن أمية بن شهيد عن المدينة؛ ووليها محمد بن غانم؛ فكانت ولايته شهوراً؛ ثم عزل، وولى مكانه موسى بن محمد بن حدير. وفيها، حبس حزمير القومس، وعذّب وأدهق حتى مات.

وفي جمادى الآخرة، دخل [الفائد] أحمد [بن محمد] بن أبي عبدة حصن قبيط من تاكرنا، وندب فيه جيشاً، واستنزل من كان فيه من بني الخليل، ودخل فيه الحشم⁵.

أوفيتها، توفي يونس بن هاشم بن عبد العزيز. وفيها، توفي دبسم بن إسحاق صاحب ندمير. وفيها، قتل بجي بن قسي⁶، ومحمد بن إسماعيل، وأيوب ابن سليمان بطليطلة⁷.

وفي سنة ٢٩٤، كان غزو أبان ابن الإمام عبد الله - رحمه الله - الصائفة الى الجزيرة. وفاد الخيل أحمد بن محمد بن أبي عبدة، وحل بالجزيرة

1) Correction proposée au lieu de la leçon du ms. الفرق conservée par Dozy.

2) G. القياس. 3) G. غلاماً. Rétabli d'après le texte du *Bayan*. 4) G. فطم.

يوم الجمعة لتسع بفين من رجب . ثم تقدم الى حصن لوزة يوم السبت لإسلاخ رجب ؛ فحارب الحصن وحاصره ، وقتل جماعة ممن فيه ؛ ثم تقدم الى حاضرة ربة ، فيها مساور¹ بن عبد الرحمن ؛ فأحرقت أرباض الحاضرة وحوصر من كان فيها ؛ فدعا مساور الى السلم ، وبذل الرهائن . فأجيب الى ذلك ، وقبضت رهائنه ؛ ثم تقدم القائد الى الساحل ؛ فجال عليه أجمع ، وخرج على حصون البيرة ، وفضل منصرفاً الى قرطبة ؛ فدخلها يوم السبت لليلتين خلتا من ذى القعدة .

وفيهما ، خرج لب بن محمد الى جانب بسبلونة ؛ فبذل في تهوره ، وشرع في البيان بحصن هريز² ؛ فحشد إليه العليج شائجه جميع أهل بلد ، وكابله بالمكامن ؛ ثم وجه اليه خيلاً يسيرة ؛ فلما سمع الصيحة ، بدر الى الركوب ؛ فلقى بكمين ، فهزمه ؛ ثم بكمين ، فهزمه ؛ ثم أحذقت به الكمائن . فقتل وقتل من كان معه ، ممن أثار الشهادة ؛ وذلك في ذى الحجة لاثنتي عشرة ليلة بقيت منه . فنزل تطيئة أخوه عبد الله بن محمد . وكان لب ، يوم قتل ، ابن ثمان وثلاثين سنة .

وفيهما ، ظهر محمد بن عبد الملك الطويل في الثغر ، ودخل حصن بربشتر وحصن النصر وحصن بربطانية .

وفي سنة ٢٩٥ ، كان غزاة أبان ابن الإمام عبد الله [- رحمه الله - بالصائفة] الى جهة ربة ؛ وقاد [الخيل] (أبو العباس) [أحمد بن محمد] بن أبي عبدة ؛ [فقصد ببشتر ، وحارب ابن حفصون ، ونكاه ، وأنزل به ، وحارب ما حوالاه * من الحصون .]

P. 128

وفيهما ، غدر [سعيد بن الوليد المعروف بـ] ابن مستنة ، ونحلي عن حصن بلدة الى [عمر] بن حفصون ، وظافره ، وأبدي ما كان بضمير ، من العصيان .

1) G. مشاور . 2) Lecture douteuse ; peut-être هرين .

[وفيها، ولى المدينة محمد بن عبيد الله بن أبي عثمان، وذلك يوم خميس؛ فاستعفى عنها؛ فأعفى يوم الجمعة ثاني ولايته، وولى مكانه علي بن محمد المعروف بالباسه؛ وكان عليها ثلاثة أيام. ثم عزل وأعيد إليها موسى بن حدير؛ فكان والياً عليها الى آخر أيام الإمام عبد الله؛ وأقره أمير المؤمنين - رحمه الله - الى سنة ٢٠٢.

وفيها، دخل محمد بن عبد الملك الطويل حصن منبشون ومدينة لاردة في المحرم.

وفيها، دخل محمد بن عبد الرحمن النجيبى مدينة شبة.
وفيها، خرج محمد بن عبد الملك الطويل الى برطانية؛ فافتتح حصوناً جمّة، وسبى سبياً كثيراً.

وفيها، توفى الفقيه بجي بن عبد العزيز بن الجرار، والفقيه محمد بن غالب ابن الصفار، ومحمد بن بجي بن أبي غسان صاحب السوق. وولى أحكام السوق بجي بن سعيد بن حسان. وفيها، توفى موسى بن محمد بن موسى بن قنيس الخازن.

وفي سنة ٢٩٦، كان غزو أبان [ابن الإمام عبد الله بالصائفة الى حصون رية وغيرها]. وقاد الخيل معه أحمد بن محمد بن أبي عبدة؛ ففصد ناحية ببشتر، [ونازل ابن حصون، وحاربه ونكاه]؛ وتحرك عيسى بن أحمد [الفائد غازياً] الى حصون سعيد بن مسننة؛ [فنازله أيضاً]، حتى قتل الفائد أحمد ابن محمد من ببشتر. ثم نازل حصن لك من حصون ابن مسننة؛ فأقام عليه حتى افتتحه. P. ١٤٩

[وفيها، خرج محمد بن عبد الملك الطويل الى بليارش في شهر رمضان؛ فقتل هنالك منقلة عظيمة. ووفد عليه رسل أهل حصن روطه، يرغبون الصلح ويسمعون بالرهائن والحجزية؛ فلم يجيبهم الى ذلك؛ فخرجوا هاربين من الحصن،

وأخْلَوْهُ. وتَقَلَّمَ إِلَيْهِ؛ فَهَدَمَهُ. وَفِيهَا، تَغَلَّبَ عَلَى حِصْنِ مُنْتِ بِطَرُوشَ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِجَبَلِ الْحِجَارَةِ.

وَفِيهَا، تَوَفَّى مُحَمَّدُ بْنُ سَلْبَانَ بْنِ تَلِيدِ الْمَعَارِفِيِّ فَاضِي مَدِينَةِ وَشَقَةَ. وَفِيهَا، تَوَفَّى عُيَيْدُ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَبْدِ؛ وَكَانَ حَجَّ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثَةِ أَعْوَامٍ، هُوَ وَبِحَبِي بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَسَّانِ صَاحِبِ السُّوقِ. وَفِيهَا، تَوَفَّيَتِ السَّبْدَةُ ابْنَةُ مُطَرِّفِ ابْنِ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ - . وَفِيهَا، تَوَفَّى أَحْمَدُ بْنُ حَنْصِ بْنِ رِفَاعِ النَّقِيبِ الْمُقَرِّي^١.

وَفِي سَنَةِ ٢٩٧، [كَانَ غَزَا الْعَاصِي ابْنَ الْإِمَامِ عَبْدِ اللَّهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - الْغَزَا الْمَعْرُوفَةَ بِغَزَا رَبِيَّةٍ وَفَرِيرَةَ. وَقَادَ الْخَيْلَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَبْدِ. وَفَصَلَ يَوْمَ الْخَبِيسِ لَتَسَعِ بَقِينَ مِنْ شَعْبَانَ؛ فَتَقَلَّمَ إِلَى بَلَدَةٍ؛ فَحَارَبَهَا. ثُمَّ احْتَلَّ عَلَى نَهْرِ طَلْجِبَةِ؛ فَدَارَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِ ابْنِ حَنْصُونَ حَرْبٌ. عُفِرَتْ فِيهَا خَيْلُ السُّلْطَانِ، وَقُتِلَ عَدَدٌ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ حَنْصُونَ. ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى حِصُونِ الْبَيْرَةِ؛ فَتَزَلَ عَلَى حِصْنِ شَيْلَشَ؛ فَكَانَتْ هُنَاكَ حَرْبٌ شَدِيدَةً، وَنَالَتْ بَعْضَ حُمَاةِ الْعَسْكَرِ جِرَاحًا. وَنَجَّوْا فِي كُورَةِ الْبَيْرَةِ، وَحَلَّ بِمَحَلَّةِ بَعَانَةَ؛ ثُمَّ قَتَلَ عَلَى كُورَةِ جَبَانَ؛ فَتَازَلَ حِصْنَ الْمُتَلُونَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِلْيَلْتَنِ بَقِينَا مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ؛ فَأَقَامَ عَلَيْهِ مُحَاصِرًا أَيَّامًا؛ ثُمَّ ضَمَّى فِيهِ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَقَتَلَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِأَحَدِي عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَدَخَلَ قَرْطَبَةَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ.

وَفِيهَا، [اِفْتَتِحَتْ بِيَّاسَةَ؛ وَاسْتَنْزِلَ مِنْهَا مُحَمَّدُ بْنُ بَحِي بْنِ سَعِيدِ ابْنِ بَزِيلِ] ١٠٠. (وَفِيهَا، كَانَ سَبِيلٌ عَظِيمٌ غُرِفَتْ مِنْهُ أَرْكَانُ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَفَاضَتْ بِشْرُ زَمْرَمَ؛ وَلَمْ يَرَّ مِثْلُ هَذَا السَّبِيلِ فِي قَدِيمِ الْأَزْمَانِ.)

وَفِيهَا، اجْتَمَعَ [عَمْرٌ] بْنُ حَنْصُونَ، وَ[سَعِيدٌ] بْنُ مَسْنَةَ، وَ[سَعِيدٌ] بْنُ هُدَيْلٍ، وَضَمَّهُمْ عَسْكَرٌ وَاحِدٌ؛ فَضَرَبُوا بِنَاحِيَةِ جَبَانَ وَأَغَارُوا؛ فَأَصَابُوا وَغَنَمُوا^١،

١) وَأَخَذُوا الْمَوَاشِيَ وَالذَّوَابَّ: Bayūn 1)

وانصرفوا الى حصن جريشة ؛ فاتبعهم القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة ؛ فلحقهم، وهزمهم، وقتل جماعة منهم، [فيهم تسريل العجمي، من قواد ابن حصون.]¹ وفيها، افتتح القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة حصن الزيب، وابنتي حصن ترضيض تضييفاً على ابن هذيل، وحصن قلعة الأشعث، ووضع فيه ندباً من الرجال. وشتى القائد هذه السنة بجبل ارش² من كورة قبرة. وكانت له في هذه الشتوة حركات بالغت في نكاية أهل النفاق¹.

وفيها، خرج محمد بن عبد الملك الطويل الى بار بليارش ؛ فافتتح حصن أوزيولة، وأصاب من المشركين ثلاثمائة سيئة، وقتل كثيراً منهم، وهدم الحصن وحرقه. وتقدم الى حصن غلنير والغبران ؛ فهدمهما. وكان مبلغ الفداء في هذه الغزاة ثلاثة عشر ألفاً.

وفيها، قتل إبراهيم بن حجاج ابن عمه أحمد بن سيد بن عمر بن عمير، وهو ابن خمس وأربعين سنة.

وفيها، وذلك يوم الخميس لسبع بقين من ذي الحجة، اعتقل موسى ابن محمد بن حدير صاحب المدينة إبراهيم ومحمداً وسعيداً بنى الأمير محمد P. 101 - رحمه الله - وابن أخيه محمد بن عبد الملك ابن الأمير محمد - رحمه الله - وحبسهم في دار مطرف ابن الأمير عبد الله. وكان سبب ذلك ان الإمام عبد الله - رحمه الله - عهد اليه ألا يترك أحداً يجوز القنطرة إذا كان له خروج للصيد. وكان يصيد الإمام في تلك الجهة بعدوة النهر. فخرج الإمام في هذا اليوم منصيداً. وخرج هؤلاء من المدينة متروحين ؛ فردم واعتقلهم. فلما انصرف الأمير - رحمه الله - من صيده، أنهى اليه أمرهم وما فعله فيهم ؛ فاستحسن ذلك منه، وشكر له، وعهد اليه بإطلاقهم.

وفيها، بنى القائد أبو العباس على ابن هذيل حصن مرصيص. وشتى القائد: Bayān: (1-1) بقلة ارش برية. 2) Muḳtabis, éd. Antuña, p. 146. Il faut lire probablement أيرش.

وفي سنة ٢٩٨، خرج العاصي ابن الإمام عبد الله [رحمه الله] بالصائفة .
وقاد الخيل أحمد بن محمد بن أبي عبدة؛ [افتقد] إلى [حصن] ببشتر وغيره
من حصون الساحل [بكورة رية]. ثم تقدم بالعسكر إلى كور البيرة؛ فحطم
زرعها، وهشم ثمارها.]

وفيها، [أقام عيسى بن أحمد بن أبي عبدة في قطيع من الخيل بمدينة
بيانة؛ ف] [أغار] [عمر] بن حفصون و[سعيد] بن مسنن في بسط قبرة وقرى
فرطية، (وأخذوا الغنائم؛) فخرج عيسى بن أحمد طالباً لهما، (فالتقى بهما على
نهر ألية؛ فدارت بينهم حربٌ شديدة، وانهمز عمر بن حفصون وابن مسنن؛
فقتل من أصحابهما خلقٌ كثير، وافترقوا أيدي سباً. وبعث عيسى بن أحمد من
رووسهم عدداً كثيراً¹).

[وفيها، غزا الوزير عباس بن عبد العزيز إلى مدينة قلعة رباح؛ وكان
أهلها قد خالفوا، وخلعوا الطاعة؛ فافتتحها. وكان فضل بن سلمة، ختن سعيد
ابن مسنن، قد خالف بحصن * أشر؛ فتقرب أهل حصن أشر بقتله إلى الإمام ١٥٢.
عبد الله - رحمه الله! - فقدم منهم قومٌ برأسه إلى باب السدة؛ فشكر لهم ذلك.
وفيها، خرج عباس بن أحمد بن أبي عبدة قائداً على خيل كثيفة إلى
المنتلون لحرب سعيد بن هذيل. وفيها، تداعى البربر الطنجيون الذين كانوا
غزوا مع القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة إلى التروع إلى مدينة بلدة إلى
ابن حفصون؛ وتداعى الطنجيون الذين كانوا مع عباس بن أحمد على المنتلون
إلى التروع إلى ابن هذيل؛ فخرجوا عن العسكر، ولحقوا بأهل الكفر والخلعان.
ثم دارت الدائرة على هؤلاء وهؤلاء في الموضعين جميعاً لأمر أحدثوها،
واستدرجهم الله - عز وجل - بها؛ فقتلوا ببشتر والمنتلون. وعاد من بقي
منهم إلى الطاعة. وكان صاحب الصائفة العاصي ابن الأمير عبد الله؛ وكان

فأدركهم وهزمهم وقتل منهم مقلداً عظيمة وأخذ لوائهم وافترقوا على: Bayan: (1-1)
غير طريق.

فصوله هذه الغزاة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان، وهو يوم النصف من أبريل. وكانت في هذه الغزاة أمراضاً ووباءً.

وفيها، خرج محمد بن عبد الملك الطويل الى أرغون يريد بنبلونة وأن يجتمع هنالك مع عبد الله بن محمد بن لب. فانتهى الى حصن البربر؛ فأحرق ما حوالاه، وهدم كنائس تلك المواضع، وذلك في شهر رمضان. وعرج عن ملاقاته ابن لب وعن النصد الى بنبلونة، وانصرف؛ فاحتل حصناً من حصونه يعرف بشار قشنيته؛ فأندربان ابن شانجه يريد الهجوم عليه؛ فخرج في بعض أصحابه منسللاً. فلما أيقن أهل العسكر بهروب ابن الطويل، تخاذلوا؛ فكان سبباً لانهمزاهم أهل الحصن. فلما بلغ عبد الله بن لب الخبر، وإن ابن الطويل كع عن ملاقاته شانجه، نزل بمن معه من المسلمين على حصن لوازة من حصون P. 107 شانجه؛ فقتل جماعة منهم وكرّ راجعاً؛ فالتقى ببعض الخيل التي كان فيها شانجه؛ فقتل فيهم وسي.

وفيها، استشهد ابن أبي الخصب النطيلي، واسمه نعم الخلف؛ وكان نبيلاً أديباً، وفقهاً محدثاً.

وفيها، مات إبراهيم ابن الإمام محمد - رحمه الله - وفيها، توفي معاوية ابن محمد بن هشام القرشي؛ وعثمان ابن الأمير محمد - رحمه الله -؛ ومطرف ابن أحمد بن مطرف ابن الأمير عبد الرحمن - رحمه الله -؛ وأبان بن عبد الملك ابن الأمير عبد الرحمن - رحمه الله - . وفيها، توفي محمد بن أمية بن عيسى بن شهيد الوزير، صاحب المدينة. وفيها، توفي سعيد بن عبد الرحيم الشدوني الكاتب؛ وأبو يحيى يزيد بن محمد النجيب الخازن؛ وموسى بن العاصي بن نعلبة؛ وأبو مروان عميد الله بن يحيى بن أبي عيسى؛ وأصغ بن عيسى بن فطيس؛ وإبراهيم بن حجاج صاحب إشبيلية، وهو ابن ثلاث وستين سنة؛ وعمر بن قويس الكاتب؛ وريان التي صاحب الطراز؛ وأفلح الوصيف.]

[وفي سنة ٢٩٩، كان غزاة القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة الى حصن
مَنْجَالَةَ من حصون ابن هُدَيْل، بالقرب من جبل المُنْتَلُونَ، وذلك في صدر
المحرّم؛ فحاصره أشدّ الحصار، حتى افتتح الحصن.

وفيها، غزا بالصائفة أبان ابن الإمام عبد الله - رحمه الله - وقاد الخيل
عبّاسُ بن عبد العزيز الوزير. وفصل يوم الاثنين لتسع بقين من شعبان،
وقصد حصن بَيْشْتَر، وحارب ابن حفصون، وأوقع به. ثمّ خرج بإثره أحمد
ابن محمد بن أبي عبدة؛ فتولّى القيادة مكانه، واستقدم عبّاس بن عبد العزيز
الى قرطبة؛ فقصد القائد حصون ابن حفصون، وحارب من كان فيها. ١.

وفي هذه السنة، كُسفت الشمس^(١) [جميعاً قبل وقت الغروب، وذلك يوم
الأربعاء ليلة بقيت من شوال؛] وظهرت النجوم. وبدر أكثر أهل المساجد؛^{P. 104}
فأذّنوا لصلاة المغرب، وصلّوا. ثمّ انجلى ذلك، وعادت الشمس مُضيئة. ثمّ
توارت للمغيب^(٢).

[وفيها، خرج محمد بن عبد الملك الطّويل الى وادي بَرَشْلُونَةَ؛ فأغار بوادي
طَرَاجَةَ. فخرج عليه العليج شِير^(٣)؛ فأخذ عليه المضايق. فلما كثر عسكر المسلمين،
ألفوا أعداء الله على تلك المضايق؛ ففتح الله للمسلمين عليهم، وقتلوا فيهم
مقتلة عظيمة.

وفيها، توفى عبد الله بن أبي زيد صاحب الخيل. وفيها، توفى أصبغ بن
مالك الزاهد الفقيه. وفيها، هلك العليج إذفُنش؛ وكانت مدة أيامه أربعاً
وأربعين سنة؛ وولى ابنه غَرَسِيَةَ مكانه. ١.

1) Le *Bayan* place cette éclipse sous l'année précédente.

2) *Bayān*: وعمت الظلمة وصلى أكثر الناس المغرب؛ ثم انحلت الشمس وأضأت قدر
نصف ساعة قيل؛ ثم توارت.

3) سنة G.

شأن ابني الأمير عبد الله، محمد ومطرف

(كان الأمير عبد الله قد رشح ابنه محمداً لولاية عهده، وأثره بما عنده؛ فعظم الأمر على أخيه مطرف، وبعد ما بينهما كل البعد، وقابل الواحد الثاني بالهجران والصدد. فوجد مطرف يوماً فارساً من فرسان محمد؛ فاغتاله وقتله؛ ثم فرّق من أبيه عبد الله وحذير سطوته، ولم يأمن صولته؛ فسار إلى الحجن وفتنه، وحلّ من شدة أبوه وأوثقه، وخرج بمن فيه من أهل الذمارة والفساد، ولحق ببريشتر قاعدة أهل الضلال والعناد، وصار عند ابن حفصون، في حرز من الأمن مصون. ثم إن الأمير عبد الله أباه خاطبه بالأمان، وقال: «بش الإسم الفسوق بعد الإيمان!»¹⁾ فقبل من أبيه، وانصرف إلى أهله وذويه. ولم يزل بعد ذلك مطرف يغري بمحمد إغراء، ويطوى له عداوة وبغضاء. ويزعم أنه يخاطب ابن حفصون ويدخله، ويدأبه على القيام على أبيه وبواصله. فسجن الأمير عبد الله محمداً في دار البيعة، وامنعن خلال ذلك عين الحديقة. فلما واصل في البحث صباحه ومساءه، لم يفرغ سمعه من جهته ما ساءه؛ فأسرع إطلاقه، وحلّ وثاقه؛ فدخل مطرف إليه، وأجهز في الحين عليه، وتركه متخبطاً في دمه، ملقى على وجهه وفمه. فلما علم ذلك الأمير عبد الله، أعظم ذلك منه، وهمّ بقتله عنه؛ فلم يعد من كسر عليه ذلك؛ فتركه. وقيل: قتله فيه: والله أعلم. وكان ذلك في سنة ٢٧٧هـ.²⁾

شأن القاسم، أخي الأمير عبد الله

كان الأمير عبد الله قد اتهم أخاه بالقيام عليه في الملك، وإبراده موارد الهلك. فلما كثر بذلك الرفع إليه، وتتابع الكلام فيه عليه، رأى بمقتضى الرياسة، وحكم التدبير والسياسة، أن يجسه في دار البيعة من النصر، حتى

1) Cor., XLIX, 11.

2) A. et B. ٢٩٧.

يكشف من هذا الأمر. ثم نقله منها الى حبس الدويرة؛ فمُنِعَ النَّوْمَ هُنَاكَ؛ فَأَرْسَلَتْ لَهُ أُمَّهُ مُرْقِداً لَدَيْكَ، وَأَمَرَتْهُ أَنْ يَقْسِمَهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ؛ فَشَرِبَ الْجَمِيعَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ؛ فَأَصْبَحَ رَهْنًا لِحِمَامٍ.

وفي سنة ٢٠٠، كان وفاة الإمام عبد الله [بن محمد] - رحمه الله - [ليلة الخميس] مسنهل ربيع الأول، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. وكانت خلافته خمسا وعشرين سنة، وخمسة عشر يوماً. [ودفن في قصر قرظبة مع أجداده الخلفاء - رضى الله عنه وعنهم! - وصلى عليه أمير المؤمنين عبد الرحمن ابن محمد - رضى.

صفة الإمام عبد الله بن محمد: كان أبيض، أصهب، مشرباً بحجرة، أزرق أفتى بخصب بالسواد، ربعة الى الطول، عظيم الكراديس.

P. ١٥٦

نسبة أولاد الإمام عبد الله: ممن ولد له قبل الخلافة: محمد ابو أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد - رحمهما الله -، أمه: دُرٌّ، وأحمد، أمه: تمام؛ ومطرف، وسليمان، أمهما: غزلان؛ وأبان، لأم ولد تسمى شأن؛ وعبد الرحمن؛ وعبد الملك؛ والسيدة؛ وعائشة؛ والسيدة أخرى، أمهن: غزلان؛ وهشيمة، أمها: قرش؛ وأسما؛ أمها فتيان؛ وحكيمة، أمها: ملك؛ والبهاء، أمها: دُرٌّ، وفاطمة، وكانت أسن ولد. وممن ولد له بعد الخلافة: العاصي لمستنظرف، وعبد الرحمن لخديج، ومحمد الأصغر، وأحمد الأصغر، أمهما: ملحة، ورقية، وزينب لملحة، وفاطمة لماجن، وزينب لشارق، وفاطمة الصغرى لدر.

ذكر حجابته ووزرائه وكتابه وأصحاب شرطه: ألقى الإمام عبد الله على الحجابة وقت وفاة الإمام المنذر - رحمهما الله - عبد الرحمن بن أمية بن شهيد؛ فأمضاه عليها؛ ثم عزله، وولى مكانه سعيد بن محمد بن السليم؛ ثم عزله، ولم يول بعد الحجابة أحداً. والوزراء: براء بن مالك القرشي؛ عباس ابن عبد العزيز القرشي؛ سعيد بن محمد بن السليم؛ عبد الملك بن عبد الله

ابن أمية. وقاد الخيل بالصوائف عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة. وولي
الكتابة أحمد بن محمد بن أبي عبدة. وقاد بالصوائف سلمة بن علي بن أبي
عبدة؛ عبد الرحمن بن حمدون بن أبي عبدة؛ حفص بن محمد بن بسيل. ولى
المدينة مع الوزارة محمد بن وليد بن غانم. ولى المدينة مع الوزارة أصبغ بن
عيسى بن فطيس؛ عبد الله بن محمد الزجاجي، وكان كاتباً ووزيراً؛ سليمان بن
محمد بن وأنس؛ أحمد بن هاشم. وقاد الخيل جعفر بن عبد الغافر. وقاد
الخيل العاصي بن عبد الله بن ثعلبة؛ تمام بن عمرو بن علقمة (وكان وزيراً
P. 107 لثلاثة من الخلفاء)؛ عبد الله بن حارث بن بزيع؛ إبراهيم بن خبير؛ محمد
ابن أمية بن شهيد. وولى المدينة نصر بن سلمة، وولى القضاء موسى بن
زياد؛ وولى الكتابة والشرطة والقضاء. ومن أصحاب الشرطة موسى بن زياد،
ثم ولى مكانه، لما ولى القضاء، يحيى بن زياد عمه؛ ثم مات يحيى بن زياد،
وبقيت الشرطة دون والٍ سنتين؛ ثم وليها قاسم بن وليد الكلبي؛ فبقي عليها
حتى توفي الإمام - رحمه الله!

ومن كتّابه: عبد الله بن محمد الوثير؛ عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة؛
موسى بن زياد. ومن قضائه: النصر بن سلمة القيسي؛ ثم موسى بن زياد؛ ثم
محمد بن سلمة أخو النصر؛ ثم أعيد النصر بن سلمة ثانية؛ ثم عزل وولى
محمد بن سلمة؛ ثم مات، وولى بعده أحمد بن محمد بن زياد اللخمي¹.

بعض أخبار الأمير عبد الله بن محمد - رحمه الله -

على الجملة¹

كان إمام عبد الله مقنصداً، يظهر ذلك في ملبسه وشكله وجميع أحواله.
وكان حافظاً للقرآن، كثير التلاوة له. وكانت له صدقات كثيرة ونوافل

1) ذكر فضائله رحمه الله G. 1)

جزيلة. وكان) مُتَقَدِّمًا فِي وَرَعِهِ وَفَضْلِهِ، مُحِبًّا لِلْخَيْرِ وَأَهْلِهِ، [كثير الصلاة]، دائم الخشوع والذكر لله [عز وجل]، [كثير التواضع]، [منكرًا للسرف ومبعدًا لأهله]، شديد الوطأة على نوى الظلم والجور. [وكان] مُتَفَنِّيًا فِي ضُرُوبِ الْعُلُومِ، [بصيرًا بأغات العرب]، فصيح اللسان، حسن البيان [وكان لا يخلو في أكثر أيامه من مُقَاعِدَةِ وَزَرَائِهِ وَوُجُوهِ رِجَالِهِ؛ فَإِذَا انْقَضَى خَوْضُهُمْ فِي الرَّأْيِ وَالتَّيْدِيرِ لِأَسْبَابِ مَمْلَكَتِهِ وَمَا كَانَ يَجَاوِلُهُ مِنْ حَسْمِ عِلْمِ الْفِتْنَةِ، خَاضَ مَعَهُمْ فِي الْأَخْبَارِ وَالْعُلُومِ. وَلَمْ يَكُنْ مِمَّنْ اشْتَغَلَ بِلَدَّةٍ، أَوْ قَارَفَ شَيْئًا مِنَ الْأَنْبِيَةِ فِي أَيَّامِ خِلَافَتِهِ وَلَا قَبْلَهَا. وَهُوَ ابْنُ السَّابِاطِ بَيْنَ الْقَصْرِ وَالْجَامِعِ بِمَدِينَةِ قُرْطُبَةَ، رَغِبَ فِي ١٥١. شُهُودِ الْجُمُعَةِ، وَمَحَافِظَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ، وَحُبًّا لِلصَّالِحَاتِ. وَكَانَ يَتَعَدَّى فِي السَّابِاطِ قَبْلَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَبَعْدَهَا؛ فَيُرَى النَّاسَ، وَيَشْرَفُ عَلَى أَخْبَارِهِمْ وَحَرَكَاتِهِمْ، وَيَسُرُّ بِجَمَاعَتِهِمْ، وَيَسْمَعُ قَوْلَ الْمُتَظَلِّمِ؛ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ. وَكَانَ يَتَعَدَّى أَيْضًا عَلَى بَعْضِ أَبْوَابِ قَصْرِهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ؛ فَيُتْرَفَعُ إِلَيْهِ فِيهِ الظَّلَامَاتُ، وَتَصِلُ إِلَيْهِ الْكُتُبُ عَلَى بَابِ حَدِيدٍ قَدْ صَنَعَ مُشْرَجِيًّا لِذَلِكَ؛ فَلَا يَنْعَدُّ عَلَى ضَعِيفِ إِصْبَالٍ بِطَاقَةِ يَدَيْهِ، وَلَا إِنْهَاءِ مَظْلَمَةٍ عَلَى لِسَانِهِ. وَكَانَ أَهْلُ الْمَكَانَاتِ وَذَوُو الْمَنَازِلِ وَالْأَقْدَارِ يَتَحَفَّظُونَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يُوْجِبُ الشُّكُوبَ بِهِمْ، وَيَتَّقِبُضُونَ عَنِ التَّحَاوُلِ عَلَى مَنْ دُونِهِمْ، وَيَهَابُونَ عِقَابَهُ، وَيَحْذَرُونَ إِنْكَارَهُ، وَيَتَحَرَّوْنَ مُوَافَقَةَ مَذَاهِبِهِ. وَكَانَتْ اللَّذَاتُ مَهْجُورَةً فِي أَيَّامِهِ، وَاللَّهُوُ غَيْرَ مُقْتَرَفٍ مِنْ جَمِيعِ خَاصَّتِهِ وَعَامَّتِهِ، وَإِعْمَالُ الْخَيْرِ وَإِظْهَارُ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى فَاشٍ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ مِنْ رِجَالِهِ وَرَعِيَّتِهِ. وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَثِيرَ الْاسْتِغْفَارِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمُنْحَفِظًا مِنَ الْبَيْبِنِ بِاسْمِهِ؛ فَإِذَا حَلَفَ لَهُ حَالِفًا بِاللَّهِ، صَدَّقَهُ؛ وَإِذَا شَفَعَ بِهِ إِلَيْهِ شَافِعٌ، شَفَعَهُ؛ أَوْ خَانَفَ، أَمَّنَهُ؛ أَوْ مَذْنَبَ، صَفَحَ عَنْهُ. وَمَاثِرُهُ كَثِيرَةٌ، وَفَضَائِلُهُ مَحْفُوظَةٌ مَذْكُورَةٌ. وَكَانَ قَدْ فَتَحَ بَابًا فِي الْقَصْرِ، سَمَّاهُ بَابَ الْعَدْلِ. وَكَانَ يَتَعَدَّى فِيهِ لِلنَّاسِ يَوْمًا مَعْلُومًا يَخْفَى الْجُمُعَةَ، لِيُبَاشِرَ أَحْوَالَ النَّاسِ بِنَفْسِهِ، وَلَا يَجْعَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَظْلُومِ سِتْرًا. وَكَانَ بَصِيرًا بِاللُّغَاتِ، حَافِظًا لِأَشْعَارِ الْعَرَبِ وَأَيَّامِهَا وَسِيرِ الْخُلَفَاءِ.

راوية للشعر. وكانت اللذات في أيامه مهجورة؛ فإنه لم يشرب قط نبيذاً ولا مسكراً. واعتذر إليه يوماً بعض مواليه؛ فقال له: «إِنَّ مَخَايِلَ الْأُمُورِ لَتَدُلُّ عَلَى خِلَافِ قَوْلِكَ وَتُنْبِيُّ عَنِ بَاطِلِ تَنْصُلِكَ. وَلَوْ أَقْرَرْتَ بِذَنْبِكَ، وَاسْتَغْفَرْتَ لَجُرْمِكَ، لَكَانَ أَجْمَلَ بِكَ، وَأَسَدَلَ لِسِرِّ الْعَفْوِ عَلَيْكَ!» فقال: «قد اشتعل الذنبُ عليَّ، وحقَّ الخطاءُ بيَّ! وإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَمَا يَفُومُ لِي عَذْرًا!» فقال: «مَهْلًا عَلَيْكَ، رُوَيْدًا بِكَ! تَقَدَّمْتَ لَكَ بِخِدْمَةٍ، وَتَأَخَّرْتَ لَكَ تَوْبَةً؛ وَمَا لِلذَّنْبِ بَيْنَهُمَا مَدْخَلٌ. وَقَدْ وَسَّعَكَ الْغُفْرَانُ!»

وأملى كتاباً إلى بعض عماله: «أَمَّا بَعْدُ، فَلَوْ كَانَ نَظْرُكَ فِيهَا خَصَّصْنَاكَ بِهِ، وَاهْتَبَأْنَاكَ بِهِ عَلَى حَسَبِ مَوَاتَرَتِكَ بِالْكَتَبِ وَاسْتِغْلَالِكَ بِذَلِكَ عَنْ مُهِمِّ أَمْرِكَ، لَكُنْتَ مِنْ أَحْسَنِ رِجَالِنَا عِنَاءً، وَأَتَمِّهِمْ نَظْرًا، وَأَفْضَلِهِمْ حَزْمًا. فَأَقْبِلْ مِنْ الْكَتَبِ فِيهَا لَا وَجَهَ لَهُ وَلَا نَفْعَ فِيهِ، وَاصْرِفْ هِمَّتَكَ وَفِكْرَتَكَ وَعِنَايَتَكَ إِلَى مَا يَبْدُو فِيهِ اكْتِفَاؤُكَ، وَيُظْهِرُ فِيهِ غِنَاؤُكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ!»

وكتب أحدُ الوزراء إليه كتاباً في أمر. فوقع فيه [خفيف]:

أَنْتَ يَا تَضْرَأِيْدَهُ لَمَسْتَ تُرْجِي لِفَائِدَهُ
إِنَّمَا أَنْتَ عُدَّةٌ لَكِنِّي وَمَائِدَةُ

وكان - رحمه الله - تقياً نقياً. بنى الساباط من القصر إلى الجامع، محافظاً منه على الصلوات. والتزم الصلاة مع الجماعة إلى جانب المنبر دائماً حتى لفي ربه. وكان - رحمه الله - شاعراً مطبوعاً؛ له أشعارٌ حسان. فمن قوله ينغزل في صباه [منسرح]:

وَيَجِي عَلَى شَادِنِ كَعْبِلِي فِي مِثْلِهِ يُخْلَعُ الْعِدَارُ
كَأَنَّهَا وَجِنْتَاهُ وَرَدُّ خَالَطَهُ النُّورُ وَالْبَهَارُ
فَضِيبُ بَانَ إِذَا تَشَى يُدِيرُ طَرْفًا بِهِ أَحْوَارُ
فَصَنُو وَدِي عَلَيْهِ وَقَفْتُ مَا اطَّرَدَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

ومن قوله أيضاً في مثل ذلك - رحمه الله - [رجز]:

يَا مُهْجَةَ الْمُشْتَاقِ مَا أَوْجَعَكَ وَيَا أَسِيرَةَ الْحُبِّ مَا أَخْضَعَكَ
 وَيَا رَسُولَ الْعَيْنِ مِنْ لَحْظِهَا بِالرَّدِّ وَالتَّبْلِيغِ مَا أَسْرَعَكَ
 تَذَهَبُ بِالسِّرِّ فَنَأْتِي بِهِ فِي مَجْلِسٍ تَخْفَى عَلَيَّ مَنْ مَعَكَ
 كَمْ حَاجَةٌ أَنْجَزَتْ أَسْرَارَهَا تَبَارَكَ الرَّحْمَانُ مَا أَطْوَعَكَ⁽¹⁾

ومن قوله في الزُّهْدِ [كامل]:

يَا مَنْ يُرَاوِعُهُ الْأَجَلُ حَتَّى تَمَّ يُلْهِبِكَ الْأَمَلُ
 حَتَّى تَمَّ لَا تَخْشَى الرَّدَى وَكَأَنَّهُ بِكَ قَدْ نَزَلَ
 أَغْفَلْتَ عَنْ طَلَبِ النَّجَاةِ وَلَا نَجَاةَ لِمَنْ غَفَلَ
 هَيْهَاتَ يَشْغَلُكَ الْمُنَى وَلَمَّا يَدُومُ لَسْكَ الشَّغْلِ
 فَكَيْفَ يَوْمَكَ لَمْ يَكُنْ⁽²⁾ وَكَأَنَّ نَعْيِكَ قَدْ نَزَلَ

وله أيضاً في الزُّهْدِ [وافر]:

أَرَى الدُّنْيَا تَصِيرُ إِلَى فَنَاءٍ وَمَا فِيهَا شَيْءٌ⁽³⁾ مِنْ بَقَاءٍ
 فَيَا دِرُّ بِالْإِنْبَاءِ غَيْرَ وَإِنْ⁽⁴⁾ عَلَى شَيْءٍ يَصِيرُ إِلَى فَنَاءٍ
 كَأَنَّكَ قَدْ حُمِلْتَ عَلَى سَرِيرٍ وَغُيِّبَ حُسْنُ وَجْهِكَ فِي الثَّرَاءِ
 فَسَافِسُ فِي التُّفَى وَاجْنَحُ إِلَيْهِ لَعَلَّكَ تُرْضِينُ رَبَّ السَّمَاءِ

ولم يزل - رحمه الله عليه - يرفع منار الدين، ويسلك سبيل المهندسين، لم تمنعه الفتن عن النظر لنفسه، والعمل ليوم فاقته وحلول رَمَسِهِ. وكانوا يعدونه من أصلح خلفاء بني أمية بالاندلس، وأمثلهم طريفة، وأتمهم معرفة، وأمتهم ديانة؛ إلا أنه كان منغص الحال بدوام الفتنة، وتضييق نطاق الخطئة، ونقصان مقدار التزكية، حتى كان يتخلله الرِّياح تحت قناع نقواه، والبخل بطوقه طبيعة ليست له نخط من هواه؛ وغمص دينه لما كان من هوان الدماء عليه، بسبب

1) Ce vers manque dans A. 2) قد أتى. 3) لحي. 4) B. رآه.

الفتن الطارئة حتى من ولديه، آخذاً لأكبرها بالظننة. وقد صرح الفقيه أبو محمد بن حزم بنتم هذا الأمير، وقال إنه كان قتالاً • تهون عليه الدماء مع كثرة إقباله على الخيرات، وإعراجه عن المنكرات؛ فإنه احتال على أخيه المنذر على إثارة له، وواطأ عليه حجامة بأن سم له البيضع الذي فصده به، وهو نازل بعسكره على ابن حنصون. ثم قتل ولديه معاً بالسيف واحداً بعد واحد: قتل محمداً والد الناصر لدين الله، وقتل أخاه المطرف؛ ثم قتل أخوين له معاً أيضاً: قتل هشاماً منها بالسيف، والقاسمَ بالسم. والله أعلم بحقيقة أمره.)

خِلاَفَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ

(نَسَبُهُ: هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ، الَّذِي قَتَلَهُ أَخُوهُ مُطَرِّفٌ، ابْنُ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ الرَّبِيعِيِّ بْنِ هِشَامِ الرَّضِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِخِلِ. كُنْيَتُهُ: أَبُو الْمُطَرِّفِ. لَقَبُهُ: النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ. أُمُّهُ: أُمُّ وَالدِّ تَسْمَى مُزْنَةَ¹). عُمُرُهُ: ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ. وُلِيَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ جَدُّهُ الْأَمِيرُ عَبْدِ اللَّهِ وَبُويعَ فِيهِ، وَوَذَلِكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ مَسْتَهْلٌ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ٢٠٠. وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِلْيَلْتَيْنِ خَلْتًا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُعْظَمِ سَنَةِ ٢٥٠؛ فَكَانَتْ خِلاَفَتُهُ خَمْسِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. صِفَتُهُ: أَبْيَضٌ، رَبِيعٌ، أَشْهَلٌ، حَسَنَ الْجِسْمِ، جَمِيلٌ، بَهِيٌّ، يَجْتَضِبُ بِالسَّوَادِ.

قُضَاهُ: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ؛ ثُمَّ عَزَلَهُ وَوَلَّى أَسْلَمَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ هَاشِمٍ؛ ثُمَّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ ثَانِيَةً؛ ثُمَّ أَحْمَدُ بْنُ بَغْيٍ؛ ثُمَّ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدِ اللَّطَوِيِّ.

نَقَشَ خَاتَمُهُ: «عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِقِضَاءِ اللَّهِ رَاضِي». وَكَانَ أَبُوهُ وَلِيَّ عَهْدِ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ وَأَكْبَرُ بَنِيهِ؛ فَقَتَلَهُ أَخُوهُ مُطَرِّفٌ، وَقَتَلَهُ أَبُوهُ بِهِ. وَقِيلَ فِي ذَلِكَ كَلَامٌ كَثِيرٌ.

١) مَزْنَةُ B.

وكان مَوْلِدُ الناصر قبل قتل أبيه محمد بأحد وعشرين يوماً، وذلك يوم الخميس لثمان بقين من رمضان سنة ٢٧٧. وكان جدُّه الأمير عبد الله يعظيهِ دون بنيه، ويومئذ به، ويرشحه لأمره، ورُبُّها أقعد في بعض الأيام والأعياد مَقْعَدَ نفسه لتسليم الجُند عليه. فنعلقت آمالُ أهل الدولة به، ولم يشكُّوا في مَصِير الأمر إليه. فلما مات جدُّه، أُجلسوه مكانه في الخلافة دون ولده لصلبه (1)، لما أراد الله من ضخامة الملك ونصر الإسلام وإيادته الشُّرك؛ اتفق له في ذلك ما لم يتفق لملك قبله ولا بعده (2). وكان يسكن القصر مع جدِّه دونهم؛ فتهباً إجلاله دونهم مكانه بغير منازعة. وقيل إنَّ جدَّه رمى بجائسه إليه إيابة منه لاستخلافه. فكان أوَّل من بايعه أعمامه أولاد الإمام عبد الله، وهم: أبان، والعاصي، وعبد الرحمن، ومحمد، وأحمد. وتلاهم إخوة جدِّه، وهم: العاصي، وسليمان، وسعيد، وأحمد. وكان أحمد مُتَكَلِّمَهُمْ. فلما بايعه، اتى عليه بكلِّ جميل. والناصر هذا هو أوَّل من تسمي منهم بأمير المؤمنين، وتلقب بأحد الألقاب السلطانية، وهو «الناصر» ثم تسمي منهم من كان بعده من خلفائهم بأمرة المؤمنين وآثر لقب السلطاني، وذلك حين هاجت الخلافة العباسية، وضعفت، وظهرت الدولة التركية والدَّيْلَمِيَّة؛ فصارت إمرة المؤمنين لائفة بمصيه، وكلمة باقية في عقبيه. فاستهلَّ الخطيبُ بجامع قرطبة أحمد بن بَقِي بن مَخْلَد، بذكر هذا الاسم المَخْلَد، يوم الجمعة [مستهلَّ ذى الحجَّة] من سنة ٣١٦. وفي يوم ولایتة يقول أحمد بن عبد ربه من قصيدة [بسيط]:

بَدَا الْهَيْلَالُ جَدِيدًا وَالْمَلِكُ غَضَّ جَدِيدُ
يَا نِعْمَةَ اللَّهِ زَيْدِي فَمَا عَلَيْكَ مَزِيدُ (2)

* وولِّي، والأندلسُ جَمْرَةٌ تَحْتَمِي، ونارٌ تَضْطَرِمُ شِفَاقًا وَرِنْفَاقًا؛ فأحمد P. ١٦٣
نيرانها، وسكن زلازلها، وغزا غزوات كثيرة. وكان يُشَبَّه بعبد الرحمن الداخل؛

1-1) Manque dans B. 2) Corr., d'après Makkarī: إن كان فيك مزيد.

ومن وقت دخوله الأندلس سنة ١٢٨ الى ولاية عبد الرحمن الناصر، مات من بني أمية سبعة خلفاء وعبد الرحمن ثامنهم؛ ومات في المدة المذكورة من بني العباس إثنان وعشرون ملكاً.

وفي سنة ٢٠٠، استخلف الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين عبد الرحمن ابن محمد - رحمه الله - يوم الخميس مستهل ربيع الأول سنة ٢٠٠، وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً. وكُنِيته: أبو المطرف. وأمه: أمٌ وُلدَ تسمى مُزنة. وجلس [الديعة] في معراب المجلس الكامل بقصر قرطبة. ونولى أخذها له على الخاصة والعامة بدر بن أحمد مولاة، وموسى بن محمد بن حدر صاحب المدينة. وأحضر أعمامه، وأعمام أبيه، وطبقات قریش، وصوف الموالى، وعامة الناس؛ فبايعوا مبايعة رضى واغتياب، بوجوه تهليل، وصدور منسرحة، وألسنة داعية شاكرة لله - عز وجل - على ما قلده من أمرهم، وأصاره إليه من رعايتهم، والذب عن حرمانهم؛ قد استبشر جميعهم بين نفيته واعتلاء همته، ورجوا ما قد حققه الله لهم من بركة دولته، وصلاح الأحوال على يده. وتجرده لاستئصال عاق الفتن، والتمهيد الطاعة. وكان الخلاف قد عم أقطار الأندلس، وطبق القاصى والدانى منها، واستولى أهل النفاق على كورها ومعاقبتها بفترة طاوتهم، وهلى براخت أيامه بهم؛ فحسم الله - عز وجل - منه على يده ما سبأت الخبر عنه، ونصل الحكاية له.

وعهد - رحمه الله - بالكتاب بيعته الى الكور والأطراف. وولى فى يوم مبايعته بدمراً مولاة الحجابة مع الوزارة وخطة الخيل، الى ما كان إليه من خطة البرد. وولى موسى بن محمد الوزارة، الى ما كان إليه من خطة المدينة. وكان على الكتابة عبد الله بن محمد الزجاجى؛ فأقره عليها، وأقر أحمد بن محمد ابن أبى عبدة على القيادة؛ وأقر قاسم بن ولید الكلبى على الشرطة العليا؛ وكان مع ذلك خازناً؛ فصرف الخزانة عنه وولأها عبد الملك بن جهور. وولى الخزانة أيضاً محمد بن عبيدة بن مبشر، ومحمد بن عبد الله بن أبى عبدة، وعزل

عنها عيسى بن شهيد، وولي مكانه سعيد بن سعيد بن حدير. وولي عمر بن محمد ابن غانم، وعبد الرحمن بن عبد الله الزجالي، ومحمد بن سليمان بن وانسوس خطة العرض. وولي محمد بن عبد الله الخزوي خزانة السلاح مع العفل، وحسين بن احمد الكاتب خزانة السلاح أيضاً، وبجي بن اسحاق ومسلمة بن عبد الفاهر المعروف بابن الشرح. ثم ولي - رضه - عيسى بن احمد بن ابي عبدة الشرطة العلبي، وصرف عنها قاسم بن وليد الكلبى، وولي قطيس بن اصبح خطة البيازرة، وصرفها عن الحاجب بدر بن احمد، الى اعمال وخطط ولاها من استحق عندك من مؤملبه ووجوه مواليه.

وأخرج - رحمه الله - عباس بن عبد العزيز القرشي في قطع من الجند الى براير كركي وجبل البرانس؛ وأخرج القائد احمد بن ابي عبدة في من ضم إليه من الجند الى كورة قبرة لمعالجة من كان في هاتين الجهتين من أهل الشر والفتنة. فالتقى عباس بن عبد العزيز بالفتح بن موسى بن ذى النون بقلعة رباح؛ فهزمه، وقتل كثيراً ممن كان انصوى اليه. وورد كتاب عبيد الله بن فيهر عامل قلعة رباح يذكر ظفره بمحمد بن ارضيلش بناحية عملة؛ وكان من العصاة المفسدين؛ فقتله، وبعث برأسه؛ وكان أول رأس رفع لما رُق في دولة أمير P. 170 المؤمنين - رحمه الله -، وذلك يوم الأحد لعشر خلون من ربيع الآخر. وبدت تبشير الصنع، ودلائل الإقبال على أوائل نظره - رحمه الله!

واثنان بقين من ربيع الآخر، ولي أمير المؤمنين - رضه - احمد بن محمد ابن حدير الوزارة والقيادة؛ وكان قبل ذلك يلي الشرطة الصغرى. وولي هذه الشرطة محمد بن محمد بن ابي زيد. وأجرى الرزق على عبد الرحمن وعبد الله ابني بدر الحاجب، وذلك لكل واحد منها ثلاثون ديناراً وازنة. وولي إسماعيل بن بدر كتابته خاصة، أرتبه لها. وولي - رحمه الله - جهور بن عبد الملك الوزارة؛ وولاها أيضاً عبد الله بن مضر. وولي عبد الرحمن بن بدر الخيل، وعبد الله بن محمد بن عبد الخالقي بن سودة قضاء كورة البيرة. وهو

أَوَّلُ قَاضِي خَرَجٍ إِلَى كُورَةَ فِي أَيَّامِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - . وَأَرْبَعُ بَقِيْنَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ،
عَزَلَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي عَبْدِ عَنِ الْوِزَارَةِ وَالْقِيَادَةِ، وَابْنَهُ عَيْسَى بْنُ أَحْمَدَ
عَنِ الشَّرْطَةِ الْعُلْيَا، وَصَرَّفَ إِلَيْهَا قَاسِمُ بْنُ وَابِدِ الْكَلْبِيِّ؛ وَعَزَلَ مُحَمَّدُ بْنُ وَابِدِ
ابْنَ غَانِمٍ عَنِ الْوِزَارَةِ، وَعَمَرَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ وَابِدِ عَنِ الْعَرَضِ .

وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ لِأَحَدِي عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى، انْفُتِحَتْ
مَدِينَةُ إِسْنِجَةَ، وَدَخَلَهَا الْحَاجِبُ بَدْرُ بْنُ أَحْمَدَ وَالْوَزِيرُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حُدَيْرٍ؛
وَكَانَ أَوَّلَ مَوْضِعٍ انْفُتِحَ فِي أَيَّامِ النَّاصِرِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -؛ وَضُبِطَتِ الْمَدِينَةُ، وَهُلِمَ
سُورُهَا. وَفِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَزِيرُ فَانْدَأَ بِهَا وَمُسْكَاً لِأَحْوَالِ أَهْلِهَا. وَوَلِيَ
عَمَالَتَهَا حَمْدُونَ بْنُ بَسِيلٍ .

وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ لِسَبْعِ بَقِيْنَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْهَا، وَلى الْوِزَارَةَ مُحَمَّدُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُمَيَّةَ .

وَاسْتَخَلَّوْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، طَلَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنْسَدِينَ، يُعْرَفُ بِمُحَمَّدِ
ابْنِ بُوَيْسِ الْحَيَّانِيِّ: كَانَ مَحْبُوساً فِي أَيَّامِ الْإِمَامِ عَبْدِ اللَّهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -؛ فَأَطْلَقَهُ
الْمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرُ - رَضَهُ - بَعْدَ أَنْ عَاهَدَ اللَّهُ الْأَبْوَاقَ مُنْكَرَاً؛ فَكَتَبَ،
وَخَرَجَ بِبَغْيِ السَّادِ فِي أَيَّامِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ !

وَالسَّبْعُ بَقِيْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ. عَزَلَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ زِيَادٍ عَنِ قَضَاءِ
الْجَمَاعَةِ قُرْطُبَةَ، وَعَنِ الصَّلَاةِ. لِأُمُورٍ أُتَكَرَّتْ عَلَيْهِ. وَوَلَّى الْقَضَاءِ أَسْلَمُ بْنُ عَبْدِ
الْعَزِيزِ، وَالصَّلَاةَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِ بْنِ لُبَابَةَ الْفَقِيهَ .

وَفِيهَا، كَانَتْ غَزَاةُ مُبِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - إِلَى مَعَارِقِلِ حَيَّانٍ، وَهِيَ
أَوَّلُ غَزْوَانِهِ: أَمْرُ النَّاصِرِ - رَضَهُ - مِنْ قَصْرِ قُرْطُبَةَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِثَلَاثِ عَشْرَةَ
لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ ٤٠٠. وَفَصَلَ غَازِياً إِلَى كُورَةَ حَيَّانٍ يَوْمَ السَّبْتِ لِسَبْعِ
خَلُونَ مِنْ رَمَضَانَ بَعْدَ يَوْمِهِ ثَلَاثَةَ وَعِشْرِينَ يَوْماً. وَاسْتَخْلَفَ فِي النَّصْرِ مُوسَى
ابْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ حُدَيْرٍ الْوَزِيرَ صَاحِبَ الْمَدِينَةِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ بَدْرٍ، وَانْهَضَ

ارضه] في جيوش كثيفة وعداد كاملة¹. [وكان قد نزع إليه قبل فصوله محمد ابن قزوة صاحب أبنة في جملة فرسانه؛ فتقبلهم أحسن قبول، وأنزلهم أتم إنزال؛ وصاروا في جملة رجاله ومن يضمه عسكره. وسار - رحمه الله - لوجهه. فلما احتل بحصن مارتش من عمل جيان، ورد الخبر بمضايقة عمر بن حفصون لأهل حاضرة رية، وأنه أطع نفسه عند تخاذلهم بانتهاز الفرصة فيهم. فوجه لثلاثي ذلك سعيد بن عبد الوارث، في قطع من الجند، وأمره أن يفتد السير، ويطوى المراحل، حتى يجتأ مدنة مألقة. ويقطع بابن حفصون P. 171 عما كان رامة منها وأضع نفسه فيها؛ فتوصل القائد الى الموضع. وضبطه، وحمى تلك الجهة عن ابن حفصون وحزبه.

ونقض أمير المؤمنين - رحمه الله - الى حصن المتلون واختله يوم الأحد للتصيف من شهر رمضان؛ وحارب سعيد بن هذيل فيه حتى افتتحه يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت منه. وأنزل سعيد بن هذيل من الحصن، وأوسع الأمان. وولى عمله محمد بن عبد الوهاب. ثم تقدم - رحمه الله - الى حصون شمتان؛ فاستأمنه عبيد الله بن أمية بن الشالبة، وإسماعيل بن إبراهيم صاحب منبشة، وعكاشة بن محصن صاحب وادي بني عبد الله، وسلمة بن عرام صاحب بحيلة، ومنذر بن حريز صاحب بفتوية، وأفلح بن عروس صاحب بكور، وفحلون ابن عبد الله صاحب ساسة؛ ونزلوا عن معاقلهم إليه. وكلهم مدع عن بطاعته ومحكم في نفسه؛ فأوسعهم أمير المؤمنين - رحمه الله - فضله، وألبسهم عفو، وأخلى تلك المواضع منهم، وقدم أولادهم ونساءهم الى قرطبة. واستعمل في الحصون ثقات رجاله. واستنزل عبد العزيز بن عبد الأعلى من حصن الشارة،

فسم الأعداء، وقهر الأعداء. وافتتح. 1) Le *Bayan* résume ainsi le récit qui suit: واختم الذاه في كورة البيرة وتأنفت كلهم واستقامت طاعتهم. وقفل بعد استصلاح كورتي البيرة وجيان وما والاها ودخل قصره، وقد استنم في غزاته اثنين وتسعين يوماً.

ودحون بن هشام . ثم انتقل - رحمه الله - منها الى كورة البيرة . فلما احتلها ،
 بدعى أهل حصون تاجلة وبسطة ومرّيط والبراجلة والأسناد الى النزول
 والظوع . وأخلوا حصونهم . فأحكم الناصر - رحمه الله - أمر ذلك الجانب
 كله ، وضبط المعاقل برجاله ، وأتقن الجميع بنظره . ثم انتقل - رحمه الله -
 الى حصون وادي آش ؛ فأخلى أكثرها رهبة له ، ونزل على حصن فينيانة يوم
 الخميس لأربع خلون من شوال ؛ وكان فيه من شيعة ابن حصون من أغوى
 أهله وأصلهم ؛ فتمنعوا من النزول ، ورجوا أن يعنصوا بوعر الحصن ؛ فأحاطت
 العساكر بهم ، وأضربت أرباضهم ناراً ؛ فصرعوا في قبول الإنابة ، على أن
 يسلموا من كان عندهم من شيعة ابن حصون ؛ فاجبوا الى ذلك ، وتقبض على
 أصحاب ابن حصون . وشدوا وثاقاً .

ثم انتقل أمير المؤمنين تنقري تلك المعاقل بجهة بشيرة وأجبلها ، حتى توغل
 بالعساكر في جبل الثلج ، وهو ممنوع السلوك ؛ فجازه الناس ، وبسر الله ذلك عليهم ،
 وسهله لهم . وافتتحت حصون تلك الجهة ، ولم يبق بها معقل ممنوع .

وأصل بأمير المؤمنين - رحمه الله - أن ابن حصون أقبل في جماعة
 أصحابه الى حاضرة البيرة ، طامعاً في انتهاز الفرصة فيها . فأخرج عباس بن عبد
 العزيز قائداً نحوه . فلما قرب من مدينة غرناطة ، أقبل ابن حصون لما كان
 رجاه وضع به ؛ فخرج أهل البيرة واثقين بالمدد الذي وردهم ، والقائد المصريح
 لهم ؛ فهزموا ابن حصون ، وقتلوا جماعة من رجاله ، وأسروا عمر بن أيوب
 حنيدته . وجرح أحد أولاده جراحاً أثنته .

ونفى أمير المؤمنين - رحمه الله - ما كان بقي من معاقل تلك الجهة ،
 حتى احتل بحصن شيلش ؛ وكان من أعظم حصون ابن حصون منعة ، وأصعبها
 مراماً ، وأوعرها مكاناً ؛ وإليه كان انضوى كل مشرك تفلت من الحصون
 المتقدمة الذكر فاحتلت العساكر عليه يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من
 شوال ؛ فقطعت ثارهم ، واستهلكت زروعهم ومعايشهم ؛ وحُصروا خمسة عشر

يوماً، حتى نادوا بالطاعة، وضرعوا في قبول الإناية؛ وأسلموا أصحاب ابن
حفصون الذين كانوا عندهم؛ فتلقى ذلك أمير المؤمنين - رحمه الله - بالقبول،
وأخرج إليه جميع من كان في الحصن من المشركين؛ فأمر بضرب رقابهم حتى
أبيحوا عن آخريهم.

ثم أمم - رحمه الله - مدينة شلوبينية، وفعل فيها مثل فعله فيما تقدم
ذكره؛ وضبط برجاله كل حصن افتتحه. وانحسم الداء في كورة البيرة، وتألقت
كلتهم، واستقامت طاعتهم. وصدر - رحمه الله - قافلاً على طريق حصن P. ١٦٩
أشتين^١ وحصن بنة فراطة؛ وكانا قد أضرا بأهل غرناطة وحاضرة البيرة، وهما
في غاية الحصانة والمنعة. فزلت الجيوش عليهما، وأحدثت بهما؛ وحوربوا أشد
مُحاربة وأنكاهما عشرين يوماً. ثم أخذت عليهم الحصون وشغنت بالرجال. وقفل
أمير المؤمنين - رحمه الله - بعد إيعابه النظر في كل ما شخص له من استصلاح
امر كورة جيان والبيرة وما والاها، ودخل القصر بقُرطبة يوم الأضحى؛ وقد
استتم في غزاه اثنين وتسعين يوماً.

وفي هذه السنة، توفي هشام بن محمد القرشي المعروف بابن الشبانسي.

وفي سنة ٢٠١، توفي بإشبيلية عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج صاحبها،
في المحرم؛ فاجتمع أهلها على تقديم أحمد بن مسلمة مكانه؛ (وكان من الشجعان).
فأخرج [أمير المؤمنين] الناصر [- رحمه الله -] أحمد [بن محمد] بن حدير
[الوزير] فائداً نحوها؛ فكان أول من حاربها وأوقع بأهلها. وكان محمد بن
إبراهيم بن حجاج عند ذلك بمدينة قرمونة؛ فقصده باب السدة، وعرض نفسه
[على أمير المؤمنين] لمحاربة أهل إشبيلية. فأخرجه لذلك مع قاسم بن وليد
الكلبي؛ وحاصراها شهوراً. ثم خرج إليها الحاجب بدر بن أحمد؛ فدخلها يوم
الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة، وهدم

١) أ. استين.

أسوارها، واستصلح أمور أهلها، وأخرج مع نفسه سعيد بن المنذر عاملاً عليها
 أوفيتها، ولى محمد بن سليمان بن وأنسوس الوزارة. ووليها أيضاً عيسى بن
 أحمد بن أبي عبدة. وولى محمد بن عبد الله الخروبي. ومحمد بن أحمد بن
 حُدْر. وقند الكبير، ودُرَيْ مولى الناصر خُطَّة العَرَض. وعزل عمر بن أحمد
 ابن فرج عن السوق. وصُرف النظرُ فيها إلى محمد بن عبد الله الخروبي؛
 وذلك في ربيع الآخر. وولى أحمد بن مسلمة الشرطه العليا. واستقدم محمد بن
 إبراهيم بن حجّاج من مدينة قرمونة، وولى الوزارة، وقعد مع الوزراء يوماً
 واحداً. واستقدم سعيد بن المنذر من إشبيلية، ووليها فطيس بن أضيغ في شعبان
 وأعيد إلى الشرطه العليا قاسم بن وليد الكلابي. وولى خزائن المال موسى بن سليمان
 الخولاني المعروف بابي الكوثر، وعبد الملك بن سليمان أخوه خزائن السلاح.

وفي هذه السنة، افتتح أهل الثغر حصن قلهرّة؛ وكان بأيدي المشركين؛
 وذلك يوم الأربعاء لثمان عشرة ليلة خلت من ذي القعدة.

وفيها، كانت محاصرة ألب بن محمد مدينة سرقسطة، اوبيان الردم عليها.
 وفيها، قُتل محمد بن عبد الملك الطويل.

وفيها، خرج الناصر غازياً إلى كورة رية والجزيرة وقرمونة، وهي الثانية من
 غزواته: برز - رحمه الله - من قصر قرطبة يوم الخميس لثمان خلون من شهر
 رمضان. وفصل غازياً لثمان خلون من شوال. وتخلف في القصر موسى بن محمد
 ابن حُدْر صاحب المدينة. وكانت الكتب تُنقل إلى هشام الولد [رضه]، وهو
 صغير. فكان [أول] مقصد حصن طرُش، [بعد أن قدم حاجبه بدر بن أحمد
 في قطيع من الجند إلى حصن بلدة؛ فألقى أهله غرّة، وقتل منهم، وسبي، وأسر
 حملة كثيرة]. واحتل [الناصر رضه] بجيوشه على حصن طرُش [يوم الأربعاء
 لأربع عشرة ليلة خلت من شوال؛] فحصر من كان فيه، [وأقام عليه خمسة
 أيام. فغادهم العرب وبهاسيم، ويقطع ثمارهم، ويحطم معايشهم،] ويفتل من
 نظاهر منهم. ثم أتى عليها من بواخرها، وتنقل إلى حصون رية ومعاقل ابن

حفصون، يتتبعها مَعْفَلًا مَعْفَلًا، أو ينزل نأسه ومعرّة جيوشه بكل ما ينزل به
 منها. [وأوقع بابن حفصون ومن انحشد إليه من النصرانية في حصن طُرُش] و
 وقبعة [عظيمة] ذهب فيها كثيرٌ منهم. وبعث برووسهم إلى قُرْطُبَة. [وأُلهيت
 للمُشرك عمر بن حفصون مراكبٌ في البحر، كانت تديره من العدو؛ فأحرق
 جمعها.] وسارع كلُّ من كان بتلك الناحية من أهل شانر، وفَجَّ وسيم، وقلبيّة،
 والقصر، وما انتظم بها من أحواز الجزيرة إلى الدخول في الطاعة والاعتصام بها
 (من الهلكة). فقبلهم الناصر أرضه وأمنهم، [وسكن أحوالهم].

وتنقل [منها] إلى حاضرة الجزيرة؛ [ثم] إلى كورة شدونة؛ [ثم] إلى كورة
 موزور، حتى أوفى على مدينة قرمونة؛ فاحتلها [يوم الثلاثاء] مستهل ذي الحجة.
 وكان حبيب بن سودة قد أظهر الخلاف فيها عند قدوم محمد بن إبراهيم بن
 حجاج قُرْطُبَة؛ فنازلته جيوش أمير المؤمنين - رحمه الله - وحُوصِر بها عشرين
 يوماً، حتى عضته النكاية، وأخذت بهخفته المحاصرة؛ ثم استأمن؛ فأمن. وسأل
 أن يُنهل لانتقال أهله وثقله إلى قُرْطُبَة؛ فأجابه الناصر - رحمه الله - إلى
 ذلك، ولم يُرهقه من أمره عُسرًا؛ وقفل إلى قُرْطُبَة؛ فدخلها * [يوم الاثنين] ١٧٢ P.
 لليلتين بقيتا من ذي الحجة، [وقد استتم في غزاه اثنين وثمانين يوماً].

وفي هذه الغزاة. بعث في قاسم بن وَايِد الكَلْبِي صاحب الشرطة، وكان قد
 خلف بقُرْطُبَة؛ فسجن وسجن معه محمد بن إبراهيم بن حجاج، ومحمد بن وهيب،
 وعبيد الله بن محمد الروماني¹⁾، وسكن بن جديدة. وعزل ابن مسلمة عن الشرطة
 العليا، وولياها عباس بن أحمد بن أبي عبدة.

وفيها، استنقود الناصر عيسى بن أحمد بن أبي عبدة، وأعادته إلى كورة إشبيلية.
 وفي هذه السنة، توفي عبد الله بن محمد الزجالي الوزير الكاسب، في ربيع
 الأول؛ فولى رسم²⁾ الكتابة عبد الله بن بدر؛ وكان سكن بن إبراهيم، وعمر بن
 ناجيت كاتبَي بدر الحاجب يقيمان خدمة الكتابة.

1) Sic in G. Peut-être الرصافي. 2) G. اسم.

وفیہا، توفی العاصی ابن الإمام محمد - رحمه الله - فی ربيع الأول، وهو ابن ثلاث وستین سنة. وتوفی عباس بن عبد العزیز الفرثی فی جمادی الأولى. وتوفی الوزير أبو الحارث سلمة بن علی، ومحمد بن وايد بن غانم الوزير، وأبو بن سلیمان بن صالح الفقیه، وسعيد بن خبیر الفقیه. وفيہا، قُتل بَیْرُشَلُونَةُ عبد الملك بن عبد الله بن شَبْرِبَط. وأغار المشركون بوادی الحامة فی الثغر. وكانت مَلْحَمَةُ أَرْبِيط يوم الأحد لعشر بقين من شعبان؛ وهالك فیها غَرْسِيَّة بن إِذْفُنْش صاحب جِلْفِيَّة؛ وصار الأمر الى أخيه أُرْدُون ابن إِذْفُنْش. [

وفی سنة ۲۰۲. كانت ولادة [أمیر المؤمنین] الحکم [المُسْتَنْصِر بالله - أطال الله بقاءه!] [1-] ابن [أمیر المؤمنین] عبد الرحمن [بن محمد - رضه - وذلك يوم الجمعة] مستهل رجب [وقت أذان الظهر]. وفيہا، أغزى [أمیر المؤمنین] الناصر - رحمه الله - فی الصائفنة [عمه] أبان ابن الإمام عبد الله؛ فنصل فی شوال الى كورة رية، وتردد بالجیوش فیها، ونازل حصونها، وحطم زروعها، وقطع ثمارها. وفيہا، أمحل الناس، ونوالی الفحط وعم. [فرد إلى مُصَافٍ الرَبِضِ مُحَمَّد بن عمر بن لبابة صاحب الصلاة، واستنقى بالناس خمس مرّات فی سنة مختلفة؛ فلم تكن سفيا؛ وغلت الأسعار، وقلت الميرة فی الأسواق. ثم رز أحمد أحمد ابن زياد الاستسقاء بالناس يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال. وهو أول شهر مايه؛ فنزل رذاذ تهاسك به بعض الزرع، وذهب الأكثر. وكان الفحط عامًا شاملًا بالأندلس وأطرافها وثغورها؛ وغلت الأسعار فی جميع جهاتها. [وفی هذه السنة، قدم الناصر - رحمه الله - محمد بن عبد الله الخروبي من ولاية السوق الى ولاية المدينة، وعزل عنها موسى بن محمد بن حذير. وولى

1. Cette formule est justifiée par le fait que 'Arib écrivait sous le règne

السوق أحمد بن حبيب بن بهلول، وذلك يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شوال؛ وفي هذا اليوم عزل عبد الله بن بدر عن الكتابة، ووليها عبد الملك بن جهور؛ وعزل محمد بن محمد بن أبي زيد عن الشرطة الصغرى ووليها يحيى بن إسحاق.

وفيها، عزل عبد الرحمن بن بدر عن خطبة الخيل، ووليها عبد الله بن مضر. وفيها، ولي المواريث قنذ ودري مؤلياً أمير المؤمنين الناصر.

وفي يوم الأحد مستهل ذي الحجة، قُتل عباس بن أحمد بن محمد بن أبي عبدة صاحب الشرطة العليا؛ وكان أمير المؤمنين الناصر - رحمه الله - قد أرسه على محاصرة منت روبي؛ فوافعته ضربة في حرب باشرها وغرر بنفسه فيها. فولى الناصر أخاه عبد الله بن أحمد بن محمد الشرطة العليا، وولى محمد بن محمد P. 174 ابن أبي عبدة خزانه المال.

وفيها، توفي مروان بن المنذر ابن الإمام عبد الرحمن بن الحكم - رحمه الله - يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة؛ وكان قد توفي قبله عمر ابن الإمام عبد الرحمن لست بقين من جمادى الأولى.

وفيها، توفي سعيد بن السليم؛ وكان حاجباً في أيام الإمام عبد الله - رحمه الله - وكانت وفاته لأربع خلون من ربيع الآخر. وتوفي النضر بن سلمة، وكان قاضياً في أيام الإمام عبد الله، وذلك يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادى الآخرة. وفيها، توفي عبيد الله بن محمد بن أبي عثمان لثلاث خلون من شهر رمضان. وتوفي حمدون بن بسيل في شعبان، وعبد الله بن محمد بن عبد الخالق الغساني قاضي إشبيلية لست بقين من جمادى الأولى. وتوفي الفقيه خالد بن وهب يوم الأحد لأربع خلون من ربيع الآخر. وفيها، توفي محمد بن يحيى النحوي المعروف بالقلظاني جمادى الآخرة؛ وكان من العلماء الحفاظ والشعراء الفصحاء؛ وكان هجاء للناس، سيابة للأشراف، كثير البذاء والسفه في شعره. 10
وفي سنة ٢٠٢، كانت المجاعة [بالأندلس]، التي شبهت بمجاعة سنة ستين؛

وبالغته الحاجة بالناس مبلغاً لا عهد لهم بمثله؛ اوبيع قفيز قمح ككيل سوق قرطبة
 بثلاثة دنانير دخل أربعين. ووقع الوباء في الناس، وكثر الموتان في أهل النافذة
 والحاجة، حتى كاد أن يُعجز عن دفنهم. اوكثرت صدقات أمير المؤمنين الناصر
 - رحمه الله - على المساكين في هذا العام. وصدقات أهل الحسبة من رجاله،
 فكان الحاجب بدر بن أحمد أكثرهم صدقة. وأعظمهم بماله مؤساة. ولم يكن في
 هذا العام. لضيق الأحوال فيه. أن يكون غزاة أو إخراج جيش. غير أن
 الناصر - رضه - أخذ بالجد والحزم في ضبط أطرافه. والتعنظ بالمسلمين من
 عادة أهل الخلاف والحامان. إذ كانوا مع استيلاء الجوع يغاورون من قرب
 منهم، ويغدرون على من مر بهم من رفاق المسلمين وطالبي المعاش
 ومستجلبى المير.

وفي هذه السنة، ولي إسحاق بن محمد القرشي الوزارة؛ وكان ذا رأي وعباء.
 وفيها، ولي محمد بن محمد بن أبي زيد الشرطة العليا؛ وكان بلي الشرطة الصغرى
 من قبل.

وفي هذه السنة. توفى أبان ابن الإمام عبد الله - رحمه الله - يوم الثلاثاء
 لليلتين خلتا من جمادى الآخرة. وهو ابن خمس وخمسين سنة؛ اودفن بمقابر
 قریش في الرابض. ومات فيها لأمير المؤمنين الناصر - رضه - ولد نسي
 هشاماً وسكنى بأبي الوليد؛ وكان بكر ولد.

وتوفى فيها أحمد بن هشام ابن الإمام عبد الرحمن بن الحكم - رحمه الله -
 يوم الجمعة لعشر بقين من شوال؛ والقرشي العثماني الطارئ من المشرق في
 أيام الامام عبد الله بن محمد - رحمه الله - وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة
 ليلة بقيت من رمضان. وتوفى القرشي العبدي لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر
 شعبان. وتوفى بجي بن إسحاق بن بجي بن أبي عيسى النقيه؛ وكانت له رحلة
 روى فيها الحديث؛ ولم يكن بالثقة، غير أنه كان نبلاً مفوهاً. وتوفى فيها النقيه
 النيبري. واسمه أحمد بن عبد الله بن فرج. وتوفى أحمد بن سبطير النقيه

يوم الخميس لليلتين خلنا من ذى الحجة. وتوفى فيها مَفُوز بن عريب. ا
 وفيها، أُسِرَ مُطَرِّف [بن محمد] بن لُب [بن قسي]؛ أسره العدو بالثغر.
 [وفيها، توفى بالثغر عبد الله بن محمد بن لُب بن قسي؛ وكان من أهل ١٧٦
 البأس والشجاعة والنكابة للعدو. وقتل أبوه محمد بن عبد الله عنه مُطَرِّفًا. ا
 ووقعت بين بني لُب فتون وحروب، واختلف أمرهم.

[ومات في هذا العام بقرطبة جملة من وجوهها وبياض أهلها، يطول
 الإخبار عنهم والاجتلاب لهم، الى من مات في الكور والمواضع البعيدة ممن لم
 يأخذه إحصاء ولا عد. وكانت للعدو مع بني قسي جولات في الثغر هذا العام. ا

وفي سنة ٣٠٤، كان إغزاه [أمير المؤمنين] الناصر (لدين الله) ا - رضه - ا
 أحمد [بن محمد] بن أبي عبدة [الفائد] الى أرض الحرب. اوفصل يوم السبت
 لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرم، وهو اليوم الثامن عشر من بوليه، وضم إليه
 من الموالى والأجناد عدد كثير. ا ودخل أرض المشركين؛ فنكى. وغنم. وسى؛
 وخرج [من أرض العدو] بالمسلمين سالمين غانمين.

[وفيها، ولي عبد الحميد بن بسيل الخزانة. ا وفيها، غزا إسحاق بن محمد
 القرشي الى كورة تدوير؛ فافتتح حصن أوربؤالة واستصلح أحوال أهل الكورة.
 وفيها، ولي فطيس بن أصبغ الخزانة ولايته الأولى. ا

وفيها، غزا الحاجب بدر بن أحمد الى مدينة لبلبة؛ فحاصرها وافتتحها
 ا يوم الاثنين لعشر بقين من شهر رمضان. ا

وفيها، عزل عبد الملك بن جهور عن الكتابة. ووليها عبد الحميد بن
 بسيل؛ ولم يطل أمد ولايته؛ ثم أعيد إليها عبد الملك بن جهور.

[وفيها، ولي إسماعيل بن بدر العرض. وفيها، نقل علي بن حسين عن
 خزانة السلاح الى خطة العرض. لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر. وفيها، ولي
 العرض محمد بن عبد الله بن مضر.

وفيها، توفي مُنذِر ابن الإمام المُنذِر - رحمه الله - سَلَخَ شعبان؛ وكان مولده بعد موت أبيه الى ستة أشهر؛ وعبد الملك بن حَوْزَةَ القُرَشِيُّ، يوم الثلاثاء لتسع خلون من ربيع الآخر؛ وأخوه الأَحَدَب، وكان يتنجم، في عقب ربيع الآخر؛ والعارضُ صاحب المواريث قَدَمَ مولى أمير المؤمنين الناصر، يوم الثلاثاء لثلاث خلون من رجب؛ فولى مكانه المواريثُ إسماعيل بن بَدْر.

وتوفي المودب محمد بن أَرْقَمَ يوم الجمعة لست خلون من رجب؛ وفيه توفي الوالدُ محمد ابن أمير المؤمنين الناصر - رحمه الله - والوالدُ سليمان الأكبر. وفي عشر خلون من شَوَّال من هذا العام، وُاد الوالدُ أبو مروان عُميد الله شقيقُ أمير المؤمنين الحَكَمَ المستنصر بالله - أيده الله!

وفيها، توفي الفقيه الزاهد أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الزرَّاد لأربع خلون من جُمادى الأولى؛ مولده سنة ٢٤٢؛ وكان قد رَوَى علم ابن وضاح. وتوفي الفقيه المحدث طاهر بن عبد العزيز الرُّعَيْنِيُّ. وتوفي أبو القاسم محمد بن عبد السلام بن قلمون^١ ليلة الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر؛ وكان نبيلًا، مرسلاً، حسن الخط؛ وولى الخزانة؛ وكان له لسان وبيان.

وفي سنة ٢٠٥، غزا بالصائفة الى دار الحرب أحمد ابن محمد بن ابي عبدة الوزير القائد؛ وفصل يوم الاثنين لعشر خلون من صفر. وخرج معه طبقات الناس من المجاهدين وأهل الديوان؛ وحشد إليه رجال الثغر؛ فدخل أرض العدو في جمع كبير، ونازل حصن قاشتر مورش^٢ الأربعاء عشرة ليلة خلت من ربيع الأول. وجد المسلمون في مُحاربة المشركين حتى كانوا قد أشرفوا على الظفر. من كان في الحصن؛ فأنحشدت النصرانية من جميع جهاتها مُمدِّين لكفرتهم، ومُجائِبين على المسلمين بخيلهم ورجلهم. فتداعى بعض أهل الهداهنة في الدين من أهل الثغر الى إظهار الهزيمة وجرؤها على المسلمين؛ فانهمز كثير

1) G. فلهوق (cf. Ibn al-Faradī, n. 1162).

2) A. et B. فصر موسى.

منهم. واثبت القائد أحمد بن محمد بن نفسه، وأظهر الصبر، ودافع مدافعة
الموطن. وقيل إنه كان قد اعتقد مذهباً في طلب الشهادة؛ [استشهد القائد
المذكور [الأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول]. واستشهد من المسلمين معه
من أثر الشهادة ورغب عن (رخزي) الفرار. [ولم يولّ المشركين دبراً، ولا أراهم
نكوصاً ولا فراراً]. وانعقد سائر أهل الجيش، وصاروا يداً واحدة؛ (فسلموا)
وخرجوا إلى أرض المسلمين بدوابهم وأثقالهم [وأبنيهم].

وفيها، غزا إسحاق بن محمد الوزير إلى مدينة قرمونة؛ فحاصر فيها حبيب بن
عمر، وضايقه، وأخذ بهخفه. ثم خرج إليها الحاجب بدر بن أحمد؛ فتأدى على
حصارها حتى فتحها قسراً، ودخلها يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الآخر.

ذكر موت (اللعين) عمر بن حفصون

[وفي هذه السنة، هلك عمر بن حفصون، عميد الكافرين، ورأس المنافقين.
[و]موقد شعل الفتنة، وملجأ أهل الخلف والمعصية. فقد هلاكه من أسباب
الإقبال، وتباشير الصنع^(١)، وانقطاع علق المكره. (ولما توفي) افتتحت أبدة
إلبيرة، [وهي المعروفة بأبدة فروة]؛ وكان فيها سليمان بن عمر بن حفصون؛
فاستنزل عنها، وقدم به قرطبة [يجي بن إسحاق في شوال؛ فأنزل ووسع له].
وفيها، ولي الوزارة عبد الملك بن جهور يوم السبت لإحدى عشرة ليلة
خلت من شوال. وفيها، توفي سعيد بن عثمان بن سليمان الفقيه العناني^(٢) في عقب الحرم
بفريش. وفيها، توفيت البهاء بنت الإمام عبد الرحمن بن المحكم - رحمه الله -
في رجب؛ فلم ينخلف أحدٌ عن جنازتها. وتوفيت للناصر - رضه - أمية بنت
بعائشة. وفيها، توفي سعيد بن عبد الوارث الأيسر؛ وكان من أهل سجدة
والعناء في الخدمة. وتوفي الفقيه محمد بن إبراهيم المحدث الحجازي. وتوفي عمر بن
أحمد بن فرج؛ وكان كاتب الرأي؛ وولي السوق.]

1) الأيسر بن عثمان

2) Ibn al-Faraj, n. 484.

وفي هذه السنة، حشد أَرْدُون بن إِذْفُنْش، وشانجه بن غَرْسِيَّة صاحب
النَّصْرَانِيَّة، بِجَائِقِيَّة وِسْبَلُونَة، وخرجا في جموعهم واحتفال من كَفَرْتَهُم الى مدينة
نَاجِرَة بالنَّغْر الأَقْصَى؛ فنزلا عليها في عقب ذى الحِجَّة، وأقاما عليها ثلاثة أَيَّام. [و
وعانت النَّصْرَانِيَّة في ذلك النَّغْر. وأفسدت الزُّرُوع؛ ثُمَّ سَقَلَتْ الى تُطَيْلَة. وبلغ
العدوُّ الى نهر كَالْس، وجزائر¹ مُسْفِيْرَة، ووا وادي طَرَسُونَة. وخلف شَانْجُه نهر
إِسْرَة، وقابل حصن بَلْتِيْرَة، وقهراه على أهل الرِّبْض، وأحرق المسجد الجامع؛
فكان ذلك مما أحفظ² الناصر وحرَّكه لمُجَاهَدَتِهِم والانتصار منهم. على ما
سَيَأْتِي ذِكْرُهُ.

غزوة مُطُونِيَّة³

وفي سنة ٢٠٦، كان غزاة الحاجب بَدْر بن أحمد الى دار الحرب. وهي
عزاة مُطُونِيَّة. وكان أمير المؤمنين الناصر - رضه - لما اتصل به تطاول
المشركين على من كان بإزائهم من أهل الثغور/بامتناع الصوائف عن غزوم،
والإبغال في بلادهم بالحرب المتقدم الذِّكْر،⁴ أحفظه ذلك، وأذكى عزمه،
وأكد بصيرته في مُجَاهِدَة أعداء الله وأعداء دينه في هذا العام؛ فأمر⁵
بالاحتفال في الحشد وجمع الرجال⁶ والتكثير من الأجناد (والفرسان الأبطال).
وعهد الى حاجبه بالغزو/بنفسه في الصائفة. ونفذت كتبه الى أهل الأطراف
والثغور بالخروج الى أعداء الله، والدخول في معسكره. والجد في نكابة أهل
الكفر، والإبغال بهم في أواسط بلادهم، ومُجْتَمَع نصْرَانِيَّتِهِمْ. فنصّل الحاجب
بالجيوش، يوم الثلاثاء لحمس بقين من المحرم؛ وانثالت إليه العساكر من كل
جهة في أقرب ثغور المسلمين؛ ودخل بهم دار الحرب، وقد اتشد المشركون،
وتجمعوا من أقاصي بلادهم، واعتصموا بأمنع أجلهم؛ فنازلهم الحاجب بَدْر بن

1) جوائز. 2) أغضب. 3) Ce titre ne figure que dans B. 4) A. B.:

بِالاحتشاد والاحتفال في جمع الرجال.

أحمد بأولياء الله وأنصار دينه؛ فكانت له على أعداء الله وقائع اشتفت فيها صدور المسلمين، وانتصروا على أعداء الله المشركين. وقُتل في هذه الغزاة من حمايتهم، وأبطالهم، [وصلاة الحروب منهم]، جملة عظيمة لا يأخذها عدٌّ، ولا يُجِبُّ بها وَصْفٌ. وكان الفتح يوم الخميس لثلاث خلون من ربيع الأول ويوم السبت [لخمس خلون من ربيع الأول]، في معارك جليلة، لم يكن أعظم منها صنعا، ولا أكثر من أعداء الله قتيلا وأسيرا. وورد الكتاب بذلك على أمير المؤمنين الناصر - رضه - يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول؛ فأكثر من شكر الله [عز وجل] على ما من به، وفتح فيه. وقُرئ [كتاب الفتح] P. 181 في الجوامع¹⁾ وكُتِبَ به الى الأطراف.

[وفي يوم السبت لإثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، في العام المورخ. وُلِدَ أبو الأصبغ عبد العزيز بن عبد الرحمن، شقيق أمير المؤمنين المُستنصر بالله - أيده الله!]

غزاة الناصر (لدين الله) - رضه - الى بلدة

وفي شهر ذي الحجة من [هذه] السنة، غزا الناصر [رضه] (بنفسه) مدينة بلدة من كورة رية؛ [فبرز لها يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة؛ وفصل يوم الثلاثاء للنصف من ذي الحجة بعد بروزه ستة وعشرين يوماً]؛ وتخلَّف في القصر (بقرطبة) ابنه ووليُّ عهده وقبله الآمال من بعده، أمير المؤمنين المحكم المستنصر بالله [- أبقاه الله - ومن الوزراء موسى بن محمد بن حدير]. فلما قرب الناصر [- رضه -] من مدينة بلدة، قدَّم من [ثقات] رجاله. [وأخناه أجناده] مَنْ يَمْنَحُ إِمْكَانَ زَرْعِهَا وَمَوْضِعَ الْمُضْطَرَبِ عَلَيْهَا؛ فَأَلْفَى الزرع متأخراً؛ وَأَتَتْهُ الْأَنْبَاءُ بِإِمْكَانِ زُرُوعِ فَحَصِ رُعيْنِ؛ فرأى التعرّيج إليه بعد أن أمر بابتناء صخرة غوزان²⁾، لتكون موفية على بسيط بلدة. ثم ارتحل الى حصن

1) A. B. مساجد الجماعات.

2) غوجان A. B.

دُوشِ اَمَانِشِ؛ فَنَارَزَهُ وَحَارَبَهُ حَتَّى افْتَتَحَهُ. ثُمَّ نَهَضَ إِلَى مَدِينَةِ بَلْدَةٍ؛ فَاحْتَلَمَهَا
 يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لِلَّيْلَةِ بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَأَحَاطَتِ الْعَسَاكِرُ بِهَا؛ فَتَدَاعَى مِنْ
 كَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا إِلَى النُّزُولِ بِأَنْفُسِهِمْ^١ وَذَرَارِيهِمْ، وَذَكَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا
 مَغْلُوبِينَ عَلَى أَمْرِهِمْ؛ فَأَمَّتْهُمْ النَّاصِرُ، وَقَاتَلَ الْكُفْرَةَ الْمُنْتَغَلِبِينَ^٢ فِي الْمَدِينَةِ، حَتَّى
 ١١٧ أُظْفِرَهُ اللَّهُ بِهِمْ؛ فَفُتُّوا عَنْ آخِرِهِمْ وَمُلِكَتْ الْمَدِينَةُ، [وَتَدَبَّ فِيهَا الرِّجَالُ]. ثُمَّ
 انْتَقَلَ إِلَى حِصُونِ رَنْةَ، بَتَقْرَاهَا مَعْقِلًا مَعْقِلًا، وَيَسْتَنْتَحِ مَا مَرَّ بِهِ مِنْهَا. وَنَزَلَ عَلَى جَبَلٍ
 يُسَمُّونَهُ بِشَيْئَرٍ؛ فَحَاصِرَ أَهْلَهُ، وَقَطَعَ ثَمَرَاتِهِمْ، وَاسْتَبْلَغَ فِي نِكَابَتِهِمْ؛ فَسَأَلَهُ جَعْفَرُ بْنُ عُمَرَ بْنِ
 حِصُونِ قَبْضَ رَهْنَتِهِ، اسْتِثْنَاءً مِنْ طَاعَتِهِ^٣، عَلَى أَنْ يُؤَدِّيَ مِنَ الْجَبَابَةِ مَا فَرَضَ
 عَلَيْهِ؛ فَأَجَابَهُ النَّاصِرُ إِلَى ذَلِكَ، وَقَبِضَتْ رَهَائِنُ جَعْفَرِ أَوْشَيْعَتِهِ، وَصَارَتْ فِي
 قَبْضَتِهِ وَدَاخِلَ مَعْسُكِرِهِ. ثُمَّ قَفَلَ (النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ) [عَنْ جَبَلِ بَيْشْتَرَا]، وَدَخَلَ
 الْقَصْرَ لِثَلَاثِ عَشْرِينَ مِنَ الْحَرَمِ مِنْ سَنَةِ ٤٠٧، وَقَدْ اسْتَمَّتْ فِي غَزَاهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا.
 رَفِيَ هَذِهِ السَّنَةِ، عَهْدَ النَّاصِرِ بِعَمَلِ الْفَوَارَةِ إِزَاهُ بَابِ الْقَصْرِ الْمَعْرُوفِ بِبَابِ
 الْعَدْلِ، وَإِقَامَةِ مِحْرَابِ مُصَلَّى الْمُصَارَاةِ بِقَرْطَبَةَ.

وَفِيهَا، نُؤْفَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَلْبِيبِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ، لِخَمْسِ خُلُونٍ مِنْ رَبِيعِ
 الْآخِرِ. وَفِيهَا، نُؤْفَى لِلنَّاصِرِ ابْنُ يَسْمَى بِجَمْدٍ، وَيُكْنَى بِأَبِي الْقَاسِمِ. وَفِيهَا، نُؤْفَى
 رُقِيَّةُ ابْنَةُ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ. وَنُؤْفَى فِيهَا مُوسَى بْنُ أَزْهَرَ النُّفَيْةُ الْإِسْنَجِيُّ لثَلَاثِ خُلُونٍ
 مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ؛ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ وَالْحِطِّ الْحَسَنِ. وَنُؤْفَى فِيهَا
 حِزْبُ اللَّهِ بْنِ رَعِي بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخُسَيْنِيُّ الزَّاهِدِ، وَكَانَتْ لَهُ رِوَايَةٌ.

وَفِي سَنَةِ ٤٠٧، أَكْبَانَ احْتِلَالَ النَّاصِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَدِينَةِ بَيْشْتَرَا، عَلَى مَا
 نَقَدَّمَ ذِكْرَهُ فِي الْعَامِ قَبْلَهُ، وَدَخُولَهُ قَرْطَبَةَ فَانْفِلًا مِنْ غَزَاهِ فِي التَّارِيخِ الْمُنْتَقَمِ
 ذِكْرَهُ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ، [افْتَتِحَ حِصْنُ طَرْشٍ؛ وَكَانَ فِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُمَرَ بْنِ

١) نزوعاً إلى الطاعة. ٢) المنغلبين. ٣) بألفاظهم.

حفصون؛ فأسلم المحصن [إلى رجال [أمير المؤمنين] الناصر (لدين الله)، ودخل قرطبة؛ فأنزل ووُسع عليه. وكان غير داخل * في الحرب والفتنة مدخل أبيه؛ P. ١٧٣ وإِنما كان صاحب كُتُب، وكان حسن الخط، ضعيف العقل. (قال عريب:) و[قد] صار بعد ذلك وراقاً.

[وفيها، ولي أمير المؤمنين الناصر محمد بن عبد الله بن محمد الزجالي خزانة المال لتسع خلون من شهر رمضان.

وفيها، توفي محمد بن أحمد بن زياد، يوم السبت لأربع عشرة خلت من رجب؛ وكان جارا لمحمد بن وضاح الفقيه؛ فأوصى أن يُصلى عليه؛ فقام له بذلك ذكر. وفيها، مات محمد بن سليمان بن وأنسوس الوزير، يوم الجمعة لعشر خلون من شهر رمضان. وفيها، مات حمدون بن بسيل]

وفيها، أمر الناصر بقتل موسى بن زياد، [ليلة السبت لإثنتي عشرة ليلة خلت من صفر؛] وكان [قد] ولي الوزارة في أيام الإمام عبد الله، وكثرت مطالبته للناس، ورفعته عليهم، [وتحككهم بهم]؛ وكان يجاهر بكراهة¹⁾ [أمير المؤمنين] الناصر، ويرفع عليه إلى جدّه [رحمهما الله]، ويفرى الإمام عبد الله برجاله؛ فحبسه [أمير المؤمنين] الناصر [في] يوم يبعثه؛ ولم يزل محبوساً إلى أن أمر بقتله؛ وقتل معه حبيب [بن عمر] بن سواده، وولده، ومحمد بن وليد [المعروف بـ] الغليلي²⁾؛ وكانت لهم ذنوب وجرائم [أحردته عليهم].

غزاة مويش

وفي سنة ٢٠٨، كان غزاة أمير المؤمنين الناصر إلى دار الحرب، وهي غزاة مويش؛ فبرز - رحمه الله - لهذه الغزاة يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة ٢٠٧؛ ثم فصل غازياً من قصر قرطبة * يوم السبت لثلاث P. ١٧٤ عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ٢٠٨، [وهو اليوم الثالث من شهر حزيران،

1) A. B. ببغض. 2) A. B. العقيلي.

ذلك بعد بُروزه بثلاثين يوماً. وتخلّف في القصر وليّ عهده الحَكَم [أمير المؤمنين
المُسْتَنْصِر بالله (أبده الله)]. ومن الوزراء موسى بن محمد بن حُدَيْر. فلما كان
في اليوم الرابع من فصوله، ونزل بمخاضة الفتح، ورد عليه بها كتابُ فتحٍ من
قِبَل عامل مدينة الفَرَج. بذكر أنّ المُشْرِكِينَ من أهل جَلَيْفِيَّة أنوهم في جمع كثير؛
فأغاروا على ما ألفوه في بسطهم من الدوابِّ والسَّوام، ثمَّ عرجوا على حصن
قربهم، يُعرف بالقلْبعة؛ فأحدقوا به طامعين في التغلّب عليه؛ فانحشد اليهم جميع
أهل المدينة بفارسهم وراجلهم. وواضعوهم الفئال بأثيت بصائرهم؛ فمنحهم الله
- عزَّ وجلَّ - أكتاف الكفرة، وأطال أيديهم عليهم؛ فقتلوا وأسروا كثيراً منهم،
وابععهم من أوّل النهار إلى آخره، والسيفُ يعمل فيهم، وبعثوا بجملته من
رؤوسهم؛ فاستبشر الناصر بما ورد، ونفأل باسم المخلّة التي كان فيها عند ورود
الفتح عليه.

ونهب آما لوجهته، والحشودُ والعساكرُ تتلاحق به من (سائر) أقطار
الأندلس، وجميع جهاتها. ونزل (رحمه الله) على مدينة طَلَبِيْطَلَة، وخرج إليه
أبُ بن الطَّرْبِيْشَة صاحبها، مُبادراً إليه، وغازباً معه؛ وكان يُظهِر طاعةً نختها
معصيةً. ثمَّ سئل (رحمه الله) في مناقله، حتّى نزل بمدينة الفَرَج؛ فنظر لأهلها،
وعزل بنى سالم عنهم. إذ شكوا بهم. واستوزر أرضها في هذه المخلّة سعيد بن
المُنْدِير. وقدمه قائداً وضابطاً لمدينة الفَرَج، وأغزاه مع نفسه. واستعمل على
الموضع أن يغزلان الفَرَشِيَّ^١ صهره، واستنفض عليهم محمد بن مسور الفقيه.
وصلحت أحوالهم، وعمّ الرضى جميعهم؛ وخرج للجهاد أكثرهم. ونهب أمير
المؤمنين الناصر - رحمه الله - في جيوش^١ تغصُّ بها السُّبُل، وبضيق بها القضاء
الأوسع. حتّى احتلّ بثغر مدينة سالم، وأظهر (رحمه الله) التوجه إلى الثغر
الأقصى. أو قدمت المقدمة نحوها. ثمَّ عرج بالجيوش إلى طريق آية والقلاع،
وطوى من نهاره ثلاث مراحل، حتّى احتلّ بوادي دُوَيْر؛ فاضطربت العساكر

١) A. B. ajoutent كتيبة.

فيه، وبانت عليه. ثم أخرج صباح تلك الليلة [سعيد بن المسدّر الوزير، في] جرائد الخيل وسرعان الفرسان، إلى حصن وخشبة؛ فأغذ السير حتى قرب من الحصن، وسرح الخيل المغيرة يمنةً ويسرةً، والمشركون في سكون وغفلة، [إذ كان العليُّ الذي يلي أمورهم قد كاتب أمير المؤمنين (رحمه الله)، مكابداً له في إزاحته عن بلد بواعيد وعدها من نفسه؛ فأظهر أمير المؤمنين (رحمه الله) قبول ذلك منهم، وأضر الكيد بهم؛ فغشيتهم الخيل المغيرة على حين غفلة، وأصابوا نعيمهم وسواهم ودوابهم مسرحةً مهملّة؛ فاكتسحوا جميع ذلك، وانصرفوا إلى العسكر سالمين غانمين. فلما كان في صباح يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر، اندفعت الخيل في أكمل نعبته، وأهذب ترتيب، وأوكد ضبط، وألغ حزم وعزم، إلى حصن وخشبة؛ ففرّ عنه الكفرة، وأخلوه، ولاذوا بالغياض الأسيّة، والصخور المنطعة. ودخل المسلمون الحصن، وغنموا جميع ما فيه، P. 117 وأضرموه ناراً. وبات أمير المؤمنين (رحمه الله) في محلته على وخشبة ليلة السبت؛ ثم رحل عنها في اليوم الثاني إلى حصن قاشتر مورش، وهي شنت أشتين. بيضة الكفرة، وقاعدتهم، والموضع الذي كانوا تعودوا فيه الاستطالة على من وردهم. فلما رأوا أنّ أنصار دين الله قد أطلّوهم، وأولياءه قد صدوا تحوّم، أخلوا الحصن وخرجوا هاربين عنه؛ فدخله المسلمون، وغنموا جميع ما فيه؛ وخرّبوا حصن القبيلة المجاور له، ولم يترك لأعداء الله في تلك الجهة نعمة بأوون إليها. [واضطرب العسكر بشرقي حصن قاشتر مورش. وبات المسلمون ليلة الأحد بأسر ليلة كانوا بها، والحمد لله. ثم انتقل أمير المؤمنين (رضه) في صبيحة اليوم الثاني من مكان المضطرب شرقي الحصن إلى غربيه، ولم يكن بين الموضعين إلا قدر ميل؛ فكسر العسكر في ذلك المكان يوم الأحد متفصياً لآثار الكفرة، ومستيحاً لنعيمهم. ثم ارتحل إلى مدينة لم أولية تُعرف بقلونية، وكانت من أمهات مدنها؛ فلم تعرّ الجيوش إليها إلا على قرى منتظمة وعمارة بسيطة؛ فغنمت جميع ما كان بها، وقتلت من أدركت فيها، حتى أوفت العساكر على المدينة؛ فألفيت

خالية، قد شرد عنها أهلها الى الأجيل المجاورة لهم؛ فغنم المسلمون جميع ما
 P. ١٨٧ أصابوا فيها، وعملت الأيدي في تخريب ديارها وكنائسها. وكسر الناصر (رحمه
 الله) عليها ثلاثة أيام، مطاولاً لنكاية المشركين، وانتساف نعيمهم. ثم ارتحل
 (رحمه الله) من مدينة قُلُوبِيَّة يوم السبت لحمس بقين من صفر الى نغرة تَطْبِلَةَ،
 لغياث صريح المسلمين به، إذ كان العالج شائجه قد ضايقهم، وتردد بكفرته عليهم؛
 فأخذ الناصر (رحمه الله) بالرفق في نهوضه، إيملاً يعنف على المسلمين بحث السير
 مع اتصال سفرهم؛ فاستقبل بالجيوش قطع المنار الأعظم، مسائراً لوادي دُور،
 وقطع في ذلك خمس محلات، حتى احتل حوز تَطْبِلَةَ؛ ثم قدم الخيل مع محمد
 ابن أبت عاملها الى حصن قلهرّة الذي كان اتخذ شائجه على أهلها. فلما قصدته
 الخيل، أخلاه من كان فيه، وضبطه المسلمون.

ثم نهض (رحمه الله) الى حصن قلهرّة. وكان شائجه قد اتخذ مَعْقِلًا، ونبوّاه
 مسكنًا. فلما فجأه العساكر، أخلاه العالج، وزال عنه؛ فغنمه المسلمون بأسره؛
 وكسر الناصر (رحمه الله) عليه يومين حتى خرب جميعه، وانتسف كل ما كان
 حواليه. ثم رحل بالجيوش يوم الأحد لأربع خلون من ربيع الأول الى دى شره،
 وأجاز اليها وادي إبره؛ فخرج شائجه من حصن أرنيط في جموعه وكفرته،
 منعرّضاً لمن كان في مقدّمة العسكر؛ فبادر إليه شجعان الرجال، تبادر رشق
 النبال؛ فانهزم الكفرة، وركبتهم الخيل، تقتل وتجرح، حتى تواروا في الجبال،
 ولاذوا بالشعاب ¹ وأيقنوا بالدمار والهلاك ¹. وحيز كثير من رؤوس المشركين؛
 فتنقوا بها أمير المؤمنين (رحمه الله)، ولا علم عند المعركة التي دارت بينهم
 وبين أعداء الله. واضطرب العسكر بهذا الموضع، وبات المسلمون ظاهرين على
 عدوّهم، ومنبسطين في قرّاهم ومزارعهم.

وورد الخبر على الناصر (رحمه الله) باجتماع العالجين أزدون وشائجه،
 P. ١٨٨ واستعداد بعضها ببعض، طامعين في اعتراض المقدّمة، أو انتهاز فرصة في

1-1) Seulement dans B.

الساقفة. فأمر الناصر (رحمه الله) بتعبئة العساكر، وضبط أطرافها؛ ثم نهض بها مؤغلاً في بلاد الكفرة؛ فظلموا على كدى مشرفة وأجبل مبيعة؛ ثم تعرضوا من كان في أطراف الجيش، وجعلوا يتصاحبون، ويؤولون ليضعفوا من قلوب المسلمين؛ فعهد الناصر (رحمه الله) بالأنزول والاضطراب وإقامة الأبنية. ثم تبادر الناس إلى محاربة الكفرة، وقد أسهلوا من تلك الأجبل؛ فواضعوهم القتال، واقتحم عليهم حشم أمير المؤمنين ورجاله وأبطال الثغر وحماته، يضعون أسلحتهم فيهم، ويضطرون رماحهم عليهم، حتى انهزم المشركون، لا يلوون على مكان مضطربهم، ولا يهتدون لوجه متقلبهم، والمسجون على آثارهم، يقتلون من أدركوا منهم، حتى حجز الظلام بينهم.

ولجأ عند الهزيمة أزيد من ألف عالج إلى حصن مويش، ورجوا التمتع فيه. فأمر الناصر بتقديم الميثل وأبنية العسكر إلى الحصن؛ فأحيط به من جميع جهاته، وحوربوا داخله حتى تغلب عليه، واستخرج جميع العلوج منه، وقدموا إلى الناصر (رحمه الله)؛ فضربت رقاب جميعهم بين يديه، وأصيب في الحصن والمحلة التي كانت للكفرة بقربه من الأمتعة والأبنية والحلية المتقنة والآنية ما لا يحصى كثرة؛ وأصيب لهم نحو ألف وثلاثمائة فرس. وكسر أمير المؤمنين (رحمه الله) بهذه المحلة أربعة أيام، يغير جميع ما حواليتها من نعم المشركين وثمراتهم ومزارعهم؛ ثم انتقل (رحمه الله) يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول إلى حصن كان اتخذه شائجه على أهل بقيرة؛ فالفاء خالياً، قد فر عنه أهله؛ فعهد بهدمه، ولم يبرح أمير المؤمنين (رحمه الله) من محلته هذه حتى انتقل إلى حصن بقيرة من أطعمة الكفرة ألف مدي نفوية لأهله.

ثم انتقل • إلى حصون المسلمين يسكنها وينظر في مصالح أهلها؛ فكلما P. ١٨٩
ألفى بقربها معقلاً للمشركين، هدمه وأحرق بسبطه، حتى لقد اتصل الحريق في بلاد المشركين عشرة أميال في مثلها. واجتمع عند الناس من الأطعمة (والخبرات) ما عجزوا عن حمله، ولم يجدوا لها ثمنًا تبار به؛ وكان الفصح في العسكر [تبدل]

سنة أفيزة بدرهم؛ فلا يوجد من يشتريه؛ فجُعمت الأطمية وأدخلت النار إليها حتى أحرقت عن آخرها. [وقتل الناصر (رحمه الله) يوم الثلاثاء ثلاث بقين من ربيع الأول، حتى انتهى إلى مدينة أنبيشة؛ فكسر (رحمه الله) بها يوماً، ووصل رجال الثغر، وكسام، وحملهم، وأين لهم في الرجوع إلى مواضعهم. وبعث إلى قرطبة من رؤوس الكفرة [التي أُصبت في المعارك المذكورة] أعداداً عظيمة، حتى لقد عجزت الدواب عن [السياف] حملها. ودخل (رحمه الله) القصر بقرطبة يوم الخميس الثالث عشر من ربيع الآخر، وقد استكمل في غزاه هذه تسعين يوماً. وفي هذه السنة، بعد الفتل، عزل الناصر (رحمه الله) محمد بن محمد بن أبي زبد عن الشرطة العليا، وولاهم دُرّاً مَولاه.

وفي هذه السنة، قُتل جعفر بن عمر بن حفصون بجبل بيشتر، فقتله أصحابه غيلة، ودخله أخوه سليمان وضبطه.

[وفيها، ولي العرض عبد الرحمن بن عبد الله الزجاجي.]

وفيها، افتتحت المندات بحذو قرطبة¹⁾ من كورة ربة، وبني حصن فاشتره ذكوان، وألزمه الرجال والقوة.

وفي هذه السنة، توفى أبو عمرو سعد بن معاذ بن عثمان بن حسان بن

P. 190. بخامر السعاباني * النقبه بقرطبة في جمادى الأولى؛ وكان معظماً في أهل العلم؛ وفيها، توفى عبد الغافر بن هاشم بن عبد العزيز.

وفي سنة ٢٠٩، كان [غزاة أمير المؤمنين الناصر (رحمه الله) إلى كورة ربة، وهي] غزاة طرش. [وبرز لها (رحمه الله) يوم الخميس لسبع خلون من ذي الحجة سنة ٢٠٨، وهو اليوم العاشر من أيار، وفصل من قصر قرطبة [غازياً] يوم السبت لثمان خلون من المحرم [سنة ٢٠٩]، وهو اليوم العاشر من حزيران بعد بروزه إلى أحد وثلاثين يوماً. وتخلّف في القصر وليّ عهده أمير المؤمنين المستنصر

1) A. B. G. قرطبة. Il sagit de Cartama.

بالله [أطال الله بقاءه] فسار [رضه] في احتفال من جيوشه، وطبقات من رجاله. حتى احتل على حصن طُرُش؛ وكانت النصرانية قد انحسرت إليه، وتحصنت فيه؛ فأحدثت العساكرُ به من جميع جهاته. وعهد بحاربتهم والتضييق عليهم ونصب المجانيق على مرفقَيْ أَصْلٍ منه حجارته إلى الكفرة. وكانوا في أوّل المنازلة لهم يبرزون للعرب، ويُظهرون المدافعة، حتى مزقّتهم الحرب، وقبّلت عددهم، وفلّت حدّهم؛ فعادوا بالاستغلاق في داخل حصنهم¹⁾. ثمّ نادى التضييق عليهم، والحصارُ لهم، حتى أخذهم الجهد، وأشفقوا على الهلاك؛ فخطبوا أمير المؤمنين ضارعين إليه في تأمّنهم، على أن يسلموا الحصن، ويخرجوا عنه؛ فأجابهم إلى ذلك، وقبل إنابتهم؛ ودخل رجاله الحصن، وخرج عنه جميع من كان به من النصرانية داخله. وهدمت قِصَابُهُ²⁾ وألقيت أحجارها في النهر؛ وبقي في موضع ١٩١ م.
الكنيسة مسجد جامع. ونظر الناصر (رحمه الله) أيام محاصرته لحصن طُرُش في توجيه القواد والأجناد إلى حصن بُشْتَرٍ وحصن أُنُوط وجبل الحجارة، لمحاربة سليمان وحنص ابني عمر بن حفصون، والتضييق عليهم، والانتفاص لعددهم. ثمّ قفل الناصر (رحمه الله) من محلّته على حصن طُرُش يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل، ودخل [قصر] قُرْطَبَةَ [يوم الخميس] ثلاث عشرة ليلة بقيت منه، وقد استتمّ في غزاه هذه تسعة وستين يوماً.

[وفي هذا العام، استنزل بنو سعيد بن ناصح بن مسنّة من حصون باغة المعروفة بعالية وريش. واستنزل موسى بن يزيد، أخو حمصي، من الصخرة التي كان بها. واستنزل بنو مهلب من حصونهم المعروفة بقزذرة وإشبرغبرة وغيرها، وهلم جميعها.]

[وفي هذه السنة، أمر الناصر (رحمه الله) بقتل العاصي ابن الإمام عبد الله، ومحمّد بن عبد الجبار ابن الإمام محمّد (رحمهما الله)، إذ شهد كل واحد منهما

١) بالحصن بحدار حصنهم B. ٢) نصبت A. B.

على صاحبه بمطالبة الخلافة ونقض البيعة، وكثراً في ذلك؛ وكان لهما غايات.
فقتلاً ليلة الأربعاء لثلاث خلون من رجب.

وفي ليلة الجمعة لست خلون من رجب، مات الحاجب بدر بن أحمد؛
وولي الحجابة موسى بن أحمد بن حدير.

وفيها، مات محمد بن عبد الله بن أمية الوزير؛ وعبد الواحد بن محمد بن
عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني في شوال؛ وفيها، توفي الفقيه محمد بن أحمد
المعروف بابن الزراد، ليلة الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة.

وفي سنة ٢١٠، كان [غزو أمير المؤمنين الناصر (رحمه الله) إلى كورة
P. 192] البيرة، وهي [غزاة منت روبي. وبرز * لهذه الغزاة يوم الخميس لثلاث خلون
من ذي الحجة سنة ٢٠٩، [وهو الرابع من نيسان، وفصل غازياً من قصر
قرطبة يوم السبت لعشر خلون من المحرم، وهو اليوم الحادي عشر من أيار،
بعد يروزه بسبعة وثلاثين يوماً]. وتخلّف في القصر وليّ عهد الحكم المستنصر
بالله ((أبناه الله))، ومن الوزراء أحمد بن محمد بن حدير. وغزا معه في هذه
السنة الحاجب موسى بن محمد؛ فسار [رضه] حتى احتلّ بحصن منت روبي
يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم؛ وكان جبلاً متنوعاً، بعيد المرام،
كثير السكّان من عجمية، قد لاذت به، وامتنعت فيه؛ وهو متوسط بين كورة
إلبيرة وكورة جيان، وعلى طريق مدينة بجّانة. فكان من سلك تلك السبيل من
وارد أو صادر لا يسلم من عادية ذلك الحصن. وكانوا يسفكون الدماء،
ويسلمون الأموال، [ويخيفون السبيل]. فأقام عليهم أمير المؤمنين (رحمه الله)
خمسة وثلاثين يوماً محاصراً، حتى أباد كثيراً منهم، [وقطع ثمراتهم، وغير نعمهم].
ثم أبقى على الحصن من رجاله وأجناده من استمرّ على محاصرته، حتى كان لا
يدخل إليهم داخل، ولا يخرج عنهم خارج. وتقدّم [عنه] إلى حصون كورة إلبيرة؛
فعمّ جميعها بالنكاية. ثمّ عرّج منها إلى كورة ربة، ونزل على [جبل] بيشتر يوم
السبت لسبع خلون من ربيع الأول؛ فحاربهم أشدّ محاربة، ونكاهم أبلغ نكاية،

وقطع ما [كان] بقي في أسناد الجبل من الثمار، وربب لمحاصرهم أكابر الفؤاد.
 وقصد (رحمه الله) كورة تاكرنا، فاستصلح أحوال أهلها، واستوثق من طاعتهم، P. ١٩٢
 ونقل من رأى نقله إلى قرطبة من وجوههم. ثم وصل نظره فيها بالنظر في كورة
 مؤزورا، وطالع في طريقه كورة إشبيلية وقرمونة، وقفل بعد إحكامه جميع الأمور
 في تلك الجهات؛ فاحتل قصره يوم السبت لست خلون من ربيع الآخر، وقد
 استكمل في غزاته هذه خمسة وثمانين يوماً.

[وفي هذه السنة، ولى الوزارة أبو سعيد عبد الملك بن محمد الشدوني، يوم
 الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر. وولى فيها الوزارة أيضاً
 يحيى بن إسحاق؛ وكانت بيده الشرطة الصغرى؛ فوليا مكانه محمد بن محمد بن
 أبي زيد، وذلك يوم السبت لخمس بقين من شوال.

وفيها، عزل أفلح بن عبد الرحمن عن الخيل، ووليا صاحب المدينة محمد
 ابن عبد الله الخروبي أياماً يسيرة؛ ثم أعيد إليها أفلح.

وفيها، ولى أحمد بن موسى بن حدير، ونهارة بن سليمان الخزانة، في شوال.
 وفيها، ولى أحمد بن عبد الله الخروبي العرض.

وفيها، مات سالم بن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن أبا الفقيه؛ وعبد
 الله بن أبي الوليد ابن أخت محمد بن الصغار الفقيه، وكانت له رواية عن
 سخون؛ ومحمد بن عبد الحكم؛ وفيها، توفيت علية بنت الإمام عبد الرحمن
 ابن الحكم (رحمه الله).

وفي سنة ٢١١، كان غزو أمير المؤمنين الناصر (لدين الله) [رضه] الى
 مدينة بيشتر وحصون رية؛ [فبرز لغزاته هذه يوم الخميس لست خلون من ذي
 الحجة سنة ٢١٠، وهو اليوم السابع عشرين من آذار؛ وفصل غازياً يوم الإثنين
 مستهل المحرم، وهو اليوم الثاني عشرين من نيسان، بعد بروزه بخمسة وعشرين P. ١٩٤
 يوماً]؛ فسار [رحمه الله] حتى احتل على حصن بيشتر؛ وبادر سليمان بن عمر بن
 حصون بسكاتبته، [راجياً لصرف عزمه عنه]؛ فأعرض الناصر عن مجاوبته،

[وقبول ما تعرّض له من مكائده]، وأخذ بالحديد والعزم في مُحاصرته، وأقطع باقي ثمراته وكرماته، واصطلام معاشه]. وأقام عليه سبعة أيام، يصل الغدوّ بالروح في التغيير والتدمير والنكاية والاستبلاغ؛ وفعل كذلك فيما بقي من حصونه، أكحصن قرذارش، وحصن نجارش، وحصن الجش، وشنت بيطر؛ فخرج إليه حفص بن عمر بن حفصون، ونبراً من حصن قامرة؛ فأمنه أمير المؤمنين الناصر (رحمه الله)، وأقرّه في بعض حصونه، لِمَا رآه من السياسة ووجه المصلحة فيه وفي سليمان أخيه. ثمّ تقدّم إلى مرّسى شاط والمسكب، وحصن مشكربيل، ونهض بعساكره في وعير لم يفتحهم جيش قتلّه؛ فاستترل جميع أهل ناك الحصون، واستصلح نلك الجهات. [ثمّ قصد جبل بيشتر، وقد كان أهله أرادوا النكّ بسليمان بن حفصون، وضبطوا القصبة دونه، وأطلقوا من كان في حبسه، وانتهبوا أكثر أمنيته؛ ثمّ إنه احتال مع بقية أصحابه، حتى دخلوا المدينة، وفتحوا له بابها؛ فدخل منه متلثماً، وأطع السواد في أموال الفائزين عليه؛ فثاروا معه، وبادروا إلى قتل من ظفر به منهم؛ فأفنى أكثرهم؛ وسلط الله بعض الكفرة على بعض، ليسحو آثارهم. وبقي سليمان بجبل بيشتر مشغولاً بنفسه، مرتاباً من حوله؛ فاحتلّ به أمير المؤمنين مرّة ثانية في غزاه هذه، وذلك يوم الأحد لأربع خلون من ربيع الأوّل؛ فلم يكن لأحد من الكفرة إطلال عند اضطراب العسكر على ما كانوا تعودوه من قبل؛ وأرتب على الجبل أمير المؤمنين من وثق به من رجاله، وألزمهم مواضع في جميع جهاته]. ثمّ قتل، ودخل [القصر بالفُرطبة يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأوّل، وقد استتمّ [في غزاه] تسعة وستين يوماً.

[وفي هذه السنة، كانت وقعة بقرة ومُحاصرة أهل بنبلونة لعبد الله بن محمد ابن لبّ، حتى تغلب عليه وعلى من كان معه، وأسرهم العليج شانجه؛ ثمّ قتلهم. وكان مع ابن لبّ في حصن بقيرة مطرف بن موسى بن ذى النون، ومحمد بن محمد ابن عيه، ووجوه رجالهم؛ فذهبوا في هذه الوقعة بأجمعهم. وشنع الحادث

فيها على الناصر (رحمه الله)؛ فأخرج عبد الحميد بن بسيل قائداً إلى الثغر الأقصى، بعد أن استوزره؛ وكان على خزانة المال؛ فنهض حتى احتل الثغر بجيوش كثيفة، أخرجت معه، وحشدت إليه من الثغر وغيره؛ فدخل مدينة تطيلة وملكها.

وفيها، افتتحت قصبة مؤرور.

وفيها، ولي محمد بن أحمد بن حدير خطة العرض، وعزل محمد بن محمد ابن أبي زيد عن الشرطة الصغرى، وولياها يحيى بن يونس القبرسي¹⁾.
وفيها، توفي عبد الرحمن ابن الإمام المنذر (رحمه الله). وتوفي جهور بن عبد الملك، وهو قائد شدونة. وفيها، قتل عبد الله بن محمد بن مروان الجليفي، صاحب بطليوس، دخل عليه بعض أهل الموضع، فقتلوه. وفيها هلك أزدون بن إذفش صاحب جليفة، وولي مكانه فلويرة.]

غزاة الناصر إلى بنبلونة

* وفي سنة ٢١٢، كان غزاة أمير المؤمنين الناصر (لدين الله) [رضه] إلى ١٩٦ P. دار الحرب، وهي الغزوة المعروفة بنبلونة؛ [فبرز (رحمه الله) لهذه الصائفة مبكراً قبل ميقات الصوائف، إذ أحفظه ما دار على بني لبّ وبني ذي النون بخصن بقيرة؛ فبرز لغزاته هذه يوم الخميس لليلتين خلنا من ذي الحجة، وهو اليوم الثاني عشر من شباط سنة ٢١١]. وفصل من قرطبة يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرم [سنة ١٢، وهو اليوم السابع عشرين من نيسان، وذلك بعد بروزه بثلاثة وأربعين يوماً]. فاحتل لأول خروجه بمحلة بالش، وكسر بها يومين، متلوماً على المجاهدين معه من أجناده ورعيته، والمحشودين من أقطار كوره. وتخلف [رحمه الله] بالقصر بقرطبة وليّ عهده الحكم [المستنصر بالله (أبقاه الله)، ومن الوزراء أحمد بن محمد بن حدير]. وأمّ الناصر رضه

1) Lecture douteuse. G. porte ici, comme plus loin: القبرسي.

في أوّل خروجه كورة نُدْمِير وكورة بَلَنْسِيَّة، واستصلح أحوال أهلها، واستنزل
 عبد الرحمن بن وضّاح. ويعقوب بن أبي خالد [النويري]، وعامر بن أبي
 جوشن، وغيرهم، من مواضعهم التي كانوا متأمّرين فيها، ومنعاصين عن النزول
 منها. [وأرتب الفؤاد والجيش على محمد بن عبد الرحمن بن الشيخ، إذ تمنع
 من النزول إليه والغزو معه؛ وكان بمدينة العسكر من أحوار بَلَنْسِيَّة].
 ثمّ نهض [أمير المؤمنين] الناصر (رحمه الله) في عساكر كعدد الحصص، حتى
 دخل نغرة طيلة. وخرج إليه النجيبون وغيرهم، وبقاه عمال الثغر في جنود
 عظيمة، وعدّة كاملة؛ فدخل (رحمه الله) بلاد المشركين [يوم السبت لأربع
 خلون من ربيع الآخر] بأنند عزم، وأوكسد حزم، وأقوى نية في الانتقام لله
 (عزّ وجلّ) ولدينه من الأرجاس، الكثرة (الأنجاس). فحلّ من أوّل بلادهم
 حصن قلعة؛ وكان العالج شائجه قد أخلاه؛ فأمر بهدمه وإحراق جميع ما فيه
 وحوله؛ ثمّ سئل عنه إلى موضع يعرف ببيطرة ألتة؛ وكانت حوّه حصون ماعة؛
 فأخلاها الكفرة، وتخفوا في بسطها جميع أمتعتهم وأطعمتهم. إذ عوجاوا عن
 انتقالها. ولجأ عوج منهم بأهلهم وولدهم إلى ثلاثة غيران في شفير جرف على
 النهر؛ فلم يزل أهل العسكر يتعاقبون إليهم فيها، وينسورون عليهم من أعاليها.
 حتى فتح الله سك غيران عليهم؛ فقتلوا العلوج وسوا الدراري، وغنموا الأمتعة.
 وكان ذلك أوّل ما أفاء الله - عزّ وجلّ - على أهل العسكر. وغنمهم إياه.
 وقدّمت حصون الكثرة التي كانت في سك الجهة؛ ولم يبق منها صخرة قائمة.
 ثمّ سئل - رحمه الله - من هذه الجهة. بعد أن كسر بها يوماً، إلى حصن
 فاجش؛ فأضرمت أراضه ناراً، واستقصيت زروعها وبعثه انسافاً وغيره.
 ثمّ ارتحل رضه إلى حصن نغالية؛ وكان من حصونهم الشريفة؛ فألقت الأتربة
 به كثيرة، والنعم فيه فائضة؛ فانتهب المسلمون جميع ذلك، ودأبوا في تخريب
 الديار. وتغيير الآثار. ثمّ ارتحل منه إلى حصن قرقستال على وادي أرغون؛
 ثمّ استعزم الناصر - رضه - على الإيغال في بلادهم، والتوصل إلى موضع قرارهم،

ومجتمع كَنَّارهم، ونكايتم في عُنُق دارهم، ومكان آمنهم؛ فأخذ في الحزم، وعهد بضبط مُجَنَّبَات العسكر، وتقدّم من فجج المُرْكُوبِرَ في أتمّ تعبئة وأهدب ترتيب، وذلك يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر؛ فدخلت الجيوش مواضع لم تُدخَل قَبْل ذلك، [وأحرقت الحصون، وهدمت الديار،] حتى نزل بقرية بَشْكُونِشَة¹، التي إليها ينسب العَلِج، ومنها أصله؛ فهدمت مَبَانِيهَا، أُحرق كلُّ شيء كان فيها.

فجمع العَلِجُ شَائِجَهُ كَفَرْتَهُ، واستمدَّ بنصرانيته [من كلِّ مكان، طمعاً أن يُغاث منه] حتى توافى له جمعٌ رجا أن يكافح المسلمين به؛ فتطلّعت له خيلٌ على تلك الأَجِيلِ المنيقة على العسكر، [وذلك ليلة الأربعاء للنصف من شهر ربيع الآخر]؛ فأمر الناصر [رحمه الله] بالتعبئة للرجال، وشكَّ العسكر. وإيقان النظر؛ وصاح النهوض والتقدم لوجهته، وإيقاناً بالله - عزَّ وجلَّ - ومتوكِّلاً عليه؛ فسلكت الجيوش بين أجبل شامخة وشواهِق منقطعة. ورجا أعداء الله مع ذلك بانتهاز الفرصة والاعتراض للمسلمين في مجنبة أو ساقية؛ فلما توسَّط الجيشُ بعضَ تلك المواضع المتضايقية [على واد يُعرف بوادي هَيْغَةَ]، هبطت المشركين خيل من الأَجِيلِ؛ فحالت بينهم وبين أهل العسكر [مناوشةً يسيرةً]. فعهد أمير المؤمنين - رحمه الله - برفع المِظَلِّ والتعبئة للحرب، ونهض المسلمون إلى أعدائهم نهوضاً ١٩٩. والأسود؛ فعبروا النهر إليهم، وصمَّوا بالحملة عليهم، حتى اقتلعوهم عن موضعهم، [وهزموهم]، ووضعوا سيوفهم ورماحهم فيهم، حتى اضطرُّوهم إلى مُرْتَفَعِي وَعُرِّ وجبل منقطع؛ فتفحَّم المسلمون عليهم، وسهَّلَ اللهُ وعده لهم؛ فقتلوا جملة منهم، وبسطت الأرض بأجسادهم. واستمرَّت الخيلُ البُغيرةُ في بسبِّهم؛ فأصاب الغنائم والسوام وضروب النعم، وانصرفوا سالمين، لم يُصَبَّ منهم غير يعقوب بن أبي خالد التوبري، ونفَرُ يسيرٍ من الحشم فازلوا بالشهادة، وختم الله لهم بالسعادة.

1) B. بَشْكُونِشَة. Peut-être: Sangüesa, شنكويشة.

واجتمع من رؤوس المشركين عددٌ عظيمٌ اُمنع من البعثة بها الى قُرطبة منع الطريق وتعد المسافة.

ثم ارتحل أمير المؤمنين رضه الى محلة لُنيرة؛ ثم الى محلة لَغين؛ والجيش لا تترك موضع إلا اصطلمته، وتعلقت زروعه، وهدمت قراه وحصونه، الى أن بلغ رضه مدينة سَبِلُونَة؛ فوجدها خاليةً مففرة؛ فدخلها - رحمه الله - وجال بينه عليها، وأمر بهدم جميع بيوتها، وتخرّب كنيسة الكفرة بها، التي كانت بينهم موضع سُكُونهم، حتى لقد جعلت قاعاً صَفْصَفاً. ثم سفل - رضه - منها الى صخرة فَيْس؛ وكانت بها كنيسةٌ قد شيدتها العُلج، وأنفها، وطاول الأنام بالتأنيق فيها. والتحصين لها؛ فلما حانت بها الجيوش وأخذت في هدمها، نطّع الكلب من جبل كان أسد إليه، طامعاً في حمايتها؛ فداخله أولياء الله بأسرع من لحظة الطرف. حتى اقتلعوه مهزوماً مؤلياً، وصرع من فرسانه ووجود أصحابه من كان معه محامياً ودونه مستهزئاً؛ وأخربت الكنيسة وما أحاط بها، وعادت القرية ناراً موقدة.

ثم سفل منها الى محلة اساربه؛ وكان في مرز إليها فجّ يقال له هَرْقَة ضيق المسك. وعر الحجاز؛ فرام الكفرة انهزاز فُرصة من المسلمين فيه؛ فأمر الناصر - رحمه الله - بالبعثة والاحتراس، ونهض على أتم التحنّظ والضبط، حتى جاوزت العساكر ذلك المضيّق، وخرجت عنه ونظّاهر أعداء الله لأهل السافة، مستهزئين لأعلى جبل؛ فهضت الخيل إليهم، وهزمتهم، وقتلت طائفة منهم. وانشعوا مُدبرين لا يلوون ولا يعرجون. ونفّتم المسلمون بعزة الفهر، وسرور النصر، حتى نزلوا محلة اساربه. ثم ارتحل الناصر - رحمه الله - منها الى محلة بقرية مَنبِير؛ ثم تنقل الى محلة بدى شره المجاورة لثنتِ اثنتين؛ وكان موضع (السرکاج) العُلج شائعاً، ومكان طابيته؛ فحلت الجيوش بهذه المحلة يوم الأربعاء لثمان بقين من ربيع الآخر، ونظّاهر الكلب على الجبل، فد جمع جموعه، وحشد رجاله، واستجاش بدود الله من آلبة والفلاح، طامعاً في معارضة المسلمين، يُقيم

بها عذره عند كفره، وأهل مائته؛ فناشهم المسلمون الحرب، والتحم بينهم القتال؛ فهزم الله اجموع المشركين، وانقبضوا الى أعلى جبلهم، وفتروا في شعراء منصلة بهم. وبات أهل العسكر في محنتهم. وابتسطت العلاقة في القرى؛ ١٢٠١. فانتسفت ما فيها. اثم انتقل الناصر الى محنته بموضع يعرف برؤية سربه، وهو بريد قلهره. ونظاهر العليج اجموعه؛ مرة ثانية في الموضع الذي كان مشرفاً فيه، ومعنصماً به؛ فتبادر اليه النيران؛ فانهزم أقبح انهزام. او قتل له رجال وعُقرت له خيل.

وسقل الناصر - رحمه الله - الى حصن قنبرة؛ فالفاه خالياً، وأمر بهدمه. ثم سقل الى حصن سنييرة، وهو من حصون المسلمين المخاورة للمشركين؛ فعهد بأذخار الأطعمة عنهم، وسرق الأموال فيهم. واحتل مدينة طيعة. وكسر بها. وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من ربيع الآخر، ورحل عنها قافلاً، وجعل مروره بنى ذى النون؛ وكان يحيى بن موسى قد استراب، واقف عن الجهاد؛ فدارت عليه معرة الجيش، حتى أذعن منقاداً، وخرج خائلاً وجلاً، وسقى أمير المؤمنين معترفاً بذنبه؛ فأوسع عفوهُ؛ او فعل مثل ذلك يحيى بن أبي النخع من أخيه. ودخل أمير المؤمنين ارحمه الله قرطبة يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الأولى، وقد استتم في غزاه هذه أربعة أشهر.

وفي سنة ٢١٢، كانت غزاة أمير المؤمنين الناصر (رحمه الله) الى كورة لبيرة، او منازلته حصن اشتين، واستصلاحه الأحوال بالكورة جيان وما والاها؛ [فبرز - رحمه الله - هذه الغزاة يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من الحرم سنة ٢١٢، وهو اليوم السابع من نيسان، وفصل غازياً يوم الخميس لثمان بقين من صفر، وهو اليوم السابع من أيار، وذلك بعد بروزه بثمان وأربعين يوماً]؛ وتخلف في القصر (قرطبة) ولي عهد الحكم المستنصر بالله. ومن الوزراء أحمد [بن محمد] بن حدير، او على المدينة محمد بن عبد الله الخروبي؛

P. ٢٠٢ واستقدم * سعيد بن المنذر الوزير من كورة تدمير، ليغزو معه . وأخرج محمد ابن إسحاق مديلاً له ؛ فاحتل في طريقه بحصن المثلون من كورة جيان، وأنزل عنه عبد الله بن سعيد بن هذيل، وعزله عن سائر الحصون التي كانت بيده؛ واستعمل على الجميع عبد العزيز بن مسلمة وعبد الله بن عمرو بن مسلمة، وعهد بهدم أكثر حصون جيان وقصايبها، إذ كانت مسترحاً لأهل الشر والخلاف، وضرراً على أهل الطاعة والاستقامة؛ وكذلك ما فعل بحصون البيرة، حتى احتل بحصن اثنتين ابوم الإثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول؛ وكان أهله على مكابدة باطنة، وإظهار طاعة تحتمها مدهنة؛ فعرض عليهم الناصر النزول عن حصنهم [إلى البسيط حوله؛] فاضطربوا في أمرهم، ولاذوا عن ردهم؛ فاحتلت العساكر بهم، [وأخذ بالجد والعزم في محاصرهم،] وأحبط بهم من جميع جهاتهم، وبنيت عليهم ستة حصون يقابل بعضها بعضاً، حتى عادوا في مثل حلقة الخاتم [ضيفاً وحصاراً]. وبقي الناصر على محاصرهم خمسة وعشرين يوماً، وهو بدأب مع ذلك في استصلاح أمور رعيتهم، ونأمين سبلهم، وقطع المخاوف عنهم. ويشخص بنفسه إلى كل جهة من جهاتهم.

وفي هذه الغزاة، استجاب الناصر [ولياً عهداً وِعَاداً أَنَسَه] الحَكَم [المُسْتَصِير بالله] من قصر قُرْطُبة إلى معسكره، وهو في ذلك الوقت ابن عشرة أعوام وثمانية أشهر ونصف، إذ استوحش له، وتاقت نفسه الكريمة إليه؛ فقدم عليه [أبناؤه] بالله P. ٢٠٣ بهذه المحلة مع ثقات رجاله وفتيانهم؛ واستخلف [له] في القصر * أخوه عبد العزيز لِيُسَنِّفَ الكُتُبَ باسمه إلى وقت منصرفه. فأنس - رحمه الله - به، وسرَّ بقربه. وقفل الناصر من هذه الغزاة [يوم الجمعة] لست خلون من ربيع الآخر، بعد أن أرتب الوزيرين سعيد بن المنذر وعبد الحميد بن بسيل على حصن اثنتين، محاصرين لأهله [في كنف من الحشم]. ودخل القصر [بقُرْطُبة] يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر، [وقد استتم في غزاته خمسين يوماً].

وفي هذه السنة، ولي خالف الفتي الكبير الطراز
 وفي شوال منها، ولي يحيى بن يونس الفبرسي السوق. إذ اعتل أحمد بن
 بهلول علةً أبطلته عن الحركة؛ ثم ولي يحيى بن يونس المواريت في ذي القعدة،
 وولي عبد الله بن محمد الخروبي خزانة السلاح.
 وفيها، صلب على الرصيف بباب قصر قرطبة الراي المعروف بأبي نصر؛
 وكان قد ذهب به الصوت في الرماية والإصابة أيام عمر بن حفصون؛ فصاب؛
 ثم رمى بالنبل حتى أصيبت جوارحه ومقاتلته؛ وبقي في الجذع أياماً؛
 ثم أُحرق.

وفيها، توفي ابن الناصر يسمي بمحمد. وفيها، مات ثابت بن حزم العوفي
 من أهل سرقسطة، في شهر رمضان؛ وكان كثير الرواية، بصيراً باللغة؛ وله
 رحلة سمع فيها من بعض الفقهاء بالمشرق. وفيها، هلك فلورة صاحب جابقية،
 وولي إذفنش؛ ثم ترهب، وولي أخاه رذمبر مكانه في ١٢٠١.

وفي سنة ٢١٤، كان إغزاه الناصر (رحمه الله) فواده بالموائف؛ ولم يكن
 له غزوة (بنفسه) في هذا العام لمجل كان فيه، وقحط [شديداً]؛ فأخرج عبد
 الحميد بن بسيل الوزير إلى الثغر الذي كان به بنو ذي النون؛ فأوقع بهم، ٢٠٤
 إذ كانوا قد مرقوا عن الطاعة، [وأكثروا الفساد في الأرض، والاستطالة على
 من جاؤهم من المسلمين]؛ فقتل منهم من استحققت القتل، [وافتتحت مدينة سرتة؛
 وكان أهلها على خلاف وخلعان للطاعة؛ فدرت جبايتها من ذلك الوقت،
 وصارت بسيل سائر الكور المستقيمة الأحوال.] ثم صدر عبد الحميد [بن
 بسيل] من ذلك الثغر، وقد استقامت على يديه أحوال أهلها؛ فأخرجه الناصر
 إلى مدينة بيشتر، محاصراً لسليمان بن حفصون [في جملة الفواد المحاصرين له؛
 وأخرج - رحمه الله - أفلح صاحب الخيل مولاة إلى سليمان بن حفصون أيضاً؛
 فنازله وحاصره، وفتح حصن سنت رويي؛ وكان من أمنع معاقله].

ذكر قتل سليمان بن حفصون

وفي هذه السنة، قُتِلَ سليمان بن عمر بن حفصون؛ وكان قد [ركب
 و]أخرج [عن مدينة بَشْتَر] معارضاً¹ لبعض (الحشم) المغاورين له من العسكر؛
 فتبادرت إليه الخيل من الجهة التي كان فيها عبد الحميد [الوزير]؛ فصُرِعَ
 سليمان عن فرسه؛ فاحتز رأسه سعيد بن يعلى العريف [المعروف بالشفة؛
 وكانت قد واقعت قبل ذلك طعان على يدى محمد بن يونس العريف وبعض
 بنى مظاهر العجم]؛ وقطعت يده (ورجلاه)، وذلك يوم الثلاثاء مستهل ذي
 الحجة من سنة ٢١٤. وبعث الوزير عبد الحميد برأسه وجثته ويديه مبعضة
 مفترقة؛ فرفعت على باب السدة [بقرطبة] في خشبة عالية؛ وكان الفتح فيه
 عظيماً ساراً لجميع المسلمين.

[وفيها، ورد الخبر بهلاك العليج شانجه صاحب بنبونة].

وكان القحط في هذا العام شديداً، والمحل عاماً؛ فاستسقى بالناس (الخطيب)
 P. ٢٠٥ أحمد بن بقی * [صاحب الصلاة] مراراً؛ [ونفذت الكتب الى الكور في
 الاستسقاء]؛ فوافى نزول الغيث مع رفيع جثة سليمان بن حفصون صليبة على
 باب السدة. فقالت في ذلك الشعراء أشعاراً كثيرة، منها [طويل]:

سحاب يهور الغيث فيها وديبة	ديما العدى تهى بها وتفور
غيانان فينا وإكفان من الحيا	ولكن ذا رجس وذاك طهور
وذاك يجبع ليس يقبله الترى	وذا ناجع بسرى به ويفور
ندتست الدنيا ² به فظهرت ²	بطون لها من رجس وظهور

[وفيها، ولي محمد بن عبد الله الرجائي الوزارة يوم السبت للنصف من
 جمادى الأولى.]

بذلك فظهرت B. 2-2. مغاوراً B. 1)

وفيها، غُزِلَ أَسْلَمُ بن عبد العزيز عن قضاء الجماعة بِقُرْطُبَةَ لِعَلَّةَ أَقْعَدَنَّهُ .
وَوَلَّى أَحْمَدُ بن بَقِيٍّ القِضَاءَ مع الصلاة .

وفيها، وُلِيَ أَحْمَدُ بن عبد الوَهَّابِ بن عبد الرَّوُوفِ خِزَانَةَ المَالِ . وَوَلَّى
عُمَيْدُ الله بن عبد الله الزَّجَالِيُّ العَرَضَ . وَوَلَّى خِزَانَةَ السِّلَاحِ حُسَيْنُ بن مُحَمَّدِ بن
عَاصِمٍ، وَأَحْمَدُ بن يحيى بن حَسَّانٍ، وعبد الوَهَّابِ بن مُحَمَّدِ بن عبد الرَّوُوفِ .
وفيها، تُوُفِّيَ أَصْبَغُ ابن الأمير المُسَدِّرِ . وفيها، تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بن عمر بن لُبَّابَةَ
الفقيه، ليلة الإثنين لحمس بقين من شعبان؛ وكان مولده مستهلَّ رجب سنة ٢٢٦؛
وكان عالماً بالفنِّيا، حَسَنَ الدين، مستقيمَ الحال من حدائته الى وقت وفاته .
وفيها، تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بن عبد الله الخَرْوَبِيُّ، صاحبُ المدينة، مستهلَّ صفر؛
وَوَلَّى المدينة مكانه عيسى بن أحمد بن أبي عَبْدَةَ بعد وفاته الى ثمانية أيام .

وفي سنة ٢١٥، كان غزو [أمير المؤمنين] الناصر [رضه] الى مدينة بُبْشَتَرِ
لِمُحَارَبَةِ حَفْصِ بن عمر بن حفصون؛ [فبرز لهذه الغزاة يوم الخميس لثلاث
عشرة ليلة * دخلت من صفر سنة ٢١٥، وهو اليوم التاسع عشر من رَيْبَسَانَ، P. ٢٠٦
وفصل غازياً يوم الاثنين للنصف من شهر ربيع الآخر، وهو اليوم الحادى عشر
من أيار، وذلك بعد بروزه باثنين وثلاثين يوماً]. وَأَغْرَى مع نفسه وِلِيَّ عَهْدِهِ
الْحَكَمَ [المُسْتَنْصِرَ بالله]، وهو ابنُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سنة، وتسعة أشهر ونصف، وتخلَّف
فى القصر عبد العزيز [شقيق وِلِيَّ العَهْدِ]، ومن الوزراء أحمد بن مُحَمَّدِ بن
حُدَيْرٍ، وعلى المدينة أحمد بن عيسى مُخَلِّفًا لِأبيه عيسى بن أحمد الوزير. فنزل
الناصر [بجيشه وخيله وعدده] على [مدينة] بُبْشَتَرِ يوم الثلاثاء لسبع بقين من
ربيع الآخر، وزاد عزمًا فى النيران عليها، والجِدِّ فى محاصرتها، وأرتب بها
[من القواد] مَنْ يلازمها، وتنقل منها الى مدينة الحَنَشِ؛ فاستنزل من كان فيها،
وأخلاها من ساكنيها، وأمر بهدم أسوارها وتعفية آثارها؛ [وباشر ذلك وِلِيَّ
عَهْدِهِ مع الحاجب موسى بن مُحَمَّدِ مَوْلَاهُ .

ثُمَّ أَمَّ الناصرُ حِصْنَ شَنْتِ بِيَطْرَ وما قرب منه من الحصون؛ فنازلهم،

وقطع ثارهم وكرومهم، وواصلهم معايتهم؛ ثم سقل بحبوشه الى مدينة مالقة. افنظر بمنزل ذلك في الحصون المجاورة لها، وولى مدينة مالقة عبد الملك بن العاصي، وألزم معه جمعة من الحشم لمغاورة أهل تلك الحصون، وأمره بحمل السيف على كل داخل إليهم أو خارج عنهم. ثم صدر الى مدينة بيشتر؛ ١٠٢٠٧ فاضطرب عليها ثانية امن ناحية لماندا، ورأى أن النبيان بها من أنكى الأمور (الكفرة) وأشدّها عليهم؛ فأمر ببيان صخرة الأولى تُعرف بالمدينة، اوقدم لذلك أحمد بن محمد بن إلياس، وصرف إليه كورة ناكزنا. وما اتصل بها من لمانية. وألزم عبد الحميد بن بسيل الوزير مكاناً يشرف منه على مجمع الشرق، ويحترس فيه بالمنشرين من أهل العسكر في العلاقات وطاب البرافق، والمختلفين إليه من كل موضع. وأقام بمحلته هذه سبعة أيام، لم يدع فيها (الكفرة) مرئناً ولا معاشاً. ثم انتقل الى محلة طابجيرة؛ فعهد بالنبيان فيها، وأقام بها حتى كمل بها شأن مدينة أزمها سعيد بن المنذر الوزير. ورأى الناصر صرف وليّ عهدك الى قصر قرطبة إشاراً لصيانتة ومعاودته الى ناديه؛ فوجهه مع ثقات رجاله، وفيهم دُرّي بن عبد الرحمن، صاحب الشرطة العليا، ومحمد بن أحمد بن حدير العارض؛ فبلغوه القصر وانصرفوا عن باب السدة الى العسكر؛ ولم يتقدم أحد منهم الى داره، ولا دخل منزله، ولا رأى أحداً من أهله. ثم قفل - رحمه الله - يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة، ودخل قصرًا قرطبة يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الآخرة، وقد استكمل في غزاه (هذه) خمسة وستين يوماً.

لوفي هذه السنة، أغزى الناصر دُرّي بن عبد الرحمن، صاحب الشرطة. مؤلاه، الى ابن الزيات؛ فلما قرب منه، خرج هارباً؛ وظفر دُرّي في وجهته هذه بهابل، فائدي كان لابن حفصون، وبأصحاب له؛ فأسرهم وأوثقهم بالحديد. وقدم بهم قرطبة؛ فصلبوا في المرح الذي بين يدي القصر، وذلك يوم الأحد لسبع خلون من شهر رمضان.

وفيها، وُلِي فُطَيْسُ بْنُ أَصْبَغِ الْوِزَارَةَ، وَعَبَسَى ابْنَهُ الْخِزَانَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَرْوَبِيُّ * الْعَرَضَ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزَّجَالِيُّ *
[المَوَارِيثُ].

ذِكْرُ افْتِتَاحِ مَدِينَةِ بَيْشْتَرِ

ولَمَّا اشْتَدَّتْ الْمُحَاصِرَةُ عَلَى حَنْصِ بْنِ عَمْرِ بْنِ حَنْصُونَ بِمَدِينَةِ بَيْشْتَرِ، وَأُحْبِطَ (بِهِ) بِالْبُنْيَانِ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَرَأَى مِنَ الْجَدِّ وَالْعِزْمِ فِي أَمْرِهِ مَا عِلْمٌ إِلَّا بَقَاءَهُ لَهُ مَعَهُ فِي الْجَبَلِ الَّذِي تَعَلَّقَ فِيهِ، كَتَبَ إِلَى [أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ] النَّاصِرِ، يَسْأَلُهُ نَأْمِيَّتَهُ وَالصَّنْحَ عَنْهُ، عَلَى أَنْ يُخْرِجَ عَنِ الْجَبَلِ مُسْتَسْلِمًا لِأَمْرِهِ، رَاضِيًا بِحُكْمِهِ. فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ النَّاصِرُ الْوَزِيرَ [أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ حُدَيْرٍ] وَوَلَّى هُوَ وَسَعِيدُ ابْنِ الْمُنْدِيرِ [مَدِينَةَ] بَيْشْتَرِ. وَدَخَلَهَا رِجَالُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (النَّاصِرِ) [وَحَشَمَهُ]، يَوْمَ الْخَمِيسِ لِسَبْعِ بَقِينَ مِنْ ذِي النُّعْدَةِ (مِنَ السَّنَةِ). وَاسْتَنْزَلَ حَنْصٌ [وَأَلَّهُ] وَاجْمِيعُ النَّصَارَى الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ، وَقَدِمَ بِهِمْ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ الْوَزِيرِ إِلَى قُرْطُبَةَ مَعَ أَهْلِهِمْ وَوَالِدِهِمْ. وَدَخَلَهَا حَنْصٌ فِي مَسْجِدِ ذِي الْحِجَّةِ، وَأَوْسَعَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَنْحَهُ وَعَفْوَهُ، وَصَارَ فِي جَمَلَةِ حَشَمِهِ وَجُنْدِهِ. وَبَقِيَ الْوَزِيرُ سَعِيدُ بْنُ الْمُنْدِيرِ بِمَدِينَةِ بَيْشْتَرِ ضَابِطًا لَهَا، وَبَانِيًا لِمَا عَاهَدَ إِلَيْهِ مِنْ بِنْيَانِهِ [وَأِحْكَامِهِ مِنْهَا].
وفيها، مَاتَ أَحْمَدُ بْنُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِمَدِينَةِ إِسْنِجَةَ. وَتُوفِّيَ الْوَزِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزَّجَالِيُّ فِي شَعْبَانَ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ وَخَمْسِينَ سَنَةً. وَتُوفِّيَ الْعَارِضُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حُدَيْرٍ فِي آخِرِ هَذَا الْعَامِ، وَكَانَ حَدَثًا، قَدْ سَوَّجَهُ ذِكْرُهُ، وَتَمَكَّنَ مَحَلَّهُ، فَعَظُمَ أَسْفُ الْحَاجِبِ عَمَّهُ وَالْوَزِيرِ أَبِيهِ عَلَيْهِ، وَوَلَّى النَّاصِرُ خُطَّتَهُ أَخَاهُ مُوسَى بْنَ أَحْمَدَ بْنِ حُدَيْرٍ، وَهُوَ صَغِيرٌ، لَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ، تَعَزِيَةً لِأَبِيهِ وَعَمَّهُ عَنِ الْمَفْقُودِ، * وَإِحْيَاءَ لَذِكْرِهِ. وَفِيهَا، مَاتَ أَبُو سَلِيمَانَ دَاوُودُ بْنُ هُدَيْلٍ *
ابْنِ مَسَانَ مِنْ أَهْلِ طَلَبِطُلَّةَ بِقُرْطُبَةَ، وَكَانَ رَاوِيَةً لِلنِّسَائِيِّ وَغَيْرِهِ، وَحَمَلَ عَنْهُ الْحَدِيثَ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ].

وفي سنة ٢١٦، كان غزاة [أمير المؤمنين] الناصر الى مدينة بيشتر، بعد افتتاحها، لتدبير أمرها وإحكام ضبطها؛ [فصل من قرطبة دون بروز، يوم الثلاثاء للنصف من المحرم، وهو السابع من آذار؛ وأغزى مع نفسه ولي عهده الحكيم المستنصر بالله؛ وتخلف في القصر ابنه عبد العزيز لتنفذ الكتب اليه، ومن الوزراء أحمد بن محمد بن حدير، وعلى المدينة أحمد بن عيسى مخلفاً لآبيه عيسى بن أحمد؛ وكان الحاجب موسى بن محمد عليلاً، فلم يغز في هذا العام. وكانت الطريق على مدينة إسججة، ثم الى أشونة]. واحتل بحصن بيشتر يوم الأحد لعشر بفين من المحرم؛ فدخل المدينة، وجال في أقطارها، وعان من اشرفها و[حصانها، وعلو مرتفاتها، وانقطاع جبلها من جميع جهاته، ما أيقن معه ألا نظير لها في الأرض حصانة ومنعة وإتساع قرارة. فأكثر من حمد الله - عز وجل - على ما افتتح [له] منها، وبسر له فيها؛ والتزم الصوم أيام مقامه بها. ثم دبر ببيان قصتها على أحسن ما دبره وأحكمه في غيرها؛ وفرق رجاله على هدم كل حصن كان حوالياً وعلى الديارات 1) الخارجة عنها. وأمر ببش جيفتي عمر بن حفصون وابنه؛ فكشفت قبورها؛ فألفياً مدفونين على ظهورها، كما يتدافن النصارى؛ وشهد ذلك عامة الفقهاء الغازين مع الناصر (رحمه الله)، وأيقن [جميع] من شهد ذلك * بهلاكهما على دين النصرانية؛ فاستخرجها من لحدودها، وأتى بأعظهما [الرجسة] الى باب السدة بقرطبة؛ فرفعت في جذوع عالية الى جنب [الملحد] سليمان بن عمر، وصاروا عظة للناظرين، وفرت بهم عيون المسلمين.

وقد الناصر أمر مدينة بيشتر والضبط لها وإكمال البنيان فيها سعيد بن المنذر. واستنزل أهل حصون شت بيطر ومارش وجطرون وغيرها من المعاقل، وهبطوا من أجبلهم، وتفرقوا في بسطهم، واستفصبت الحصون خراباً ونسفاً؛ ولم يبق للنصرانية بتلك الجهة حصن مذكور، ولا عقيل معبور. وعادت

1) A. B. الديار.

كُورَةُ رَيْثَ، عَلَى كَثْرَةِ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْحِصُونِ الْمَانِعَةِ وَالْمَعَاوِلِ الْفَائِئَةِ، لَيْسَ فِيهَا جَبَلٌ مُضْبُوطٌ، وَلَا بِهَا عَدُوٌّ مَحْدُورٌ. وَاحْتِمَلِ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ فِي حِصُونِ نَاكِرُنَا وَحِصُونِ مَغِيلَةَ، إِلَّا مَا وَجِبَ التَّمَسُّكُ بِهِ مِنْهَا. وَنَظَرَ فِي إِزْعَاجِ مَنْ وَجِبَ إِزْعَاجُهُ إِلَى قُرْطَبَةَ، مَنْ كَانَتْ نَفْسُهُ نَائِقَةً إِلَى الْفِتْنَةِ، لِيَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَرِعِيَّةً سَاكِنَةً وَادِعَةً. وَقَدَّمَ عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنِ بَسِيلِ الْوَزِيرِ إِلَى كُورَةِ شَدُونَةَ، لَهَدَمَ حِصُونَهَا، وَنَبَسِطَ أَهْلَهَا، وَجَمَعَهُمْ إِلَى مَدِينَةِ قَلْسَانَ، الَّتِي هِيَ قَاعِدَةُ الْكُورَةِ. وَأَمَرَ بِاسْتِنزَالِ بَنِي دَاوُودَ عَنِ الْحِصُونِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا، وَوَلَّاهَا مِنْ عُمَّالِهِ وَثِقَاتِ رِجَالِهِ مَنْ يَحْسُنُ السَّيْرَةَ فِي رِعِيَّةِ نَلَكِ الْجَهَّةِ. وَكَانَتْ سَفَرُهُ أَيْنَنَ سَفَرَةً، وَأَجْمَعَهَا لِكُلِّ خَيْرٍ وَصَلَاحٍ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ! ثُمَّ قَفَلَ يَوْمَ الْأَحَدِ لِحَمْسِ خَلُونَ مِنْ صَفَرٍ؛ فَدَخَلَ مِئَةَ النَّاعُورَةِ يَوْمَ السَّبْتِ لِأَحَدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ صَفَرٍ، وَقَدْ اسْتَمَّ فِي سَفَرِهِ هَذِهِ سَنَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا.

وَفِيهَا، افْتَتَحَ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْفَائِدُ الْفُرْشِيُّ مَدِينَةَ لَفَنْتَ مِنْ نُدُومِيرَ، وَمَدِينَةَ

• قَلْيُوتَةَ؛ وَاسْتَنْزَلَ عَنْهَا وَعَنِ الْفِصَابِ الَّتِي كَانَتْ حَوَالِيهَا بَنِي الشَّيْخِ. وَقَدَّمَ بِهِمْ P. ٢١١ إِلَى قُرْطَبَةَ، يَوْمَ السَّبْتِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ شَعْبَانَ. وَاسْتَنْزَلَ فِي هَذَا الْعَامِ أَبُو جَوْشَنَ مِنْ مَعَاوِلِ بَلَنْسِيَّةِ، وَكَانُوا فِي نَحْوِ سِتِّينَ رَجُلًا، وَقَدْ أَهْلَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي الْفِتْنَةِ، وَنَعَرَّضُوا لَمَّا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ النِّقْمَةِ؛ فَأَمَرَ النَّاصِرُ بِتَمْيِيزِ أَهْلِ الْجِرَائِرِ مِنْهُمْ، وَالنَّشْرِيدِ بِهِمْ؛ فَقَدَّمَ مِنْ اسْتَحَقَّ الْقَتْلَ مِنْهُمْ إِلَى الْمَرْجِ بَيْنَ يَدَيْ قَصْرِ قُرْطَبَةَ، وَضُرِبَتْ رِقَابُهُمْ فِيهِ يَوْمَ دَخُولِهِمْ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ، عَزَلَ فُطَيْسُ بْنُ أَصْبَغَ عَنِ الْوِزَارَةِ، وَوَلَّى أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَبْدِ الرَّوُوفِ الْمَدِينَةَ وَعَزَلَ عَنْهَا عَيْسَى بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِةٍ؛ وَقَبْلَ ذَلِكَ مَا كَانَ عَزَلَ جَمِيعَ خُزَّانِ الْمَالِ، وَكَانُوا خَمْسَةَ، وَهُمْ: سَعِيدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ حُدَيْرٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ حُدَيْرٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْمَنْقُولِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَخَالِدُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ شُهَيْدٍ، وَعَيْسَى بْنُ فُطَيْسٍ؛ وَوَلَّى النَّاصِرُ مَكَانَهُمْ أَرْبَعَةَ خُزَّانٍ، وَهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ جَهَّورٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَيْسَى بْنِ أَبِي عَبْدِةٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّجَالِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي قَابُوسَ.

وفيها، امر الناصر بإقامة دار السكّة داخل مدينة قرطبة، لضرب الدينار والدرهم؛ وولى الخطّة أحمد بن موسى بن حدير يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان؛ وأقام الضرب فيها من هذا التاريخ من خالص الذهب والفضة؛ وصحح في ذلك أحمد بن موسى وتحفظ. وكانت مائة قبله ودراهمه عياراً محضاً.

وفيها، خرج أحمد بن إلياس القائد غازياً الى كور الغرب؛ فافتتح مدينة ماردة. ومدينة شترين بلا حرب، ونزلوا اليه بالأمان، ووفاهم غاية الإحسان. وفي هذه السنة، رأى الناصر أن تكون الدعوة له في مخاطباته والمخاطبات له في جميع ما يجري ذكره فيه، بأمر المؤمنين، لما استحقه من هذا الاسم الذي هو له بالحقيقة، ولغيره بالانتحال والاستعارة؛ فهو أبرّ أمراء المؤمنين والهداة الفاضلين، والأبرار المتقين، من كلّ منتخب في المشرق والمغرب، وقائم بالحق، وسالك لسبيل الهدى والرشد؛ فعهد الى أحمد بن بفي القاضى صاحب الصلاة بقرطبة بأن تكون الخطبة يوم الجمعة مستهلّ ذى الحجة [بذلك]. ونفذت الكتب الى العمال فيه، بما اجعلنا نسخته لما فيها من إعجاب الفول، واستيفاء الحجة، وظهور الحقيقة. وانسخة الرسالة النافذة في ذلك:

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فإننا أحقّ من استوفى حقه، وأجدّر من استكمل حظه، ولبس من كرامة الله ما ألبسه، للذي فضّلنا الله به، وأظهر أثرنا فيه، ورفع سلطاننا إليه، وبسرّ على أيدينا إدراكه، وسهل بدواتنا مرآته، والذي أشاد في الآفاق من ذكرنا، وعلو أمرنا، وأعلن من رجاء العالمين بنا، وأعاد من انحرافهم إلينا، واستبشارهم بدولتنا. والحمد لله وليّ النعمة والإنعام بما أنعم به، وأهل الفضل بما نفضل علينا فيه! وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمر المؤمنين، وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك، إذ كلّ ندعو بهذا الاسم غيرنا مستحلّ له. ودخيل فيه، ومنمّم بما لا يستحقه. وعلّمنا أنّ التهادي على برك الواجب لنا من ذلك حقّ أضعناه، وإسمّ ثابت أسقطناه. فأمر الخطيب

بموضعك أن يقول به، وأجر مخاطباتك لنا عليه، إن شاء الله. والله المستعان!
وكتب يوم الخميس [الليثيين] خلنا من ذي الحجة سنة ٢١٦.

[وفيها] * عزل أفلح ودري مؤابا الناصر عن الخيل والشرطة وولي الخيل ٢١٤.
عبد الله الرجالي، والشرطة أحمد بن أبي قابوس. ثم أعيد أفلح الى الخيل،
ودري الى الشرطة بعد شهر.

وفيها، ولي إبراهيم بن محمد بن الليثي خطة العقل.

وفيها، عزل غالب بن محمد بن عبد الرووف عن خطة الضياع، ووليها
محمد بن عبد الله بن مضر، في اسلاخ جمادى الآخرة. ثم عزل عنها ابن مضر،
وليها خاف بن أيوب بن فرج الكاتب، وكان يكتب للحاجب موسى بن محمد.
وذلك لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة.

وفيها، توفي محمد بن الإمام المنذر، وتوفي أحمد بن يحيى بن قاسم بن
هلال النقي، وكان منقبضاً، خيراً، صالحاً، بصيراً بالوثائق وعسماً، وتوفي سعيد
ابن إبراهيم النقي، وكان يلي الصلاة بكورة ربة، وتوفي محمد بن هشام القرشي
المعروف بابن الشبايسية بكورة شدونة، وهو وعامنها.

وفي سنة ٢١٧، كان ظهور المجل، واحتباس الغيث، وغلاء الأسعار،
فعهد الناصر بالاستسقاء بجامع قرطبة يوم الجمعة ليلة نقيت من الحرم، وذلك
في شهر أذار. وأصل الاستسقاء في الجامع ومصلى الرابض ومصلى المصارة.

[وفيها]، كانت غزاة الناصر الى (مدينة) بطليوس، لمحاربة أهلها وابن
مروان المنزري عليه فيها، ابرز - رحمة الله عليه - لغزاته هذه يوم الخميس
لعشر خلون من ربيع الأول، وهو اليوم الثالث عشر من نيسان، وفصل
من قصر قرطبة يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر، وهو
اليوم الرابع عشر من أيار، وذلك بعد بروزه بأحد وثلاثين يوماً. وأغزى

معه [ولي عهد] الحكم [المستنصر بالله]، * وابنه منيراً، وتخلف في القصر ابنه ٢١٤.
عبد العزيز [التنفذ] الكتب إليه، ومن الوزراء أحمد بن محمد بن حدير، وعلى

المدينة أحمد بن عبد الوهّاب بن عبد الرّؤوف]. وكان احتلاله بالجيوش على [مدينة] بَطْلَيْبُوس يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر. [ووضعهم الحشمُ القتال في أفنيتهم وعلى أبواب دُورهم، وتفحّموا عليهم داخل أرباضهم، وقتلوا منهم في ثانی احتلالهم عليهم جملةً بُعِثَتْ رُؤوسهم الى قُرْطُبَة. وقُطعت ثمارهم، وأُحرق ما أُخلوه من ديارهم خارج سورهم؛ وبقوا محصورين في المدينة]. وأقام عليهم الناصر عشرين يوماً؛ ثمّ أبى عليهم أحمد بن إسحاق في قطيع من الجُند، وانتقل الى جهة ماردة؛ فأصلح الأحوال بها، [وولّاهها محمد بن إسحاق، وندب معه عدّة من الحشم]. ثمّ عاد - [رحمه الله] - الى [مدينة] بَطْلَيْبُوس؛ فاضطربت عساكره عليها [من غير الجهة التي كانت اضطربت فيها أولاً]؛ وتولى من نكايتهم وألبم محاصرتهم، ما أذاقهم به وبال عصيانهم، [وعاقبة غيبتهم]، وضلالهم. ثمّ أرتب عليهم أحمد بن إسحاق [فائداً في جيش كثيف، ورجال متقين، وعددٍ كاملاً]، وأمره بالشدّد في حصرهم، والاستبلاغ في مضايقتهم. وانتقل ناهضاً الى مدينة باجة؛ [فنزها يوم الأحد مستهلّ جمادى الآخرة]، واضطربت عساكره عليها، ونفدّم بالإعذار الى عبد الرحمن بن سعيد [بن مالك] الذي كان بها، ودعاه الى الطاعة؛ فلاذ والتوى؛ فنصبت المجانيق عليه، وحُورِب أشدّ محاربة، [وقُتل من رجاله عددٌ كثيرٌ. وانحطت بعض أبراج المدينة من كان عليها؛ فضربت رقابهم بين يدي المظلّ]؛ فاستأمن عبد الرحمن بن مالك، و[أهله، وجميع] أهل باجة أمير المؤمنين (الناصر)، وخضعوا لأمره، ونزلوا على حكمه؛ فأوسعهم أمانه، [وأخرجوا عن المدينة]، ونقلوا الى قُرْطُبَة. ودخلها الناصر، وولّاهها عبد الله بن عمر بن مسلمة، وندب معه فيها قوّة، [وأكثف له الجمع والعِدّة]، وأمره بابتناء قصبّة [فيها]، ينفرد بها العاريل ويسكنها.

وكان مقام الناصر على باجة خمسة عشر يوماً. [ثمّ انتقل منها قاصداً الى مدينة أكشونبة بقرب الساحل الغربيّ من البحر المحيط؛ فاحتلّ بها يوم الإثنين لسبع بقين من جمادى الآخرة؛ وكان قد افتتح في طريقه حصن الوقاع، وأصاب فيه

لخلف بن بكر صاحب أكوثة أموالاً وعدة وسلاحاً؛ فغنم ذلك المحشم وأهل
العسكر، وصار لهم نفلاً. ثم تلقى رسل خلف بن بكر أمير المؤمنين، مظهراً للإناية،
وملتزماً للطاعة، ومتوسلاً ببعد الدار والفاصية، وأخرج إلى الناصر النزائل، وأقام
له الوظائف، والتزم إدراك الحماية الكاملة؛ وأظهر أهل ذلك الجانب فيه رغبة
شديدة، ووصفوه بسيرة حميدة؛ فأقره الناصر عليهم، وفرض عليه من الحماية
ما التزم بإيراده له في كل عام، وعهد إليه بحسن السيرة، والرفق بالرعية، والآن
يقبل نازعاً، ولا يكتف هارباً؛ فالتزم جميع ما أمر به، ووقف عند ما حد له.
وقفل [الناصر عن مدينة أكوثة يوم السبت لليلتين بقينا من جمادى
الآخرة]، ودخل القصر [بقرطبة يوم الأحد] لأربع عشرة ليلة خلت من رجب،
وقد استتم في غزاه ثلاثة * وتسعين يوماً.

P. ٢١٦

مُطالعة [أمير المؤمنين] (الناصر) لببشتر في الشتاء

وفي هذه السنة، كانت للناصر خرجة من قصر الناعورة، مُطالِعاً لببشتر
ومُعَايِنًا لما قام من البنيان بها، وما تم من ترتيبه فيها. [وكان خروجه من مينة
الناعورة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال، ونزوله بجبل ببشتر يوم
الخميس لعشر بقين منه. فدخل المدينة، وجال فيها، وأحكم ما له قصد من
أمرها؛ ثم صدر عنها في اليوم الثاني، ودخل القصر بالناعورة يوم الثلاثاء لأربع
بقين من شوال]؛ وكانت مدة توجهه وانصرافه ثلاثة عشر يوماً.

وترددت الفتوحات في هذا العام بوقائع كانت على أهل بطليوس؛ وبعث
أحمد بن إسحاق من أهلها بسبعين أسيراً، قُتلوا صبراً بين يدي قصر قرطبة.
وافتتحت [فيه] مدينة شاطبة من بلسنسية، واستنزل عنها عامر بن أبي
جوشن [على يدي دُرَيِّ بن عبد الرحمن صاحب الشرطة؛ واشترط عامر بسكنى
سنت بريّة، حتى يأخذ في انتقال ثقله وعياله إلى قرطبة.

وفي هذه السنة، ولَّى الناصر عبد الملك بن عمر بن شهيد، وعيسى بن أحمد

ابن أبي عبدة الوزارة، وسعيد بن سعيد بن حدير الشرطة الوسطى؛ ولم تكن قبل هذه الخطة؛ وفيها، ولي خالد بن أمية بن شهيد الخزانه ولاية ثانية، وولي عبد الرؤوف بن أحمد بن عبد الوهاب خطة العرض].

وفي سنة ٢١٨. كان افتتاح مدينة بطليوس [وذلك أن أهلها وابن مروان صاحبها، لها أخذهم الحصار، وطاولتهم الحرب، وفنى رجالهم، واستبيحت نعيمهم، وقطعت ثرايمهم، ورأوا عزماً لا فترة فيه، وجداً لا بقاء لهم عليه، استأنوا الناصر، وعادوا بصفحة؛ فأوسع عليهم ما أوسع أمثالهم قبيلهم]. واستنزل ابن مروان الحبيبي وأهله، وذوي الشوكة من صحبه، وأسكنهم قرطبة، وألحقهم في الملاحق السنية؛ وملك المدينة وولأها عماله، اوصارت بسبيل كوره].

وفيها، أخرج الناصر (لدين الله) أهل الثقة من خدمته، [والأمانة والنصح من فقهاء مصرها إلى أهل طليطلة، معذراً إليهم، داعياً لهم إلى الطاعة والدخول فيها صارت إليه الجماعة، إذ كانوا لا يودون جبانة، ولا يلتزمون طاعة، ولا يتباهون عن منكر ولا معصيتها؛ فلأذوا بمعاذير المخادعة، وجاوبوا الناصر بما لم يصع إليه من غشهم وتمريضهم؛ فاستعزم على غزوهم، وشهر لما مضى منهم أو نزل بأسه بهم، وبرز لغزوهم في الصائفة إليهم في صدر ربيع الآخر سنة ٢١٨. وفي شهر نيسان من العام المؤرخ]. وقدم الوزير سعيد بن المنذر إلى مدينة طليطلة في جيش كثير وعدد جم، وأمره بالاحتلال عليها والمحافظة لها. حتى لحق الناصر بجيشه وصنوف حربه إليها. فخرج إليها الوزير (يوم السبت لثمان عشرين من ربيع الآخر. وأخذ السير نحوها). حتى نزل بساحتها. وأخذ في ما حذله من محاصرتها بالبلغ عزم وأسم حزم؛ ثم فصل أمير المؤمنين إلى المدينة طليطلة يوم الخميس لثلاثين خاتماً من جمادى الأولى. [وهو التاسع عشر من من أثار؛ وأغزى مع نفسه ولي عهده الحكيم المستنصر بالله ومندراً الله؛

وتخلف في القصر ابنه عبد العزيز لتنفذ الكتب إليه، ومن الوزراء أحمد بن محمد بن حدير، * وعلى المدينة أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف. ٢١١٨
فلما احتل (رحمه الله) في طريقه محلة الغدر، وقرب من حصن مورة الذي كان اتخذه أهل طليطلة شجاً على المسلمين ومسترحاً للمفسدين، وقدموا عليه منهم مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب، قدم إليه من أنذره وخوفه، وأمره بالخروج عن الحصن وإسلامه. فبدر إلى ذلك يداراً لم يجد منه بدءاً، ولا في الامتناع طمعاً؛ ونزل عن الحصن. وأمر الناصر بضبطه؛ ثم نهض بجيوشه المؤبدة، وعزيمته الماضية، حتى احتل محلة جرنكش بقرب طليطلة، وذلك يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى. فأشرف من محلته هذه على سهلة طليطلة ونهرها، وأجنتها وكرومها؛ ودبر رأيه في أماكن المواضع من محاصرتها، وأقرب الجهات الآخذة بمخني أهلها؛ فرأى التزول بمحنة المقبرة على باب المدينة أبلغ في النكاية، وأشد في المضايقة؛ فارتحل إليها في اليوم الثاني. وأخذ في نكاية العصاة، بما لم يجز لهم على ظن. وأقام بهذه المحلة سبعة وثلاثين يوماً، يوالى فيها بنكائهم، وقطع ثراهم، أو تخريب قراهم. وانتساف نعيمهم، وتحطيم زروعهم. ثم أمر بالبيان في جبل جرنكش لمدينة سماها بالنتج، وأرسل لبياناتها سعيد بن المنذر الوزير، وأمر بقل الأسواق إليها، والتمدين لها. [التكثر مرافق أهل العسكر بها]؛ وأرسل محمد بن سعيد بن المنذر [على باب القنطرة في جمل من الحشم، وعهد إليهما بالاستبلاغ في محاربة القوم. وقدم على الناصر بمحلته على طليطلة صاحب حصن قنيلش وصاحب حصن النهبين، ٢١٩
معنصين بطاعته؛ فأمر بنقلهما إلى قرطبة، والتوسع عليهما، ومكافأة نزوعهما وقصدها]. ثم قفل [الناصر عن مدينة طليطلة يوم الخميس است بقين من جمادى الآخرة]، ودخل القصر [بقرطبة يوم الاثنين] لأربع خائون من رجب، وقد استتم في غزاه أحداً وستين يوماً.
[وفي هذه السنة، ولي المواريث طرفة بن عبد الرحمن صاحب المطبخ؛ وولى خزانة السلاح أحمد بن أبان بن هاشم، وحفص بن سعيد بن جابر.

وفيها، مات للناصر ابنُ يَسْمَى بِمُحَمَّد. وفيها، مات أمية بن محمد بن أمية ابن عيسى بن شهيد. وفيها، توفي هاشم بن محمد النجاشي. وفيها، توفي محمد بن ابراهيم بن الجباب الفقيه، صاحب الوثائق، يوم الإثنين لثلاث خلون من شهر رمضان؛ وتوفي ضبيب بن منيع قاضي إشبيلية؛ وتوفي أبو غالب مروان بن عميد الله بن بسيل].

وفي سنة ٢١٩، [أبرز السراق والأبينة إلى المضطرب المعروف بفحص السراق بجوفى النهر الأعظم؛ ثم برز الناصر إلى هذه المحنة لغزاة نواها إلى مدينة طليطلة؛ ولم يتم عزمه عليها إذ استغنى بالفؤاد المرابين على المدينة، المحاصرين لأهلها؛ وأكثر للفؤاد بها الخيل والعدة، وأمدم بالسلاح، وأكد بصائرهم في الجد والعزم والاستلاغ في نكاية المفسدين المغتربين من أهلها].

(وفي سنة ٢١٩، كاتب موسى بن أبي العافية، صاحب الغرب، أمير المؤمنين الناصر، ورغب في مولاته، والدخول في طاعته، وأن يستميل له أهواء أهل الغرب المجاورين له؛ فنقله أحسن قول، وأمدته بالخلع والأموال، وفوى أبده على ما كان يجاوله من حرب ابن أبي العيش وغيره. فظهر أمر موسى من ذلك الوقت في الغرب، وتجمع له كثير من قبائل البربر، وتغلب على مدينة جراوة، وأخرج عنها الحسن بن أبي العيش بن إدريس العلوي؛ وجرت بينهما حروب عظيمة.

وفيها، افتتح الناصر مدينة سبته؛ فشكها بالرجال، وأقنبا بالبنان. وبني سورها بالكذبان، وألزم فيها من رضية من قواده وأجناده؛ وصارت مفتاحاً للغرب والعدوة من الأندلس، وباباً إليها كما هي الجزيرة وطريف مفتاح الأندلس من العدو. وقامت الخطبة فيها باسم أمير المؤمنين الناصر، لثلاث خلون لربيع الأول من العام المورخ).

[وفيها، اتصل بالفؤاد المحاصرين لطليطلة أن العدو بذلك الجانب عملوا على الخروج لافتراض غرة في بعض ثغور المسلمين؛ فنفر إليهم الوزير أحمد بن

محمد بن حُدَيْرٍ من فرطية في جملة من الحشم ومن خفت من المسلمين؛ فلما بلغ أعداء الله خروجه، توقفوا عن حركتهم، وقرؤوا في بلادهم؛ وكفى الله المؤمنين معرفتهم. فبلغ الفائد أحمد بن محمد بن حُدَيْرٍ طَلَبِيْطَةَ، ونازلها مع القواد المرينيين فيها.

وفيها، خرج بالأسطول أحمد بن محمد بن إلياس، ويونس بن سعيد فائدين في البحر، يوم السبت لليلتين خلتا من جمادى الأولى، في عدة، ومراكب جملة، ورجال كثير، وصنوف من البحرين والمقاتلين؛ فجازا مرسى الجزيرة، واحتلالاً العدو، وحاصرا ابن أبي العيش، إذ كان على مخالفة لمن دخل في طاعة أمير المؤمنين من أهلها، ومخاربة لموسى بن ابي العافية وليه ومقيم دعونه والداخل في طاعته؛ ثم حال الشتاء بينهما وبين التهادى على المحصار والمطاولة؛ ففلا بالأسطول ومن فيه.

وفيها، عزل أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف عن المدينة، وقدم الى الوزارة؛ وولى المدينة بجي بن يونس القبرسي¹ وذلك في غرة جمادى الأولى. ثم عزل بجي بن يونس عنها، وكانت فيه حدة ومخارجة لأهل الحرم، وولياها عبد الحميد بن بسيل الوزير في شوال.

وفيها، ولي خطة العرض عبد الوهاب بن محمد بن عبد الرؤوف، وولى الضباع محمد بن عبد الله بن مضر، وعبد الله بن معاوية بن بُزَيْلٍ مُشْتَرِكَيْنِ. وفيها، ولي الناصر، من تحت يدي ولي العهد المستنصر بالله، أحمد بن هاشم بن أحمد بن هاشم مولا عمالة عملة ورفيائة من البيرة.

وفيها، مات أبو الجعد أسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد بن عبد الله بن خالد بن عبد الله بن حسين بن جعد بن أسلم بن أبان بن عمرو مولى عثمان بن عفان (رضه)؛ وكان قاضي الجماعة بفرطية. وله رحلة وسماخ؛ وكانت فيه صلاحة وإنفاذ للحق على وجوهه؛ وعزل عن القضاء قبل وفاته إذ أخذه

1) القبرسي.

الكَبْر، وَضَعَفَ عَنِ الْفَعُودِ الْأَحْكَامِ؛ وَكَانَتْ وَفَاتِهِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لَسْتُ خَلَوْنَ
مِنْ شَعْبَانَ، وَهُوَ ابْنُ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

وَمَاتَ فِي هَذَا الْعَامِ فَضْلُ بْنُ سَلَمَةَ الْفَقِيهُ الْبَجَائِيُّ، وَكَانَ لَهُ سَمَاعٌ وَتَأْلِيفٌ
حَسَنٌ؛ وَتَوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ فَطَيْسِ الْفَقِيهِ الْمَحْدِثِ بِالْبَيْرَةِ؛ وَتَوُفِّيَ أَحْمَدُ بْنُ حَامِدِ
الرَّجَائِيُّ فِي جُمَادَى الْأُولَى.

وَفِيهَا، مَاتَتِ السَّيِّدَةُ ابْنَةُ الْإِمَامِ عَبْدِ اللَّهِ لَثْمَانُ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ؛ وَكَانَتْ
قَدْ نَافَرَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرَ أَيَّامَ حَدَائِثِهِ وَقَبْلَ إِفْضَاءِ الْخِلَافَةِ إِلَيْهِ، وَهُوَ
حَيْثُ دُخِلَ فِي النَّصْرِ بَيْنَ يَدَيْ الْإِمَامِ عَبْدِ اللَّهِ جَدِّهِ؛ وَطَالِبَتُهُ وَأَذَنُهُ عِنْدَ أَبِيهَا
عَبْدِ اللَّهِ الْإِمَامِ؛ فَلَمَّا وَلى النَّاصِرَ، لَمْ نَشْكُ فِي مَعَاقِبَتِهِ لَهَا، وَمَجَازَاتِهِ لِسُوءِ
مَعَامَلَتِهَا؛ فَكَانَ الْأَمْرُ عَلَى خِلَافِ ظَنِّهَا؛ وَقَرَّبَ النَّاصِرَ مَكَانَهَا، وَرَفَعَ مَنَازِلَهَا،
وَإِخْتَصَمَهَا فِي جَمْعَةٍ مِنْ إِخْتِصَمٍ مِنْ أَهْلِهَا وَبَنَاتِ أَعْمَامِهِ، حَتَّى صَارَتْ أَقْرَبَهُنَّ
مَعَلًا مَعَهُ.

وَفِيهَا، تَوُفِّيَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ فَيْهْرٍ، وَكَانَ مَنْصَرِفًا فِي الْعَمَلَاتِ وَالْقِيَادَةِ، وَذَلِكَ
يَوْمَ السَّبْتِ لَثْمَانُ عَشْرَةَ لَيْلَةٍ خَلَّتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ].

وَفِي سَنَةِ ٢٢٠، كَانَ غَزَا النَّاصِرَ إِلَى [مَدِينَةِ] طَلَيْطَلَةَ، [غَزَاهُ الثَّانِيَةَ الَّتِي
فُتِحَتْ فِيهَا عَلَيْهِ. فَبَرَزَ لَهُ الْغَزَاةُ فِي صَدْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ٢٢٠، فِي شَهْرِ
حَرِيرَانَ مِنْ الْعَامِ الْمَوْرَخِ، وَفَصَلَ يَوْمَ السَّبْتِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ
رَجَبٍ، وَهُوَ الْيَوْمُ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ شَوَّازٍ، مَعَ وَلى عَهْدِهِ الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَتَخَفَّ فِي الْقَصْرِ ابْنَةُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَتُنْفَذَ الْكُتُبُ إِلَيْهِ؛ وَمِنْ الْوُزَرَاءِ
أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حُدَيْرٍ، وَعَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَسِيلٍ، وَكَانَ صَاحِبَ الْمَدِينَةِ].

وَكَانَ أَهْلُ طَلَيْطَلَةَ، لَمَّا أُخِذَ الْحَصَارُ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ النَّضِيقُ، وَلَا رَمَهُمُ
الْقُوَادِمُ، قَدْ اسْتَجَاشُوا بِالْمَشْرُوكِينَ، وَاسْتَنْجَدُوهُمْ، وَرَجَّوْا نَصْرَهُمْ لَهُمْ؛ فَلَمْ يُغْنُوا
عَنَّهُمْ فِتْيَلًا، وَلَا كَشَفُوا عَنْهُمْ عَذَابًا، وَلَا جَلَبُوا إِلَيْهِمْ إِلَّا خِزْيًا وَهَوَانًا. وَخَرَجَ
الْقُوَادِمُ الْمُعَايِرُونَ لَهُمْ إِلَى الْكَثْرَةِ؛ فَهَزَمُوهُمْ، وَفَرَقُوا جَمْعَهُمْ، وَانْصَرَفُوا مَوْلِينَ

على أعقابهم، خاذلين لمن انتصر بهم، اورجا الغياث من قبيلمهم / فلما يئس
اهل طليطلة أن ينصرهم أحد من بأس الله الذي عاجلهم، وانتقامه الذي
طاولهم، عاذوا بصنح أمير المؤمنين، وسألوه بأمينهم، وضرعوا إليه في اغتفار
ذنوبهم؛ فخرج لاستئصال اهل طليطلة، ونوطيد طاعته فيها، وإحكام نظره بها.
في التاريخ الذي قدمنا ذكره؛ انزل عليها بحجة جرنكش، يوم الأربعاء الخامس
بقين من رجب؛ وقد كان بدر إليه ثعلبة بن محمد بن عبد الوارث مندماً،
ونلقاه قبل نزوله بها، * معترفاً بجهله. ومستقبلاً من زنته؛ فعفا عنه الناصر. ٢٢٦
وعاد عليه بنضله. ثم آمن اهل طليطلة؛ وخرجوا الى العسكر، وبالقوا المرافق
فيه، وابتاعوا المعاش التي طال ما أجهدهم عدوها، ومنعهم الحصار منها؛
فعرفوا غبطة ما صاروا إليه من الأمن بعد الخوف. والسعة إثر الضيق،
والانسياس بعد طول الانقباض. ثم ركب الناصر الى مدينة طليطلة في اليوم
الثاني من نزوله بحجته عليها، ودخلها، وجال في أقطارها؛ فرأى من حصانتها،
وشرف قاعدتها، وانتظام الأجيل داخل مدينتها، وامتناعها من كل الجهات
بواديتها ووعرها، (وطيب هوائها وجوهرها). وكثرة البشربها، ما أكثر (له) من
شكر الله (عز وجل) على ما منحه فيها، وسهل له منها؛ وعلم أنه، لولا ما أخذ
به من الجد والعزم في أمرها، لَمَا مُلِكَتْ مع حصانتها ومنعتها (مع اتساعها وانساح
أقطارها)، ولَمَا اعتاده أهلها من مداخلة المشركين (ومواليتهم)، والاستعداد
على الخلفاء بهم؛ فكم أعيت الملوك، وامتنعت من العساكر، وانصرفت عنها
الصوائف بغير نجاح؛ ولكن فضل الله (عز وجل) الذي أعطاه أمير المؤمنين.
وصنعه له، وتأيدته إياه أجرى افتتاحها على يديه. [ثم دبر فيها بناءً مُحْكَمًا
مُتَّفَنًا، ليكون مستقرًا للقواد المُلَازِمِينَ فيها، وزمامًا على ساكنيها؛ وأرب على
البنيان بها دُرِّيَّ بن عبد الرحمن قائده، وملاها رجالاً وعدةً وسلاحاً. وركب
إليها الناصر، وأمر بهدم ما وجب هدمه في المدينة، وتردد عليها ثمانية أيام حتى
أكمل فيها ما دبره، وهذب ما أراد. وفتحت أسوس البنيان الذي أمر به؛

P. ٢٢٤ • وإطمأنت • بأهل المدينة الدار، وفتحوا الحوائط، وانتشروا في الأسواق؛
وانبسطوا في أفنيئهم وأبواب مساجدهم، آمينين، والحمد لله. ثم قفل الناصر عن
محلته بطليطلة، يوم السبت لست خلون من شعبان، ودخل الفصر بقرطبة يوم
السبت لعشر بقين منه، وقد استتم في غزاه سنة وثلاثين يوماً.

أوفيهما، صنع الناصر لضروب رجاله ومواليه وصنوف أجناده وحشيه ممن
شاهد فتح طليطلة معه، ووافق ذلك تطهيره لبعض بنيه الأصاغر.

وفيهما، عزل عن خزانة المال محمد بن عبد الله بن حدير، وعبد الرحمن
ابن عبد الله الزجالي، ونقل أحمد بن عيسى بن أبي عبدة عن الخزانة إلى
قيادة بجانه. وأقر من الخزان خالد بن أمية بن شهيد، ومحمد بن جهور بن
عبد الملك، وولى مكان المعزولين عنها سكين بن إبراهيم، وأحمد بن محمد
ابن مستنير.

وفيهما، ولى الخال سعيد بن القاسم خطة العرض.

وفيهما، ولى المدينة قطيس بن أصبغ لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال.

وفيهما، ولى العرض محمد بن قاسم بن مطلس. وفيها، ولى السكة مجي بن
القبري¹، وذلك يوم السبت لأربع خلون من شوال؛ وعزل هذا النهار عنها
أحمد بن محمد بن موسى بن حدير.

وفيهما، توفي أحمد بن أبي نوفل القريشي، وهو أحمد بن محارب بن قطن
ابن عبد الواحد بن قطن بن عصمة بن أنيس بن عبد الله بن جحوان بن
عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر، وكان منقبضاً متزهداً،
وبلغ من السن خمسا وسبعين سنة.

وفيهما، مات الحاجب موسى بن محمد بن حدير، للنصف من شهر صفر ليلة
الأحد، بعد صلاة المغرب، وبلغ من السن خمسا وستين سنة. وفيها، توفي
• عبيد الله بن عبد الله الزجالي، وكان على المواريث والبنان، في رمضان،
P. ٢٢٥

1) G. القبري.

وهو ابن إحدى وأربعين سنة. وفيها، مات أحمد بن محمد الزجالي، وكان قد تصرف في الخدمة، وله أدوات وحركة؛ وتوفي فيها عمران بن أبي عمر المنطبي، وكان قد كفت بصره، وهو من المنظرين المنطبيين، وصحب الملوك، وخف على أمير المؤمنين الناصر؛ وكان يوصله ويحضره مجالس راحته، وهو أعمى.

وفي سنة ٢٢١، وصل الخبر إلى قرطبة بولاية أبي المنصور بن المعتز مدينة سجلماسة، وهو غلام ابن ثلاث عشرة سنة؛ فمكث في ولايته شهرين، وقام عليه ابن عمه محمد بن الفتح، وأخرجه منها، وتملكها، ونسبى أمير المؤمنين، وتلقب بالشاكر لله، وذلك بعد مدة نحو من عشرين سنة، وضرب الدنانير الشاكرية.

وفي سنة ٢٢٢، وصل الخبر إلى قرطبة بوفاة أمير إفريقية عبيد الله الشيعي الملقب بالمهدي، وتقدم ولد أبي القاسم الملقب القائم بأمر الله.

وفي سنة ٢٢٣، وصل إلى مدينة فاس ميسور الصقلي قائد أبي القاسم الشيعي أمير إفريقية؛ فحاربه أهل فاس سبعة أشهر، ولم يقدر عليهم؛ ثم حاصر ابن أبي العافية، واستعان عليه بنو إدريس؛ فانجلى ابن أبي العافية إلى الصحراء، وصار جميع ما كان لابن أبي العافية لبني إدريس؛ وقد تقدم خبر بني إدريس.

وفي سنة ٢٢٤، ظهر أبو يزيد مخلد بن كيداد بإفريقية على أبي القاسم الشيعي، وذلك في جبل أوراس، وفيه قلاع كثيرة يسكنها هؤارة وغيرهم، وهم على رأي الخوارج.

وفي سنة ٢٢٥، أمر الناصر ببناء مدينة الزهراء؛ وكان يصرف فيها من الصخر المنجور ستة آلاف صخرة في اليوم، سوى التلبيط في الأساس، على ما أذكره بعد^١.

1) Les développements relatifs aux années 324 et 325 manquent dans B.

٢٢٦. وفي سنة ٢٢٧، قام بالغرب الأفصى أبو الأنصار بن أبي عفير البرغواطى بعد موت أبيه؛ وكان نفي بالعهد والوعد، وهو الذى بعث زموراً البرغواطى رسولاً الى الحكيم المستنصر بالله، ابن أمير المؤمنين الناصر.

وفي سنة ٢٢٩، استتم القائد أحمد بن محمد بن إلياس مدينة سكتان، وشحنها بالرجال. وأخذ فيها الأطعمة والأسلحة؛ فأخرج الناصر إليها أحمد بن يعلى قائداً فى ضروب من الحشم، ضمهم إليه؛ فنذ إليها فى صفر من هذه السنة؛ فلما كان فى غرة جمادى الأولى منها، وفى فتح من قبل أحمد بن يعلى القائد بسكتان المحدثه؛ بدخول كان له منها الى جهة من عمل الطاغية رديمير؛ فقتل وسبى وأسر، وأرسل مع كتابه الى قرطبة مائتى عالج أسراء؛ وكان هذا أول فتح لابن يعلى أذل به الطاغية رديمير.

وفي سنة ٢٣٠، فى المحرم من هذه السنة، طلع كوكب الزباني فى الأفق الغربى بقرطبة إزاء العقب، منحرفاً عنها، يكاد يتصل بالفلكة العليا فى رأى العين؛ وكان أول ليلة لاح فيها للأبصار ليلة السبت لثلاث بقين من المحرم منها، وهى ليلة ست عشرة خلت من أكتوبر؛ ونمادى طلوعه مستعلياً مكبراً فى السماء حتى توارى^{١)}.

وفي سنة ٢٣١، فى يوم الخميس لحس خلون من صفر منها، دخل الوزير القائد أحمد بن إلياس الى قرطبة قافلاً عن غزاته الى الثغر التى خرج إليها فى عقب شوال من سنة ٢٣٠ قبلها، الى ثلاثة أشهر ويومين من خروجه عنها؛ ودخل فى سفرته هذه كورة تدمير؛ فأزال الالتيات^{٢)} الواقع من أهلها إزالة، وقدم برهائن بعضهم؛ وكان أثره جميلاً. وفيها، كان المد العظيم بنهر قرطبة، الثالم لفتطرتها.

1) Le développement relatif à l'année 330 manque dans B.

2) B. الخلل.

وفي سنة ٢٢٢، أغزى الناصر لدين الله القائد أحمد بن محمد * بن إلياس P. ٢٢٧ الى جليقية؛ فدخل دار الحرب؛ فغنم، وأحرق جملة من حصونهم هنالك، وقفل راجعاً.

وفيها، كانت زلزلة عظيمة بقرطبة، ليلة الاثنين لتسع خلون من ذي القعدة؛ فلم يبق قط مثلها ولا سجع من قوتها؛ ووقعت بعد العشاء الآخرة؛ فدامت ساعة؛ ففرع أهل قرطبة لها فرعاً شديداً، ولجئوا الى المساجد فيها، وضجوا بالدعاء الى الله تعالى في كشفها، حتى أغاثهم وصرفها عنهم. وفي صبح ليلة الزلزلة، هبت ريح عاصف ردفها أخرى؛ فاقتلعا كثيراً من شجر الزيتون والتين وغيرها من الأشجار والنخيل، وأطاراً كثيراً من قُرد السقف. ونزل إثر ذلك مطرٌ وابلٌ طَبَقَ الأرض، وبَرَدٌ غليظٌ؛ فقتل كثيراً من الوحش والطيور والمواشي، وأُلف ما أصاب من الزرع، وأساء التأثير.

وفي سنة ٢٢٢، ^١ في المحرم، هبت بقرطبة ريح عاصف من ناحية القبلة ونزل برد غليظ.

وفيها ^١، ظهر بأشبونة رجل يزعم أنه من ولد عبد المطلب وأن أمه مريم ابنة فاطمة؛ وأدعى مع النسب أنه نبي وأن جبريل ينزل عليه، وسنّ لأتباعه سنناً، وشرع لهم شرائع، منها حلق الرأس وغير ذلك مما لا يُعقل؛ ثم وقع عليه البحث، فخفي أثره.

وفيها، أخرج الناصر قاسم بن محمد قائداً الى عدوة الغرب بحرب بني محمد الأدارسة الحسينيين الذي ² بدا من خلافهم عليه في هذه السنة، ونقضهم للطاعة، بعد ما قدم الكُتُب الى محمد بن الخير عظيم زنانة وغيره من ولاته بالغرب، يأمرهم بالاستعداد لذلك والمعونة عليه. وأجاز قاسم البحر الى سبته في النصف من ربيع الأول؛ فلما تبين ذلك لكبير بني محمد، وهو أبو العيش بن

(الدين (D. الذي A. 2) 1-1) Manque dans B.

عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب
 (رضه)، أسرع الى تحقيق الطاعة للناصر؛ فعقد له الأمان على نفسه، وأنفذ
 اليه ابنه محمد بن أبي العيش الى قرطبة، مؤكداً لظاعته؛ فاحتل السلطان
 لدخوله احتفالاً عظيماً، وركب الواقد محمد مع مُستقبليهِ من قبل الناصر القائد
 أحمد بن يعلى في أهبة¹⁾ رافت العيون وملأت الصدور. ووصل الى قصر
 الزهراء، وقعد له الناصر أفخم فعود؛ فأوصله الى نفسه، وأبلغ في تكريمه؛ ثم
 خرج عنه في مثل الهيئة التي دخل عليها. ودخلت بدخول محمد بن أبي العيش
 في هذا النهار على الناصر رُسلُ ابني عمه الأدارسة أمراء الغرب. وانفذ في هذا
 النهار كتاب أمان محمد بن إدريس. ودعا الناصر أيضاً محمد بن أبي العيش؛
 فبالغ في تكريمه، وأقام بقرطبة بقية هذه السنة في نكرمة. وانصرف الوفد المذكور
 بعد التزامهم للطاعة للناصر، وذلك في خبر طويل.

وفي عقب سؤال، قدم رسول الخبر بن محمد بن خزر الزناتي أمير الغرب
 ومعه رسول حميد بن يصل الزناتي، يُعرفان الناصر بما كان من دخولهما
 مدينة تاهرت، وأنهما أقاما فيها الدعوة له.

وفي منسلخ سؤال، قدم على الناصر رسولان من أبي يزيد مخلد بن كيداد
 المعروف بصاحب الحمار، القائم بإفريقية على أبي القاسم الشيعي، برسالة منه يخبر
 بتغلبه على القيروان ورفادة وعملهما، وإيقاعه بأصحاب الشيعي فيها، وما يعنفه
 من ولاية الناصر، ويأوي إليه من اعتقاد إمامته. واتصلت كتب أبي يزيد
 ورُسله على قرطبة من ذلك الوقت الى حين وفاته.

وفي سنة ٢٢٤، جلس الناصر لدين الله لوداع رُسل أهل القيروان الواردين
 عليه من قبلهم وقيل أبي يزيد مخلد بن كيداد البفرتي الناجم بأرض إفريقية
 في ذلك الوقت، محتسباً في جهاد ملوك الشيعة المنتزين على إفريقية من آل

١) أهبة B.

عبيد الله الداعي؛ وكان له في القيام عليهم وقائع شنيعة؛ فوصلوا الى الناصر في هذا اليوم، وهم ثلاثة نفر، أوجههم تميم بن أبي العرب التميمي؛ فكلمهم بما تقتضيه رسالتهم، ودفح اليهم أجوبة من أرسلهم، وأذن لهم في الانصراف الى بلدهم، ووصلهم وكساهم؛ فانطلقوا لسيلهم.

وفيها، وصل الى قرطبة رسل ملك الروم الأكبر قسطنطين بن ليون صاحب القسطنطينية العظمى، بكتب من ملكهم الى الناصر؛ فقعد الناصر على سرير الملك بقصر قرطبة¹ لدخولهم عليه، ولين تكامل بالباب من وفود البلاد، بعد أن أمر باستقبالهم بالمدد والأجناد. واستوى الناصر على سريره؛ وقعد على يمينه ابنه المحكم؛ وقعد سائر أولاده عن يمينه ويساره؛ وقعد الوزراء والحجاب على منازلهم صفوفاً. فدخل الرسل، وقد قدموا الهدايا بين أيديهم، وقد دهشوا لهول ما عاينوه من جلاله الملك ووفور الجمع؛ فصنعوا² بين يدي الخليفة؛ فأشار إليهم أن لا؛ فدفعوا اليه كتاب مرسلهم قسطنطين. وكان الكتاب مصوناً بلون سماءي، مكتوباً بالذهب.

وفيها، كان السيل العظيم بقرطبة؛ وبلغ الماء في البرج المعروف ببرج الأسد؛ فهدم من آخر القنطرة، وثلم الرصيف وغيره.

وفيها، قدم على الناصر محمد بن محمد بن كليب من القيروان؛ فحكى أن أبا القاسم بن عبيد الله الشيعي هلك بالمهدية، وهو محصور من أبي زيد؛ وأن شيعته قدمت وله إسماعيل مكانه، وأنه فارس شجاع، أبيض النفس؛ أقدم على أبي يزيد وجموعه، ولاقاه بمدينة سوسة؛ فانهزم أبو يزيد أمامه الى القيروان.

وفي عقب صفر منها، ولي خزانه السلاح عبد الأعلى بن هاشم المتوفى في المحرم منها.

وفي سنة ٢٢٥، كان ابتداء بناء مدينة سالم بالثغر الأوسط. * وفي كتاب P. ٢٣٠

١) B. الزمراء. ٢) فصنعوا B.

ابن مسعود: في سنة ٢٢٥، ابني الناصر مدينة سالم القديمة النعطل بالثغر الأوسط الشرقي، المواجهة لبلد قشتيابة (دمرها الله تعالى)، وهي بومئذ خالية مفرقة. وأرسل لذلك غالباً نولاه في جيش جرده معه من الحضرة، وأنفذ العهد إلى قواد الثغر بالاجتماع إليه لئيبانها؛ فسارعوا إلى أمره، وبُنيت أحسن بناء؛ ونُقِل إليها البناؤون من بلاد الثغر للاختطاط لديارها والرباط بها؛ فتم ذلك في صفر من هذه السنة. وإطمأنت الدار بمن نزلها من المسلمين؛ واكتمل بناؤها وعمرانها على مرور الأيام؛ ففتح الله المسلمين بها، وصيرها نجاً في حلق الكافرين. قال: ووافي في إثر كتاب الفائدة ابن حدير وابن هاشم كتاب من قبل عامر بن مطرف بن ذي النون إلى الناصر بما فتح الله له في المشركين، وقتله العدد الكثير منهم، وبعثه برووسهم؛ فتمت الفتح، وعمت الفروح، وعز الإسلام، واستبشر الأنام، وطابت الأيام، بحمد ولي الإنعام، الذي منه يرجى النعام، عز وجهه!

وفيها، كان الفتح الكائن بقرطبة.

وفيها، وصل إلى قرطبة أيوب بن أبي يزيد مخلص بن كيداد البفري الأباضي رسولاً من والده أبي يزيد؛ ففعد له الناصر فعوداً؛ فأوصله إلى نفسه، وكرم لقاءه، وأمر بإنزاله في قصر الرصافة؛ وقد أُعد له فيه من الفرش والوطاء¹⁾ والغطاء والآنية والآلة²⁾ ما يُعدُّ لأمثاله²⁾؛ فأقام هنالك تحت نزل واسع وكرامة موصولة.

وفي سنة ٢٢٦، في يوم الجمعة التاسع من المحرم منها، ورد كتاب قد مولى الناصر، الفائدة بومئذ بطليطلة، بفتح فتحة الله على يد أعداء الله أهل جليقية؛ ففرى في المسجد الجامع بقرطبة والزهراء؛ وبعث من ذلك برووس وخيل أصيبت³⁾ لأعداء الله.

1) Manque dans A.

2-2) B. ما أبهته.

3) B. أخذت.

وفيهما، عزل الناصر عبد الله بن محمد * عن السِّكَّة، وسخط عليه لتقصير P. ٢٢١
ما كان فيه وأمر بسجنه. وقدم عبد الرحمن بن بجي بن إدريس الأَصَمِّ، ونقل
السِّكَّة من مدينة قرطبة الى الزَّهراء.

وفيهما، خرج الكاتب جعفر بن عثمان المصْحَفِيُّ الى ميورقة وذواتها لإصلاح
ما فسد من حالها.

وفيهما، وصل حميد بن يَصَل المِكناسِيُّ الى قرطبة فاصداً الى الناصر من
بلد من الغَرْب؛ فاستقبل بالجيش والزينة؛ وكرم الناصر مؤرِّده، وأَجَل مؤعِّده.

وفي سنة ٢٢٧، في النصف من المحرم، قعد الناصر بفصر الزَّهراء فُعوداً
بِهَيْباً؛ فدخل اليه حميد بن يَصَل؛ ثم وصل بعد منصور وأبو العيش، ابنا
ابن أبي العافية، ودخل معها حمزة بن إبراهيم، صاحب جزائر بني مزغنا؛
فوصلهم وكساهم، وأذن لهم في الانصراف الى بلادهم.

وفيهما، صلب بقرطبة علي بن عَشْرَة، من أهل أُشْبُونَة، بعد أن قطعت
يده ورجلاه؛ وكان من المُفسدين في الأرض يقطع السُّبُل.
وفيهما، كانت وقعة أُرْتِفِيرَة على العدو (دمره الله).

وفي سنة ٢٢٨، كان قدوم رُسل ملك الروم الأكبر صاحب القُسطنطينية
على الناصر، راغباً منه إيقاع المُوالفة واتصال المكابية؛ فنأهب الناصر لورودهم
عليه، وأمر بتلقيهم في الجيش والعدَّة؛ وجلس لهم الناصر أجلس المشهور الذي
ما تهباً مثله لملك قبله في جلالة الشأن، وعزَّة السلطان؛ ووصف ذلك
بطول. ودفعوا كتاب ملكهم في رَقِّ مصبوغ سماءى مكتوب بالذهب؛ وكان
على الكتاب طابع ذهب، وزنه أربعة مثاقيل، على الوجه الواحد منه صورة المسيح
(عليه السلام)، وعلى الآخر صورة قُسطنطين الملك وصورة رُلده.

وفيهما، أمر الناصر أحمد بن يعلى وحميد بن يَصَل المِكناسِيُّ بالخروج الى

بني محمد الأدارسة الحسينيين أمراء الغَرْب ففصلاً * بن ضمَّ إليهما من الجيش P. ٢٢٢

الى الخضراء؛ وكان خروجها من قرطبة للنصف من رجب. وفي عقبه، قدم على الناصر رسول من بعض الحسينيين، يذكر طاعتهم إليه، وانقيادهم لأمره في هدم¹ مدينة بطائون التي أنكر عليهم بناءها؛ فعقد لهم في أول شعبان، وأمر بجاوتهم؛ ثم وصل محمد بن أبي العيش الحسيني الى الناصر من أبيه أبي العيش؛ فأقبل عليه الناصر، وأبلغ في تكريمته؛ ثم ورد الخبر بوفاة أبي العيش، فأوصل الناصر ابنه محمدًا الى نفسه، وعزاه عن والده، وعقد له على عمله، ووصله، وخلع عليه وعلى الوافدين معه، وصرّفهم. فخرج محمد مبادرًا الى عمله بالغرب. وكان، عند وفاة أبيه أبي العيش، قصد ابن عمه قنون الى بلده؛ فاحتوى على ماله وأهله. ولما بلغ البربر إقبال محمد بن أبي العيش الى بلده من قبل الناصر، رجعوا الى عيسى بن قنون، وقد خرج عن بيكباس؛ فقطعوا به، وكسروه، وسلوه ما كان أخذه لابن عمه، وقتلوا أكثر أصحابه؛ فلم يخلص إلا في سبعة فوارس.

وفيهما، وصل الى قرطبة أحمد بن الاطراباسي رسول الأوربي بن موسى بن أبي العافية بكتاب يذكر أنه صحّ عنه أن الخير بن محمد بن خزر الزناتي وصل الى ناهرت، فحاربها؛ فاستنصر أهلها بميسور قائد الشيعي؛ فالتفوا؛ فدارت الدائرة على ابن خزر أول نهارهم، ثم كانت الكرة لزناتة؛ ودخل الخير أميرم مدينة ناهرت وملكها في غرة ذي القعدة، وأخذ قائد الشيعي أسيرًا في عدة من أصحابه؛ ووقع في يده عبد الله بن بكار اليفرنّي الذي توجه الى الشيعي برأس أيوب بن أبي يزيد؛ فأرسل به الى يعلى بن محمد بن صالح اليفرنّي ليقنله بوالده بعدما كان أخذ كل ما عنده؛ فلم يرص • يعلى بذلك، ولا رآه كفتوا لعبدته، فكيف لوأله؛ ودفعه المذكور الى رجل من البربر كان قد قتل ابنه، فقتله به. ودخل يعلى بن محمد وهران، فملكها.

1) وبعطونه هدم B.

وفيها، جرت قصة الولد عبد الله بن الناصر التي أراد الله بها ابتلاء أبيه فيه؛ فعجل الوثوب به وبأصحابه آخر هذه السنة، عجل عليهم فيها بأفضع العقاب؛ فقتلهم؛ ونأى بابنه عبد الله مدبداً إلى أن طوّقه الحُسام في آخر سنة ٢٢٨؛ وكان المحكم أخوه ذكر عنه أنه يريد القيام على أبيه؛ فقبل قوله فيه. وكان عبد الله من أهل العلم والذكاء والسبل.

وفي سنة ٢٢٩، أخرج الناصر قائده أحمد بن يعلى نحو جليقية، وجاء في انتهاز فرصة من العدو؛ فأعانه الله عليها، واقتحم على غفلة؛ فافتتح ثلاثة حصون، وسبى نحواً من ألف سبية، وانصرف آخر رجب من السنة. وفيها، ورد الخبر بهلك رُدوير بن أَرْدُون صاحب جليقية؛ فملك الجلائقة ابنه أَرْدُون، ونازعه أخوه غرسية؛ فجری بينهم اختلاف أظفر الله به المسلمين. وفيها، وصل إلى قرطبة ابن البورى بن موسى بن أبي العافية أمير الغرب. وورد رسول الأمير الخير أمير زنانة وكبير أمراء الغرب إلى الناصر، بذكر ما أتاح الله له من دخول مدينة ناهرت، وظفره بميسور وعبد الله بن بكار البفرنى قواد الشيعي؛ فقرأ كتابه بجامعي قرطبة والزهراء. ثم ورد كتاب عبد الرحمن ابن عبد الله الزجالي من جهة شدونة، بذكر أن بنى محمد الأدارسة بالغرب زحفوا إلى حميد بن يصل قائد الناصر، ونزلوا عليه، والنقوا به؛ فكانت الدائرة على بنى محمد، وانصرفوا مفلولين.

وفي سنة ٢٤٠، كانت للمسلمين غزوات على الروم، نصرهم الله فيها. منها فتح على يد قائد بطليوس بجليقية، هزمهم أقبج هزيمة، قتل جملة من حماهم ٢٤٤. ومقاتلتهم، وسبى من نسائهم وذراريهم نسيفاً على ثلاثمائة رأس؛ ووصل ذلك السبي إلى قرطبة لثلاث خلون من الحرم؛ وفتح آخر على يدى أحمد بن يعلى قائد الناصر؛ وفتح آخر على يدى رشيق قائد الناصر على طلييرة؛ وفتح آخر على يدى يحيى بن هاشم النجيبى.

وفي غُمرَةَ جُمادى الآخرة، وهو الثامن من أكتُوبر، هبت بفرطية ريحٍ عاصفٍ، وتتابع البرق، واشتدَّ الهول. ونزلت صاعقةٌ في دار أحمد بن هاشم ابن عبد العزيز، فقتلت امرأة، وأبطلت أُخرى.

وفي سنة ٢٤١، كان للمسلمين غَزْوٌ في الروم، نصرهم الله فيه، وفتوحات ومُوحات.

وفي آخر جُمادى الأولى، وردت الأخبار بأن زبيري بن مناد الصنهاجيّ عاملَ الشيعي على باهْرَت أسر سعيد بن خَزْر زعيمَ زنانية وكبيرها. وفي هذا الوقت، ورد كتاب ابن نَعْلَى قائد الأُسْطُول بقبضه لرهن محمد ابن إدريس الحسني كبير أمراء الأدارسة.

وفي آخر جُمادى الآخرة، وصل إلى قرطبة فتوح بن الخَيْر بن محمد بن خَزْر كبيرُ أمراء زنانية بأرض الغرب، وإفدًا إلى الحضرة، ومعه وجوهُ أهل باهْرَت ووهْران؛ وأُدخلت بين يديه الرؤوس التي احتزها للفُؤاد المشاركة ووجوههم من رجال إسماعيل الشيعي العبيدي، بقدّمها رأسُ ميسور الخصى ورأس محمد بن ميسون وغيرها من رؤوس أعلام الشيعة، وعشرة من بُنودهم، أُدخلت مَكْسَةً. معها عدّة من طبولهم؛ فرفعت هذه الرؤوس والبُنود والطبول على باب قصر قرطبة، وأُقيمت له ولبن جاء معه الكرامات الواسعة.

وفي سنة ٢٤٢، قدمت رُسُل هُوُو^١ ملك الصفاينة على الناصر. وفيها، خرج القائد أحمد بن نَعْلَى غازيًا إلى جِلَيْفِيَّة؛ فمنحه الله في الكفار الفتل للرجال، والسبي لنُدْرِيَّة والعيال، وإحراق القرى، وانتساف النعم؛ فقرأ كتابه يوم الجمعة لليلتين بقيننا من ربيع الأول بقرطبة؛ * وقرأ معه كتابُ القائد غالب، يذكر عظيم ما فتح الله عليه ومنحه من نكايه المشركين؛ ثم دخلت الرؤوس إلى قرطبة، ومعها النواقيس والصلبان، فقرت عيونُ أهل الإسلام.

١) هُوُو. A. B.

وفي سنة ٢٤٣، ولي الناصر مدينة طَلَيْطَلَةَ القائد أحمد بن يَعْلَى، وصرف عنها محمد بن عبد الله بن حُدَيْر.

وفيها، فصل القائد حميد بن يَصَل، المستأمن الى الناصر، بالجيش الذي ضمه اليه الى بلاد الغرب، وخرج معه القُرشيُّ السُلَيْمانيُّ المستأمن الى الناصر أيضاً، الذي كان أميراً على مدينتي سَنَس^١ وَأَرْشُقُول وما بينهما من أرض إفريقية؛ فأخرجه عنها قُواد الشيعي. وإِسْمُهُ عَلِيُّ بن يحيى، ينتسب الى علي بن أبي طالب (رضه). فكان خروجهما من بين يدي الناصر بعد أن خلع عليهما خلع الوداع، بعد خلع نفذمت له عليهما بيوم قبل وصولهما من دراربع الديباج والخز وعمائم الشرب المذهبة وغير ذلك. ودفع لحُمَيْد سبعة عشر ألفاً للنفقة على الجند، ومن أحمال الكسوة سبعة أحمال.

وفيها، وصل الى قرطبة وقد أزداجه من البربر الذين انحاشوا الى الطاعة؛ فكساهم الناصر ووصلهم. وورد كتاب فتح من حميد بن يَصَل قائد الناصر بالعدوة بما فتح الله عليه من مدينة آسَلان وانتشار الدعوة الأموية بنواحيها. وفيها، قدم الحجاج؛ فذكروا أنه وقع بفسطاط مصر حريق عظيم احترق فيه ستة عشر ألفاً بين دار ومسكن.

وفي سنة ٢٤٤، وردت قُواد الثغور لسبع خلون من ربيع الآخر على الناصر، وفيهم غالب، ومُطَرِّف، ومحمد بن يَعْلَى، وعُمَيْدُ الله بن أحمد بن يَعْلَى، وهُدَيْل ابن هاشم التُّجَيْبِيُّ، ومروان بن رزبن، وعامر بن مُطَرِّف بن ذى النون، يذكرون أنهم دخلوا الى أرض العدو، وقصدوا حصناً من بلاد قَشْتِيلَةَ؛^١ ٢٤٦ فغابوا على أرباضه، وقتلوا جماعة من أهله، وقتلوا عنه؛ فوافقتهم جموع البصرانية؛ فأيد الله المسلمين، وانهمز المشركون أمامهم مقدار عشرة أميال، بقتلهم كيف شاؤوا؛ فاخصى أنه قُتل منهم مقدار عشرة آلاف. وكانت هذه الواقعة بينهم لليلة

١) تونس A. et B.

بقيت من ربيع الآخر منها؛ فقرأ كتابهم بهذا الفتح الجليل بقرطبة؛ ثم وردت
الى قرطبة الرووس المختزة في هذه الهزيمة نحو خمسة آلاف رأس؛ فأمر الناصر
برفعها على الخشب حوالى سور قرطبة.

واسبع خلون من جمادى الأولى، كانت بقرطبة زلزلة عظيمة ظاهرة الهزة؛
وعادت زلزلة أخرى مثلها يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت منها، وذلك
عند الظهر.

وفيها، تنف الناصر أمور الخدمة السلطانية، ووزعها بين وزرائه؛ فقلد
الوزير جهور بن أبي عبدة النظر في كتب جميع أهل الخدمة؛ وقلد الوزير عيسى
ابن فطيس النظر في كتب أهل الثعور والسواحل والأطراف وغير ذلك؛ وقلد
الوزير الكاسب عبد الرحمن الزجالي النظر في تنفيذ كل ما يخرج من العهود
والتوقيعات، وسند به الأمر أو الرأي وغير ذلك؛ وقلد الوزير محمد بن حدر
النظر في مطالب الناس وحوادثهم، وناجز التوقيعات لهم. فالتزم القوم ما أزموا؛
فاعتدل بهم ميزان الخدمة، وسهلت مطالب الرعية.

وفيها، ورد كتاب يعلى بن حميد قائد العدو من قبل الناصر بما فتح الله
عليه في قائد الشيعي معد بن إسماعيل صاحب إفريقية من هزيمته له وقتله من
قتل من رجاله وغير ذلك. ووصل الى قرطبة ابن عم حميد بن يصل. ومعه
ستة وثلاثون من وجوه كتامة وغيرهم من القبائل المستأدين اليه من عسكر
الشيعي؛ فأمر الناصر بانزالهم، وجلس لهم على سريرته بقصر الزهراء يوم الثلاثاء
ربيع خلون منه؛ فوصلوا إليه؛ فرأوا مقاما جليلا، وكلموه، فرد عليهم جميلا⁽¹⁾،
وأحسن موعدهم. وأمر بالخلع عليهم، ووصلوا بصلات جزلات، وأمروا بالرجوع
الى القائد حميد بن يصل.

وفيها، أمر الناصر بإطلاق اللعن على ملوك الشيعة بجميع منابر الأندلس،
وإنفاذ كتبه بذلك الى العمال بسائر الأقطار.

(1) Manque dans B.

وفي سنة ٢٤٥، وَطَىٰ غَالِب، فائِدُ أُسْطُولِ الناصر، أرضِ سَوَاحِلِ إفريقيا من عملِ الشيعيِّ.

وفيها، قَدِمَ مُحَمَّدُ بنِ حُسَيْنٍ رَسولاً كان من الناصر الى الطاغية اُردُونَ ابنِ رُدْمِيرِ مَلِكِ جَلِيفِيَّةِ، ومعه حَسَدَايُ بنِ شَبْرُوطِ اليهوديِّ، بكتابه الى الناصر، راجباً منه في الصلح؛ فأسعفه الناصر في ذلك على اختيارِ وَاَدِه الحَكَمِ، واشترط على الطاغية شروطاً؛ وانصرفت رُسله بذلك.

وفيها، قُتِلَ مُحَمَّدُ بنِ أَبِي العَيْشِ الإدرسيِّ أميرُ الغَرْبِ.

وفيها، خرج قاسم بن عبد الرحمن الى حَمِيدِ بنِ يَصَلِّ قائدِ الناصر بالغَرْبِ من فرطية بأحد عشر حملاً من المالِ وأَحْمالِ العُدَّةِ، تقويةً على الذبِّ عن الدولة المروانية بالغَرْبِ، وذلك لخمسِ خَلُونِ من صَفَرِ منها. ولَمَّا كان يومِ النصفِ منه، ورد كتابُ حَمِيدِ بدخوله مدينةَ تِلِمَسَانَ.

وفي سنة ٢٤٦، قدم الى الناصر أمراءُ بني رَزِينِ ومن التفت إليهم؛ فوصل الى الناصر كبيرُهم مروان بن هُدَيْلِ بنِ رَزِينِ النَّائِرُ بالسَّهْمَةِ المنسوبة إليهم؛ فأدَنُوا وأَكْرَمُوا.

وفيها، برز القائدُ غَالِبِ الناصريُّ الى فَحْصِ الشَّرَادِقِ غازياً الى دارِ الحَرْبِ؛ ففَتَحَ عليه في بلادِ المُشْرِكِينَ؛ وفتحَ الحصونَ وقتلَ المقاتلةَ واكتسحَ بسِيطَ عَدُوِّ الله غَرْسِيَّةِ بنِ شَانِجِه مَلِكِهِمْ، وخَرَّبَ قُرَاهُ، ورجع بالمسلمين ظاهرين. وكذلك برز القائدُ أَحْمَدُ بنُ يَعْلى للغزو * الى بلدِ العَدُوِّ تالِيًا للقائدِ غَالِبِ؛ فورد كتابُه P. ٢٢٨ يومِ الأحدِ لخمسِ بقين من ربيعِ الآخرِ بفتحِ عظيمٍ تهباً له في غزوه الى جَلِيفِيَّةِ، وَأَنَّهُ ثَخَنَ في قتلِهِمْ، وحزَّ من رُووسِهِمْ أربعمائة، واستاق من الماشية والكُرَاعِ ما فات الإحصاء.

وفي سنة ٢٤٧، أوَّلَ المحَرَّمِ، أمرَ الناصر صاحبَ الشَّرْطَةِ القائدَ أَحْمَدَ بنَ يَعْلى بالخروجِ غازياً في الأُسْطُولِ الى بلدِ الشيعيِّ مَعَدَّ بنِ إِسْمَاعِيلِ صاحبِ

إفريقية؛ فرز ابن يعلى إلى محنة الرأض لغزانه هذه يوم الخميس لثمان خلون منه؛ وكان بروزه فحماً، خرج إليه من النظارة من أهل قرطبة رجالهم ونسائهم وأبنائهم وولداتهم خالق لا يحصيهم إلا خالفهم؛ فانتشروا بأكاف الرأض على عادتهم؛ فأخذ السفانة منهم والغواغاة تتقاذفون بالحجارة حاكين إصصى القتال؛ فدخل في عرضهم قوم من الطنجيين من جنود السلطان حشوا الضراب بينهم، حتى حصى وطبسه. وقد كتف صفيهم من النظارة الرجال والنساء خالق عظيم. فلم يك إلا ساعة، ودارت بينهم جولة ظهر فيها أحد صفيهم؛ فمالوا على مغلوبهم. وانسطوا عليهم؛ فامتد الطنجيون بغالب شرهم وجهلهم إلى نهب مغلوبهم من الرجال، ونحطوهم إلى من حولهم من النظارة، وانسطوا على النساء؛ فسلبوهن ثيابهن، وفضحو كثيراً منهن؛ فجعل المجرعات من النساء تتوارثن في الزرع المكنل. حياء من الناس، وسرقياً لوقت بفرقتهم. وشرح ذلك بطول.

وفي جمادى الآخرة منها، ورد كتاب قائد الأسطول أحمد بن يعلى من مدينة سلان من عمل بلنسان، يذكر أن جوهرًا قائد معد بن إسماعيل صاحب إفريقية قتل يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى صاحب مدينة أفكان غدراً، وأن ابن عمه انتصب مكانه بإقامة من جأته^١ قومه له، ورجع القائد المذكور إلى قرطبة ومعه ولد ابن قرّة، ابن عم يعلى بن محمد المتقدم الذكر، المقدم بعد في قومه بنى بقرن؛ فبواغ في إكرامه.

وفي سنة ٢٤٨، في أول ربيع الآخر منها، خرج علي بن يحيى الحسنى إلى شرشل مكانه من العدو قائداً، من انضم إليه من الحشم، لمكافحة أصحاب الشيعى صاحب إفريقية.

وفي أول ذى القعدة منها، أوصل الناصر إلى نفسه حرير بن منذر في جماعة من وجوه الموالى والعرفاء ورجال الجند، يأمرهم جميعاً بالخروج إلى مدينة

1-1) Manque dans A.

سنة من أرض العدو، مع بدر الفتى الكبير صاحب السيف، لتنفيذ العدد فيها من أجل جولان جوهر قائد معدّ الشيعي صاحب الفيروان بأرض العدو؛ فنذروا لأمره، ومكثوا كذلك الى أن أمنت الحادثة؛ فانصرفوا مع القائد بدر، آخر ذى الحجّة من السنة.

وفي سنة ٢٤٩، كان ابتداء علة الناصر، وذلك يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر، وذلك نصف النهار منه، طرقت أمير المؤمنين الناصر علة الصعبة من الريح الباردة؛ فأرجف به، وخيف عليه، وأكبت الأطباء على معالجه، إلى أن ظهر عليه تخفيف¹⁾؛ فنجشم²⁾ القعود لحاصته في العشر الأول لجُمادى الأولى. فوصل إليه الفتيان الأكابر، وصاحب الطراز، وخواص أكابر العبيد كمظفر وذويه؛ فاستبشر أهل المملكة بما بدا لهم من انحطاط مرضه. وسألوا الله كمال عافيته؛ والقضاء قد سبق بهونه من عاتيه؛ فلم تُفارقهُ، نجف حيناً ونُقل حيناً، إلى أن قضت عليه في سنة ٥ التي بعد هذه.

بعض أخبار الناصر (رحمه الله) على الجملة.

كان الناصر (رحمه الله) ملكاً أزال³⁾ اللأواء؛ وحسّم الأذواء، وقهر الأعادي، وعدل في الحاضر والبادي؛ قد أسس الأسوس؛ وغرس الغروس، P. ٢٤٠ واتخذ المصانع والقصور، وترك أعلاماً باقية الى النفخ في الصور. فأغترب بالزهراء كم بها من قصر مشيد، وأثار مملوك صيد؛ قد عادت معايدتها بعدهم⁴⁾ دارسة، وأثارها دونهم طامسة؛ تُسفي الرياح بجناباتها، وتبكي الغيوم على عرصاتنا. ولما ولي الناصر لدين الله، اعتز ركن الدين، واحتسب ذمار المسلمين، وقام الجهاد على ساق، وخمدت نار الخلاف والشقاق، ودخل الناس

1) Dozy, Corr., propose تخفيف. 2) Glose marginale dans B.: النجشم: النكلف.

3) A. et B. أدال. 4) B. معاهدم بعدها.

في طاعته أفواجاً، واستنبروا^١ الى دعوته أفراداً وأزواجاً. فناهيك من فضل
 أعطاهم، وعدل أكنفهم به وغطاهم، ونكرمة أنالهم إياها، ومسرّة أبدى لهم
 محباها؛ قد ملك ستة وما يليها من الأفطار، وطرد عنها ملوك الأدارسة طرد
 الليل النهار، وبث عماله وقواده فيها، وطاعت له البرابر في جميع نواحيها،
 واعنصوا بحبه، ولاذوا بفضله وعدله. وكان اصطفى مولا بدرأ، وجعله شمساً
 لملكه وبدرأ، وقلده خطة الحجاب، وجعل له السنن والإيجاب؛ فشد ملكه
 بقوة ساعد^٢، وسعد مساعد^٣؛ ثم قدم موسى بن حدر؛ فكمل به الملك
 وانفق^٣. وانفق له من الحد ما أنفق؛ فناد عسكرياً مجراً، وجر الدنيا جراً.

ومن قول ابن عبد ربه فيه [بسيط]:

فَدَّ أَوْضَحَ اللهُ لِلْإِسْلَامِ مِنْهَا جَا	وَالنَّاسُ قَدْ دَخَلُوا فِي الدِّينِ أَفْوَاجَا
وَقَدْ تَزَيَّنَّتِ الدُّنْيَا لِمَا كُنِيَهَا	كَأَنَّهَا أُلبِسَتْ وَشِيَا وَدِسَا جَا
بِأَبْنِ الْخَلَائِفِ إِنَّ الْمُنْزَنَ لَوُ عَلِمَتْ	نَدَاكَ مَا كَانَ مِنْهَا الْمَاءُ نَجَا جَا
وَالْحَرْبُ وَلَوْ عَلِمَتْ بِأَسَا تَصُولُ بِهِ	مَا هَبَّجَتْ مِنْ حُمَيْكَ الَّذِي اهْتَا جَا
مَاتَ النِّفَاقُ وَأَعْطَى الْكُفْرُ ذِمَّتَهُ	وَذَلَّتِ الْخَيْلُ الْجَامَا وَإِسْرَا جَا
وَأَصْبَحَ النُّصْرُ مَعْفُودَا بِأَلْوَسَةِ	نَطَوَى الْمَرَاحِلَ نَهْجِيْرَا وَإِدْلَا جَا
إِنَّ الْخِلَافَةَ لَنْ تُرْضَى وَلَا رُضِيَتْ	حَتَّى عَقَدَتْ لَهَا فِي رَأْسِكَ النَّجَا جَا

١٢٢١ ومن مناقبه، أنه لم يبق في الفصر الذي هو من مصانع أجداده ومعاليم
 أوليته بية إلا وله فيها أثرٌ مُحدث، إما بتجديد أو بتزويد. ومن مناقبه، كثرة
 جوده الذي لم يُعرف لأحد قبله من أجواد الجاهلية والإسلام، حتى قيل فيه
 (رحمة الله عليه) [كامل]:

1) B. واستنبروا. 2-2) Manque dans A.

3) A. وانفق. On peut également penser à وانفق.

با ابن الخلائف والعلی للمعنی
نوهت بالخلفاء بل اخلتهم
اذكرت بل انسيت ما ذكر الوری
وانسيت اخرهم وشاؤك فائت
تأبي فعالك ان تعد لاخیر
والمجد يعرف فضله للمفضل
حتى كان نسيانهم لم يسئل
من فعلهم فكأنه لم يفعل
للاخرين ومدرك لاول
منهم وجودك ان يعد لاول

رغم للناصر (رحمه الله) من غزوات مذكورة، وفتوحات مشهورة، يبقى في
الأعقاب فخرها، ولا يبلى على مرّ الأحقاب أثرها.

وقد نظم ابن عبد ربّه في غزواته أرجوزة من سنة ٣٠١ الى سنة ٣٢٢.
وقد أطال الشعراء في مدحه، وأطنبوا في شكره؛ ^(١) ولولا أن الناس مكثفون بما
في أيديهم منها، لأعدنا هنا ذكرها أو ذكر بعضها؛ ولكن المذهب هنا الاختصار؛
والإيجاز والاختصار ^(١).

• حكاية. ومما ذكر من إفضاله، مع بعض عماله، قال حيّان بن خلف:
كان محمد بن سعيد المعروف بابن السليم قد احتجج أموالاً كثيرة بنصرته في
كبار الولايات في المدة الطويلة؛ فعلم ذلك منه الناصر؛ فعرض له مراراً في
أن يسأله فيه عن طيب نفس منه، ^(٢) وهو ملكه، ولو شاء لأخذه منه، ولكن
أبي ذلك كرم طبعه ^(٢). فقال في مجلسه يوماً: «ما بال رجال من خاصتنا
يوسعون في دنيانا، فطفقوا ينجنون الأموال، ويضعون تعمّدنا ^(٣)، وهم يرون
غليظ مؤونتنا في الإنفاق على شؤوننا التي بقدرتنا عليها صلاح أحوالهم ورفاهية
عيشهم. ويعلمون أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضه)، فسّطاس ^(٤) الموازين، ^(٥)
فاسم عماله أرباحهم في ^(٥) تجاراتهم؛ فجعلها ^(٥) في بيت المال، وهو من هو، وهم
من هم، والأسوة في فعله!» فسكت ابن السليم عنه وغالطه ^(٦) في تعريضه كأنه

1-1) B. résume ainsi: تركنا ذلك اختصاراً. 2-2) Manque dans B.

3) A. تعمّدنا (Corr. لعبدنا). 4-4) A. فسّطاس من.

5-5) A. عمالاتهم فصيرها. 6) A. وخالطه.

يعني غيره. فازداد الناصر حنفاً عليه وغيظاً؛ فقال له يوماً في بعض مجالسه الخاصة معه، وقد أخذ الشراب منه. وشق نفاحة بسكين في بكه: «وَدِدْتُ أَنْ اشُقَّ هَاكذَا رَأْسَ مَنْ أَعْرِفُ لَهُ مَالًا كَثِيرًا غَلَّةَ دُونِنَا. وَلَمْ يُسَيِّمِ بَيْتَ الْمَالِ مِنْهُ!» فقال عفلُ ابنِ السَّليمِ. وَلَمْ يَخْتَلِجْهُ الشُّكُّ فِي أَنَّ الْمَعْنَى بِهِ؛ فقام بين يديه، وقال: «يا أمير المؤمنين! طال ما عَرَضْتَ بِي! فَسَكَتُ؛ بَلَى وَاللَّهِ! إِنْ عِنْدِي مَالًا كَثِيرًا. وَهُوَ دُونَ ظَنِّكَ فِيهِ. حَطُّهُ بِالنَّقِيرِ. وَأُعِدُّهُ لِلدَّهْرِ الْعَثُورِ، وَاسْتُ وَاللَّهِ أُعْطِيكَ مِنْهُ دِرْهَمًا، فَمَا نَوَقَهُ، وَرَأَيْتُكَ فِيَّ جَمِيلًا إِلَّا أَنْ اسْتَحَلَّ» (وَأَعُوذُ بِاللَّهِ!) أَنْ يَمُدَّ يَدَكَ إِلَيْهِ بِغَيْرِ جَنَابَةٍ مِنِّي عَلَيْكَ! فَإِنَّ الْأَنْفُسَ مُحَضَّرَةَ السُّخْرِ». قال: فحجل الناصر وأطرق بنو قول الله تعالى: «إِنْ يَسْأَلُكُمْ وَهِيَ جَائِعَةٌ، إِلَى أَنْ اعْتَدَلَ مَجْلِسُهُ؛ فَجَعَلَ يُعِينُ فِي الشُّرْبِ طَلَبًا لِلسُّكْرِ الَّذِي خَامَرَهُ مِنَ الدُّعْرِ. فَقَالَ لَهُ النَّاصِرُ: «خَفِضْ عَلَيْكَ، يَا مُحَمَّدُ؛ فَلَا سَبِيلَ إِلَيْكَ!» فَلَمَّا سَكِرَ ابْنُ السَّلِيمِ، تَهَوَّعَ؛ فَفَدَفَ، وَابْتَدَرَهُ الوُصْفَاءُ بِالطَّسْتِ وَالْمِنَادِيلِ؛ فَأَقْبَلَ النَّاصِرُ وَأَخَذَ بِرَأْسِهِ بِسَكَّةٍ، وَيَقُولُ لَهُ: «اسْتَفْرِغْ مَا فِي مَعْدَنِكَ وَتَأَنَّ بِنَفْسِكَ!». فَانْكَرَ ابْنُ السَّلِيمِ كَلَامَهُ بَيْنَ الخَدَمِ، وَصَرَفَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ، وَإِذَا بِهِ النَّاصِرُ. فَمَا تَمَالَكَ أَنْ خَرَّ إِلَى رِجْلَيْهِ نُقِيلَهُمَا، وَيَقُولُ: «يَا أَبْنَ الخَلَائِفِ! إِلَى هُنَا انْتَهَيْتَ مِنْ بَرِي!» وَجَعَلَ يَدْعُو لَهُ، وَبُعْظَمَ شُكْرَهُ؛ فَقَالَ لَهُ النَّاصِرُ: «أَبَيْتَنِي أَخْرَجَ كَفَافًا مِنْ شَأْنِي مَعَكَ اللَّيْلَةَ: تَأْنِيسًا بِإِخَافَةٍ وَإِطَافًا بِجَفْوَةٍ». ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِكِسْوَةٍ، وَانْقَلَبَ إِلَى أَهْلِهِ. فَكَانَ هَذَا مِمَّا بَعُدَّ مِنْ كَرَمِهِ وَفَضْلِهِ. فَلَمَّا بَضَتْ أَيَّامُهُ، أَرْسَلَ ابْنَ السَّلِيمِ إِلَى النَّاصِرِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ دَرَاهِمَ؛ فَقَبِلَهَا النَّاصِرُ، وَشَكَرَ فَضْلَهُ (١) وَعَوَّضَهُ بِكَبِيرِ الْوَلَايَاتِ، وَصَحَّبَتْهُ مِنْهُ النِّعْمَةُ الْعَرِيضَةُ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ.

حكاية. ومازح الناصر (رحمه الله) يوماً وزيره أبا القاسم لُبَّابًا؛ فقال له:

1) B. تسجبل. 2) Allusion à Coran, IV, 128.

3) Coran, XLVII, 37. 4) B. فعله.

« يَا لُبُّ أَهْجُ الْوَزِيرِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ جَهَّورٍ! » فامتنع عليه؛ فقال لابن جَهَّورٍ:
« فَأَهْجُهُ أَنْتَ، إِذْ أَبِي هُوَ مِنْ هَجْوِكَ ». فقال: « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَسَوْفَ عَرَضِي
مِنْهُ. وَأَصُونُ نَفْسِي عِنْدَهُ! » فقال الناصر: « فَأَنَا أَهْجُوهُ. » فقال [سريع]:

أَبُ أَبِي الْفَاسِمِ ذُو إِحْيَةٍ طَوِيلَةٌ فِي طَوِيلِهَا مِيبِلُ

ثُمَّ قَالَ لابن جَهَّورٍ: « لَا بُدَّ لَكَ مِنْ تَدْبِيلِ هَذَا الْبَيْتِ؛ فَدَعِ الْإِعْتِذَارَ. » فقال:

وَعَرَضُهَا مِيبِلَانِ إِنْ كَسَّرْتَ وَالْعَقْلُ مَا فَوْنٌ وَمَدْخُولُ
لَوْ أَنَّهُ أَحْتَاجَ إِلَى غَسَلِهَا لَمْ يَكْفِهِ فِي غَسَلِهَا السَّبِيلُ

فَضَحِكَ النَّاصِرُ، وَقَالَ لِلْبُّ: « إِنَّهُ قَدْ سَبَّ لَكَ الْقَوْلَ؛ فَقُلْ! » فقال لُبُّ:

قَالَ أَمِينُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ لِي إِحْيَةٌ أُرَى بِهَا الطُّولُ
وَابْنُ عَيْبَرٍ قَالَ قَوْلَ الَّذِي مَا كُوْلُهُ الْقَرْطِيلُ¹ وَالنُّوْلُ
لَوْلَا حَيَاتِي مِنْ إِمَامِ الْهُدَى نَخَسْتُ بِالْمِنْخَسِ « شَوْ قَوْلُ² »

فلما بلغ لُبُّ إلى قوله « شَوْ » سكت؛ فقال له الناصر: « قَوْلُ ». فأتى له على
نحو ما أضمر؛ فقال له: « أَنْتَ هَجَوْتَهُ. يَا تَوْلَايَ! » فضحك الناصر، وأمر
له بصانته.

وكان الناصر قد خرج يوماً على فرس أبلق³ في هيئة جليئة³ والوزراء
قد حنوا به؛ فقال ابن عبد ربه في ذلك مرَّجلاً⁴ [سريع]:

بَدْرٌ بَدَا مِنْ تَحْتِهِ أَبْلَقُ يَحْسُدُ فِيهِ الْمَغْرِبَ الْمَشْرِقُ
لَوْ يَعْلَمُ الْأَبْلَقُ مَنْ فَوْقَهُ⁵ لاختال من عجب به الأبلقُ
إِمَامٌ عَدْلٌ بَاسِطٌ كَفَّهُ يَرْزُقُ مِنْهَا اللَّهُ مَنْ يَرْزُقُ
عَادَ بِهِ الدَّهْرُ الَّذِي قَدْ مَضَى وَجَدَّ وَاللَّهُ⁶ بِهِ الْمُخْلَقُ

1) A. انقرصيل B. انقرطيل.

2) C'est le roman *šā kūlo* (= *su culo*).

3-3) Manque dans A.

4) A. من فصيدة.

5) A. B. تحته. La bonne leçon est donnée par C.

6) A. B. وجدد الله.

وكان، لما ترعرع ابنه المحكم بن عبد الرحمن، ولأه العهد من بعده. وكان له أخ اسمه عبد الله؛ فحسد على ذلك، واجتمع عليه قوم، وأراد قتل أخيه؛ وأنفق مع أصحابه أن يبادروه؛ فافضحوا وقتلوا جميعاً، كما تقدم. وأمّا الولد عبد الله، فذكر أنه أخرج أبو الناصر ثاني يوم عيد الأضحى؛ فدبح بين يديه «(رحمه الله)؛ وكان عالماً فاضلاً».

وكان الناصر أمر ببناء الصومعة العظيمة في سنة ٢٤٠، وشرع في بنائها؛ وهي الشهيرة التي لا صومعة تعد لها. وكان الذي دعاها إلى بنائها..... حدث في القديمة؛ فهدمت إلى قواعدها..... وبنيت بصخر الحجارة المنقولة إليها على العجل؛ وجمع لها..... فجاءت فائقة الصنعة. وقد كانت الأولى ذات مطلع واحد؛ فصير هذه مطلعين، وفصل بينهما بالبناء؛ فلا يلتقي الراقون فيها إلا بأعلاها. ولكل مطلع منها مائة درجة وسبعة أدرج؛ وطولها ثمانون ذراعاً بالرشاشي إلى وقوف المؤذنين؛ وفي أعلى ذروة المنار ثلاث رمانات تُغشى النواظر بشعاعها، وتخطف الأبصار بالنماعها: الأولى مفروغة من الذهب، والوسطى من الفضة، والثالثة من الذهب أيضاً؛ وفوقها سوسانة من الذهب المحض مسدسة؛ وفوق السوسانة رمانة صغيرة من الذهب؛ ثم طرف الزنج، وفيه تأريخ مكتوب بالذهب. وزنة كل رمانة من الثلاثة المذكورة فنطار واحد ما دونه، ودور كل واحدة ثلاثة أذرع ونصف. وكمل بناء الصومعة في جمادى الأولى؛ فذلك ثلاثة عشر شهراً²⁾.

وكان الناصر زاد في المسجد الجامع بقرطبة زيادته المشهورة،³⁾ المتصلة بزيادة ابنه المحكم بعده³⁾، وفيها القبو الكبير الذي يصطف المؤذنون أمامه يوم

1—1) Seulement dans C. 2) Tout le passage qui précède depuis le début de l'alinéa est inédit et ne figure que dans le ms. C, où quelques fins de lignes du début sont à peu près effacées. 3—3) Ce passage d'une importance extrême pour l'étude archéologique de la grande-mosquée de Cordoue est seulement donné par C.

المجمعة للأذان، وهو من أعجب البيّان. وإذ قد ذُكر المسجد الجامع بقرطبة؛ فالواجب أن نذكر أوّل مَنْ أَحَدَثَهُ وَمَنْ بَوّأَ بِنَاءَهُ مِنْ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةٍ. على سبيل الاختصار؛ فنقول:

ذِكْرُ مَسْجِدِ قُرْطُبَةَ الْأَعْظَمِ

ذكر الرّازي عن الفقيه محمد بن عيسى أنّه قال: لما افتتح المسلمون الأندلس. استدّلوا بما فعل أبو عبيدة وخالِد (رضهما) عن رأي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضه) من مُشَاوَرَةِ الرُّومِ فِي كَنَائِسِهِمْ مِثْلَ كَنِيسَةِ دِمَشْقَ وَغَيْرِهَا مِمَّا أَخَذُوهُ صُلْحًا. فشاوَرَ المسلمون أَعَاجِمَ قُرْطُبَةَ فِي كَنِيسَتِهِمُ الْعُظْمَى الَّتِي كَانَتْ بِدَاخِلِهَا. وابتنى المسلمون في ذلك الشَّطْرَ مَسْجِدًا جَامِعًا. وفي الشَّطْرِ الثَّانِي بِأَيْدِي الرُّومِ، وَهُدِمَتْ عَلَيْهِمُ سَائِرُ الْكِنَائِسِ. فلما كثر المسلمون بالأندلس، وَعَمُرَتْ قُرْطُبَةَ وَنَزَلَهَا أُمَرَاءُ الْعَرَبِ بِجِيُوشِهِمْ. ضَاقَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ الْمَسْجِدُ، وَجَعَلُوا يُعَلِّقُونَ مِنْهُ سَقَائِفَ؛ فَنَالَ النَّاسَ مِنَ الضَّيْقِ مَشَقَّةٌ عَظِيمَةٌ. فَنَمَا دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْأَنْدَلُسَ، وَسَكَنَ قُرْطُبَةَ. نظر في أمر الجامع، * وبوسيعه. ٢٥٥ وإتقان بِنَائِهِ؛ فَأَحْضَرَ أَعَاجِمَ قُرْطُبَةَ، وَسَأَلَهُمْ تَبَيُّعَ مَا بَقِيَ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْكَنِيسَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَأَوْسَعَ لَهُمُ الْبَدَلَ فِيهِ، وَفَاءً بِالْعَهْدِ الَّذِي صُوِّلِحُوا عَلَيْهِ؛ وَأَبَاحَ لَهُمْ بِنَاءَ كَنَائِسِهِمُ الَّتِي كَانَتْ هُدِمَتْ عَلَيْهِمْ فِي وَقْتِ الْفَتْحِ بِخَارِجِ قُرْطُبَةَ. وخرجوا عن الشَّطْرِ؛ فَاتَّخَذَهُ «وَأَدْخَلَهُ فِي الْجَامِعِ الْأَعْظَمِ». وكان شروع عبد الرحمن الداخل في هدم الكنيسته وبناء الجامع سنة ١٦٩؛ وتمّ بناؤه وكملت بلاطانه. واشتملت أسواره في سنة ١٧٠؛ فذلك مدّة من عام كامل؛ ففيل إنَّ السَّفَقَةَ الَّتِي أَنْقَى الْإِمَامُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِطَوِيلِ هَذِهِ السَّنَةِ فِي بِنَاءِ الْجَامِعِ ثَمَانُونَ أَلْفًا بِالْوَارِنَةِ. وفي ذلك يقول الْبَلَوِيُّ (رحمه الله) اطويل:

وَأَسْرَرَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَوَجَّهَهُ
فَأَتَفَقَهَا فِي مَسْجِدِ أَسْهِ السُّنْفِي وَمَسْجِدِ دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
سَمَانِينَ أَلْفًا مِنْ أُجَيْنٍ وَعَسَجِدِ

تمَّ زاد أسه هشام صومعة . كان ارتفاعها أربعين ذراعاً الى موضع الأذان
وفي تَأخِيرِ الْمَسْجِدِ سَقَائِمَ اصْلَاحِ النِّسَاءِ ؛ وَأَمْرَ سِنَاءِ الْبَيْضَاءِ بِشَرْقِيِّ الْجَامِعِ .
وَأَقَامَ الْجَامِعَ عَلَى قَبَائِمِهِ بَلَدًا إِلَى أَيَّامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ ؛ ثُمَّ زَادَ عَبْدُ
الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخِلَ الزِّيَادَةَ الْمُنْتَظِمَةَ
بِالْأَرْجُلِ ، طُولُهَا خَمْسُونَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُهَا مِائَةٌ وَخَمْسُونَ ، وَعَدَدُ سَوَارِيهَا ثَمَانُونَ
سَارِيَةً ؛ وَكَانَ الْفِرَاعُ مِنْ هَذِهِ الزِّيَادَةِ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ٢٢٤ . ثُمَّ زَادَ
الْأَمِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنْ أَمَرَ بِإِيقَانِ طُرُقِ الْجَامِعِ . وَسَبَقَ نَفُوشَهُ .
وَبِإِقَامَةِ الْمَقْصُورَةِ . وَجَعَلَ لَهَا ثَلَاثَةَ أَبْوَابٍ ؛ فَلَمَّا كَمَلَ مَا أَمَرَ بِهِ فِي الْجَامِعِ ،
دَخَلَ وَصَلَّى فِيهِ رَكَعَاتٍ خَشَعَ فِيهَا . فَقَالَ فِي ذَلِكَ مُوسَى بْنُ سَعِيدٍ اطْوِيلًا :

لَعَبْرِي لَقَدْ أُنْدَى الْإِمَامُ التَّوَاضُعًا فَأَصْبَحَ لِدُنْيَا وَلِدِينِ خَاشِعًا ١
بَنَى مَسْجِدًا لَمْ يَنْ فِي الْأَرْضِ مِثْلُهُ وَجَلَّى بِهِ شُكْرًا لَدَى الْعَرْشِ رَاكِعًا
٢ ٢٢٦ فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ لَهُ إِذْ دَعَا فِيهِ إِلَى اللَّهِ شَافِعًا

ثُمَّ زَادَ الْأَمِيرُ الْمُنْدِيرُ بْنُ مُحَمَّدِ الْبَيْتِ الْمَعْرُوفِ سَبَيْتَ الْمَالِ فِي الْجَامِعِ ؛ فَوَضَعَ فِيهِ
الْأَمْوَالَ الْمَوْقُوفَةَ لِعُيُوبِ ٣ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَأَمَرَ بِتَجْدِيدِ السَّقَايَةِ وَإِصْلَاحِ السَّقَائِمِ .
ثُمَّ زَادَ أَخُوهُ الْأَمِيرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ سَابِطًا مَعْقُودًا عَلَى حَنَابِئِهِ . وَأُصْلِحَ بِهِ مَا
بَيْنَ النَّصْرِ وَالْجَامِعِ مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ ؛ ثُمَّ أَمَرَ بِسِنَارَةٍ مِنْ آخِرِ هَذَا السَّابِاطِ إِلَى
أَنْ أُوصِلَهَا بِالْحَرَابِ ؛ وَفَتِحَ إِلَى الْمَقْصُورَةِ بَابًا كَانَ يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى الصَّلَاةِ ؛ وَهُوَ
أَوَّلُ مَنْ أَخَذَ ذَلِكَ مِنْ أُمَرَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ (رَحِمَهُمُ اللَّهُ) .

رَجَعَ الْخَبَرُ إِلَى ذِكْرِ النَّاصِرِ . قِيلَ إِنَّهُ أَتَفَقَ فِي صَوْمَعَةِ الْمَسْجِدِ وَفِي تَعْدِيلِ

1) B. وِشْرَعْتُهُ. 2) Vocalisé dans B. 3) A. جامعًا.

4) La correction de Dozy لِعُيُوبِ semble injustifiée.

المسجد وبنيان الوجء للبلطات الأحد عشر بلاطاً سبعة أمداد وكيلين ونصف
كيل من الدراهم الفاسية . وجملته ما أنفق عبد الرحمن الناصر في بناء مدينة
الزهراء وقصورها خمسة وعشرون مدياً من الدراهم الفاسية وستة أفضرة وثلاثة
أكيال ونصف .

ذِكْرُ بِنَاءِ مَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ بِقَرْطَبَةِ (أَعَادَهَا اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ بِفَضْلِهِ)

ابتدئ بنيانها في أيام الناصر من أول سنة ٢٢٥ . وكان يُصْرَفُ فِيهَا كُلُّ
يوم من الصخر المنجور ستة آلاف صخرة سوى التليط في الأسوس ؛ وجلب إليها
الرُخَامُ من قَرْطَابَةِ إِفْرِيقِيَّةٍ ومن نُوسِ ؛ وكان الأمانة الذين جلبوه عبد الله بن
نُوسِ . وحسن القُرْطَبِيِّ ، وعلى بن جعفر الإسكندراني ؛ وكان الناصر يصاهم على
كل رخامة ثلاثة دنانير ، وعلى كل ساربة ثمانمائة دنانير بحمامانية . وكان فيها
من السواري أربعة آلاف ساربة وثلاثمائة ساربة وثلاث عشرة ساربة . المجلوبة
منها من إفرريقية ألف ساربة وثلاث عشرة ساربة . وأهدى إليه ملك الروم مائة
وأربعين ساربة ؛ وسائر ذلك من رخام الأندلس . وأما الخوض الغرب الملقب
• المذهب بالنمائل ، فلا قيمة له ، جلبه ربيع الأسقف من القسطنطينية من مكان ١٠٢٥
الى مكان حتى وصل في البحر؛ ووضعه الناصر في بيت المأم في المجلس الشرقي
المعروف بالمونس ؛ وكان عليه اثنا عشر نمائلاً من الذهب الأحمر مرصع بالدر
النفيس العالي مما صنعه بدار الصنعة بقصر قُرْطَبَةِ . وكان المتولى لهذا السيان
المذكور ابنه المحكم ، لم يتكلم الناصر فيه على أمين غيره . وكان يُحْبَزُ فِي شَاهِدِ
كُلِّ يَوْمٍ بِرَسْمِ حَيْتَانِ الْبَحِيرَاتِ ثَمَانِي مِائَةِ خُبْزَةٍ ، وهذا من أعظم الأشياء إلى
ما فوق ذلك .

وكان الناصر قد قسم الجباية على ثلاثة أثلاث : ثلث للجنيد ، وثلث للنساء ،
وثلث مدخر . وكانت جباية الأندلس يوماً من الكور والفري خمسة آلاف ألف

وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار؛ ومن المُستَخْلَص والأسواق سبع مائة ألف دينار وخمسة وستين ألف دينار.

ومما قيل في آثار مدينة قُرْطُبَة وَعِظَمِهَا حين تكامل أمرها في مدة بنى أُمَيَّة (رحمهم الله تعالى) إِنَّ عِدَّةَ الدُّور التي بداخلها للرعيَّة دون الوزراء وأكابر أهل الخِدْمَة مائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار؛ ومساجدها ثلاثة آلاف؛ وعِدَّةُ الدُّور التي بقصرها الزَّهْرَاءُ أربعمائة دار، وذلك لسكْنَى السُّلْطَان وحاشيته وأهل بيته. وَعَدَدُ الفِتْيَان الصَّغَالِيَّة ثلاثة آلاف وسبع مائة وخمسون. وعِدَّةُ النِّسَاء بقصر الزَّهْرَاء الكبار والصغار وَخَدَم الخِدْمَة سِتَّة آلاف وثلاثمائة امرأة؛ وكان لهؤلاء من اللحم ثلاثة عشر ألف رِطْل ينقسم من عشرة أرطال للشخص إلى ما دون ذلك، سوى الدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الحيتان. وَعَدَدُ حَمَامَاتِهَا ثلاثمائة حَمَام؛ وقيل إِنَّهَا المَبْرَزَة للنساء^١. وكان عَدَدُ أرباض قُرْطُبَة (أعادها الله للإسلام) في ذلك الوقت ثمانية وعشرين رِبَاضاً، منها مَدِينَتَانِ: الزَّهْرَاءُ والزَاهِرَة. وأما البَيْتِيَّة التي كانت في المَجْلِس البَدِيْع، فَإِنَّهَا كانت من نُحْف قَبْصَرِ البُونَانِي صاحب القُسْطَنْطِيَّة. بعث بها للناصر مع نُحْف كثيرة سَنِيَّة. فَسُبْحَانَ من لا يبيد مُلْكُهُ ولا ينفطع عِزُّهُ!

وفي سنة ٢٥٠، تُوَفِّي الناصر (رحمه الله)، وذلك في صدر رمضان منها. ووُجِدَ بِحِطَّة تَارِيخُ قَالَ فِيهِ: «أَيَّامُ السَّرُورِ التي صَفَّتْ لِي دُونَ تَكْدِيرٍ»^٢ في مدة سُلْطَانِي^٣ يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا. «فَعُدَّتْ تِلْكَ الأَيَّامُ؛ فَوُجِدَ فِيهَا أَرْبَعَةٌ عَشَرَ يَوْمًا. فَأَعْجَبْتُ أَيْهَا العَاقِلُ^٤ لِهَذِهِ الدُّنْيَا، وَعَدَمَ صَفَائِهَا. وَبُخْلِهَا» بِكَمَالِ الأَحْوَالِ لأَوْلِيَائِهَا. إِنَّ المَخْلِيْفَةَ النَّاصِرِ مَلَكَ خَمْسِينَ سَنَةً وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَلَمْ يَصْفُ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا أَرْبَعَةٌ عَشَرَ يَوْمًا! فَسُبْحَانَ ذِي العِزَّةِ العَالِيَةِ، وَالمَمْلَكَةِ البَاقِيَةِ. تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ!

1) للناس. B.

2-2) Manque dans A.

3) B. العاقل.

4) A. وعملها.

وممن رثاه . جعفر بن عثمان المصحفي . فقال اطويل ا :
 ألا إن أبا ما هفت بإمامها لجائرة مشتتة في احتكامها
 فلم يؤلم الدنيا عظام خطوبها وأحداثها إلا قلوب عظامها
 تأمل فهل من طالع غير آفل لهن وهل من قاعد لقيامها
 وعابن فهل من عائش برضاها من الناس إلا ميت بقطاعها
 كأن نفوس الناس كانت بنفسه فلما نوارى أفسنت بجمامها
 فطاربها بأس الآسى وتفاصرت يد الصبر عن أعوالها واحتدامها

خلافة الحكم بن عبد الرحمن المستنصر بالله

نسبه : الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد
 الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل . كنيته : أبو المطرف .
 أمه : اسمها مهرجان . عمره : ثلاث وستون سنة وسبعة أشهر . بويع بعد موت
 أبيه ثلاث خلون رمضان سنة ٢٥٠ . وبقى ليلة الأحد ثلاث خلون من صفر
 من سنة ٢٦٦ ؛ فكانت دولته خمس عشرة سنة . وسبعة أشهر . وثلاثة أيام . لقبه :
 المستنصر بالله . صفته : أبيض مشرب بجمرة . أعين . أفنى ، جهير الصوت . فصير
 الساقين ، ضخم الجسم . غليظ العنق . عظيم السواعد ، أفقم .
 قضائه : منذر بن سعيد البلوشى قاضى أبيه ؛ ثم أبو بكر محمد بن السليم .
 نقش خاتمه : الحكم قضاء الله راض .

وافتح خلافته بالنظر في الزيادة في المسجد الجامع بقرطبة ؛ وهو أول عهد
 أنفذه ؛ وقد ذلك حاجبه وسيف دولته جعفر بن عبد الرحمن الصفلى . وذلك
 لأربع خلون رمضان من السنة . وهو اليوم الثانى من يوم خلافته . فكان أول
 ما عهد إليه تقديم النظر في سوق الصخور التى هى أس النيان ؛ فابتدى بانتقالها
 فى رمضان المذكور . وكان فطرا قرطبة قد كثر به الناس ؛ فضاق الجامع عن

حملهم، ونالهم النعب في ازدحامهم؛ فسارع المُستنصر إلى الزيادة فيه؛ فخرج لتقديرها، وتفصيل بيانها، وأحضر لها الأشياخ والمهندسين؛ فحدوا هذه الزيادة من قبلة المسجد إلى آخر الفضاء ماداً بالطول لأحد عشر بلاطاً. وكان طول الزيادة من الشمال إلى الجنوب خمسة وتسعين ذراعاً؛ وعرضها من الشرق إلى الغرب مثل عرض الجامع سواء؛ وقطع من هذا ساياط النصر المتخذ لخروج الخليفة إلى الصلاة إلى جانب المنبر بداخل المقصورة؛ فجاءت هذه الزيادة من أحسن ما زيد في المسجد (أقبل وأشدّه وأتقنه).

• ذكّر الحُبس الذي حبس المُستنصر بالله على الجامع بقُرطبة. لما كملت زيادته، أحضر الفقهاء والعدول الشهداء وأعيان الناس ووجوههم وقضائهم وأئمتهم. فحمد الله، وأثنى عليه، وجدّد شكره على توفيقه، لإجراء هذه البنية الكريمة على يديه، وأنه تلقى هذه النعمة العظيمة بأن حبس رُبّع جميع ما جرّته إليه الوراثة عن أبيه أمير المؤمنين في جميع كور الأندلس وأقاليمها على ثغور الأندلس كافة تُفرّق عليهم غلات هذه الضياع عاماً بعد عام على ضعفائهم إلا أن تكون بقُرطبة مجاعة، فتفرّق فيهم إلى أن يجبرهم الله. وجعل النُبض والظَرَ في هذا الحُبس إلى حاجبه وسيف دولته جعفر؛ وجعل دَفَع ذلك إلى وزيره وكانه عيسى بن فطيس. وأشهد الحاضر بن على ذلك، وأشهد أيضاً بعنق كل من ملك له من الذُكران، وخرج غازياً إلى بلاد المُشركين.

وفي سنة ٢٥١، غزا الحُكم المُستنصر بالله بلاد الروم؛ ففتح بها حصوناً كثيرة ومدناً جليّة، وسي وغنم، وانصرف غانماً ظافراً. وفيها، وفد عليه أبو صالح زُمور البرغواطي رسولاً من ملك برغواطة أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار؛ فسأله الحُكم عن أنساب برغواطة ومداهيم؛ فأخبره بما تقدم في الجزء الأول.

وكان المحكم قد أنفذ الكتب في محرم من سنة ٢٥١ الى جميع الولاة والقواد
والعمال بأفطار الأندلس. بأمرهم بإسقاط الخيل، والقيام عليها. والاستعداد
بالعددا والأسلحة والآلات برسم الجهاد في سبيل الله.
وفيها، عزل عبد الله بن بدر عن شرطة المدينة قرطبة. وولاهها محمد بن
جهور، وأنفذ له سجلاً بذلك بخطه.

١٢٢٥١

وفيها، استجيب جعفر الصقلني التي الكبير الناصري.

وفيها، وفد على المستنصر بالله رُدون بن إدفونس الأحدب، من ملوك
الخلافة. المنازع لابن عمه شانجه بن رديمير سابقه الى ولاية ملكهم، فبائع في
إكراهه في خبر طويل. وكان النصحاء في ذلك مقامات وأشعار بطول الكتاب
بذكرها. فمن قول عبد الملك بن سعيد من قصيدته: الكامل:

مَلِكُ الْخِلاَفَةِ : آتَى الْإِقْبَالَ	وَسُعُودُهُ مَوْصُولَةٌ شَتَوِي
فَالْمُسْتَمِرُّونَ بَعِزَّةٌ وَسَرْفَعَةٌ	وَالْمُسْرِكُونَ بِذَلِكَ وَسَدَالِ
أَلْقَتْ بَأْيَدِهَا الْأَعَاجِمُ نَحْوَهُ	مَتَوَقِّعِينَ لَصَوْلَةِ الرُّسُلِ
هَذَا أَمِيرُهُمْ إِذَا أَخَذَا	بِمَنْ وَأَصَرَ ذِمَّةَ وَجْهَالِ

وفيها، وصل قرطبة أرسال شانجه بن رديمير. منازع الصاغية رُدون ابن
عمه ملك الخلافة. ومعهم عبد الرحمن بن جحاف قاضي بلنسية. وأيوب بن
الطويل وغيرها، فتوصلوا كُتُبهم الى المستنصر في ربيع الآخر. وأوصوا كتاب
شانجه بن رديمير بجواب ما خوطب فيه وبيعته التي عقدها على نفسه وجميع أهل
ملكته لأمر المؤمنين المستنصر بالله. في خبر طويل.

وفيها، وُلِدَ للخليفة المحكم والد ذكر من حظيته التي سماها جعفر أمه وأمه؛
فسماه عبد الرحمن. وسر به سروراً عظيماً، إذ كان لا يولد له. وقالت في ذلك
الشعراء والأدباء. فأكثروا.

وفيها، ظهر نكث الجلائفة بكل جهة .
وفيها، كلن المد الطامى بنهر قرطبة .

وفي سنة ۱۱۴۵۲، كانت غزوة شنت أشنين، غزاها الحكم المستنصر بالله .

وفي سنة ۲۵۲، كانت قرطبة مجاعة عظيمة، فتكفل الحكم بضعائها
ومساكنها بما نعيم أرمافهم، وأجرى نفاقه عليهم بكل ربح من أرباض قرطبة
وبالزهاء .

وفيها، قرئ بالجامعين: قرطبة والزهاء، فتح ورد من قبل سعد الجعفرى
مولى الخليفة الحكم، القائد بالجوف، يذكر ما أتاه الله على يديه فى أهل
جليقية، وأفاده على المسلمين بسعد إمامهم الزركى .

وفيها، كان ازدحام الناس بالمسجد الجامع بقرطبة وتضاعفهم حتى كادت
النفوس تلتف، فأمر المستنصر بالله بتوسيعته والزيادة فيه، فأتى القاضى منير
ابن سعيد الى المسجد الجامع، ومعه صاحب الأحماس والنقهاء والعدول بما
اجتمع قبله من أموال الأحماس، فنظروا فى الزيادة فيه .

وفيها، أنفذ المستنصر بالله أحمد بن نصر لبيان مدينة بضر طليطلة،
وتشييدها، ووثيق أمورها، وجعل بين يديه أحمال أموال .

وفيها، تحرك الحكم من قرطبة الى المرية توقفاً لما يصدر من صاحب
إفريقية المحاد لأهل الأندلس، ولعابته ما استكملة بها من الحصانة ومطالعة
جال " رابطة القبضة ومشاركة حال الرعايا بتلك الجهة .

وفيها، كان خبر اللص الذى سرق بيت المال الذى للسيل " بداخل
المسجد الجامع بقرطبة فى شوال .

وفي سنة ۲۵۴ . نزل الغيث بقرطبة، فرويت الأرض، وطاب الحرث،
وسرت النفوس .

1) Manque dans A.

2) Manque dans B.

وفيها، وُلِدَ هشام بن الحَكَم. قال ابن حَيان: كان الخليفة الحَكَم شديد الكَلَف يَطْلُب الوالد لِعُلُوِّ سِنِّهِ؛ فُبَشِّرَ في بعض خَلْوَانِهِ بِاشْتِمَالِ أُمِّ وَاوَدِ عَلَى حَمَلٍ؛ فَسُرَّ بِهِ، وَبَقِيَ بِتَرْقِيهِ؛ فَأَنْتَهَ بِهِ أَوَّلَ خِلَافَتِهِ؛ ثُمَّ مَاتَ طِفْلاً؛ فَأَحْزَنَهُ. فَلَمَّا بُشِّرَ بِهَذَا، فَرِحَ بِهِ؛ فَاسْتَبَشَرَ جَعْفَرُ بْنُ عُثْمَانَ وَزُرُّهُ بِبُشْرَاهُ، وَأُرْسِلَ إِلَيْهِ فِي التَّهْنِئَةِ بِذَلِكَ أَيْبَانًا، وَهِيَ أَوَاغِرُ:

هَنِيئًا لِلْأَنَامِ وَالْإِلَامِ كَرِيمٌ يَسْتَفِيدُ عَلَى كِرَامِ
مُرَجَّى لِلخِلَافَةِ وَهُوَ مَا مَأْمُولٌ لِأَمَالِ عِظَامِ
أَضَاءَ عَلَى كَرِيمَتِهِ ضِيَاءَ فَلَمْ تَعْلَمْ بِغَاشِيَةِ الظُّلَامِ
وَلَمْ لَا يُسْتَضَاءَ بِجَانِبِيهَا وَيَنْ ضُلُوعَهَا سَدْرُ التَّمَامِ

١١. ٢٥٢

قال: فلما ولدت جاريته جعفرًا أنها هناماً الملقب المولد، بشر الخليفة الحَكَمُ بِطُلُوعِهِ، وَجَعْفَرُ بْنُ عُثْمَانَ عِنْدَهُ فِي خُلُوعِهِ؛ فَارْبَاحٌ لِارْتِيَادِهِ؛ فَقَالَ عَلَى الدِّيَةِ بِهَيْئَتِهِ امْسِرْحُ:

إِطْلَعِ البَدْرُ مِنْ حِجَابِهِ وَأَطْرَدَ السَّيْفُ مِنْ فِرَاقِهِ
وَجَاءَنَا وَارِثُ العَالِي لِيُثْبِتَ المُلْكَ فِي نَصَابِهِ
بَشَّرْنَا سَيِّدَ السَّرَابِ سِنْعِمَةَ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ
لَوْ كُنْتُ أُعْطِيَ البَشِيرَ نَفْسِي لَمْ أَقْضِ حَقًّا لِمَا أَنْبَى بِهِ

وفيها. كملت الفنة الممتدة على الجراب في الزيادة بالمسجد. وذلك في شهر جمادى الآخرة منها.

وفيها، شَرِعَ فِي نَزْلِ النُّسَيْفِ بِالمسجد الجامع؛ وَكَانَ مَلِكُ الرُّومِ بَعَثَ بِهَا إِلَى الخليفة الحَكَم. وَكَانَ الحَكَمُ قَدْ كَتَبَ لَهُ فِي ذَلِكَ. وَأَمَرَهُ بِتَوْجِيهِ صَاحِبِهَا إِلَيْهِ. اقْتَدَاهُ بِمَا فَعَلَهُ الوالِدُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ فِي بُيُوتِ مَسْجِدِ دِمَشْقَ؛ فَرَجَعَ وَقَدْ الحَكَمُ بِالصَّانِعِ، وَمَعَهُ مِنَ النُّسَيْفِ ثَلَاثَانِ عَشْرُونَ قَنَاطَرًا، بَعَثَ بِهَا مَلِكُ الرُّومِ هَدِيَّةً؛ فَأَمَرَ الحَكَمُ بِإِنزَالِ الصَّانِعِ، وَالتَّوَسُّعِ عَلَيْهِ، وَرَتَّبَ مَعَهُ جَمَلَةً مِنَ

مَمَالِكُهُ لِنَعْلَمِ الصَّنَاعَةَ؛ فَوَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ مَعَهُ فِي النُّسَيْفِيَّاتِ المَجْلُوبَةِ، وَصَارُوا
 بِعَمَلِهِ مَعَهُ؛ فَأَبْدَعُوا، وَأَزْبَنُوا عَلَيْهِ، وَاسْتَمَرُّوا بَعْدَ ذَلِكَ مُتَّفِرِدِينَ دُونَ الصَّانِعِ
 الْقَادِمِ، إِذْ صَدَرَ رَاجِعًا عِنْدَ الاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ، بَعْدَ أَنْ أَجْزَلَ لَهُ الْمُسْتَنْصِرُ الصِّلَةَ
 وَالْكِسْوَةَ. وَتَدَاعَى إِلَى هَذِهِ الْبِنْيَةِ كُلُّ صَانِعٍ حَازِقٍ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ. وَرَكِبَ
 الْحَكَمَ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ فِي الْعَشْرِ الْوَسْطِ لِسُؤَالِ مِنَ الزَّهْرَاءِ إِلَى الْجَامِعِ، وَدَخَلَ،
 وَنَظَرَ إِلَى الزِّيَادَةِ وَمَا تَمَّ فِيهَا، وَأَمَرَ بِإِقْلَاعِ السَّوَارِي الأَرْبَعِ الَّتِي كَانَتْ فِي
 عِضَادَةِ الْمِحْرَابِ الْقَدِيمِ الْفَائِزَةِ الَّتِي لَا تُظَاهِرُ لَهَا. وَصِيَانَتَهَا إِلَى أَنْ يُوضَعَ فِي
 الْمِحْرَابِ الْجَدِيدِ عِنْدَ إِفْنَانِ إِحْكَامِهِ وَإِكْمَالِهِ.

وَفِي سَنَةِ ٢٥٥، فِي الْمَحْرَمِ، أَمَرَ بِوَضْعِ الْبَيْتْرِ الْقَدِيمِ إِلَى جَانِبِ الْمِحْرَابِ،
 وَأَصَبَ الْمَنْصُورَةَ الْقَدِيمَةَ. وَأُصِيبَ فِي قِبْلَةِ هَذِهِ الزِّيَادَةِ مَقْصُورَةٌ مِنَ الْخَشَبِ،
 مَنقُوشَةٌ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، مُشْرِفَةٌ الذَّرْوَةُ، طَوَّلُهَا خَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَعَرْضُهَا
 اثْنَانِ وَعِشْرُونَ ذِرَاعًا. وَعُلُوُّهَا إِلَى الشَّرَفَاتِ ثَمَانِيَةَ أَذْرُعٍ. وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ هَذِهِ
 الزِّيَادَةِ وَأَصَبَ الْمَنْصُورَةَ فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ.

وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ لثَمَانِ خَلْوَنَ مِنْهُ. قُرِئَ كِتَابُ فَتْحٍ مِنْ قِبَلِ سَعَادَةِ الْجَعْفَرِيِّ.
 الْقَائِدِ بِمَدِينَةِ الْفَرَجِ، يَذْكُرُ مَا فَتَحَ اللَّهُ لَهُ وَأُتِيحَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ الْمُشْرِكِينَ.
 وَفِي يَوْمِ الأَرْبَعَاءِ لِأَرْبَعِ خَلْوَنَ مِنْ رَيْبِ الأَوَّلِ مِنْهَا، نَفَذَتْ الْكُتُبُ إِلَى
 عَمَّالِ الثُّغُرِ الأَدْنَى وَالْأَقْصَى فِي أَرْبَاعِ الخَيْلِ، وَالنَّكَثِيرِ مِنْهَا، وَجَوْدَةِ الْقِيَامِ عَلَيْهَا
 إِيمَانًا يَوْمَلُ مِنَ الْجِهَادِ بِعَوْنِ اللَّهِ.

وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ لثَلَاثِ خَلْوَنَ مِنْهُ، قُرِئَ بِقُرْطُبَةَ وَالزَّهْرَاءِ كِتَابُ فَتْحٍ وَرَدَ
 مِنْ قِبَلِ الْوَزِيرِ بَجْبِي بْنِ هَاشِمٍ، وَكِتَابُ فَتْحٍ وَرَدَ مِنْ قِبَلِ سَعْدِ الْجَعْفَرِيِّ، وَكِتَابُ
 فَتْحٍ وَرَدَ مِنْ قِبَلِ حَرِيْزِ بْنِ هَابِلٍ، يَذْكُرُونَ مَا مَنَحَهُمُ اللَّهُ وَفَتَحَ عَلَى أَيْدِيهِمْ
 مِنْ قِبَلِ أَعْدَاءِ اللَّهِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ نَهَضَ إِلَى مَا قَبْلَهُ مِنْ بِلَادِهِمْ،
 فَفَتَلَ وَسَبَى؛ وَكَتَسَحَ وَأَشْجَى، وَانصَرَفَ سَالِمًا غَانِمًا.

وَفِي أَوَّلِ رَجَبٍ مِنْهَا، وَرَدَ كِتَابٌ مِنْ قَصْرِ أَبِي دَارِسٍ عَلَى الْمُسْتَنْصِرِ

بالله، يذكر فيه ظهور أسطول المجوس ببحر الغرب بقرب من هذا المكان، واضطراب أهل ذلك الساحل كله لذلك، لتقدم عادتهم بطروق الأندلس من قبله فبا سلف؛ وكانوا في ثمانية وعشرين مركباً؛ ثم * برادفت الكُتُب من تلك ١٠٥٥ السواحل بأخبارهم، وأنهم قد أضروا بها، ووصلوا الى تسيط أشونة. فخرج إليهم المسلمون، ودارت بينهم حرب، استشهد فيها من المسلمين وقتل فيها من الكافرين. وخرجت أسطول إشبيلية؛ فافتحموا عليهم بوادي شأب، وحطموا عدة من مراكبهم، واستنفذوا من كان فيها من المسلمين. وقتلوا جملة من المشركين. وانهزموا إثر ذلك خاسرين. ولم تنزل أخبار المجوس تصل الى قرطبة في كل وقت من ساحل الغرب. الى أن صرفهم الله تعالى.

وفيها، أغزى الحكمُ الفائد غالباً؛ ففتح الله له في المشركين، وانصرف سالماً غانماً.

وفيها، أمر الحكم لابن فطيس بإقامة الأسطول بنهر قرطبة. واتخاذ المراكب فيها على هيئة مراكب المجوس (أهلكهم الله) تأملاً لركوبهم إليها.

وفي سنة ٢٥٦. عهد الخليفة الحكم بخطابة العمال كور الأندلس. يُعنفهم على جرأتهم ويحذرهم من سطوته وعفوته، إذ اتصل به أن بعضهم قد استزادوا زيادات فاحشات يُعاملون بها الرعية ظلماً لهم؛ فانكر ذلك عليهم.

وفيها، كانت غزوات للمسلمين انجلت عن هزائم للمشركين.

وفيها، ولي أمير المؤمنين الحكم محمد بن عبد الله بن أبي عامر (الذي رأس بعد وتلقب بالمنصور^١) وكالة أبي الوليد هشام بن الحكم، وفوض إليه في جميع شؤونه؛ فتحركت حاله في الدولة.

وفي النصف من شوال، فقد الخليفة الحكم على السرير بالزهراء فعوداً بهياً احتفل فيه، وأوصل الى نفسه رسولين وصلاً من أمراء الغرب الإدارية؛

1-1) Manque dans B. Il s'agit d'une glose d'un copiste.

فأوصلا كتبهم، يذكرون أنهم على محبة صادقة ومودة مُسْتَحْكِمَةٌ مع التزامهم
الطاعة واعتقادهم للولاية؛ فأدنى رسوالتهم، وألطف جوابيهما.

وفي يوم الجمعة لأربع بقين من شوال، قُرِيَ كتاب فَتَحَ ورد من قِبل
الفائد غالب، يذكر ما هبَّ الله له في كَفَرَةٍ قَشْتِيلَةٍ من القتل والأسر؛ * فسرَّ
الخليفة بذلك ودخلت الرووس قُرْطُبَةَ.

وفي يوم السبت بعد، أنفذ الخليفة الحكم كُتِبَهُ إلى الفؤاد والعمال بأقطار
ملكته، بإنكار ما أتصل به من أن بعضهم سفك دماء بعض بلا عهد ولا
مشورة، وأن ذلك عَظُمَ عنده، وتبرأ إلى الله من أقدم عليه.

وفيها، أُجْرِيَ الماء إلى سقايات الجامع والبيضاتين اللتين مع جانيه: شَرْفِيَّةَ
وغَرْبِيَّةَ، ماءً عَذْبًا جلبه من عين جبل قرطبة، خرق له الأرض، وأجراه في قناة
من حجر مُتَفَنَةِ البناء، مُحْكَمَةَ الهندسة، أودع جوفها أنابيب الرصاص لتحتفظه
من كل دَس. وأبتدئ جَرِي الماء من يوم الجمعة لعشر خلونَ لصف من السنة؛
وفي جَرِي الماء إلى قرطبة يقول محمد بن شُحَيْص في قصيدة له، منها [بسيط]:

وقد خرقت بطون الأرض عن نطفٍ من أعذب الماء نحو البيت تجربها
طهرت الجسوم إذا زالت طهارتها ربي القلوب إذا حرّت صوابها
قرئت فخرًا بأجر قل ما أفتننا في أمّة أنت راعيتها وحامياها

وابنى بغربي الجامع دار الصدقة، اتخذها¹⁾ معهدًا لتفريق صدقاته²⁾ (رحمه
الله تعالى). ومن «مستحسنات أفعاله وطيبات» أعماله، اتخاذه الموديين
يعلمون أولاد الضعفاء والمساكين القرآن حوالى المسجد الجامع وبكل ربض
من أرباض قرطبة؛ وأجرى عليهم المربيات، وعهد إليهم في الاجتهاد والنصح،
انقضاء وجه الله العظيم؛ وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتبا، منها حوالى
المسجد الجامع ثلاثة، وباقيها في كل ربض من أرباض المدينة. وفي ذلك
قول ابن شُحَيْص [بسيط]:

محبّات B. - 3) الصدقة. 1) اتخذها B. 2) صدقاته.

وَسَاحَةُ الْمَسْجِدِ الْأَعْلَى مُكَلَّلَةٌ مَكَايِسًا لِلْبَيْتِ مِنْ تَوَاحِيهَا
لَوْ مُكِنْتَ سُورَ الْقُرْآنِ مِنْ كَلِمٍ بِأَدْنِكَ مَا خَبَرَ نَالِيهَا وَوَاعِيهَا

وَوُجِدَ بِحِطِّ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ: «أَيْدِي بُيَانِ الْجَامِعِ (صَانَهُ اللَّهُ)» يَوْمَ ٢٥٧ هـ
الْأَحَدِ لِأَرْبَعِ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ٢٥١، وَكَمُلَ سَنَةٌ ٢٥٥. وَبَلَغَتْ
الْبَقَّةُ فِيهِ إِلَى مَائَتِي أَلْفٍ وَأَحَدٍ وَسِتِّينَ أَلْفًا وَخَمْسِمِائَةَ وَسَبْعَةَ وَثَلَاثِينَ دَسَارًا
وَدِرْهَمًا وَنِصْفًا» (وَقَعَ «وَنِصْفٌ» فِي الْأَصْلِ الْمَقُولِ مِنْهُ هَذَا. وَقَالَ إِنَّهُ نَقَلَهُ
مُنْدَرِسًا، ثُمَّ إِنَّهُ نَعَرَفَ بَعْدَ ذَلِكَ صِحَّتَهُ مِنَ الثِّقَاتِ أَنَّ «وَنِصْفٌ» صَحِيحٌ،
وَكَذَلِكَ قَالَ وَقَعَ بِحِطِّ الْحَكَمِ - (رَحِمَهُ اللَّهُ).

وَفِي سَنَةِ ٢٥٧. فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، احْتَلَّ الْوَزِيرَانِ الْقَائِدَانِ
عَالِبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَعِيدُ بْنُ الْحَكَمِ الْجَعْفَرِيُّ بِجِيُوشِ الثَّغْرِ بِالصَّائِفَةِ عَلَى
حِصْنِ قَهْرَةَ، فَأَقَامَا بِسَاحَتِهِ مُدَّةً اسْتَظْهَرَا بِهَا عَلَى تَمْكِينِ بُيَانِ الْحِزَامِ فِيهِ
وَالزِّيَادَةِ فِي أَرْفَاعِ الْبُرْجِ الثَّامِنِ بِذُرُوبِهِ فَأَنْتَهَبَا مِنْ ذَلِكَ إِلَى الْإِرَادَةِ، وَقَفَلَا
بِالْعَسْكَرِ، وَقَدْ وَثَقَا لِلْحِصْنِ بِالْأُمَّتَةِ.

وَفِي سَنَةِ ٢٦٠، فِي مُحَرَّمٍ مِنْهَا، قَعَدَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ عَلَى السَّرِيرِ بِقَصْرِ
قُرْطَبَةَ عَلَى جَرِيِ الْعَادَةِ مِنَ الْإِحْتِفَالِ وَالزِّيْنَةِ؛ فَأَوْصَلَ إِلَى نَفْسِهِ عَيْسَى بْنُ مُحَمَّدٍ
وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَالِي وَحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رُؤَسُلَ بَنِي مُحَمَّدِ الْحُسَيْنِيِّينَ أُمَرَاءَ الْغَرْبِ؛
فَأَوْصَلُوا كِتَابَ مُرْسَلِيهِمْ، وَذَكَرُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ، وَطَلَبُوا بَعَثَهُ رُمَاءَ
نَفْوِيَّةٍ لَهُمْ لِمَا تَوَقَّعُونَهُ مِنْ حَرَكَةِ فَائِدِ مَعَدِّ الشَّبَعِيِّ نَحْوَهُمْ؛ وَنَقَرُوا بِإِهْدَاءِ خَيْلٍ
وَرِجَالٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ فَقَبِلَتْ مِنْهُمْ.

وَفِي صَدْرِ رَمَضَانَ مِنْهَا، وَقَعَ الْإِرْجَافُ بِنَحْرِكَ الْمَجُوسِ الْأَرْدُمَانِيِّينَ (اعْنَهُمُ
اللَّهُ)، وَظَهُورَهُمْ فِي الْبَحْرِ، وَرَوْمِهِمْ سَوَاحِلَ الْأَنْدَلُسِ الْغَرْبِيَّةِ عَلَى عَادَتِهِمْ؛ فَأَزْجَعَ
السُّلْطَانُ فَائِدَ الْبَحْرِ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَرِيَّةِ، وَالنَّاهِبُ لِرُكُوبِ الْأَسْطُولِ مِنْهَا إِلَى
إِشْبِيلِيَّةِ، وَجَمَعَ الْأَسَاطِيلَ كُلَّهَا لِلرُّكُوبِ إِلَى نَاحِيَةِ الْغَرْبِ.

• ذِكْرُ مَقْتَلِ زَيْرِي بْنِ مَنَادٍ، قَائِدِ الشَّيْبَعِيِّ عَلَى تَيْبَهْرَتِ . وفي يوم السبت،
 P. ٢٥٨ لائتني عشرة ليلة بقيت لشهر رمضان منها، ورد • الخبَرُ على المُسْتَنْصِرِ بالله بقتل
 زَيْرِي بْنِ مَنَادٍ عَامِلِ مَعَدِّ الشَّيْبَعِيِّ وَقَائِدِهِ عَلَى الْغَرْبِ، قَتَلَهُ جَعْفَرُ وَبِحَبِي ابْنَا عَلَى
 الْمَعْرُوفِ بَابِنِ الْأَنْدَلِسِيِّ، الْمُخَالِفَانِ عَلَى مَعَدِّ فِيمَنْ اسْتَظْهَرَا بِهِ عَلَيْهِ مِنْ زَنَانَةِ،
 وَجَدَّوهُ بِنَاحِيَةِ الْغَرْبِ فِي حَرْبِ دَارَتِ بَيْنَهُمْ شَهْدَهَا بَنُو خَزَرَ وَغَيْرُهُمْ مِنْ رُؤَسَاءِ
 الْقَبَائِلِ الْفَائِئِينَ عَلَى زَيْرِي بِدَعْوَةِ الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ؛ فَفُتِحَ لَهُمْ فِي قَتْلِهِ أَعْظَمُ
 الْفَتْوحِ . وَوَصَلَ عَلَى الْبَغْدَادِيِّ كَاتِبُ جَعْفَرِ الْمَذْكُورِ بِكِتَابِهِ إِلَى الْمُسْتَنْصِرِ وَذَكَرَ
 اهْتِجَاجَ الْحَرْبِ الْعَظِيمِ بَيْنَ أَهْلِ الدَّعْوَتَيْنِ بِالْغَرْبِ .

• ذِكْرُ ١) فِرَاقِ جَعْفَرِ بْنِ عَلَى الْمَعْرُوفِ بَابِنِ الْأَنْدَلِسِيِّ صَاحِبِ الْمَسِيلَةِ لِمَعَدِّ
 ابْنِ إِسْمَاعِيلِ الشَّيْبَعِيِّ صَاحِبِ إِفْرِيْقِيَّةَ، وَتَفَرُّقِهِ إِلَى الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ بِانْضِمَامِهِ إِلَى
 زَنَانَةِ الْمُتَحَاشِينَ إِلَى دَعْوَةِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَتَأَلُّبِ جَمَاعَتِهِمْ عَلَى زَيْرِي بْنِ مَنَادٍ
 الصِّتْهَاجِيِّ عَامِلِ مَعَدِّ الشَّيْبَعِيِّ عَلَى حَرْبِ بِلَادِ الْغَرْبِ وَقَتْلِهِمْ لَزَيْرِي عِنْدَ
 انْقِضَاؤِهِ عَلَيْهِمْ صَادًّا ٢) لَمْ عَنْ طَرِيفِهِمْ، مُتَّفَرِّقِينَ بِقَتْلِهِ إِلَى الْحَكَمِ . وَسَبَقَ
 جَعْفَرُ وَبِحَبِي أَخُوهُ وَذَوُوهُمَا بِالْعُبُورِ ٣) إِلَى الْأَنْدَلُسِ مُهْدِيَيْنِ ٤) رَأْسَ زَيْرِي، خَالِعَيْنِ
 لِلدَّعْوَةِ الشَّيْبَعِيَّةِ، مُتَّفَلِّدِينَ لِلدَّعْوَةِ الْأُمَوِيَّةِ الْجَمَاعِيَّةِ . فَكَانَ لَهَا فِي ذَلِكَ قَبُولٌ
 وَرِفْعَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الْخَلِيفَةِ .

وقد ذكر محمد بن يوسف الوراق خبرها؛ قال: وها أبنا علي بن حمدون؛
 وجدها الأكبر عبد الحميد كان الداخل إلى الأندلس من الشام، ونزل بكورة
 البيرة؛ ثم تنقل حفيده حمدون، جد جعفر هذا، إلى بجاية، وصحب أباه عبد الله
 الشيبعي الداعي، ودخل في مذهبه. فلما تغلب الشيبعي على إفريقية، ظهر علي بن
 حمدون؛ ثم ازداد ظهوراً في أيام عبيد الله المهدي وحظوة، وضمه إلى ابنه أبي
 القاسم وإلى عهد؛ فازداد حظوة لديه، وخرج معه إلى أرض الغرب؛ فأمره
 P. ٢٥٩ ببناء مدينة المسيلة، وولاه عليها؛ فبنى بها إلى أن هلك في فتنه أبي يزيد،

1) ذكر خبر A.

2) صاد A.

3) بالفوز B.

4) مقدمين B.

سقط من جُرف عالٍ، فاندقت يدها ورجلاه، سنة ٢٢٤. وتولى جعفر هذا ابنه المسيلة من بعده؛ فلم يزل متوالياً لها، رفيع المنزلة عند سلطانه، الى أن قتل محمد بن الخير بن خزر الزناني القائم بدعوة بني أمية زيري بن مناد؛ فخاف جعفر من صاحب إفريقية؛ فبادر الى الفرار بنفسه مع أخيه يحيى وجميع أهله وماله سنة ٢٢٦؛ فصار عند بني خزر أمراء زنانه؛ فشق جعفر الصحراء معهم قاصدين لزيري؛ فالتفوا معهم، ودارت بينهم حربٌ صعبةٌ انجالت عن قتل زيري وخلي من رجاله؛ واحتوى الزنانيون فيها على جميع عسكر زيري، وأدركوا ثأرهم منهم. ولما أن تم لأمر أمراء زنانه وجعفر بن علي ما أملاه من الفتح في عدوهم زيري بن مناد، بادر جعفر بمراسلة الحكم الى الأندلس، ملقياً بنفسه عليه، معنصفاً بدعوته؛ ثم أرسل اليه أخاه يحيى؛ ثم سار اليه بنفسه، فحُظيَ عنده.

قال ابن حمادة: وفي ربيع الآخر من سنة ٢٢٦، التقى يوسف بن زيري الصنهاجي، المشتهر اسمه بلقين، مع محمد بن الخير أمير زنانه؛ فهزمه بلقين ابن زيري، وقتل جماعة من أهله ورجاله. فلما أيقن محمد بن الخير أن عدوه قد أحاط به، انسكأ على سيفه، فذبح به نفسه، أنفةً من أن يلكه بلقين؛ فأتى بأمر عظيم سار ذكره بأرض الغرب. وملك بلقين بن زيري إثر ذلك الغرب، وقتل زنانه، وهدم مدينة البصرة^(١) وغيرها من مدن الغرب^(١)، ولم يئن عناناً عن مدينة سبتة؛ ومنها رجع، وإليها كان انتهأوه؛ وصدراً عاجزاً عنها.

وفي ذي القعدة منها، خاطب المستنصر بالله قواده وعماله بكور الأندلس

في استخدام كبارها وأعلام رجالها لمشاهدة دخول يحيى بن علي* بن حمدون^{P. ٢٦٠} وبني خزر أمراء زنانه القادمين برأس زيري بن مناد الصنهاجي قائد معد بن إسماعيل الشيعي وبرووس أعيان أصحابه. فلما كان يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة منها، خرج صاحب السكة والمواريث، وقاضي

1—1) Manque dans A.

إشيلية محمد بن أبي عامر لتلقى جعفر بن عليّ وبجبي أخيه، ومعه أربعة من
عناق الخيل وبغل أشهب، متفأة من دواب الخليفة. بسروج الخلافة وأجبتها،
ومعه الأخيبة الدياجية وغير ذلك. فاحتلّ ابن أبي عامر بالمرسى الذي خرج
فيه جعفر ومفرية من مائة. ثمّ وصل بعد ذلك للوافدين خيل وبغال من قبل
الخليفة، وهوايج وكسوات وعمارات ليعيال جعفر؛ ثمّ قدموا الى قرطبة بمرور
عظيم، واحتفال لدخولهم جسيم، حتى وصلا الخليفة. وقد ذكرت الشعراء شأن
فراق جعفر وأخيه بجبي لسلطانها معدّ بن إسماعيل ومسيرها الى الخليفة المحكم،
واعترافها بحقه فيما مدحت به الخليفة المحكم وأكثر في ذلك. وقال يوسف
ابن هارون [كامل]:

وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِغَفْلَةِ الْمُسْتَنْصِرِ إِذْ أَكْثَفَ الْجَيْشَ اللَّهُامَ إِجْعَفِرِ
وَلَوْ أَنَّ مِنْ أَهْوَاهُ أْبْرَزَ وَجْهَهُ قَامَتْ لَوَاحِظُهُ مَقَامَ الْعَسْكَرِ

وفي يوم السبت لليتين بقينا من ذى النعدة منها، جلس الخليفة المحكم
فوق السرير جلوساً بهياً، وأوصل الى نفسه أجناد الكور ووجوه أهلها، الذين
استدعاهم لمشاهدة جعفر بن عليّ ومن أتى معه من أمراء زناتة، وأمرهم
بالانصراف الى بلادهم؛ فانصرف جند دمشق، وهم أهل البيرة، وجند حصص،
وهم أهل كورة إشيلية، وجند قنشرين، وهم أهل جيان، وجند فلسطين،
وهم أهل شدونة، وغير هؤلاء.

وفي سنة ٢٦١، هاجت بالغرب حروب مع حسن بن قنون الحسيني وقواد
الحكم المستنصر بالله.

بعض أخبار حسن بن قنون الحسيني أمير الغرب مع قواد الأندلس في هذه
السنة. كان المستنصر بالله دعا محمد بن قاسم الناظر في الحشم، وأمره بالخروج
الى مدينة سيّنة في رمضان من هذه السنة. فائداً على من يرضه إليه من طوائف
الأجناد، للذي بدا من نقض حسن بن قنون، وانحرافه الى دعوة معدّ صاحب

إفريقية واستدعائه من دنا منه من أحزابه، مسنعيًا بهم فيما اعترم عبيد من
تفاقه على الحَكَم، وإعلانه بإيقاع الدُّعاء الشيعيَّ معدَّ على منابر عمَلِه. فأوصى
الحَكَم قائده محمد بن قاسم باستعماله جدّه وجهده في مُغاورة¹ ابن قنُون،
وَأَمْرُه، إِنْ أَظْهَرَ اللهُ تَعَالَى، أَنْ يَأْخُذَ بِالْعَفْوِ وَالصَّنْحِ، وَإِصْلَاحِ الْمَلَادِ.
وإسنصلاح الرعيّة؛ وأمره أَنْ يَسْتَعِينَ بِمَنْ دَخَلَ فِي الطَّاعَةِ الْأُمَوِيَّةِ. فَكَانَ عُبُورُهُ
الْبَحْرَ إِلَى سَبْتَةَ لِأَحَدِي عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ سُؤَالِ مَنَاهَا؛ وَنِكَامَاتِ الْجِيُوشِ وَالْأَسَاطِيلِ
بِسَبْتَةَ. وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ لِأَرْبَعِ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ وَرَدَ كِتَابٌ عَلَى الْمُسْتَنْصِرِ
بِاللهِ يَفْتَحُ طَنْجَةَ، فَتَحَهَا قَائِدُهُ عَلَى الْبَحْرِ عَبْدِ اللهِ بْنِ رُمَاحِسٍ². يَذْكَرُ أَنَّهُ نَازَلَهَا
بِالْأَسْطُولِ غُرَّةَ ذِي قَعْدَةِ، وَدَعَا أَهْلَهَا إِلَى الطَّاعَةِ وَالْعَوْدِ إِلَى الْجَمَاعَةِ؛ فَاسْأَلُوا
الرَّدَّ عَلَيْهِ؛ وَكَانَ حَسَنُ بْنُ قُنُونٍ دَاخِلَهَا يَشُدُّ عَزَائِمَهُمْ؛ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْخَمِيسِ،
خَرَجَ حَسَنٌ لِقِتَالِ الْعَسْكَرِ الْخَارِجِ إِلَيْهِ مِنْ سَبْتَةَ³ إِلَى رِطَّائُونَ⁴. وَبَرَزَ مِنْ طَنْجَةَ
عَدَدًا كَثِيرًا مِنْ جُنْدِ الْغُرَبِيِّينَ وَأَنْصَارِهِ؛ فَانْهَزَمُوا أَمَامَ جَيْشِ الْحَكَم. وَوَلَّوْا
مُدِيرِينَ؛ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ حَسَنٌ، فَسَّرَ هَارِبًا فِي خَاصَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، لَا يَلُوحِي
عَلَى أَحَدٍ، وَلَمْ يَعْزِجْ عَلَى مَا كَانَ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ بِطَنْجَةَ مِنْ أَمْوَالٍ وَأَخِيَّةٍ وَأَمْنَعَةٍ؛
فَلَمَّا أَمْعَنَ فِي فِرَارِهِ، وَأَسْلَمَ أَهْلَ طَنْجَةَ، خَرَجَ شَيْخُهُمُ ابْنُ الْفَاضِلِ إِلَى الْفَائِدِ
ابْنِ رُمَاحِسٍ مَعَ جَمَاعَةٍ وَجُوهٍ طَنْجَةَ، وَهُمْ يَبَادُونَ «الطَّاعَةَ لِلَّهِ وَالْأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ» P. ٢٦٢
الْحَكَمَ، ثُمَّ نَقَدَمَ ابْنُ الْفَاضِلِ إِلَى الْفَائِدِ رُمَاحِسٍ وَطَلَبَ مِنْهُ الْأَمَانَ لِأَهْلِ
بَلَدِهِ؛ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَدَخَلَ طَنْجَةَ، وَنَهَبَ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ حَسَنِ بْنِ قُنُونٍ وَأَصْحَابِهِ؛
وَأَنْفَذَ الْفَائِدُ كِتَابَهُ بِالنَّتْحِ إِلَى الْخَلِيفَةِ.

وورد كتاب الفائد محمد بن قاسم على المُسْتَنْصِرِ بالله لتسع بقين من ذى
القعدة، يذكر أنه التقى مع حسن بن قنُون؛ فدارت بينهما حرب شديدة، أَجَلَتْ
عن هزيمته، وقتل كثير من شيعته؛ وفرّ فيهن بقي معه إلى جبل حصين؛ فتبعه

1) B. محاورته

2) A. B. رُمَاحِيف. Il s'agit de l'amiral Ibn Rumaahis, bien

connu par ailleurs.

3) 3. Manque dans B.

المجدد، وانفضوا عليه؛ فدارت بينهم حرب بسيرة؛ ثم انهزم أيضاً، وخلف أنفاله، وفر، لا يلوى على شيء؛ فصار الجبل بأيدي المجدد، ونهبوا ما فيه؛ ثم نهضوا في اليوم الثاني الى مدينة دأول¹؛ ففتحها الله لهم. ولحق بهم القائد محمد بن قاسم في العسكر؛ ففصد مدينة آصيّلاً، فدخلها؛ ودخل القائد الى جامعها، فوجد فيه منبراً جديداً موسوماً باسم الشيعي معد بن إسماعيل؛ فأمر بإحراقه بالنار، بعد أن خلع من أعلاه اللوح المنقوش فيه اسم معد، وكان فيه من الغلو ما في ذكره أمر كبير؛ فأمر باقتلعه، وأرسله مع كتاب الفتح الى المستنصر. وانصرف العسكر الى مدينة دأول؛ فأمر بهدم أسوارها، وتضرم بيوتها ناراً، ونزكها عيرة. واستولى العسكر على ما كان بها، واستوسعوا في أطعمتها وما ترك فيها حسن المذكور.

وفي سنة ٢٦٢، قتل القائد محمد بن قاسم بنحس مهراً على يد حسن ابن قنون، يوم الأحد لسبع بقين من ربيع الأول؛ وقتل في ذلك اليوم جملة من المجدد الذين كانوا معه نحو الخمسمائة من الفرسان الأبطال² الأندلسيين الأتجاد، ومن رجالهم نحو الألف.

وفي غرة جمادى الآخرة، دخل الى قرطبة جمع من مضمودة من كان مع حسن بن قنون، وهم سبعون رجلاً، نزعوا الى الطاعة.

وفيها، استدعى المستنصر بالله غالب بن عبد الرحمن، وأمره بحرب حسن ابن قنون الحسيني عندما تفاقم أمره، وقتل المجدد. وورد على المستنصر بالله كتاب فتح من قبل القواد بمدينة آصيّلاً، أنهم التفلوا مع حسن بن قنون، فدارت بينهم حرب شديدة انهزم فيها حسن وقتل كثير من حماته. وقدم الى قرطبة حنون بن إدريس صاحب مدينة العدو الأندلسية من فاس، ورسول عبد

1) Vocalisé dans B. C'est sans doute le Zolol de Bakri.

2) Manque dans A.

الكریم صاحب مدينة القرویین من فاس، یرغبان فی طاعة أمير المؤمنين
 المُستنصر، والقیام بدعوته؛ فكَرَّم رسولهما، وأجل موعودهما.
 وفي شعبان منها، خوطب القائدُ غالبٌ بأنه بُعثَ إليه بعشرة آلاف دينار
 لِصِلات الخارجین إليه من أصحابِ حَسَن بن قَنُون، بُوزَّعها عليهم بحسب
 مفادیرهم؛ وقرنَ بها من فاخر الكسوة والسبوف المجلَّاة عددٌ كثيرٌ للخلع عليهم.
 وفيها، أرسل المُستنصر بالله الوزير بجي بن محمد النجیبی الى الغرب
 بعسکرٍ، مددًا للقائد غالب، وجامعاً لید معه على الخالع للطاعة حَسَن بن قَنُون؛
 فكان ذلك في خبر طويل.

وفي أواخر ذی القعدة، ورد على المُستنصر كتابُ القائد غالب بذكرُ صنع
 الله تعالى في افتتاحه حصن الكوم، وهرب المخدول عنه حَسَن بن قَنُون مع
 صهره صاحب البصرة علي بن خلوف وغيرها.

وفي منتصف ذی الحجة، ورد كتاب صاحب الشرطة، قاضي القضاة
 بالغرب محمد بن أبي عامر، يذكرُ تعييدَ الناس يوم الخميس، وقيامَ الخطبة في
 المُصلَّيات هنالك للمُستنصر بالله، وسرورَ المسلمين بذلك. وابتهاجهم به.

وفيها، كانت حروبٌ مع الحسنيين يطول ذكُرها، انجأت عن مقتل خلق
 كثير من * أصحاب حَسَن بن قَنُون الحسني؛ وحزَّ من رؤوس مشاهيرهم مائة ٢٦٢.
 رأس؛ وترك أكثرهم صريعاً. وقُتِل في الهزيمة محمد بن ابي العيش الكُتامي^١
 وكان من حَسَن محلَّ أخيه تارةً ومحلَّ أبيه تارةً أخرى.

وفي سنة ٢٦٢، افتتح غالبٌ، قائدُ الحَكَم المُستنصر بالله، مدينة البصرة
 التي كان انتزى فيها محمد بن حنُون الحسني، وذلك أن أهل البلد قاموا عليه.
 وقتلوا نائبه وخليفته عليهم، وابتدروا لمخاطبة القائد غالب. يستجلبونه إليهم؛
 فوصلهم، وملك المدينة، وخاطب الخليفة بخبرها، وأدرج كتاب أهلها طيِّ
 كتابه.

وفي يوم الخميس منصرف سنه. ورد كتاب غالب على المنصر. يذكر
منصرفه عن يد نصرة وأخذ رقبته. وذكر أنه قد صار إلى الطاعة جميع
هل القرب وعمه فدان بزر. وم يوق فيه شبر لحسن حسن بن قون. وأنه
قد صار من عبق مرة في غمة. ووصل أهل بصرة إلى قرطبة تدفعين
لأمير حسن. تدخين في الطاعة.

وفيها. ورد خبر أن رعي المنصر من يد حسن بن قون الحسني.
ودخوله في صاعته؛ فنهى خبيثة؛ صلاة الجمعة منسوخ جودي الآخرة؛ فنقد
بجمع فرصة. وأعم بوزر؛ بحضور حسن بن قون استرى عليه بالقرب. وأنه
ورد عليه كتاب غالب ذلك. وأنه بوجه إليه من عيسى بن حسن المذكور.
وأن الخصة ذمت بدعوه في قعة حجر الأثر؛ وسبب بوزر؛ وهنؤه. وغبصوه
وأعسوا بشكرته تعالى وأساءه لخبيثة؛ وأصل في ذلك.

وفي سنة ٢٦٤. قدم على المنصر فائده غالب بن عبد الرحمن قافلاً من
عدوة القرب. ومعه حسن بن قون وشيعته نو إدريس الحسبيون موك القرب.
P. 270 المنصر من معارفهم في الأثر. ^١ من خبيثة المنصر بكون. وأسمه
حمد بن عيسى. صاحب مدينة الأفلام وما ولاء؛ ومعه إخوته وبنو عمه ونوم
وفسوم؛ فأمر بحمال هؤلاء الأشراف من حمة. في ظلام ليلة الخميس لأربع
خون من الحرم. في الثور التي خبيثه في قرطبة؛ فأرسل القوم معهم يتفاهم
من رقباتهم وموتهم. حتى ^٢ دهم إلى - الثور المعلقة لهم. بعد أن فرشت
بجانبها بشيء بطول ذكره.

وفيها. كان احتلال خبيثة لحكم. في ربيع الأول؛ واحتجب عن جميع
ملك إلى أن تخلف وصيه. وظهر خاصته يوم الجمعة ليلة نيت من ربيع الآخر
منه. وفي غيب ربيع المذكور. أغتق لحكم نحو من مائة رقة من عيد؛ له

١) Manque dans A. ٢) دهم E. 2-2

فيه لبعضهم¹ نديير، ولباقهم² عتق بئلي وموجل، خلص به جميعهم من الرق، وعقدت بذلك وثائق. فكان أول من أوقع شهادته فيها أبو الوليد هشام بن الحكم، ثم النفاها أهل الثوري. ثم العدول.
وفيهما، حبس الحكم حوايت السراحين بقرطبة على المعتبين لأولاد الضعفاء.

وفيهما، أسقط الحكم سدس جميع المغارم عن الرعايا بجميع كور الأندلس، شكرًا لله على أنظاره له.
وفيهما، كان جيشان العدو - خذاه الله - ومنازلته بعض حصون المسلمين.
وفيهما، كان الظفر بأبي الأحوص معن بن عمدة العزيز النجيبى، فقبض عليه رشيق، وبعثه مكولاً إلى قرطبة مع عشرة من أصحابه، وكان يظاهر المشركين ويدلهم على عورات المسلمين، فأخذ الله.

وفي سنة ٢٦٥، خرج من قرطبة جعفر وبجي. ابنا علي بن حمور بن الأندلسى، فائتدبن إلى الغرب من العدو، وبين أيديهما الألوثة والطول مدينتين³ للوزير بجي بن محمد بن هاشم.

وفيهما، كان الإعلان ببيعة أبي الوليد هشام بن الحكم، وأن يؤخذ له من الخاصة والعامة بقرطبة وسائر كور الأندلس، وما إلى طاعته من بلاد⁴ الغرب. وذكره في الخطبة على المنابر في الجمعة والأعياد. وذلك مستهل جمادى الآخرة: فقد أمير المؤمنين الحكم بقصره. وافتتح الكلام بما عزم عليه من تنفيذ آتبه عهد الخليفة من بعده، فالتزمت بيعة، وأخرجت نظائر من كتب البيعة ليوقع شهادته ككل من التزمها، وبولى إعطاءها للناس على مراتب المنصور محمد بن أبي عامر، وهو يومئذ صاحب الشرطة والنوارث، وميسور النتي الجعفرى الكاسب.

١. مزملين. ٢. مزملين. ٣. شاجم. ٤. بعضهم.

وفيها . خرج الوزير يحيى بن محمد بن هاشم قائداً الى سرقسطة . وبين
يديه الطبول والبود .

وفيها ، نفذ عهد الحكم الى الوزير صاحب المدينة جعفر بن عثمان المصطفى
بإطلاق أبي الأحوص النجيبى من سجن المطبق مع أصحابه ، فصنح الحكم عنهم .

وفي سنة ٢٦٦ . بوئى أبو عبيد البغدائى . صاحب النوادر ، المعروف بالفالى ،
منسوب الى قالى قلا من ديار المشرق .

وفيها . مات محمد بن يحيى النحوى . وهو مروان الأديب المرادى . وعهد
الملك بن سعيد ، فكانت تسبى سنة الأذى .

وكل بناء المسجد سنة ٦٥ . كان أمير الذى صنع الحكم منخلًا من
عود الصندل الأحمر والأصفر والأوس والعاج والعود اليبس . قام على الحكم
ارحمه الله بحمسة وثلاثين ألف دينار وسبعائة دينار وخمسة دنانير . وكان
نائه فى خمسة أعوام .

ووجد بخط المصنف بالله تاريخ وفاة قاضيه وقاضى أبيه أمير بن سعيد
البيلوطى . وانه بوئى يوم الخميس لليثين بقينا من ذى قعدة من سنة ٥٥ . وكان
ولده سنة ٢١٢ . فكان عمره اثني وثمانين سنة . وكان فى هذا القاضى أمير
دعابة يعرض بها وتعرض له بها ، فكانت اليه قوم من أهل المهجاة
والشرف اخيف :

قل لقاضى الجماعة البيلوطى ما ترى فى خريدة كالخوط
ناكها لشواب قوم ظراف هل ترى سيدي هذا من سقوط

فوقع لهم فى كتابهم : « لا مُتَرَدَّة » . فقال له من حضر : « ما هذا ؟ » .
فقال : « أردت لا أرى ذلك » . فقالوا : « لا سُنَّهم عنك إلا غيرهُ » .
فقال : « كلُّ جواب على مُعْتَقِدِهِ » ! . فكان له (رحمه الله) نوادر مستحسنة ،
وغرائب مستملحة .

ذِكْرُ اتِّصَالِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ بِخِدْمَةِ الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ

قال بعض المؤرخين: كان اتصال ابن أبي عامر بالحكم، فيما حدثني به ابن حسين الكاتب والأديب أبو إسحاق بن محمد الأفلبي وغيرهما من المشيخة أن الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي، القائم بدولة الحكم، خلا في بعض الأيام بالفاضي محمد بن إسحاق بن السليم؛ فشكا إليه ابن السليم شجوه محمد بن أبي عامر ووصف له حاله. فلما طلب الحكم له وكيلاً لوله عبد الرحمن الدارج في حياته، ذكر له جعفر ابن أبي عامر بخير، ووصف لأم عبد الرحمن جماعة اختارت منهم ابن أبي عامر، وذلك باختيار جعفر له؛ فنصبه الحكم لخدمتها وخدمتها ابنها عبد الرحمن.

فلما مات عبد الرحمن، بقي في خدمة أمه السيدة، وكانت قد ولدت هشام بن الحكم؛ فصرف ابن أبي عامر إوكالته. وكان تقدمه أولاً لوكالة الوالد عبد الرحمن يوم السبت لتسع خلون من ربيع الأول سنة ٢٥٦؛ وأجرى عليه في ذلك الوقت خمسة عشر ديناراً في الشهر مرتباً بالوازنة. فبدأ من نصحه وحسن نظره ما عرف له؛ ثم استأثر الله بعبد الرحمن؛ فصرف إلى وكالة هشام. يوم الأربعاء لأربع خلون لرمضان سنة ٢٥٩. وكان قد تقدم للنظر في أمارة دار السكة يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت لشوال من سنة ٥٦. كانت ولايته أولاً لوكالة، وأضاف له الخزانة؛ ثم قدمه على خطة الموارث * يوم ٢٦١ P. الخميس لسبع خلون من المحرم سنة ٢٥٨. واستقضاه على كورة إشبيلية وأبيلة وأعمالها يوم الأربعاء لإثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٥٨ المذكورة. وفي سنة ٢٦١، قدم الحكم المستنصر بالله محمد بن أبي عامر على الشرطة الوسطى في جمادى الآخرة، وأهاب به إلى الأمانات بالعدوة؛ فاستصلحها واستمال أهلها؛ وجعله قاضي القضاة بالغرب من العدوة، وأمر عماله وقواده ألا ينفذوا شيئاً دونه، إلا بمشورته؛ ثم أضاف إليه الحكم النظر في الحشم، وهو في عائلته التي مات فيها بالفالج.

وقيل أيضاً إنَّ سَبَبَ ظَهْرِهِ كَانَ خِدْمَتَهُ لِلسَّيِّدَةِ صُبْحَ البَشْكِيَّةِ، أَمَّ
 عبد الرحمن وهشام؛ فكانت أقوى أسبابه في سبيل الملك عما قيل إليه؛
 فإنه استمال هذه المرأة بحسن الخِدمَةِ، ومُوافَقَةِ المَسْرَةِ، وسَعَةِ البَدَلِ في باب
 الإتحاف والمهاداة، حتى استهواها، وغاب على قلبها؛ وكانت الغالبة على مولاها،
 وابن أبي عامر يجهد في برِّها والمُثابرة على مُلاطفتها؛ فيبدع في ذلك، وبأبيها
 بأشياء لم يُعهد مثلها. حتى لقد صاع لها قَصْرًا من فضة وقت ولانته السكنة،
 عَمِلَ فيه مَدَّةً. وأفق فيه مالا جسيماً، فجاء بدبعا، لم ير العيون أعجب منه؛
 وحيل ظاهر الأعين الناس من دار ابن أبي عامر. وشاهد الناس منه منظر
 بدبعا، لم ير العيون أعجب منه؛ وتحدث الناس بشأه ذمراً. ووقع من قلب
 المرأة موقفاً لا شيء فوقه؛ فتزادت في برِّه، وتكففت بشأه، حتى تحدث
 الناس بتغفها به. وقال الحكمم يوماً لبعض تقائه: «ما الذي استغف به هذا
 التي حرمتنا حتى ملك قلوبهن، مع اجتماع زخرف الدنيا عندهن. حتى يصرن لا
 يصفن إلا هداؤاً، ولا يرضين إلا ما أناه؛ إنه ساحر عليم، أو خادم لبيت!»
 ١١٢٦٩ وإلى لحائف على ما بيده؛ «تم سعي به إلى الحكمم، وقيل عنه إنه قد أسرع في
 إيلاف مال السكنة الموقوف قلبه؛ فأمره الحكمم بإحضاره ليشاره سلامته؛
 فأظهِر الإسراع إلى ذلك. وقد استهلك جملة من الأموال؛ فألقى نفسه في
 حبرها على الوزير ابن حُدْرٍ في إسلافه إياها؛ وكان صدقاً له؛ فياسره فيه.
 وحمل المال إليه من وقته؛ فتم به ما قبته، وارتفعت الظنة عنه؛ فأكد
 الحكمم ما رُفِعَ إليه عنه، وازداد عجباً به. وقره على حاله؛ فرد ابن أبي عامر
 المال لابن حُدْرٍ من حينه، وأصق بالحكمم، وصار في عداد كفاه
 واشتغل قلب الحكمم، آخر أيامه، بأمر العدو ومن جرده إليها من عساكره
 لحرب الأدارسة وغيرهم، واغتم إياها خرج من يدك في ذلك الوجه من الأموال.

1. Manque dans A. 2. Manque dans A. 3. Manque dans A.

4. وقع A. 5. أثاره حرد B. 6. كبراً عن A. 7. روى في A.

فقلد ابن أبي عامر قضاء القضاة بالغرب، وجعله عيناً على العسكر، وأوعز إليه في مهامه؛ فسار ابن أبي عامر الى هالك؛ فحيدت سيرته^١، وصحب حينئذ وجوه العسكر وأشياخ القبائل وملوكهم؛ فكانت تلك الحركة أول ظهوره، وبعد رجوعه منها، لم نزل يزداد نبلاً، ويرقى منزلة، وهو مع ذلك كله يفتدو إلى دار جعفر بن عثمان المصحفي وزير الدولة وبروح، ويختص به. ويدعى نصيحته.

وفي سنة ٢٦٦، توفي الحكم المستنصر بالله بعد اتصال عنته؛ وجعفر بن عثمان بدبراً سلطاناً إلى حين وفاته، ليلة الأحد لثلاث خلون لرمضان من السنة المورخة.

خلافة هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر والدولة العامرية

نسبه: تقدم في خلافة أبيه وجده^٢. كنيته: أبو الوليد. لقبه: الموبد بالله. أمه: صبح البشكنسية. أمٌ ولد. وكان سيدها الحكم بسببها^٣ جعفر، وكانت P. ٢٧٠ مغيبة^٤ حضية عهد. وتوفيت في خلافة ابنها هشام. يوبع له يوم الإثنين لأربع خلون من صفر سنة ٦٦ بعهد من أبيه. وهو ابن إحدى عشرة سنة وثمانية أشهر؛ وخلع يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة، سنة ٢٩٩؛ فكانت خلافته الأولى، الى أن قامت الفتنة، ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام. وفي الخلافة الثانية سنتين وعشرة أشهر؛ الجبيع الذي كمل له في المرتين ستة وثلاثون سنة وشهران وعشرة أيام. صفته: أبيض، أشهل، أعين، خفيف العارضين، إحيته الى الحمرة، حسن الجسم، قصير الساقين، مائل الى العبادة والانقباض، مقبل على تلاوة القرآن ودرس العلوم، كثير الصدقات على أهل الستر من الضعفاء والمساكين.

1) آثاره. 2) يدبر. 3-3) Manque dans B. 4) Manque dans B.

فُضَّاهُ: مُحَمَّدُ بْنُ السَّلِيمِ، أَلْفَاهُ فَاضِيًا لِأَبِيهِ فَأَفَرَّهُ عَلَى وِلَايَتِهِ؛ ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ
ابن زَرْبٍ؛ ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ بَجْبِي النَّبَسِيِّ عُرِفَ بِابْنِ بَرْطَالٍ، وَغَيْرُهُمْ.
نَفْسُ خَاتِمِهِ: «هشام بن الحكم، بالله يَعْتَصِمُ». وَتَوَلَّى عَقْدَ الشَّهَادَةِ عَلَى
النَّاسِ فِي الْبَيْعَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرَكِبَهُ وَصَاحِبُ شُرْطَتِهِ الْوُسْطَى وَالسِّكَّةَ وَالْمَوَارِيثَ أَبُو
عَامِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ، بَعْدَ مَا كَانَ قَاضِيَ الْجَمَاعَةِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ السَّلِيمِ
يَأْخُذُهَا عَلَى مَنْ شَهِدَ الْمَجْلِسَ مِنَ الْأَعْمَامِ وَأَبْنَائِهِمُ وَالْوُزَرَاءِ وَطَبِيقَاتِ أَهْلِ الْخِدْمَةِ
وَرَجَالَاتِ قُرَيْشٍ وَأَعْلَامِ أَهْلِ الْكُحْضَرَةِ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ السَّبْتِ السَّادِسِ مِنْ جُنُوسِ هِشَامٍ، وَهُوَ الْعَاشِرُ لِصَفَرِ سَنَةِ
٢٦٦. قَدَّ الْخَلِيفَةُ هِشَامُ حِجَابَتَهُ وَزَيَّرَ أَبِيهِ الْأَخَصَّ أَبَا الْحَسَنِ جَعْفَرَ بْنَ عَثْمَانَ
الْمُصْحَفِيَّ. وَفِي هَذَا الْيَوْمِ، أَنْهَضَ الْخَلِيفَةُ هِشَامُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي عَامِرٍ إِلَى خُطَّةِ
الْوِزَارَةِ، نَفَلَهُ إِلَيْهَا عَنْ شُرْطَتِهِ الْوُسْطَى وَأَجْرَاهُ رَسِيلاً لِحَاجَتِهِ جَعْفَرَ فِي تَدْبِيرِ
P. ٢٦٦ دَوَانَتِهِ؛ فَمَادَهُ مُحَمَّدٌ شَأْوًا، وَجَرَى إِلَى غَايَةِ بَرَزٍ فِيهَا دُونَهُ، سَابِقًا فِي الْخَلِيفَةِ،
وَتَخَلَّفَ جَعْفَرَ عَنْ مَدَاهِ.

وَمِنْ أَخْيَارِ جَعْفَرَ بْنِ عَثْمَانَ الْمُصْحَفِيِّ: هُوَ أَبُو الْحَسَنِ جَعْفَرَ بْنَ عَثْمَانَ بْنِ
نَصْرِ بْنِ قَوْزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كُسَيْبَةَ الْقَيْسِيِّ. كَانَ لَطِيفَ الْمَنْزِلَةِ مِنَ الْحَكَمِ
الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ، قَدِيمِ الصُّحْبَةِ، قَرِيبِ الْخَاصَّةِ؛ وَكَانَ أَوَّلُ سَبَبِ ذَلِكَ نَادِيًا
وَالِدِ عَثْمَانَ بْنِ نَصْرِ الْحَكَمِ فِي صِبَاهِ، وَاسْتَجَدَّمَهُ فِي أَبَامِ وَالِدِ النَّاصِرِ، وَاسْتَكْتَبَهُ،
وَرَفَاهُ إِلَى خُطَّةِ الشَّرْطَةِ الْوُسْطَى وَالنَّظَرَ فِي عِدَّةٍ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْكُورِ. فَلَمَّا أُنْفَضَتِ
الْخِلَافَةُ إِلَى الْحَكَمِ، قُدَّه. بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ خِلَافَتِهِ، خُطَّةَ الْوِزَارَةِ، وَأَمْضَاهُ عَلَى
الْكِنَانَةِ الْخَاصَّةِ؛ ثُمَّ جَمَعَ لَهُ الْكِنَانَةَ الْعُلْيَا بِالْخَاصَّةِ، وَوَلَّى أَبِيهِ الْأَعْمَالَ الْكِبَارَ.
وَكَانَ جَعْفَرَ مِنْ عَثْمَانَ أَحَدَ شُعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ الْمُحْسِنِينَ. الْمُنْصَرِّفِينَ فِي أَنْوَاعِ الشِّعْرِ
مِنَ الْمَدِيحِ وَالنَّوْصَافِ وَالنَّغَزْلِ، غَانَةً فِي كُلِّ ذَلِكَ فِي الرِّقَّةِ وَالْإِبْدَاعِ وَالْحُسْنِ.
وَقَدْ سَنَدَمَ قَوْلَهُ مُرْتَجِلًا: «هَيَّا لِلْإِمَامِ وَالْإِمَامِ» وَقَوْلَهُ مُرْتَجِلًا: «تَطْلُعُ الْبَدْرُ
مِنْ حِجَابِهِ!» وَغَيْرِ ذَلِكَ.

قال ابن بسام: كان جعفر بن عثمان رجلاً بلغ المنتهى، وسوغ برهته من
 دهره ما اشتبه، دون مجد نزع من دوحته، ولا فخر نشأ بين مغداه^١ وروحه.
 فسما دون سابقه، وارنقى الى رسته لم تكن لبيسته^٢ مطابقة، فلم يزل يستقل
 ويضطلع، ويستقل من مطلع الى مطلع، حتى التاح في أفق الخلافة، وارتاح
 إليها بعطفها كشوان السلافة؛ وحجب الإمام، وانسكب برأيه ذلك الغمام.
 فأدرك بذلك ما أدرك، ونصب لأمانيه الحائل والشرك، واقتنى وأدخر،
 وأزرى بمن سواه وسخر. واستعطفه محمد بن أبي عامر، وأجهه غاير لم يسبح^٣ ١٧٢
 وشره مكنوم لم يسبح؛ فما أقبل عليه ولا عطف، ولا جبا من روضة دنياه زهرة
 أمل ولا قطف؛ وأقام في تدبير الأندلس، وهو بحرى من السعد في ميدان
 رحب، ويكرع من العز في مشرب عذب. وكان له أدب بارع. وخاضر إلى
 نظم المحاسن مسارع. فمن ذلك ما بعثه عليه إنسان دهره وإسعاده، وقاله حين
 ألتهه سماءه وسعاده اطولاً

لعبت في قلبى على غيون ويبت ضلوعى للشجون فسون
 لئن كان جسمى مخلفاً في يد الهوى فحسبك غص في النواد موصون

وله، وقد أصبح يوماً عاكفاً على حمياده، هائبا بإجابه دياه، مرتسماً ثغور
 الأس منسباً رياه، والميك يغارله تحرف عليل، ويبرم من أسه كل تحيل،
 والسعد قد عقد عليه أى إسبيل. بصف لون مدامه. وما يعرف منها دون
 ردامه؛ فقال [كامل]:

صنراه تبرق في الزحج فإن سرت في الجسم دبت مثل صل لادع
 غبت الزمان بحسبها فتسرت عن عينه في توب نور سابع
 خفيت^٤ على شرها فكأنها تجدون رسا في إساء فارح

واستمر في حجابته، ومر بين سمع الدهر وإجابته، والنفس العلية من ساه
 حاله منغيرة، وفي تكيف سعد منغيرة. ولم يزل ليجاد تلك الخلافة معتقلاً. وفي

١. مغداه. ٢. لبيسته. ٣. يسبح. ٤. خفيت.

مطالعتها مُتَفَلِّحًا، الى أن نُوقِيَ الْحَكْمَ؛ فانقسم عِنْدَهُ الْمُحَكَّم، وانبرت اليه
 اللوائِب، وسدّدت له الخطوب بسهامِ صوائِب؛ واستولى عليه الكسل، وأسرعت
 اليه الدوايِل والأَسَل، ونيغوره الإِدْبَار، وساوره من المكروه ما فيه اعتبار؛
 وانتقل الى المنصور ذلك الأمر، واخصَّ به كما اخصَّ * يزيد أخوه الغمَر،
 وأناف في تلك الخِلافة كما شبَّ قبل اليوم عن طَوْقه عَمْرُو؛ فاعتقل بتلك
 النجاد، واستبدَّ به دون أولئك الأعمّاد، وانبرى الى المصحفِ بصدرٍ كان قد
 أوغره. وجدَّ سامٍ طال ما استنصره؛ فأباده ونكبه، وسلب جاده وانتهبه، واقتصَّ
 من تلك الإساءة، واغصَّ حلقة بكلِّ مساءة. وأهب جوانحه حزنًا؛ ونهب له
 مدخرًا ومختزنًا، ودمر عليه ما كان حاط. وأحاط به من مكروهه ما أحاط؛
 فبقي يسين في مهوى النكبة، وجوى تلك الكربة، سقله المنصور معه في غزواته،
 ويعتقله بين أظفار النضيبق أو في لهواه، وهو يستعطف ويستميل. فلا
 يتحقَّق له رجاء ولا تأمُّيل، الى أن مكورت شمسُه. وقاضت بين أنياب المحن
 نفسه؛ فاغتيل في المطبق، ونفذ فيه أمرُ الله وسنن.

بعض أخبار المنصور محمد بن أبي عامر في ابتدائه

تَسْبَهُ: هو أبو عامر محمد بن أبي حفص عبد الله بن محمد بن عبد الله بن
 عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك. الداخِل الى
 الأندلس مع طارق؛ وكان له في فتحها أثرٌ جميل؛ وكان في قومه وسيطًا؛ وقد
 ذكره محمد بن حسين الشاعر العالم بأخبار الأندلس في بعض أمداحه للمنصور
 هذا، فقال أطويل:

وَكُلُّ عَدُوِّ أَنْتَ سَهْدِمُ عَرْشَهُ	وَكُلُّ فَتُوْحٍ عَنْكَ يُنْتَسَخُ بِأُهَا
وَإِنَّكَ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ الَّذِي لَهُ	حُلَى فَتَحَ قَرطَاجِنَةَ وَأَنْتِهَايُهَا
جَبَّاهَا أَبُو مَرْوَانَ جَدُّكَ قَابِضًا	بِكَفِّ نَلِيدٍ طَعْنُهَا وَضْرَابُهَا
فَإِنْ سَأَحَتَ فِي الشَّرِكِ مِنْ بَعْدِ فَتْحِهِ	فُتُوْحٌ فَمَهْرُوفٌ إِلَيْكَ ثَوَابُهَا

* وجدّه عبد الملك هو الذي دخل مع طارق ونزل الجزيرة الخضراء، لأوّل ٢٧٤ ..
 الفتنح؛ فساد أهلها، وكثُرَ عَفْبُهُ فيها؛ ونكثرت فيهم الساهة والوجاهة؛ وجاور
 الخلفاء منهم بقرطبة جماعة آحدّم أو عامر محمد بن الوليد، الذي عُرِفَ آلُ
 عامر طرّاً به. وساد بعد ذلك عامر. وتقدّم عبد الخلفاء، وولّى الأعمال، ومات
 بقرطبة؛ وباسمِهِ نَقَشَ مُحَمَّدُ السِّكِّك، ورقم الأعلام. وكان عبد الله المُكَنَّى
 بأبي حنّص، والدُ مُحَمَّدِ المنصور، من أهل الدين والزهد في الدنيا والقيود عن
 السلطان؛ سَمِعَ الحديث، وأدّى الفريضة، ومات منصرفاً من حجّة بدمية
 إطرابلس المغرب؛ وأصهر التميميين المعروفين بقرطبة ببني برطال؛ فنكح بربيه
 بنت يحيى بن زكرياء؛ فولدت له أبا عامر المنصور، وأخاه يحيى. وكانت أمُّ
 عبد الله، والدُ المنصور، بنت الوزير يحيى بن إسحاق، وزمير الناصر لدين
 الله وطيبه.

وكان مُحَمَّدُ هَذَا حَسَنَ النشأة، ظاهر النجابة، تفرّس فيه السيادة؛ سلك
 سبيل القضاة في أوليته، مقتنياً آثار عمومته وخولته؛ فطلب الحديث في حديثه،
 وقرأ الأدب، وقيد اللغات على أبي عليّ البغدادي، وعلى أبي بكر بن القوطية؛
 وقرأ الحديث على أبي بكر بن معاوية القرشي، راوية النساء، وغيره من رؤساء
 أهل المشرق؛ ويرع بروعاً أدناه، مع نوازع سعدٍ وبوادير حظّ، من الحكم
 المستنصر؛ فقرّبه وصرفه في مهمّ الأمانات وأصنافها؛ فاجتهد وبرز في كلّ ما
 قلده، واضطلع بجميع ما حمّله.

وكان الحكم، لشدة نظره في الحدّثان، يتخيّل في مُحَمَّدِ بن أبي عامر أكثر
 الصفات الجنيبة إلى النسب والبلدة. وكان يجدّ القائم عليهم^١ من الجزيرة
 الخضراء، أصفر الكفين. فيقول لخاصته: «ألا ترون صفرة كفيه؟» فإذا قالوا
 له: «أريح نفسك منه!» يقول: «لو كانت به شجرة، لكانت تكلمة صفاه».
 فكان * من قدر الله أن حدثت الشجرة بمحمد بعد موت الحكم بضرية غالب ٢٧٥

1) Manque dans A.

الناصري له. وبها تم الأثر فيه؛ كما أن الحكم قد كان وقف في الأثر على البقعة التي بُنيت فيها الزاهرة؛ وكانت ملوك مروانية تخوف ذلك، وكان الهجهم^(١) شأنها الخليفة الحكم؛ فنظر في أمرها، وهي البقعة المعروفة بأش (بفتح اللام). وهي بغري قرصية؛ ووجد انتقال الملك إليها؛ فأمر حاجبه جعفرًا بالسبق إليها والشروع في شأنها طمعاً في مزية سَعْدَهَا، وأن لا يُجْرَج الأمر عن يد ولد؛ وأنفق عليها مالا عظيماً؛ فكان من غريب الأمور أن محمد بن أبي عامر نوى النظر في شأنها مع من نظر فيها، وهو يومئذ في حال التؤدة والاحتياج، ولا يُعلم يومئذ به. فسُجَّحان من يوتى ملكه من يشاء.

تم رُفِعَ^(٢) إلى الحكم أن البقعة بغير ذلك الموضع، وأنها شرقي مدينة قرطبة؛ فأنفذ ثقتَه محمد بن نصر بن خالد الوقوف عليها، وانتهى إلى منزل أبي بدر المسبي بأش (مضمومة اللام)، وأصاب هنالك عجوزاً مُسِنَّةً وافقتَه على حدّ الأرياد، وقالت له: «سمعنا قديماً أن مدينة نُبني هنا، ويكون على هذا البئر قول ملكها». فعاد إليه محمد بن نصر بالحليّة؛ فلم تطُل المدّة حتى بناها ابن أبي عامر، وتبوء أرجاء ذلك البئر قرارةً وكان المنصور على يقين^(٣) من سرعة انتقال الملك إليه، لا يشك في ذلك لأنه تمكن من مطالعة ما كان عند الحكم؛ فوقف على الحليّة.

ولم يرل الحكم مُقدِّم محمدًا ويؤثره، إلى أن ولي العَهْد ابن هشام؛ فزاد مقدارًا لماضه بولي العَهْد ومكانه من السيدة والدنه؛ فاحتاج الناس إليه وغشوا بآله؛ فأنسام من سلف من أصحاب الساطان سعة إسعاف، وكرم لقاء، وسهولة حجاب. ورحمن أطلاق، فعرض جاهد، وعبر نابه. وأسع في بناء داره بالترصافة، (٧) «وأحد الأكتاب الخلة وانصحب سراء الصحابة. وكانت مائدته موضوعة لمن يتاب داره. ونسبته تراهي إلى وراء ما بناه؛ وهو في هذا كنه يغدو إلى دار جعفر بن عثمان المصطفى ويروج، وتصبح سانه ويخلص به.

١) أ. الجهر.

٢) أ. و B. رفيع.

٣) B. يقين.

تم انصاف علة الخليفة الحكم من الفاليج، وجعفر أمير سلطانه. ووقع
 إرحاقاً بموت الحكم؛ فأشار محمد بن أبي عامر على جعفر بن عثمان باستركاب
 ولي العهد هشام في ذلك اليوم في الجيش، إرهاباً لأهل الخلاف؛ فنزل وركب
 في الناس ركبته المشهورة، ومحمد بن أبي عامر بين يديه. قد كساه الحر، ونقله
 إلى أكابر أهل الخدمة. وأمر ولي العهد هشام في ذلك اليوم (وهو العاشر لصفرة
 من سنة 77) بإسقاط ضريبة الزيتون المأخوذة في الزيت بقرطبة، وكانت إلى
 الناس مستكرهة؛ فسروا بذلك أعظم سرور. ونسب شأنها إلى محمد بن أبي
 عامر، وأنه أشار بذلك؛ فأحبوه لذلك. ولم ينزل الهمة بعده. وأخذ يحظيه،
 والفضاء تُساعده. والسياسة الحسنة لا تفارقه. حتى قام بتدبير الخلافة. وأقعد
 من كان له فيها إنافة. وساس الأمور أحسن سياسة، وداس الخطوب أحسن
 دياسة؛ فانتظمت له الممالك، وأتضححت به المسالك، وانتشر الأمن في كل
 طريق، واستشعر اليمن كل فريق. وأسقط جعفر المصحفي، وعمل فيه ما أراد.
 فأول غزوة فصمها من غزى المملكة غزوة الصقالية الخدم بالناصر موضع
 الخلاف؛ وكانوا أنهى حبل المملكة، وأخص عددها؛ عبي الخنساء مجموعهم والاستخبار
 منهم؛ وكانوا خاصة الناصر والحكم بعده. حتى لقد ظهرت منهم في زمن الحكم أمور
 قبيحة أغضى عنها مع إثاره العدل " وإطراح الجور بالجملة ". وكان يقول:
 « هُم أمانونا وثقاتنا على الحرم؛ فينبغي للرعية أن تلبن لهم، وترفق في معاملتهم؛
 تسلّم من معرتهم، إذ ليس " يمكننا في كل وقت الإنكار عليهم. »

ولما مات الحكم، كان الصقالية أكثر جمعاً وأحد شوكة، يظنون أن لا
 غالب لهم وأن الملك بأيديهم. وكانوا تيفاً على ألف محبوب؛ فحسبك بما تبعهم،
 وكان رأسهم فائق المعروف بالنظامي، صاحب الرد والإطار؛ واليه صاحبه
 عبود صاحب الصاغة والبيازرة؛ وإيهمما كان أمر العلمان الجول بخارج القصر.
 وكان قد جرى بين فائق وحوذر مع الحاجب جعفر المصحفي إثر موت الحكم

ما أذكره: وذلك أنه لما نُوفِيَ الحَكَم، خفي موه على وزيره جعفر وسائر أهل
المملكة لظول برده في العتق، وبعد علم ذلك في وقت حادماه الخاصان به:
فائق وحوذَر، فاستظهِرا كتمان ذلك، ونقدا في ضبط الدار، وخلقوا التشاور،
وقد عرما على رد الأمر للمغيرة بن الناصر، أخى مولاها الحَكَم، خشية من انتشاره
على مسام، أصغر منه، وإكرار الناس لتقدمه على أن يُقر ابن أخيه هشامًا
على العرش بعد، فبينا على المغيرة استوق الخلافة إليه، وبينا لمولاها بارتقاب
كبر وانه، ويكون الملك في أيديهما بحاله، وكان رأيا حسبا لو أراد الله به،
فلما ألقا على ذلك، قال حوذر لفائق: "سئفى أن نُحضِر جعفر بن عثمان
الحاحب، فنضرب عنقه، وبذلك يتم أمرنا". فقال له فائق: "سبحان الله يا
أخى! أشير بقتل حاحب مولانا وشيخ من متبجنا دون ذنب، ولعله لا
يجائنا فيما يريد، مع افتتاحنا الأمر بسفك الدم". فأرسلا في جعفر بن عثمان،
فحضروا، وبعيا إليه الحَكَم، وعرضا عليه ما أجمعا عليه من الرأى، فقال لهما
جعفر: "هذا والله! أسد رأى وأوفق عمل، والأمر أمركا، وأنا وغيرى فيه سبع
لكما، فاعزما على ما أردنا، واستعينا بخورة المشيخة، فبى أنفى للخلاف، وأنا
أسير إلى الباب، فأضبطه بنفسى، وأبدا أمركا إلى ما شئتما". وخرج عنهما،
فوضبط باب القصر، ونقدم في إحضار أصحاب الهاشمية مثل زياد بن أفلح
مولى الحَكَم، وقاسم بن محمد، ومحمد بن أبى عامر، وهشام بن محمد بن عثمان،
وأشاههم، واستدعى سى برزال، إذ كانوا بطانته من سائر الخلد، واستحضروا
سائر قواد الأحناد الأحرار، فاجتمع له من هذه الطوائف ما شد ركنه وقوى
نصه، فعلى لهم الخبيفة، وعرفهم مذهب الصفاية في نكت تبعة هشام، وأقبل
نبت أصحابه، وقال لهم: "إن حببنا الدوانة على هشام، أمنا على أنفسنا، وصارت
الدنيا فى أدينا، وإن انتقلت إلى المغيرة، استبدل بنا، وطلب شفاء أحفاده".
فأثار عليه أصحابه بقتل المغيرة قبل أن يبلغه موت أخيه، فتبكيه الحيلة، فعمل

برأهم : فتوافقوا^١ فيما بينهم النهوض الى قتله ؛ فكفوا وجسوا ؛ فمدرهم محمد بن
 أبي عامر وقال : « ما قوم آتني أخاف فساد أمركم ، ونحن نبتغ لهذا الرئيس (وأشار
 الى جعفر) ، فيبغى ألا تخلف عليه ، وأنا أتحمّل ذلك عنكم إن أجدني إليه ؛
 فمخضين عليكم ! » فأعجب جعفر وأجماعه ما كان منه ، وولود شأنه ، وقالوا له :
 « أنت أحقّ بتوليّ كبيره لمخاضك بالحيفة هشام ومخيك من الدولة . » فأرسل
 جعفر معه طائفة من الجند الأحرار ، وتفق بهم لذلك .

مقتل المغيبة بن عبد الرحمن الناصر (رحمه الله)

فركب محمد بن أبي عامر الى المغيبة من ساعته ، وركب معه بدر القائد
 مولى الناصر في مائة غلام من علمان السلطان ، ووقف لهم خارج باب دار
 المغيبة ، وأحاط سيّوّد من أصحاب محمد بجهازيها ، واقتحم محمد عليه ؛ فوجّه
 مطبئنا على غير استعداد ؛ فبغى اليه أخاه الحكيم ، وعرفه بجلوس ابنه هشام في
 الخلافة ، وأنّ الوزراء ختوا خلافه ، فأنذوه لامتحان القصة . فاشتدّ دُعره ؛ ثمّ
 استرجع عليه ، واستبشر بملك ابن أخيه ، وقال : « أعلمهم آتني سامع مطبّع^٢ »
 واف بيغتي ؛ فتوثقوا مبي كيف شتمتم ! » وأقبل يستلطف ابن أبي عامر ، وسأله
 الله في دمه ، وسأله المراجعة في أمره ، حتّى رقى له محمد ، وكتب الى جعفر
 يصدّقه عنه ويصف له الصورة التي وجد عليها من السلامة والطمأنينة .
 واستأذنه في شأنه . فردّ عليه جعفر يلومه في التأخير ، ويعزم عليه في التصميم .
 ويقول له : « غررتنا من نفسك ؛ فأنفذ اشأنك ؛ أو فانصرف ، نرسل سيّواك . »
 فحمن محمد لجوابه ، وعرض الرقعة على المغيبة ، وجعلها بيده ، وزال عن وجهه .
 وأدخل عليه تلك الطبقة ؛ فقتلوه خنفاً في مجلسه ، وعلّقوا جسده في مخدع يتصل
 بمجلسه ، كهيئة المخنق من تلقاء نفسه ، وذلك كله بمعاينة حرّمه . ثمّ أشاعوا
 أنّه خنق نفسه ، لما أكرهوه على الركوب لابن أخيه ؛ فطاح دمه على هذه الصورة .

1) فتدافعوا . 2) انفذني .

وكان سنة يوم قُتِلَ سبعاً وعشرين سنة. ثم قدم محمد باخناء ذلك. وأمرهم
 بدفنه في مجلسه، وأن يسدوا أبوابهم، فبأمنوا بذلك على ولده وبعيته.
 وعاد ابن أبي عامر إلى جعفر بالقصة؛ فظابت نفسه، وصير محمداً إلى
 جاسه. وشكره. ووصل الحديث على المغيرة إلى جودر وفائق؛ فدعشا. وسقط
 في ألسنها. وقال جودر لفائق: «قد نصحتُ لك، فلم تسمع مني!» وكان
 أكل دعاء منه. فانكفئنا إلى جعفر. فأظهرنا له السلامة والاستبشار بما أناد
 والاعتذار مما رأناه. وقالوا له: «إن الجزع أذهلنا عما أرشدك الله إليه. فجزاك
 الله عن ابن مولانا خيراً، وعن دولتنا وعن المسلمين!» فأظهر لهما بعض
 القبول. وانغمس جعفر في الشغل بأمر البيعة أناماً، وفي نفسه للصقالية ما لا
 يهنيه معه عيشة. وفي أنفسهم له أبرح أوعق.

وأجلس جعفر * هشام بن الحكم للبيعة بالخلافة صبيحة يوم الإثنين لأربع
 خلون من صفر سنة ٢٦٦؛ ودعا الناس ابن أبي عامر للبيعة؛ فلم يجتف عليه
 اثنان. فكان لابن أبي عامر في أخذها أثر كبير، يذكره الناس، وعلا شأنه
 ومكانه، وبعد في الناس صيته.

بعض أخبار الصقالية مع ابن أبي عامر

وذلك أنه لما تكلمت الوحشة ما بين جعفر والصقالية. تحرموا عهد.
 وكرهوا ولاية هشام. فأخذ جعفر جذره منهم، وأذكى العيون؛ وبلغ أن جودر
 وفائقاً يدبران على الدولة. وبدسان في ذلك إلى بعض من في قبادتهما من
 وجود الغلمان والنحوثة؛ وكان الدخول والخروج إليهما على باب الحديد؛ فأمر
 الحاجب جعفر المصحفي بسده بالحجر، وصير دخول الناس على باب السدة.
 فحسم تير الصقالية، وصيرهم تحت الرقبة. ونظر جعفر في إزالة الغلمان الهجولة
 عن رسم هذين الصقاليين بمواطاة محمد بن أبي عامر؛ ودس محمداً إلى من طلبهم

تذكرة ١١١

له؛ فنتقدّم عليهم محمد بن أبي عامر؛ فكان يبطأ عقيبهم خمسمائة غلام.
فاشتدّ بهم أزره، وفخم أمره، وقدمهم في الإنزال والعطاء؛ فأحبّوا؛ ثمّ انقلب
بنو يرزال الى محمد بن أبي عامر، وصاروا في قيادته. فاعتزّ بالطائفتين. وقهر
عدّوه، وتبعه سائر الجند. فهان أمر الصقالية عنده.

ثمّ ان جوذراً الفتى استأذن السلطان في الخروج الى داره مستغنياً من
الخُدّمة، وهو يظنّ أنّه لا يُجاب الى ذلك؛ فأذن له في الخروج؛ فاشتدّ وعيد
أصحابه، وزاد كلامهم؛ وكان أجسرم على ذلك دُرّيّ الفتى الصغير، لما فيه من
التبرّد والجهالة؛ فحرّك جعفر ابن أبي عامر لإزالته والراحة منه؛ وقال:
«حاول عليه!»^(٢) فدىّ الى رعيته سيّاسة، وأمرهم بالشكوى به وبعياله، ووعدهم
العدوى عليه والإراحة من جوره؛ فسارعوا الى ذلك. ورفع الحاجب جعفر قصّته

الى السلطان، وقد أحكم ابن أبي عامر شأن التدبير عليه؛ فخرج التوقيع (٢١١) ١٠
بالجمع بين دُرّيّ وبينهم، والنظر في مصالحتهم؛ فاستدعى دُرّيّ الى بيت الوزارة؛
فلما أشرف على الدار، ورأى من أعداء فيها. أحسن بالشر؛ فخنس راجعاً؛ فبعثه
ابن أبي عامر، وقبض عليه؛ فنجّاذبا؛ فبطش دُرّيّ بابن أبي عامر. وقبض على
لحيته؛ فصاح محمد بن أبي عامر بن حضر من الجند؛ فاحتشم الأندلسيون دُرّيّاً،
وأسرع بنو يرزال الى إجابته؛ فنتقدّموا الى دُرّيّ، فأوجعوه ضرباً؛ ولحقته ضربة
بصفح السيف، أزالته عقله، وحيل للوقت الى داره؛ فعوجل من ليلته بالقتل.
وأمر في الوقت فائفاً وجماعة من كبارهم بالخروج إلى ديارهم والنزاع بها؛ فخرجوا
إليها. وانحصدت شوكة الصقالية حينئذٍ، وفلّ حدّهم؛ وتحرّد ابن أبي عامر
لطلبهم، فاستخرج منهم أموالاً جمّة. وآلت حال فائق الى أن صير الى الخزانة
الشرقية؛ فمات هنالك.

وفي خروج الصقالية من القصر، يقول سعيد الشتريني الشاعر اسريعاً:

أَخْرَجَ مِنْ قَصْرِ إِمَامِ الْهَدْيِ كُلُّ فَتَى مُسَبِّطِ جَائِرٍ
 فَمَنْ رَأَسَا مِنْهُمْ قَالَ لَا مَسِيٍّ «أَفْعَلِ النَّاسِ الْمَسَامِيرَ»
 فَحَفَّتْ ظَهْرُ الْمَلِكِ الْمُرْتَضَى قَدْ خَفَّتْ مِنْ ثِقَلِهِمُ الظَّاهِرِ
 وَسَأَلَ مَا الْعِلْمُ مِنْ وَجْهِهِ مَذَّكَ زَالَ مِنْ جَهَانِهِمْ^١ الخَائِرِ
 فَلَازِمَ الْإِفْرَاءَ^٢ فِي قَصْرِهِ مَعَ الْبُزْبُرِ الْخَيْرِ الظَّاهِرِ

وقد جعفر المصحفي أمر القصر والحرم، بعد إخراج هؤلاء الفتيان، سكرًا
 صاحبهم؛ فسكن أنس الصفالينة، وأجرأهم على الطاعة؛ فأصغوا إليه إلى أن
 استهاجهم جودر التي عظيمهم عند الظهور الذي هم به.

فلما تم لابن أبي عامر بديرة في الصفالينة، جعل يتوصل إلى نقل جيش
 المملكة، والقيام بجهاد العدو دون الجماعة؛ وكان العدو جاس بلاد المسلمين.
 ٢١٢ وضع في انتهاز الفرصة فيهم؛ فأين ابن أبي عامر من ذلك، وأشار على الحاجب
 جعفر بتجهيز الجيش والاعتداد للجهاد، وعرض القيام به على جميع الأكابر؛
 فكلهم كع عنه إلا ابن أبي عامر؛ فإنه بادر إليه على أن يختار من يخرج معه
 من الرجال. وتجهز لغزوه بمائة ألف دينار. فاستكثر ذلك بعض من حضر؛
 فقال له محمد بن أبي عامر: «خُذْ ضِعْفَهَا وَأَمْضِ! وَلِيَحْسُنْ غَنَاؤُكَ!» فقام
 المعارض عن ذلك، وسأم الجيش والمال إلى ابن أبي عامر.

غزوة محمد بن أبي عامر الأولى

مخرج ثلاث خاؤون من رجب من سنة ٢٦٦، ودخل على الثغر الجوفية.
 فآزل حصن الحامة من جابقية؛ فحاصره، وأخذ رايضه، وغنم وسي؛ وقفل
 بالسبي والغنائم إلى قرظبة إلى ثلاثة وخمسين يوماً. فعظم السرور به، وأخلص
 الحذ له. لما رأوا من كثرة جوده، وكرم عشرته، وسعة مائدته؛ فأحسوه والتفؤوا
 به؛ وكثر إحسانه إليهم وإفضاله عليهم، إلى أن أدرك بهم سؤله، وبلغ مأموله.

١- بيان أ. ٢- مال من خلوهم أ. ٣- ٢- ١. فعل الناس بك الشكر A. ١- ١.

ذکر نکتہ الحاجب جعفر بن عثمان

وذلك أنه لما سميت الحال بمحمد بن أبي عامر، واستتب أمره، أُعْمِلَ الخبئة والتدبير في إسقاط جعفر بن عثمان، والانفراد بالدولة؛ فلم يجد لذلك سبباً أقوى من مظاهرة الوزير أبي تمام غالب الناصري، صاحب مدرسة سائرهم، والثغر الأدني، شيخ الموالى قاضية، وفارس الأندلس يومئذ غير مدافع له؛ وكان بينه وبين الحاجب جعفر بن عثمان عداوةً ومنافسةً. والنيات حال غالب صدر دولة هشام في سنة ولانته لما ملك جعفر أمرها. وكان نصير غالب في مدفعة أعداء الله، وخاف أن يصل أمره إلى الخلاف والمعصية؛ فأشار ابن أبي عامر في استصلاح ورعي زمامه. ولم يزل ابن أبي عامر يقوم بشأنه. وبخدمته داخل الدار عند السيدة أم هشام وسائر الحرم. حتى تم مراده فيه كى يستعين به على إهلاك المصحفي؛ فأنهض غالباً إلى خطة الوزراء، وأخذ إليه كتاب الخليفة بذلك. وأمره بالاجتماع مع ابن أبي عامر على التدبير على الصوائف. على أن يدبر ابن أبي عامر جيش الحضرة، ويدبر غالب جيش الثغر.

غزوة ابن أبي عامر الثانية

وخرج محمد بن أبي عامر بالصائفة يوم الفطر من سنة ٢٦٦. فاجتمع مع غالب بمدرسة مجريط. وأصل معه من النظار على جعفر ما أحباب به النكتة من قلبه؛ وأفقاً وموافقاً. وخدم ابن أبي عامر غالباً في سفره هذا خدمة ملك بها نفسه؛ وقال إليه غالب بكليته. واستمرراً في غزوها، وافتتح حصن مولد. وظهور فيه على سني كثير، وغنم المسلمون أوسع غنيمة. وكان أكثر الأمر فيها لغالب؛ فتجافى عنه لابن أبي عامر. وسار معه إلى ثغره، ومعه فارقه، بعد أن أبلغ في مواطأة محمد بن أبي عامر على عدوه جعفر بما أراد؛ وقال غالب لابن أبي

عامر عند وداعه: «سبظهر لك بهذا الفتح إسمٌ عظيمٌ وذكرك جليلٌ، يُشغلهم السرور به عن الخوض فيما تُحدثه من قصة. فأياك أن تخرج عن الدار حتى يعزل ابن جعفر عن المدينة وتقلدها دونه!» فاعتقد محمد ذلك.

وخطب غالب الخليفة هشاماً بحسن مناب ابن أبي عامر في هذه الغزوة، ونسب السعي والاجتهاد اليه، وشكره، وشد عضده عند الخليفة، وعاد محمد ابن أبي عامر الى حضرة قُرطبة منصوراً بالسبي والغنائم. فاستمال محمد بهذا الفتح قلوب العامة والخاصة. وعرفوا فيه بين القبيبة، فبعد صيته، وهان عليه أمر جعفر وغيره، وشرع في دمه. فخرج أمر الخليفة يوم وروده بصرف محمد بن جعفر بن عثمان عن المدينة وتقليدها ابن أبي عامر. فخرج محمد نحو كرسيتها في هذا اليوم، والخلع عليه، ولا عند جعفر علم بذلك؛ وكان محمد بن جعفر جالساً في مجلسها في أبيه، إذ صعد ابن أبي عامر نحوه؛ فولى محمد بن جعفر أكصاً على عقبه، وأبى بداهته.

وملك ابن أبي عامر الباب بولاية الشرطة به والخيش بتوديه له؛ والدار بعناية الحرم به؛ فملك على جعفر بذلك وجوة الحينة، وخلاؤه، وليس في يد من الأمر إلا أقله. فضبط محمد المدينة ضبطاً أنسى أهل الحضرة من سبب من أفراد الكفاة وأولى السياسة، وقد كانوا قبله في بلاء عظيم، تتحارسون الليل كله، ويكابدون من روعات طرأقه ما لا يكابد أهل الثغور من العدو. فكشف الله ذلك عنهم محمد بن أبي عامر وكفائته، وتزده عما كان يُنسب لابن جعفر. فسد باب الشفاعات، وقمع أهل الفسق والذعارات، حتى ارتفع اليأس، ومن الناس، وأمنت عادة المنجزمين من حاشية السلطان؛ حتى أقد عثر على ابن عمه له يُعرف بعسقلانة¹؛ فاستحضره في مجلس الشرطة وجأده جلدًا مبرحاً كان فيه حياضه؛ فانقع الشر في أنامه جيلة. واستخاف ابن أبي عامر على

1 - 1 Marque dans A. qui donne simplement على ابن له

المدينة ابن عمه عمرو بن عبد الله بن أبي عامر؛ فسلك في أهل الشرسيله، بل أربي عليه في ذلك.

وكتب جعفر غالباً يستخلصه، ويستميله، ويخطب بنته لابنه؛ فتجددت بينهما ألفة، وجرى عقد في المناكحة. وانكشف ذلك لابن أبي عامر؛ فكتب غالباً يشده العهد، وألقى أهل الدار* عليه في فسح المصاهرة؛ فكتبوه في P. ٢٨٥ ذلك؛ فأنحرف إلى ابن أبي عامر، وحل عقد جعفر في نكاحه، وأنكح ابن أبي عامر أسماء ابنته؛ فكانت أحظى نسائه.

غزوة ابن أبي عامر الثالثة¹⁾

فلما تم هذا العقد، خرج إليها؛ فدخل على طليطلة غرة صفر من سنة ٢٦٧؛ فاجتمع مع صهره غالب؛ فعظمه وجرى إلى موافقته. ونهضا معاً؛ فافتتحا حصن المال وحصن زسيق²⁾، ودوخا مدينة شلمنقة وأخذا أرباضها. وقفل ابن أبي عامر إلى قرطبة بالسبي والغنائم، وبعده عظيم من رؤوس المشركين، إلى أربع وثلاثين يوماً من خروجه؛ فزاد له السلطان في التنويه، وأنهضه إلى خطة الوزاريين، سوى فيها بينه وبين غالب، ورفع راتبه إلى ثمانين ديناراً في الشهر، وهو راتب الحجابة. واستقدم السلطان غالباً لاستهداء أسماء إلى زوجها محمد؛ فبالغ في إكرامه؛ ووقع زفاف أسماء في مشهد بعد العهد بمثله شهرة وجلالة؛ وزفت إليه ليلة النيروز من قصر الخليفة؛ فهو الذي تولى مع حرمة أمرها. وكانت أسماء هنا توصف بجمال بارع وأدب صالح؛ وحظيت عند ابن أبي عامر؛ فلم يفارقها. وقلده الخليفة خطة الحجابة مع جعفر مشتركاً. ثم سخط الخليفة على جعفر بن عثمان المصحفي، وصرفه عن الحجابة يوم الإثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٢٦٧؛ وأمر بالقبض عليه وعلى ولده

1) Ce titre manque dans A, qui l'incorpore au texte un peu plus loin.

2) Leçon fournie par B. — A donne زسيق, sans points diacritiques.

وأسيابه. وعلى ابن أخيه هشام؛ وصرفوا عما كان بأيديهم من الأعمال، وطلبوا بالأموال. فتوصل ابن أبي عامر بحاستهم الى استنصاف أموالهم، وانتهاك حرمتهم، وترديد النكبات عليهم، حتى مزقهم كلُّ مُزَقِّ. وسارع الى قتل هشام ابن أخي جعفر في المطبق. إذ كان أشدَّ آلِ عثمانِ عداوةً له؛ وأخرج الى أهله ميتاً. واستمرت النكبة على جعفر سنينَ عدَّة، يُحبس مرَّةً ويُطلق أخرى. ومما حفظ P. ٢٨٦ له في ابن أبي عامر، مُستعطفًا له (متقارب):

عَفَا اللهُ عَنْكَ الْإِرْحَمَةَ ۱	تَجُودُ بِعَفْوِكَ إِنْ أَبَدَّ
لَنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أُعْتَبِدْهُ	فَأَنْتَ أَجَلٌ وَأَعْلَى يَدَا
أَلَمْ يَسِرَّ عَيْدًا عَدَا طَوْرُهُ	وَمَوْلَى عَفَا وَرَشِيدًا هَدَى
وَمُفْسِدًا أَمْرًا تَلَا فَيْتَهُ	فَعَادَ فَاصْلَحَ مَا أَفْسَدَا
أَقْلَبِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ	بِقِيكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى

وكان جعفر بن عثمان في محنته أخور الناس. أزامهم للذل. وأحيمهم في الحياة؛ انتهى به الاستجداء لمحمد بن أبي عامر، والطمع في الحياة. أن كتب إليه يعرض نفسه عليه لتأديب ابنيه عبد الله وعبد الملك؛ فقال ابن أبي عامر: «أراد أن يستجھلي ويسفطني عند الناس. وقد عهدوا مني ببابه مؤتملاً؛ ثم برؤيته اليوم يدهلزي معلماً.»

ثم جدَّ ابن أبي عامر في مكروهه، وأدقَّ حسابه، وأمر بإحضاره الى مجلس الوزراء بقصر الخلافة، ليُنَاطِرَ بين أيديهم فيما ادَّعى عليه من الخيانة؛ فتردَّد الى هذا المجلس مرارًا، وأقبل آخر مرَّةٍ اليه، وواثق الضاغط يزعجه. والبهر والسِّنُّ قد هاضاه، وقصراً خطاه، والموكل به مجدوه ويستجته؛ فيقول له جعفر: «يا بني رفقًا؛ فستدرك ما تريد! وبايئت أن الموت يبيع، فأغلى الله سومه!» حتى انتهى به الى المجلس، والوزراء جلوس، فجلس في آخر المجلس دون أن

1) B. عطفه. 2) من قد B.

بِسْلَمٍ؛ فَسَرَعَ إِلَيْهِ الْوَزِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ حَنْصِ بْنِ جَابِرٍ، وَكَانَ مِنْ حِزْبِ ابْنِ أَبِي
 عَامِرٍ؛ فَعَنَّفَهُ، وَاسْتَجْهَلَهُ، وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ تَرْكَ النَّسْلِيمِ، وَجَعْفَرَ مُعْرِضٌ عَنْهُ. فَلَمَّا ٢٨٧ P.
 أَكْثَرَ عَلَيْهِ، قَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: «بِأَ هَذَا جَهِلَتَ الْمُبَرَّةُ، فَاسْتَجْهَلْتَ عَالِمَهَا وَكَفَرْتَ
 الْيَدَ، فَفَصَّرْتَ بِسُؤْدِيهَا.» فَاضْطَرَبَ ابْنُ جَابِرٍ مِنْ قَوْلِهِ، وَقَالَ: «هَذَا هُوَ
 الْبَيْتُ بَعِينُهُ! وَأَيُّ أَيَادِيكَ الْغَرَاءُ الَّتِي مَنَنْتَ بِهَا؟ أَيْدٍ كَذَا أَمْ يَدَ كَذَا»؛ وَوَعَدَّ
 أَشْيَاءً؛ فَأَنْكَرَهَا عَلَيْهِ الْحَاجِبُ، وَقَالَ: «هَذَا لَا يُعْرَفُ؛ وَالْمَعْرُوفُ دَفَعِي عَنْ
 بُيُوتِكَ الْقَطْعَ، وَشَفَاعَتِي فِيهَا إِلَى الْمَاضِي (رَحِمَهُ اللَّهُ) حِينَ اسْتَخَوَّنَكَ فِي مَالِ
 كَذَا!» فَأَصْرَّ ابْنُ جَابِرٍ عَلَى الْجَحْدِ؛ فَقَالَ جَعْفَرٌ: «أَنْشُدُ اللَّهَ مَنْ لَهُ عِلْمٌ بِمَا
 ذَكَرْتُ أَنْ يَتَكَلَّمَ!» فَقَالَ الْوَزِيرُ ابْنُ عِيَّاشٍ: «قَدْ كَانَ بَعْضُ مَا ذَكَرْتَهُ؛ وَغَيْرُ
 هَذَا أَوْلَى بِكَ، يَا أَبَا الْحَسَنِ!» فَقَالَ: «أَحْرَجَنِي الرَّجُلُ، فَقُلْتُ.» ثُمَّ أَقْبَلَ
 الْوَزِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ جَهَّوْرٍ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ جَابِرٍ، فَقَالَ لَهُ: «أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّهُ مَنْ كَانَ
 فِي حَظِّ السُّلْطَانِ، تَحَامَى السَّلَامَ عَلَى أَوْلِيَائِهِ لِأَنَّهُمْ إِنْ رَدُّوا عَلَيْهِ، أُسْخَطُوا
 السُّلْطَانَ لِأَنَّ مَبْنِيهِمْ مَنْ أَخَافَهُ؛ وَإِنْ تَرَكَوا الرَّدَّ، أُسْخَطُوا اللَّهَ، وَتَرَكَوا مَا أَمَرَ بِهِ؟
 فَكَانَ الْإِمْسَاكُ أَوْلَى! وَمِثْلُ هَذَا لَا يَجْنِي عَلَى أَبِي الْحَسَنِ.» فَخَجَلَ ابْنُ جَابِرٍ
 وَأَسْفَرَ وَجْهَ جَعْفَرَ وَتَهَلَّلَ. ثُمَّ أَخَذَ الْقَوْمُ فِي مَنَازَرَتِهِ عَلَى الْمَالِ؛ فَقَالَ: «قَدْ
 وَاللَّهِ اسْتَفَدْتُ مَا عِنْدِي مِنَ الطَّارِفِ وَالْتَائِدِ، وَلَا مَطْمَعٌ فِيَّ فِي دَرَاهِمٍ، وَلَوْ
 قُطِعَتْ إِرْبًا إِرْبًا!» فَصُرِفَ إِلَى مَحْسَةِ فِي مَطْبَقِ الزَّهْرَاءِ؛ فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ.
 وَلَهُ، وَقَدْ أَوْدَعَهُ الْمَنْصُورُ الْمَطْبَقَ، وَالشَّجُونُ تُسْرِعُ إِلَيْهِ وَتَسْبِقُ، مُعْزِيًا
 لِنَفْسِهِ، وَمُجْتَرِبًا فِي يَوْمِهِ بِإِسْعَادِ أَمْسِهِ؛ فَقَالَ [مُتَقَارِبًا]:

٢٨٨ P. مُجَارَاةَ نَفْسِي لِأَنْفَاسِهَا أَجَارِي الزَّمَانَ عَلَى حَالِهِ
 تَوَارَتْ بِهِ بَيْنَ جُلَاسِهَا إِذَا نَفْسٌ صَاعِدٌ شَفَّهَا
 عَكَفَتْ بِصَدْرِي عَلَى رَأْسِهَا وَإِنْ عَكَفَتْ نَكْبَةٌ لِلزَّمَانِ

وَمِنْ بَدِيعِ مَا حَفِظَ لَهُ فِي نَكْبَتِهِ، قَوْلُهُ (رَحِمَهُ اللَّهُ) يَسْتَرِيحُ مِنْ كَرْبَتِهِ [طَوِيلًا]:

صَبَرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ لَمَّا تَوَلَّتْ
فَيَا عَجَباً لِلْقَلْبِ كَيْفَ اصْطَبَارُهُ
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُهَا الْفَتَى
وَكَانَتْ عَلَى الْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيْزَةً
وَقُلْتُ لَهَا يَا نَفْسِ مُوتِي كَرِيْمَةً
وَالزَّمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فَاسْتَمَرَّتْ
وَالنَّفْسُ بَعْدَ الْعِزِّ كَيْفَ اسْتَدَلَّتْ
فَإِنْ طَبِيعَتُ تَأَقَّتْ وَإِلَّا تَسَلَّتْ
فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الدُّلِّ ذَلَّتْ
فَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَنَا نِمْ وَلَّتْ

وكان من هلاكه في محبسه هذا على يقين؛ وذلك أنه لما أمر به إلى المطبق، ودع أهله وولده ووداع الفرقة، وقال: «هذا وقت إجابة الدعوة! وأنا أرتقبه منذ أربعين سنة!» فسئل عما ذكره؛ فقال: «رُفِعَ عَلَى فُلَانِ أَيَّامَ النَّاصِرِ وَسُئِيَ بِهِ إِلَيْهِ؛ فَاشْرَفْتُ عَلَى أَعْمَالِهِ؛ فَأَلَّ أَمْرَهُ إِلَى ضَرْبِهِ وَتَغَيَّرَ نِعْمَتُهُ وَإِطَالَ حَبْسِهِ. فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ، إِذْ أَنَانِي آتٍ؛ فَقَالَ لِي: «أَطْلِقْ فُلَانًا؛ فَقَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ فِيكَ؛ وَهَذَا أَمْرٌ أَنْتَ لَا بُدَّ لَاقِيهِ!» فَانْتَبَهْتُ مَذْعُورًا، وَأَحْضَرْتُ الرَّجُلَ، وَسَأَلْتُهُ إِخْلَالِي؛ فَامْتَنَعَ عَلَيَّ؛ فَاسْتَحْلَفْتُهُ عَلَى إِعْلَامِي بِمَا خَصَّنِي بِهِ مِنَ الدُّعَاءِ؛ فَقَالَ: «نَعَمْ! دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُبَيِّنَكَ فِي أَضْيَقِ السُّجُونِ كَمَا أَعْمَرْتَنِي بِهِ حَقَّةً.» فَعَامَتْ أَنَّهُ قَدْ وَجِبَتْ دَعْوَتُهُ، وَتَدَمَّتْ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ الدَّمُ. وَأَطْلَقْتُ الرَّجُلَ؛ وَلَمْ أَزَلْ أَرْتَقِبُ ذَلِكَ فِي السُّجْنِ.» فَالِمْتُ فِي السُّجْنِ إِلَّا أَيَّامًا، وَأُخْرِجَ مَيِّتًا، وَأُسْلِمَ إِلَى أَهْلِهِ. فَقِيلَ: قُتِلَ خَنْقًا فِي الْبَيْتِ الْمَعْرُوفِ بِبَيْتِ الْبِرَاغِيثِ فِي الْمَطْبَقِ؛ وَقِيلَ: دُسَّتْ إِلَيْهِ شُرَّةٌ مَسْهُومَةٌ.

قال محمد بن إسماعيل، كاتب المنصور: «سِرْتُ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْأَلَةَ إِلَى الزَّهْرَاءِ لِنَسْلِمْ جَسَدَ جَعْفَرِ إِلَى أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، وَالْحَضُورَ عَلَى إِتْرَالِهِ فِي مَلْحَدِهِ؛ فَظَنَرْتُ إِلَيْهِ وَلَا أَتْرَفِيهِ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ بُوَارِيهِ غَيْرَ كِسَاءِ خَلْقٍ لِبَعْضِ الْبَوَائِنِ، سَنَرَهُ بِهِ. فَدَعَا لِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْأَلَةَ بِغَاسِلٍ؛ فَغَسَلَهُ (وَاللَّهِ!) عَلَى قَرْدِ أَبِي إِفْتِيحٍ مِنْ نَاحِيَةِ الدَّارِ، وَأَنَا أَعْتَدُ مِنَ تَصَرُّفِ الْأَقْدَارِ؛ وَخَرَجْنَا نَعْنَشُهُ إِلَى قَبْرِهِ، وَمَا مَعْنَى إِلَّا إِمَامَ الْمَسْجِدِ الْمُسْتَدْعَى لِلصَّلَاةِ؛ وَمَا تَجَاسَرَ أَحَدٌ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْهِ.» ثُمَّ قَالَ: «وَإِنَّ لِي فِي شَأْنِهِ لَخَبْرًا مَا سَمِعَ بِمِثْلِهِ طَالِبٌ وَعَظْمٌ، وَلَا وَفَعٌ فِي مَسْمُوعٍ»

ولا تصوّر إلحظ؛ وفتت له في طريقه، أيام نهبه وأمره، أروم أن أناوله قصة كانت به مختصة؛ فوالله ما تمكنت من الدنو منه بحيلة، لكثافة موكبه، وكثرة من حفت به؛ وأخذ الناس السكك عليه وأفواه الطرُق، ينظرون إليه ويسلمون عليه، حتى ناولت قصتي بعض كتّابه الذين نصّبهم جناحي موكبه لأخذ القصص؛ فانصرفت، وفي نفسي ما فيها من الشرّ بحاله والغصص؛ فلم تطل المدة حتى غضب عليه المنصور، واعتقله، ونقله معه في الغزوات ذليلاً وحمله. واتفق أن نزلت بجليقية في بعض المنازل إلى جانب خبائه في ليلة نهي فيها المنصور عن وقد النيران ليخفي على العدو أثره، ولا ينكشف له خبره؛ فرأيت - والله! - ابنه عثمان يسفه دقيفاً قد خلطه بماه يُقيم به أوده، ويمسك به رمة بضعف حال، وعدم زاد ومال، وسبعته يقول [طويل]:

P. ٢٩٠ تاملتُ صرفَ الحادِثاتِ فلمَ أزلْ أراها تُوافي عندَ مَفْصِدِها الحُرّا
 * فليله أيامَ مضتْ لسيلها فإني لا أنسى لها أبداً ذكراً
 تجافتُ بها عنّا الحوادثُ برهةً وأبدتْ لنا منها الطلاقَ والبشراً
 ليالي لم يدرِ الزمانُ مكاننا ولا نظرتُ منا حوادثه الشّرّاً
 وما هذه الأيامُ إلا سحائبُ: على كلِّ أرضٍ تهبطُ الخيرُ والشّرّاً

وكان مما أُعِين به ابنُ أبي عامر على جعفر بن عثمان المُصَحِّفِ مَبْلُ حَلِيَّةِ 1) الوزراء اليه وإيثارهم له عليه، وسعيتهم في ترفيقه، وأخذهم بالعصية فيه؛ فإنهم، وإن لم تكن لهم حمية أعرابية، فقد كانت سلفية سلطانية، يقتفي القوم فيها آثار سلفهم، ويمنعون بها ابتدال شرفهم؛ غادروها سيرة، وخلفوها عادة أئيرة، تشاح الخلف فيها تشاح أهل الديانة، وصانوا بها مراتبهم أعظم صيانة؛ ورأوا أن أحداً من التوابع لا يدرك فيها غاية، ولا يلحق لها راية. فلما أحظى المُستَنصِر بالله جعفر بن عثمان وإصطنعه، ووضع من أثرته حيث وضعه، حسدوه وذمّوه، وخصّوه بالمطالبة وعموه. وكان أسرع هذه الطائفة إلى مهاودة المنصور عليه، والانحراف

1) Manque dans A.

عنه إليه، آل أبي عبدة وآل شهيد، وآل جهور، وآل فطيس؛ وكانوا في الوقت أزيمة الملك وقوام الخدمة، ومصايح الأمة؛ فأحظوا محمد بن أبي عامر مشايعة، ولأسباب المصحفي منازعة، وشادوا بناه، وقادوا إلى عنصره سناه، حتى بلغ الأمل، والنحف سناه واشتمل. وعند النيام هذه الأمور لابن أبي عامر، ١٠٢٩١ استكان جعفر بن عثمان العارضة، وأيقن بالنكبة، وزوال المرتبة، وكف عن اعتراض محمد وشركته في التدبير، وانقبض الناس عن الرواح إليه والتبكير. وإنثالوا على ابن أبي عامر؛ فحفت موكبه. وغار من ساء العزة كوكبه، وتوالى عليه سعي ابن أبي عامر وطلجه حتى محاد، وهناك ظلاله وأضماه. ومن قوله [كامل]:

لا نأمنن من الزمان سفلباً إن الزمان بأهله يتقلب
ولقد أراني والليوث نهاني وأخافني من بعد ذاك الثعلب
حسب الكريم مهانة ومدلّة ألا يزال إلى لثيم يطلب

وكان قوله هذه الأبيات لما سبق إلى مجلس الوزارة للمحاسنة، وواثق الضابط بزوجه وسنحته. وهو يقول له: «رفقا بي، يا واثق، فستدرك ما نخبه ونشويه، وبرى ما كنت برنجيه!» ١٠ وقد تقدم ذلك ١٠.

استبداد ابن أبي عامر بالملك وتغلبه عليه

لما قتل ابن أبي عامر جعفر بن عثمان، انفرد بشأنه، ورى الغرض الأبعد من ضبط السلطان والحجر عليه والاستبداد بالمملكة وأمور الدولة؛ جرى في ذلك مجرى المنغليين على سلطان بني العباس بالمشرق من أمراء الديلم، حتى أورت ذلك عقبه. فأخذ ابن أبي عامر في تغيير سير الخلفاء المرؤانية في استنجرار

الأمر لنفسه وسببك الدولة على قلبه؛ فأداه ذلك الى مُضَادَّة (١) ما كانوا عليه؛ فعوضَ باللين غِلْظَةً، وبالسكون حركةً، وبالإنابة بَطْشَةً، بالمُؤَادَعَة مُحَارَبَةً؛ فجعل أهلُ الرأى من مصادِرِ أموره وموارِدِها يَقْضُونَ بخروجها عن حدِّ الصواب وقانون (١) التدبير لها؛ ورُبَّمَا فَأَوْضَ جِلَّتَمِ الرأى؛ فيُشِيرُونَ عليه من الوجه الذى عرفوه، والقانون الذى حَمِدُوهُ؛ فيعدل عن ذلك الى المذهب الذى شرعه، والطريق الذى نهجه، والخطر الذى لا يجهل اقتحامه؛ فيبهِتُ القَوْمَ من حُسْنِ ما يَفْعَلُ له.

قال الفتح بن *خاقان «فَرَدُّ نَابَةٍ عَلَى من تَقَدَّمَه، وصَرَفَه واستخدمه؛ فإنه ٢٩٢ P. كان أمضاهم سناناً، وأذكاهم جناناً، وأتسمهم جلالاً، وأعظمهم استقلالاً. قَالَ أمره الى ما آل، وأوهم العفول بذلك المال؛ فإنه كان آية الله فى اتفاق سَعْدِهِ، وقُرْبِهِ من الملك بَعْدَ بَعْدِهِ؛ بهر برفعة القدر، واستظهر بالإنابة وسَعَةِ الصدر، وتحرك فلاح نجم الهدو، وتملك فما خفق بأرضه لواء عدو، بعد خمول كابد منه غصصاً وشرقاً، وتعذر ما مولٍ طارد فيه سهراً وأرقاً، حتى أنجز له الموعود، وفرَّ نَحْسُهُ أمام تلك السعود. فقام بتدبير الخلافة، وأقعد من كان له فيها أناة؛ وساس الأمور أحسن سياسة، وداس الخطوب بأخشن ديانة؛ فانظمت له الممالك، وأنضحت به المسالك؛ وانتشر الأمن فى كل طريق، واستشعر اليمن كل فريق. وملك الأندلس بضعاً وعشرين حجة، لم تدخض لسعادتها حجة، ولم تزخر لمكروه بها لجة؛ لبست فيها البهاء والإشراق، وتنفست عن مثل أنفاس العراق. وكانت أيامه أحمد أيام، وسهامُ بأسه أسدُ سهام. غزا شاتياً وصائفاً، ومضى فيما يروم زاجراً وعائناً؛ فأوغل فى تلك الشعاب، ونغفل حتى راع ليث الغاب، ومشى تحت ألويته صيد الفئائل، واستجرت فى ظلِّها بيضَ الظبي وسُهرَ الدوابل؛ وهو يفتضى الأرواح بغير سوم، * وينتضى الصفاح ٢٩٢ P.

1-1) Le ms. B. permet de rétablir ce passage qui, par suite d'une déchirure, est lacunaire dans A.

على كلِّ روم، ويتلف من لا ينساق للخلافة وينقاد، ويختطف منهم كلُّ كوكب وقاد، حتى استبدَّ وانهد. وأيسَّ إليه من الطاعة ما نفر وشرد. وانتظمت له الأندلس بالعدوة. واجتمعت له اجتماع قُرَيْش في دار الندوة؛ ومع هذا، فلم يجمع اسم الحجابة. ولم يدع السمع لخليفته والإجابة، ظاهرٌ بخالفه الباطن، واسمٌ تنافره موافق الحكم والمواطن. وأذلَّ قبائل الأندلس بإجازة البربر، وأخمل بهم أولئك الأعلام الأكابر؛ فإنه قاومهم بأضدادهم، واستكثر من أعدادهم، حتى تغلبوا على الجمهور، وسلبوا منهم الظهور، ووثقوا عليهم الوثوب المشهور، الذي أعاد أكثر الأندلس قفراً بياباً، وملأها وحشاً وذناباً، وأعراها من الأمان، برهة من الزمان. وعلى هذه الهيئة، فهو وابنه المظفر كانا آخر سعد الأندلس، وحد السرور بها والتأنس. وغزواته فيها شائعة الإثر، رائعة كالسيف ذي الأثر، وحسبه وإفر، ونسبه معافر. ولذا قال بنجر [طويل]:

رَمَيْتُ بِنَفْسِي هَوْلَ كُلِّ كَرِيهَةٍ ¹⁾	وَخَاطَرْتُ وَالْحُرَّ الْكَرِيمَ مُخَاطِرُ
وَمَا صَاحِبِي إِلَّا جَنَانٌ مُشْبِعٌ	وَأَسْرُ خَطِيٍّ وَأَبْيَضُ بَاسِرُ
وَإِنِّي لَزَجَّاهُ الْجِيُوشِ إِلَى الْوَعْيِ	أَسْوَدٌ نُلَاقِيهَا أُسُودٌ خَوَادِرُ
لَسُدَّتْ بِنَفْسِي أَهْلَ كُلِّ سِيَادَةٍ	وَكَأَثَرْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَنْ أَكْثَرُ
وَمَا شَدَّتْ بُيَانَا وَلَا كُنْ زِيَادَةٍ	عَلَى مَا بَنَى عَبْدُ الْمَلِكِ ²⁾ وَعَامِرُ
رَفَعْنَا الْعَالِيَّ بِالْعَوَالِي حَدِيثَةً	وَأَوْرَثْنَاهَا فِي الْفَدِيمِ مَعَافِرُ

* وكانت أمه تميمية؛ فحاز الشرف من طرفيه؛ والتحف بطرفيه. قال الفسطلقي [طويل]:

تَلَاقَتْ عَلَيْهِ مِنْ تَمِيمٍ وَيَعْرَبٍ	شُمُوسٌ تَلَالَا فِي الْعَلَى وَبُدُورُ
مِنَ الْحَمِيرِيِّينَ الَّذِينَ أَكْفَهُمُ	سَحَابٌ تَهْمَى بِالسَّنْدَى وَبُحُورُ

وتصرف قبل ولايته في شتى الولايات، وجاء من التحدث بهتم أمره

1) كربة. 2) عبد العزيز. A. et B.

بايات، حتى صَحَّ زَجْرُهُ، وجاءَ بِصَبْحِهِ فَجْرُهُ، تَوَثَّرَ عَنْهُ فِي ذَلِكَ أَخْبَارًا، فِيهَا عَجَبٌ وَعَتَبَارٌ. وَكَانَ أَدِيبًا مُحْسِنًا. وَعَالِمًا مُتَفَنِّنًا. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ، يَمُنِّي نَفْسَهُ بِمُلْكِ مِصْرَ وَالْحِجَازِ، وَيَسْتَدْعِي صُدُورَ تِلْكَ الْأَعْجَارِ [خَفِيفًا]:

مَنَّعَ الْعَيْنَ أَنْ تَذُوقَ الْمَنَامَا حُبُّهَا أَنْ تَرَى الصَّنَا وَالْمَقَامَا
لِي دُونَ الشَّرْقِ عِنْدَ أَنَاسِي قَدْ أَحَلُّوا بِالْمَشْعَرَيْنِ الْحَرَامَا
إِنْ قَضَوْهَا نَالُوا الْأَمَانِي وَإِلَّا جَعَلُوا دُونَهَا رِقَابًا وَهَامَا
عَنْ قَرِيبٍ تَرَى خِيُولَ هِشَامِ يَسْلُغُ النَّيْلَ خَطُومًا¹⁾ وَالشَامَا

وفي سنة ٢٦٨، أمر المنصور بن أبي عامر ببناء قصره المعروف بالزاهرة، وذلك عند ما استفحل أمره، وأتقد جمده، وظهر استبداده، وكثر حساده، وخاف على نفسه في الدخول إلى قصر السلطان، وخشى أن يقع في أشطان. فتوثق لنفسه، وكشف له ما ستر عنه في أمسه، من الاعتزاز عليه؛ ورفع الاستناد إليه؛ وسما إلى ما سمته إليه الملوك من اختراع قصر ينزل فيه، ويحمله بأهله وذويه، ويضم إليه رياسته، ويتم به تديره وسياسته، ويجمع فيه فتياهه وغلمانه. فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة، الموصوفة بالقصور الباهرة. وأقامها بطرف البلد على نهر قرطبة الأعظم، ونسق فيها كل اقتدار معجز^١ ٢٩٥. ونظم. وشرع في بنائها في هذه السنة المؤرخة، وحشد إليها الصناعات والفعلة، وجلب إليها الآلات الجليلة، وسرّب إليها بهاء يرد العيون كليله؛ وتوسع في اختطاطها، وتولع بانتشارها في البسيطة وانبساطها، وبالغ في رفع أسوارها، وثابر على تسوية أنجادهما وأذوارها. فأتسعت هذه المدينة في المدّة القريبة، وصار من الأنبياء الغربية. وبني معظمها في عامين.

وفي سنة ٢٧٠، انتقل المنصور بن أبي عامر إليها، ونزلها بخاصته وعامته؛ فتوّاها وشحنها بجميع أسلحته، وأمواله وأمنعته، وأخذ فيها الدواوين والأعمال،

١) وطمومها B.

وعمل داخلها الأفراء، وأطلق بساحتها الأزحام. ثم أقطع ما حولها لوزرائه
وكُتَّابِه، وقُوَّاده وحُجَّابِه؛ فاقْتَنَوْا بأكنافها كبار الدور، وجلبلات القصور،
واتخذوا خلالها المستغلات المفيدة، والمنازر المشيدة. وقامت بها الأسواق،
وكثر فيها الأرفاق؛ وتنافس الناس في النزول بأكنافها، والحلول بأطرافها،
للدنو من صاحب الدوله، وتناهي الغلو في البناء حوله، حتى اتصلت أرباضها
بأرباض قرطبة، وكثرت بحوزتها العمارة، واستقرت في مجبوحتها الإمارة. وأفرد
الخليفة من كل شيء إلا من الإسم الخلفي، وصبر ذلك هو الرسم العايفي. ورتب
فيها جلوس وزرائه، ورووس أمرائه، وندب إليها كل ذي خطة بحطته. ونصب
على بابها كرسي شُرطته، وأجاس عليه والياً على رسم كرسي الخليفة، وفي صفة
تلك الرتبة المنيعة. وندب الى الأقطار بالأندلس والعِدوة بأن تُحمل الى مدينته
تلك أموال الحيات، ويفصدها أصحاب الولايات، ويتابها طلاب الحوائج،
وحذر أن يعوج عنها الى باب الخليفة عائج. فاقْتَضِيَتْ لَدَيْهَا اللبائات والأوطار،
وانحشد الناس اليها من جميع الأقطار. وثم لمحمد بن أبي عامر ما أراد، وانتظم
بلية أمانيه المراد؛ وعطل قصر الخليفة من جميعه، وصيره بمنزل من سامعه
ومطبعه، وشد باب قصره عليه، وجد في خبره ألا يصل إليه، وجعل فيه ثقة
من صناعه يضبط القصر، ويبسط فيه النهي والأمر، ويشرف منه على كل داخل،
ويمنع ما يجدره من الدواخل؛ ورتب عليه الحراس والبوابين، والسماز والمتابين،
يلازمون حراسة من فيه ليلاً ونهاراً، ويراقبون حركاتهم سرّاً وجهاراً؛ وقد حجر
على الخليفة كل تدبير، ومنعه من تملك قبيل أو دبير. وأقام الخليفة هشام مهجور
الفناء، محجور الغناء، خفي الذكر، عليل الفكر، مسدود الباب، محبوب الشخص
عن الأحباب، لا يراه خاص ولا عام، ولا يخاف له بأس ولا يرجي منه إنعام،
ولا يُعهد منه إلا الإسم السلطاني في السكة والدعوة، وقد نسخه ولبس أهته،
وطس بهجته. وأغنى الناس عنه، وأزال أطاعهم منه، وصبرم لا يعرفونه،
وأمرم أنهم لا يذكرونه.

واشتد ملك محمد بن أبي عامر منذ نزل قصر الزاهرة، وتوسع مع الأيام في تشييد أبنيتها، حتى كملت أحسن كمال، وجاءت في نهاية الجمال، نقاوة بناء، وسعة فناء، واعتدال هواء رقيق أديمه، (1) وصفالة جو اعتل نسيمه (2)، ونضرة بستان، وبهجة للنفوس فيها افتتان. وفيها يقول صاعد اللغوي [بسيط]:

يا أيها الملك المنصور من بين
بغزوة في قلوب الشرك راتعة
أما ترى العين تجرى فوق مرمرها
أجربتها فطما الزاهي بجربتها
نخال فيه جنود الماء رافلة
تحنها من فنون الأيك زاهرة
بديعة الملك ما ينفك ناظرها
لا يحسن الدهر أن ينشئ لها مثلاً

والمبني نسبا غير الذي انتسبا
بين المنايا تناعى السمر والفضما
زهوا فتجري على أحساءها الطربا
كما طموت فسدت العجم والعربا
مستلهمات تريك الدرع واللبا
قد أورقت فضة إذ أثمرت ذهباً
يتلوه على السمع منها آية عجباً
وأسو تعنت فيها نفسه طلباً

ودخل عليه عمرو بن أبي الحباب في بعض قصوره من المنية المعروفة بالعامرية، والروض قد تنعت أنواره، وتوشحت بجاده وأغواره، وتصرف فيها الدهر متواضعا، ووقف بها السعد خاضعا؛ فقال [بسيط]:

لا يوم كاليوم في أيامك الأول
مواؤها في جميع الدهر معتدل
ما إن يبالى الذي يحتل ساحتها
بالسعد الأتحل الشمس بالحمل

بالعامرية ذات الماء (1) والظلل
طيباً وإن حل فصل غير معتدل

وما زالت هذه المدينة رائقة، والسعود بلتها متناسفة، تراوحها الفنوح ونفادها، ونجلب إليها منكسرة أعادها، لا ترحف منها راية إلا إلى فتح، ولا يصدر عنها تدبير إلا إلى نجح، إلى أن حان يومها العصيب، وقبض لها من المكروه أوفر نصيب. فتولت ففيدة، وخلت من بهجتها كل عقيدة.

الظل B. (2) .وصفا له جو فاعتل نسيمه B. (1-1)

وأشاع ابن أبي عامر أنَّ السلطان فَوَّضَ إليه النظر في أمر الملك، وتخلَّى
 P. ٢٧٨ له * عنه لعبادة ربه. وأثبت ذلك في الرعية حتى اطمانوا إليه، مع قوَّة ضبطه
 وسُرعة بطشه. فانتظم له ذلك كله وأكثر منه، بعد أن حصَّن قصر الخليفة في
 هذا الوقت بالسور الذي أدار حوله، وعمل الخندق المطيف به من جانيه،
 والأبواب الوثيقة بالأحراس والسُّمَّار الذين وضعهم بأنفابه. ومنع الخليفة من
 الظهور، ووكل بأبوابه من يمنع وصول خبر إليه أو أمرٍ من الأمور إلا عن إذنه؛
 وإن عُثِرَ على أحد من الناس في تجاوز هذا الحدِّ، عاجَّه ونكَّل به. والأخبار
 عنه في هذا المعنى واسعة جداً، غير أنَّ الاختصار في ذلك أنَّ ابن أبي عامر
 بلغ من ذلك مبلغاً لم يبلغه قطُّ مُتغلبٍ على خليفة، لأنَّه احتوى على الملك كله،
 وصير الخليفة قبضةً في يده، حتى أنَّه لم يكن يُنفذ له أمرٌ في داره ولا حرِّمه إلا
 عن إذنه وعلمه. وجعل متولِّي قصره من قبله من يثقُ به، وصبره عيناً على
 السلطان، لا يخفى عليه شيء من حركاته وأخباره.

ولما ترقى ابن أبي عامر إلى هذا القدر، عمل في مكروه القائد الكبير غالب
 الناصري صهره، والتوسطه لأسباب هدمه. فرأى أن يبني عليه ضدًّا له من
 أصحاب السيوف والحراية المشهورين، لأنَّ غالباً كان يستطيل على ابن أبي عامر
 بأسباب الفروسية، ويأبىه¹⁾ بمعاني الشجاعة، ويعلوه من هذه الجهة التي لم يتفهم
 لابن أبي عامر بها معرفة. فلم يجد لذلك مثل جعفر بن علي بن حمدون
 المعروف بابن الأندلسي شدة بأس، وربط جاش، ونباهة ذكر، وجلالة قدر.
 فجاء في استجلابه، وهو مُقيم بالعدوة. وآل علي من أطاع الخليفة هشاماً من
 زناتة؛ فبعث ابن أبي عامر إليه، وتواترت كتبه إليه؛ فأسلم العمل إلى أخيه
 P. ٢٧٩ بجي، وعبر إلى الأندلس بجيشه؛ فنزل قصر العقاب، بعد أن أعدَّ له ما يصلح
 فيه. فاستوزره أبي عامر؛ فعظم شأنه²⁾، وأحلَّ محلَّ الأخ في الثقة، وقدمه على
 الكفاة³⁾؛ فوجد عند ما أحبه، وفوق ما قدره؛ فاعتدل بالبرابرة أمره، وقوى

1) ويفايقه. A.

2) منابه، corrigé en مناه. A.

3) الكفاة. B.

ظهوره؛ وكانت هذه القطعة من البربر نحو الستمائة. وما زال بعد ذلك يستدعيهم وينصن الإحسان إليهم، والتوسعة عليهم، إلى أن أسرعوا إلى الأندلس، وانثالوا على ابن أبي عامر، وما زالوا يتلاحفون، وفرسانهم يتوانرون، يحيى الرجل منهم بلباس الخلق على الأعجم، فيبدل له بلباس الخزر الطرازي وغيره، ويركب الجواد العتيق، ويسكن قصرًا لم يتصور له في منامه مثله، حتى صاروا أكثر أجناد الأندلس. ولم تنزل طائفة البربر خاصة ابن أبي عامر وبطانته، وهم أظهر الجند نعمة، وأعلام منزلة.

ولمّا علم غالب بإذناء جعفر، علم الغرض فيه؛ ففسد ما بينهما، ووقع بينهما معارك وفتن كان الظفر فيها لابن أبي عامر على غالب. ومات، وهو يقارنه مع النصراني؛ وكان قد استجلبهم إليه في خبر طويل. فوجد غالب مقتولاً في مجال الخيل، وابن أبي عامر كاد أن ينهزم له. فقبل إن قربوس سرجه قتله. وقيل غير ذلك. فكان ذلك أكبر سعد ابن أبي عامر؛ ولم يبق له بعد ذلك من يخاف منه.

ولمّا فرغ ابن أبي عامر من غالب، دبر الحيلة في حتف جعفر بن علي، الذي أقامه أكثر معين في أمر غالب؛ فواطأ على قتله أبا الأحوص معن بن عبد العزيز النجيبى فارس العرب، في طائفة من أصحابه الأندلسيين؛ فقتلوه غيلة؛ ثم قتل ابن أبي عامر بعد ذلك أبا الأحوص، وانفرد وحده.

وفي سنة ٢٧١، تسمى ابن أبي عامر بالمنصور، ودعى له على المنابر به، استيفاء لرسوم الملوك؛ فكانت الكتب تُنفذ عنه: من *الحاجب المنصور أبي عامر ٣٠٠* محمد بن أبي عامر إلى فلان. وأخذ الوزراء بتفيل يد؛ ثم تابعهم على ذلك وجوه بنى أمية؛ فكان من يدخل عليه من الوزراء وغيرهم يقبلون يد، ويؤولونه عند كلامه ومخاطبته. فانقاد لذلك كبيرهم وصغيرهم؛ وإذا بدأ لأبصارهم طفل من ولد، قاموا إليه، فاستبقوا ليد تفيلاً، وعموا أطرافه أثمًا. فساوى محمد بن أبي عامر الخليفة في هذه المراتب، وشاركه في تلك المذاهب. ولم يجعل فرقاً بينه

وبينه إلا في الاسم وخذ في تصدير الكُتُب عنه، حتى تنامت حاله في الجلالة،
وبلغ غاية العز والقدرة.

قال حبان بن خَاف: وقرأت في بعض الكُتُب أن محمد بن أبي عامر، لما
حجب هشاماً عن الناس واستبد بالأمر دونه، ظهرت فيهم بقرطبة أقوال معرّضة
أفسوا بينهم فيها ألياناً فاحشة. فمن ذلك ما قيل على لسان هشام الخليفة في
شكواه لهم [وافرا]:

أَلَيْسَ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يَثْلِي يَرَى مَا قَلَّ مُتَمَنِّعاً عَلَيْهِ
وَتَمْلِكُ¹⁾ بِاسْمِهِ الدُّنْيَا جَمِيعاً وَمَا مِنْ ذَاكَ شَيْءٍ فِي يَدَيْهِ

ومما قيل في تقديم هشام، وهو صغير لم يبلغ الحلم، وفي قاضيه ابن
السَّيِّم [سريع]:

اقْتَرَبَ الْوَعْدُ وَحَانَ الْهَلَاكُ وَكُلُّ مَا نَكَرَهُ قَدْ آتَاكَ
خَلِيفَةٌ يَحْضُرُ²⁾ فِي مَكْتَبِ وَأُمُّهُ حَبْلِي وَقَاضِي بِنَاكَ

يريد بذلك شَغَفَ أُمِّ هِشَامِ بَابِنِ أَبِي عَامِرٍ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَتَّهَمُ بِهِ، وَهِيَ
أَوْصَلَتْهُ إِلَى حَيْثُ وَصَلَ مِنَ الْحَالِ الَّتِي لَمْ يَتِمَكَّنْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهَا؛
فَسَلَبَ هِشَامًا مَلِكَةً وَجُنْدَهُ وَمَالَهُ.

وفي سنة ٤٧٢، قُتِلَ جَعْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حَمْدُونَ الْمَعْرُوفُ بَابِنِ الْأَنْدَلُسِيِّ؛
وَذَلِكَ أَنَّ الْمَنْصُورَ عَزَمَ - بِرِزْعِهِ - عَلَى إِكْرَامِ جَعْفَرِ الْمَذْكُورِ لَيْلَةَ الْأَحَدِ اثْنَلَاثِ
P. ٢٠١ * خَلُونَ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ السَّنَةِ، مَكْرًا مِنْهُ، وَحَيَاةً لِقْتَلِهِ؛ فَانْتَخَبَهُ سَاقِي الْمَجْلِسِ
بِكَأْسٍ؛ فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ: «اسْقِهَا أَعَزَّ النَّاسِ عَلَيَّ». فَأَمْسَكَ السَّاقِي حَيْرَةً
لِكَثْرَةِ مَنْ ضَمَّ الْمَجْلِسُ مِنَ الْعَلِيَّةِ؛ فَزَجَرَهُ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ وَقَالَ: «نَاوِلْهَا الْوَزِيرَ
أَبَا أَحْمَدَ! عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ!» فَقَامَ جَعْفَرٌ؛ فَتَنَاوَلَهَا عَلَى قَدَمِهِ، وَاسْتَخَفَّه الطَّرَبُ
حَتَّى قَامَ يَرْقُصُ؛ فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ بِالْمَجْلِسِ إِلَّا فَعَلَ كِفْعَلَهُ، وَأُمِيلَتْ إِلَيْهِ الْكُوَّوسُ

1) يلعب. A. 2) وتوكل. B. 1)

حتى ثقل وانصرف في جوف الليل مع بعض غلمانه؛ فخرج اليه معن وأصحابه؛ فلم يكن فيه امتناع لهما كان عليه من السكر؛ فأخذته السيوف حتى برد، وحز رأسه ويده اليمنى، وحملوا الى ابن أبي عامر سرًا. فأظهر ابن أبي عامر الحزن عليه.

وفي سنة ٢٧٥، جهز المنصور جيشاً كثيفاً، وبعثه الى العدو؛ فحاصر حسن ابن قنون الشريف الحسنى. وكان حاول الخروج من الدعوة المروانية؛ واجتمع اليه خلق من أهل الغرب، وظهر أمره؛ فوصله الجيش العرمم^(١)؛ فلم يجد ملجأ إلا الاستسلام للأمان. فأمنه قائد الجيش، وحمله الى قرطبة مرقباً. فلم يرض ابن أبي عامر أمانه، وأمر بقتله ليلاً في الطريق بغياً وتعدياً، لأن أمان قائد أمانه؛ فقال من شاهد قتله أن هبت عليهم ريح عاصف في تلك الليلة التي قتل فيها غدرًا ذلك الشريف؛ صبتهم على وجوههم، وسلبتهم أثوابهم، واحتملت رداء حسن المقتول؛ فلم يجدوه، وأظلم عليهم الأفق حتى خافوا على أنفسهم. وفيها تفرق بنو إدريس في البلاد، وملك ابن أبي عامر الغرب، وأخرج منه من كان بقي به من الأدارسة. فليل في ذلك [كامل]:

فِيمَا أَرَى عَجَبٌ لِمَنْ يَتَعَجَّبُ جَلْتُ مُصِيبَتَنَا وَضَاقَ الْمَذْهَبُ
إِنِّي لِأَكْذِبُ مُفْلَتِي فِيمَا أَرَى حَتَّى أَقُولَ غَلَطْتُ فِيمَا أَحْسَبُ
* أَيْكُونُ (٢) حَيًّا مِنْ (٢) أُمِّيَّةٍ وَاحِدٌ وَيَسُوسُ صَخَمَ الْمَلِكِ هَذَا الْأَخَذَبُ
تَمَشِي عَسَاكِرُهُمْ حَوَالِي هَوْدَجِ أَعْوَادُهُ فِيهِنَّ قِرْدٌ أَشْهَبُ
أَبْنِ أُمِّيَّةٍ أَبْنِ أَقْمَارِ الدُّجَى مِنْكُمْ وَمَا لَوْجُوهَا تَنْغَيْبُ

ثم قام بعد ذلك في الغرب على ابن أبي عامر زيرى بن عطية المغراوي، ونكك طاعته بعد الحب الشديد والولاء الأكيد؛ وطعن على ابن أبي عامر تغلبه

1) Manque dans A, 2—2) Leçon fournie par la Hulla d'Ibn al-Abbar.

A et B.: من أبناء. Dans le ms. B, le second et le troisième vers sont intervertis.

على هشام وسلبه ملكه. فأنذ له ابن أبي عامر وإضحاً الفتى في جيش كثيف؛ فقاومه بالغرب؛ ودارت بينهم حروب عظيمة. ثم أردفه ابن أبي عامر بولده عبد الملك، وهبط ابن أبي عامر إلى الجزيرة الخضراء، يدمم بالقواد والأجناد. وسار عبد الملك بن أبي عامر من طنجة إلى زيري بن عطية؛ ودارت بينهم حرب، لم يسمع بمثلا قط. ثم انهزم زيري ومن معه، ونجا مئخناً بالجراح. وملك ابن أبي عامر بلاد الغرب إلى سنة ٢٩٧.

« وكان أول من ملك سبته من بني أمية وملك منها الغرب^١ عبد الرحمن الناصر؛^٢ وسبب ذلك أنه^٣ وجه إليها أسطولاً. فلما حلت بسبته، أعلن أهلها بدعوته، وبادروا إلى طاعته، يوم الجمعة صدر ربيع الأول من سنة ٢١٩. ثم تابعت البلاد بالطاعة؛ ثم تكاثر ورود وفودها عليه وعلى الحكم ابنه؛ ثم التائت طاعتها على ابن أبي عامر؛ فوجه وإضحاً فتاه؛ فسكن في جبل أبي حبيب عاماً في الأخبية؛ ثم وجه بابنه عبد الملك إليها؛ فالتقى بزيري وهزمه، وغدره ابن عمه الخير بن مقاتيل؛ فطعنه برمح في قفاه وهرب. ومات بعد ذلك زيري من الجرح بعد ما لقي جموع صنهاجة، أصحاب إفريقية، وهزمهم.

وانصرف عبد الملك بعد ما استقامت له الطاعة بالغرب؛ فوجد أباه في غزاه بلاد البشركنة منصرفاً عنها. والتقى به بسرقسطة؛ وهي التي تسمى بغزاة P. ٢٠٨ - البياض، سنة ٢٧٩.

وفي سنة ٢٧٩. قتل المنصور بن أبي عامر عبد الرحمن بن مطرف صاحب سرقسطة والثغر الأعلى؛ وسبب ذلك أنه. لما فكر عبد الرحمن في شأن من أتلفه ابن أبي عامر من كبار رجال الدولة، علم أنه لم يبق غيره، وخشى أن تلحقه الجماعة. فسؤل له القدر المتاح التدبير على محمد؛ وقرب عليه مأخذه ولده عبد الله بن المنصور.

1-1) A-A. وكان سبب ذلك بني أمية مغرب العدو أن. 2-2) Manque dans A.

ذكر تدبير عبد الرحمن بن مُطَرِّف مع عبد الله بن المنصور في القيام عليه

وذلك أنَّ عبد الله بن محمد بن أبي عامر كان مقيماً بسرقسطة عند عبد الرحمن، متغيِّراً النفس على أبيه لإحظائه عبد الملك أخيه. وكان عبد الله يرى أنَّه أشجع وأفهم وأرجل وأفرس من أخيه عبد الملك، وأنَّ أباه عيَّن الظالم له في النسوية بعبد الملك؛ فكيف في تقديمه عليه. فكان في قلبه على أبيه سعيُّ نار، أذكاها عبد الرحمن بن مُطَرِّف وأضرمها. فتَوَطَّأ على الوثوب بالمنصور في أوَّل فُرصة، على أن يقبض بملك الأندلس؛ فالحضرة لعبد الله، والثغر لعبد الرحمن. وشرعاً في إحكام سبيل ذلك والناس وجهه؛ وساعدها عليه جماعة من وجوه أهل قرطبة من المجدد والخدمة وغيرهم، فيهم الوزير عبد الله بن عبد العزيز المرواني صاحب طليطلة. فانبثت أراجيف شبيعة تحقِّق المنصور صحتها، ولم يشكَّ فيها؛ فاستدعى ابنه عبد الله من سرقسطة، واستأنف له كثيراً من التقدِيم والمبرة، خديعة ومغالطة؛ وصرف المرواني عن طليطلة صرفاً جميلاً؛ ثمَّ صرفه عن الوزارة بعد مُدَّدة، وألزمه داره. ثمَّ خرج ابن أبي عامر غازياً إلى قشتيلة؛ فتوافقت إليه أمداد الثغور، فيهم عبد الرحمن بن مُطَرِّف ورجال سرقسطة؛ فلما صاروا بوادي الحجارة، أطبق أهل الثغور على الشكوى بعبد الرحمن، بدسيسة من ابن أبي عامر لهم في ذلك، * حيلة منه؛ وذكروا أنَّه بجنيس أرزاقهم، P. ٣٠٤ ويحتجُّ لنفسه. فصرفه المنصور عن سرقسطة منسلخ صفر من سنة ٧٩ المذكورة، وقلدها مكانه (1) ابن أخيه عبد الرحمن بن يحيى (2) الملقب بسماجة، إطاءً لقومه التُجيبين في المحافظة. ولبث عبد الرحمن في العسكر متردداً إلى أن قبض عليه يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول. وسخط عليه المنصور، وأمر بحسابه؛ ثمَّ قتل بعد ذلك بالزاهرة بين يدي المنصور.

١-1) ابن عبد الرحمن يحيى A.

واستدعى المنصور ابنه عبد الله الى عسكره خوف أن يُحدِّث حَدَنًا بآفته ؛ فوافى العسكر؛ فرفق به أبوه ، وأمل استصلاحه ، وقد تباعد ذلك عليه لسقم سربرته وشدة حقدِهِ . ونازل المنصور أثناء ذلك مدينة شنت أَشْتَيْن ؛ فلما اشتغل المسلمون بالقتال ، فرَّ عبد الله بن المنصور من العسكر في سنة نهر من غلمانه ؛ فلحق بعدو الله غَرَسِيَّة بن فَرْدَانْد صاحب آلبه ؛ فقبله وأجاره على أبيه ؛ فنحرك المنصور لغزو غَرَسِيَّة ومطالبتة بإسلام ابنه إليه . وأقسم له أنه لا يفتح عنه حتى يُبَكِّنه من ولدك . وأصرَّ غَرَسِيَّة على الامتناع من ذلك ؛ فهزم المنصور غَرَسِيَّة ، وفضَّ جمعه ، واشتقَّ بلد آلبه ، وافتتح حصن وخشنة عموة ، أسكنه المسلمين ؛ فضرع غَرَسِيَّة في مُسألمته على ما شاء من شروطه في عبد الله وغيره ؛ فعقد له المنصور على ذلك ؛ فوكلَّ غَرَسِيَّة بعبد الله جماعة من العلوج ؛ وحمل عبدُ الله وأصحابه على البغال . وخرج سعد الخادم يستقبل عبد الله ؛ فدنا من سعد وهو على بغلٍ فارِهِ . مُرْتَفِعِ الحَايَةِ ، عليه ثوبٌ وثني عجيب الصنعة ، وهو مَطَّلِقٌ ، قَوِيُّ الرِّجَاءِ فِي الإِقَالَةِ . فقبل سعد يده ، وأأسه ، وهون عليه الخطاب ؛ ثم تخلف عنه بقرب الوادي الجورفي . ووكَّلُ به من قتله ؛ فحفتَّ به الموكِّنون وأعلموه بموته

ذكر مقتل عبد الله بن المنصور

ولما أعلموه بأن حلَّ به ما كان يجذره ، أمروه بالتزول ؛ فلم يمتنع لهم . وترجل ، ومشى الى السيف مُنْطَلِقًا ؛ فظهرت منه عند الموت صرامةٌ ، عجب لها من شأهده ؛ ونقدَّم إليه ابن خفيف الشُّرْطِيُّ ؛ فضرب عنقه صبراً عند غروب الشمس من يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ٤٨٠ . وأنفذ المنصور رأس ابنه الى الخليفة مع كتاب الفتح ؛ ودُفِنَ جسده في الموضع الذي قُتِلَ فيه . وكان سنُّه يومَ قُتِلَ ثلاثاً وعشرين سنة ، وذلك في غزوه الخامسة والأربعين . ثم إنَّ ابنَ أبي عامر استقلَّ سعدًا وابنَ خفيف ، ولم يزل

حافداً عليهما، حتى قتلها بعد الامتناع. وأزداد ابنُ أبي عامر بما فعله بابنه هيبةً، ومِلَّتْ قلوبُ الناسِ منه ذعراً.

ومما حكى في أمر عبد الله المقتول، قال الوزير أبو عمر بن عبد العزيز: لما قتل المنصور ابنه، ارباع الناس لذلك، وأوحشهم فعله؛ فتكلموا في ذلك كثيراً، ورجحوا فيه الظنون، ولم يتوجه لأحد فيه سبب يقضى بقتله. ثم تحرك المنصور إثر ذلك في بعض غزواته، فلما احتل بقلعة رباح؛ قال المخير: دُعينا إلى الطعام؛ فلما كُنَّا في وسط الطعام، وقد استفاض الحديث في عبد الله المقتول، فقال من حضر على لسان واحد: أَيْدَى اللهُ المنصور! لقد صرَّت من قتلته في غايةِ عدم الصبر في مثلها. فما سبب ذلك؟ قال: «لا أعلم له سبباً إلا أني لما عرِضتُ أمه، علقْتُ بها. وتمكَّن من قلبي حينها فكُنَّا لم أقدر أن أسلو عنه. فابتغتها، متجاوزة النهاية في ثمنها، وجعلتها عند قريبة لي. وكنتُ كل يوم أُخضر ٢٠٦ عليها أتعرِّف استبراءها؛ فلما أحسَّت بحبي لها، وكلفني بها، توخَّت رضاءي، وذكرت لي أنها قد استبرأت، وهي كاذبة في ذلك، تريد بذلك موافقة مساري واستعجال مُرادِي؛ فدخلتُ بها. وهي لم تستبرأ؛ فكنتُ شاكماً فيه.» وكان مولد سنة ٢٥٨.

حكاية زطرزون البربري مع المنصور. - وجرت للمنصور غيبٌ ذلك مع رجل من أعيان البربر اسمه زطرزون بن نزار البرزالي نادرة؛ وذلك أنه قال يوماً، وقد بسطه في بعض المجالس: «يا مولاي إلمَ قتلت عبد الله ابنك؟» ورصف شجاعته وخصاله؛ فقال له المنصور: «لا يسوك ذلك! فلو لم أفعل لقتلني. ما كان من ولدي! وبهذا اتَّهمتُ أمه وكانت أمة سوء. وقد قالوا إن الأرحام الرديئة تُفسد الذرية.» فقال الجاهل زطرزون: «كذا يا مولاي؟» (١) فحرامُ أمه وحرمُ أبيه (٢)؛ فنجل المنصور وقال: «شقيناً بهذا الملعون في حياته وبعد موته!» وعلم ما كان عليه زطرزون من الجهالة؛ فأعرض (٢) عنه. وصارت كلمته ماثورة في الناس مدةً طويلة.

١) فحرام أمه وحرم أبيه. B. 1-1

٢) فتعاقل. B. 2)

وكان المنصور آية من آياتِ فاطرةِ دهاءٍ ومكرٍ وسياسةٍ: عدا بالصّاحفةِ على الصّقّالِبةِ حتّى قتلهم وأذلّهم؛ ثمّ عدا بغالبِ الناصريّ على الصّاحفةِ حتّى قتلهم وأبادهم؛ ثمّ عدا بجعفر بن الأندلسيّ على غالبِ حتّى قتلته؛ ثمّ عدا بنفسه على جعفر وقتلته؛ ثمّ انفرد بنفسه وصار يُنادى صُرُوفَ الدَّهْرِ: «هَلْ مِنْ مَبَارِزِهِ؟» فلمّا لم يَجِدْهُ، حمل الدهر على حكمه؛ فانقاد له وساعده؛ فاستقام أمره، منفرداً P. ٢٠٧ مملكة لا سَافَ له فيها. ومن أَوْضَحِ الدلائل على سَعْدِ أَنَّهُ لَمْ يُنْكَبَ قَطُّ فِي حَرْبٍ شَهِدَهَا، وما توجّهت قَطُّ عليه هزيمة، وما انصرف عن موطنٍ إلّا قاهراً غالباً، على كثرة ما زاول من الحروب، ومارس من الأعداء، وواجه من الأمم. وإنّما لخاصّة ما أحسبُ شرکه فيها أحدٌ من الملوك الإسلاميّة. ومن أعظم ما أُعِين به، مع قوّة سَعْدِ، وتمكّن جدّه، سعةُ جوده وكثرةُ بذله؛ فقد كان في ذلك أُعْجوبةَ الزمان؛ وأوّل ما اتّكأ على أرائكِ الملُكِ وارتفق، وانتشر عليه لواء السعد وخفق؛ حطّ صاحبه المصحفيّ، وأثار له كامنَ حِفْده الخفيّ، حتّى أصاره للهِمومِ لبيسا، وفي غياباتِ السجونِ حيسا؛ فكتب إليه يستعطفه [بسيط]:

هَنِيْ أَسَاتُ فَايِنَ الْعَفْوِ وَالْكَرَمِ إِذْ قَادَنِي نَحْوَكِ الْإِذْعَانُ وَالنَّدَمُ
يَا خَيْرَ مَنْ مَدَّتْ الْأَيْدِي إِيَّاهُ أَمَا تَرَى لِي شَيْخِ نَعَاهُ عِنْدَكَ الْقَلَمُ
بَالْفَتْ فِي السَّخَطِ فَاصْفَحْ صَفْحَ مُقَدِّرِ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا مَا اسْتُرْجِحُوا رَحِمُوا

فما زاده ذلك إلّا حنفاً وحنفاً، ولا أفادته الأبيات إلّا تضرماً ووقفاً. فراجعه بما أياسه، وأراه مرّمسه، وأطبق عليه ممبسه، وضيق¹ تروحه من المحنة وتنفسه²:

الآن يَا جَاهِلًا زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمُ تَبِغِي التَّكْرُمَ لِمَا فَاتَكَ الْكَرَمُ
أَغْرَيْتَ² بِي مَلِكًا لَوْلَا تَشَبُّهُهُ مَا جَاَزَ لِي عِنْدَهُ نَطَقٌ وَلَا كَلِمُ
فَايَأْسُ مِنَ الْعَيْشِ إِذْ قَدْ صِرْتَ فِي طَبَقِ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا مَا اسْتُنْفُوا نَقَبُوا
نَفْسِي إِذَا سَخَطْتَ لَبِستُ بِرَاضِيَةٍ وَلَوْ تَشَفَّعَ فِيكَ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ

1-1) B. مخنفة ومتنفسه. 2) أ. أغريب.

وكان من اخبار المنصور الداخلة في أبواب البرِّ والقربة، بنیان المسجد الجامع والزيادة فيه سنة ٢٧٧. وذلك أنه، لما زاد الناس * بقرطبة، وانجلب ١٠٠٠ إليها قبائل البربر من العدو وإفريقية، ونهاى حالها في الجلالة، ضاقت الأرباض وغيرها، وضاقت المسجد الجامع عن حمل الناس؛ فشرع المنصور في الزيادة بشرقيته حيث يتمكن الزيادة للاتصال الجانب الغربي بقصر الخلافة. فبدأ ابن أبي عامر هذه الزيادة على بلاطات تتمدُّ طولاً من أول المسجد الى آخره؛ وقصد ابن أبي عامر في هذه الزيادة المبالغة في الإتقان والوثاقه دون الترخفة. ولم يقصر مع هذا عن سائر الزيادات جودة ما عدا زيادة الحكم. أول ما عمله ابن أبي عامر تطيب نفوس أرباب الدور والمستغلات الذين اشترت منهم للهدم هذه الزيادة، بإنصافهم من الثمن أو بمعاوضة. وصنع في صحنه الجب العظيم قدره، الواسع فتاؤه. وابن أبي عامر رتب إحراق الشمع في المسجد الجامع زيادة للزيت؛ فنطابق بذلك الثوران. وكان عدد سوارى الجامع، الحاملة لسمائه واللاصقة بمبانيه وقبابه ومناره، ما بين كبيرة وصغيرة، ألف سارية وأربعمائة سارية وسبع عشرة سارية. وعدد ثريات الجامع، ما بين كبيرة وصغيرة، مائتان وثمانون ثرية؛ وعدد الكؤوس سبعة آلاف كأس وأربعمائة كأس وخمس وعشرون كأساً. وزنة مشاكي الرصاص للكؤوس عشرة أرباع أو نحوها؛ وزنة ما يحتاج إليه من الكنان للفتائل في كل شهر رمضان ثلاثة أرباع الفنتار؛ وجميع ما يحتاج إليه الجامع من الزيت في السنة خمسمائة رُبع أو نحوها، يصرف منه في رمضان خاصة نحو نصف العدد. ومما كان يختص بـرمضان المعظم ثلاثة قناطير من الشمع، وثلاثة أرباع الفنتار من الكنان المقصر^١، لإقامة الشمع المذكور؛ والكبيرة من الشمع تُوقد بجانب الإمام يكون وزنها من خمسين إلى ستين رطلاً، ١٠٠٠ بحرق * بعضها بطول الشهر، ويعم الحرق لجميعها ليلة الختم. وكان يخدم الجامع المذكور بقرطبة في دولة ابن أبي عامر ويتصرف فيه من أئمة، ومقرئين،

١) المنظن ١.

وأمناء، وموذنين، وسدنة، وموقدين وغيرهم من المنصرفين مائة وتسعة وخمسون شخصاً. ويوقد من البخور ليلَةَ الختمِ أربع أواقٍ من العنبر الأشهب وثمانى أواقٍ من العود الرطب.

ومن ذلك: بُيانُ قنطرةٍ على نهرِ قُرْطَبَة الأعظم. ابتداءً المنصور بُيانتها سنة ٢٨٧، وفرغ منها في النصف من سنة ١٩٩؛ وانتهت النفقة عليها الى مائة ألف دينار وأربعين ألف دينار؛ فعظمت بها المنفعة، وصارت صدراً في مناقبه الجليلة. وكانت قطعة أرضٍ لشيخٍ من العامة، ولم يكن للقنطرة عدولٌ عنها؛ فأمر المنصور أمناءه بإرضائه فيها؛ فحضر الشيخ عندهم، وأخذ حذرَهُ منهم؛ فسأموه بالقطعة وعرفوه وجه الحاجة إليها، وأنَّ المنصور لا يريد إلا إينصافه فيها. فرماه الشيخ بالفرض الأقصى عندك (فيما ظنه¹) ألا يخرج عنه بأقل من عشرة دنانير ذهباً، كانت عندك أقصى الأمانة، وشرطها صحاحاً. فاغتم الأمناء غفلته، ونقدوه الثمن، وأشهدوا عليه؛ ثم أخبروا المنصور بخبره؛ فضحك من جهالته، وأنف من غيبه، وأمر أن يُعطى عشرة أمثال ما سأل، وتُدفع له صحاحاً كما قال. فقبض الشيخ مائة دينار ذهباً؛ فكاد أن يخرج عن عقله وأن يُجنَّ عند قبضها من الفرح؛ وجاء مُحْتَفِلاً في شكر المنصور. وصارت قصته خبراً سائراً.

ومن ذلك أيضاً: ببيان قنطرة على نهرِ إسْنجَة، وهو نهر شَبِيل؛ فتجشم لها أعظم مؤنة. وسهل الطرُق الوعرة والشعاب الصعبة.

ومن ذلك: إنه خطَّ بيده مضعفاً كان بحمله معه في أسفاره، يدرُس فيه P. ٢١٠ * ويتبرك به. ومن قوّة رجائه، إنه اعتنى بجمع² ما علقَ بوجهه من الغبار في غزواته ومواطن جهاده؛ فكان الخدم يأخذونه عنه بالمناديل في كل منزل من منازلهم، حتى اجتمع له منه صرّة ضخمة عهدَ بتصويره في حنوطه عند موته؛ وكان بحمله حيث ما سار مع أكفانه، توقفاً لحلول منيته؛ وقد كان اتخذ الأكفان من أطيب مكسبه من الضبعة الموروثة عن أبيه، وغزل بناتيه. وكان يسأل الله تعالى أن يتوفاه في طريق الجهاد؛ فكان كذلك.

1) Manque dans B. 2) A. et B. بجمع.

وكان المنصور منسباً بصحة باطنه، واعترافه بذنوبه، وخوفه من ربه، وكثرة جهاده. وإذا ذُكر بالله ذكراً، وإذا خُوف من عقابه ازْدَجَرَ. ولم ينزل منزلاً عن كل ما يفتن به الملوك سوى الخمر؛ لِكَيْسَهُ أَفْلَحَ عَنْهَا قَبْلَ مَوْتِهِ بِسِتِّينَ. وكان عدلُ المنصور في الخاصة والعامة. وإِطْرَاحُهُ الْمَهَاوِدَةَ، وَيَسَطُهُ الْحَقُّ عَلَى الْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ مِنْ خَاصَّتِهِ وَحَاشِيَتِهِ، أَمْرًا مَضْرُوبٌ بِهَذَا الْمَثَلِ.

ومن عدله أَنَّهُ وَقَفَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْعَامَّةِ يَوْمًا بِجِلْسِهِ؛ فَنَادَاهُ: « يَا نَاصِرَ الْحَقِّ! إِنَّ لِي مَظْلَمَةً عِنْدَ ذَلِكَ الْوَصِيفِ الَّذِي عَلَى رَأْسِكَ! » وَأَشَارَ إِلَى النَّتِيِّ صَاحِبِ الدَّرَقَةِ، وَكَانَ لَهُ فَضْلٌ مَحَلِّيٌّ عِنْدَ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ؛ ثُمَّ قَالَ: « وَقَدْ دَعَوْتُهُ إِلَى الْحَاكِمِ؛ فَمِمَّ يَأْتِي! » فَقَالَ الْمَنْصُورُ: « أَوْعِدَ الرَّحْمَنُ بِنِ قُطَيْسٍ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ مِنَ الْعَجْزِ وَالْمُهَابَةِ، وَكُنَّا نَنْظُرُهُ أَمْضَى مِنْ ذَلِكَ؛ أَذْكَرُ مَظْلَمَتِكَ، يَا هَذَا! » فَذَكَرَ الرَّجُلُ مُعَامَلَةً كَانَتْ جَارِبَةً بَيْنَهُمَا قَطَعَهَا مِنْ غَيْرِ نَصْفٍ؛ فَقَالَ الْمَنْصُورُ: « مَا أَعْظَمَ بَلِيَّتَنَا بِهَذِهِ الْحَاشِيَةِ! » ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الصِّقْلِيِّ، وَهُوَ قَدْ ذَهَلَ عَقْلُهُ؛ فَقَالَ: « ادْفَعْ الدَّرَقَةَ إِلَى فُلَانٍ، وَأَنْزِلْ صَاحِبَهَا، وَسَاوِ خَصْمَكَ فِي مَقَامِهِ. » ثُمَّ قَالَ لِصَاحِبِ الشُّرْطَةِ الْخَاصِّ بِهِ: « خُذْ بِيَدِ هَذَا الظَّالِمِ الْفَاسِقِ، وَقَدِّمَهُ مَعِ خَصْمِهِ إِلَى صَاحِبِ الْمَظَالِمِ لِيُنْفِذَ عَلَيْهِ حُكْمَهُ بِأَغْلَظِ مَا يُوجِبُهُ الْحَقُّ مِنْ سَجْنٍ أَوْ غَيْرِهِ! » فَفَعَلَ ذَلِكَ، وَعَادَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ شَاكِرًا؛ فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ: « قَدْ انْتَصَفْتَ أَنْتَ؛ فَادْهَبْ لِسَيِّدِكَ. وَفِي انْتِصَافِي أَنَا مِمَّنْ تَهَاوَنَ بِمَنْزِلَتِي. » فَتَنَاوَلَ الصِّقْلِيُّ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْمَذَلَّةِ، وَأَبْعَدَ عَنِ الْخِدْمَةِ.

ومن ذلك، قِصَّةُ فِتْنَةِ الْكَبِيرِ الْمَعْرُوفِ بِالْمَيُورُوقِيِّ مَعَ التَّاجِرِ الْمَغْرِبِيِّ؛ فَإِنَّهُمَا تَنَازَعَا فِي خُصُومَةٍ تَوَجَّهَتْ فِيهَا الْبَيِّنُ عَلَى الْفَتَى الْمَذْكُورِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ أَكْبَرُ خَدَمِ الْمَنْصُورِ، وَإِلَيْهِ أَمْرُ دَارِهِ وَحُرْمَتِهِ؛ فَدَافَعَ الْحَاكِمُ، وَظَنَّ أَنَّ جَاهَهُ يَنْبَغُ مِنْ إِحْلَافِهِ. فَصَرَخَ التَّاجِرُ بِالْمَنْصُورِ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْجَمَاعِ مَظْلَمًا مِنَ النَّتِيِّ؛

فَوَكَّلَ بِهِ فِي الْوَقْتِ مَنْ حَمَلَهُ إِلَى الْحَاكِمِ؛ فَأَنْصَفَهُ مِنْهُ، وَسَخَطَ عَلَيْهِ الْمَنْصُورَ، وَقَبَضَ نِعْمَتَهُ مِنْهُ وَنَفَّاهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ، قِصَّةُ مُحَمَّدٍ، فَصَادَ الْمَنْصُورُ وَخَادِمَهُ وَأَمِينَهُ عَلَى نَفْسِهِ؛ فَإِنَّ الْمَنْصُورَ أَحْتَا جَهْ يَوْمًا إِلَى الْفَصْدِ، وَكَانَ كَثِيرَ التَّعَهُدِ لَهُ؛ فَأَنْذَرَ رَسُولَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ؛ فَأَلْفَاهُ الرَّسُولَ مَحْبُوسًا فِي سِجْنِ الْقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ زَرْبٍ، إِحْيَافٍ ظَهَرَ مِنْهُ عَلَى أَمْرَانِهِ. قَدَّرَ أَنْ سَبِيلَهُ مِنَ الْخِدْمَةِ يُجِيبُهُ مِنَ الْعُقُوبَةِ. فَلَمَّا عَادَ الرَّسُولُ إِلَى الْمَنْصُورِ بِقِصَّتِهِ، أَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ مِنَ السِّجْنِ مَعَ رَقِيبٍ مِنْ رُقَبَاءِ السِّجْنِ، يُلْزِمُهُ إِلَى أَنْ يَفْرَغَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ يُعِيدَهُ إِلَى مَحْبَسِهِ. فَفَعَلَ ذَلِكَ عَلَى مَا رَسَمَهُ، وَذَهَبَ الْقَاصِدُ إِلَى شَكْوَى مَا نَالَ؛ فَفَطَعَ عَلَيْهِ الْمَنْصُورَ، وَقَالَ لَهُ: «يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُ الْقَاضِي وَهُوَ فِي عَدْلِهِ، وَلَوْ أَخَذَنِي الْحَقُّ، مَا أَطَقْتُ الْامْتِنَاعَ مِنْهُ! عُدْ إِلَى مَحْبَسِكَ أَوْ اعْتَرِفْ بِالْحَقِّ؛ فَهُوَ الَّذِي يُطْلِقُكَ.» فَاثْبَغَ الْحَاجِمُ، وَزَالَ عَنْهُ رِيحُ الْعِنَايَةِ. وَبَلَغَتْ قِصَّتُهُ لِلْقَاضِي؛ فَصَالَحَهُ مَعَ زَوْجِهِ، وَزَادَ الْقَاضِي شِدَّةً فِي أَحْكَامِهِ. P. ٢١٢

وَمِنْ دَهَائِهِ، قَالَ ابْنُ حَيَّانٍ: كَانَ جَالِسًا فِي بَعْضِ اللَّيَالِي، وَكَانَتْ لَيْلَةٌ شَدِيدَةَ الْبَرْدِ وَالرِّيحِ وَالْمَطَرِ؛ فَدَعَا بِأَحَدِ الْفُرْسَانِ، وَقَالَ لَهُ: «اتَّهَضْ إِلَى فِجِّ طَلْيَارِشٍ وَأَرْقُمْ فِيهِ؛ فَأَوَّلُ خَاطِرٍ يَخْطُرُ عَلَيْكَ، سُقَّهُ إِلَيَّ.» قَالَ: فَتَهَضَّ الْفَارِسُ، وَبَقِيَ فِي الْفِجِّ فِي الْبَرْدِ وَالرِّيحِ وَالْمَطَرِ وَاقْفًا عَلَى فَرَسِهِ، إِذْ وَقَفَ عَلَيْهِ قُرْبَ الْفَجْرِ شَيْخٌ هَرِمٌ عَلَى حِمَارِهِ، وَمَعَهُ آلَةُ الْحَطَبِ؛ فَقَالَ لَهُ الْفَارِسُ: «إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ، يَا شَيْخُ؟» فَقَالَ: «وَرَاءَ حَطَبٍ.» فَقَالَ الْفَارِسُ فِي نَفْسِهِ: «هَذَا شَيْخٌ مَسْكِينٌ تَهَضَّ إِلَى الْجَبَلِ بِسَوْقِ حَطَبٍ. فَمَا عَسَى أَنْ يَرِيدَ الْمَنْصُورُ مِنْهُ؟» قَالَ: فَتَرَكَهُ. فَسَارَ عَنِّي قَلِيلًا؛ ثُمَّ فَكَّرْتُ فِي قَوْلِ الْمَنْصُورِ، وَرَخِضْتُ سَطَوْتَهُ؛ فَتَهَضَّتُ إِلَى الشَّيْخِ، وَقُلْتُ لَهُ: «ارْجِعْ إِلَى مَوْلَانَا الْمَنْصُورِ.» فَقَالَ: وَمَا عَسَى أَنْ يَرِيدَ الْمَنْصُورُ مِنْ شَيْخٍ مِثْلِي؟ سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَتْرَكَنِي لِطَلْبِ مَعِيشَتِي!» فَقَالَ لَهُ الْفَارِسُ: «لَا أَفْعَلُ.» ثُمَّ قَدِمَ بِهِ عَلَى الْمَنْصُورِ، وَمِثْلُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ جَالِسٌ، لَمْ يَنْمُ لَيْلَتَهُ تِلْكَ. فَقَالَ الْمَنْصُورُ لِلصَّقَالِيَّةِ: «فَتِّشْوه!» فَتَشَّاهُ؛

فلم يوجد عنده شيء، فقال: «فَنَشُوا بَرْدَةَ حَمَارِد!» فوجدوا داخلها كتاباً من نصارى كانوا قد نزعوا الى المنصور، مجرمون¹ عنده الى اصحابهم من النصارى ليقتلوا ويضربوا في إحدى النواحي المعلومه. فلما اتلج الصبح، أمر بإخراج أولئك النصارى الى باب الزاهرة؛ فضربت أعناقهم، وضربت رقبة الشيخ معهم.

ومن ذلك قصّة الجوهري * التاجر؛ وذلك أنّ رجلاً جوهرانياً من تجار² المشرق قصد المنصور من مدينة عدن بجوهر كبير، وأحجار نفيسة؛ فأخذ المنصور من ذلك ما استحسنته، ودفع الى الجوهري التاجر ضربته، وكانت قطعة يمانية. فأخذ التاجر في انصرافه طريق الرملة على شطّ النهر؛ فلما توسطها، واليوم قائظ، وعرقه منصّب، دعتته نفسه الى التبرّد في النهر؛ فوضع ثيابه وسك الصرة على الشطّ؛ فمّرت حدأة، فاختنطت الصرة، تخسبها لحماً، وصاعدت في الأفق بها ذاهبة؛ فقطعت الأفق الذي نظر اليه عين التاجر؛ فقامت قيامته، وعلم أنه لا يقدر أن يستدفع ذلك بعدوى ولا بحيلة؛ فأسّر الخزن في نفسه. ولحفته لأجل ذلك علة اضطرب فيها. وحضر الدفع الى التجار؛ فحضر الرجل لذلك بنفسه؛ فاستبان له ما به من المهانة والكآبة، وفقد ما كان عنده من النشاط وشدة العارضة. فسأله المنصور عن شأنه؛ فأعلمه بقصته؛ فقال له: «هَلَّا آتَيْتَ إِلَيْنَا بِحَدَثَانِ وَقُوعِ الْأَمْرِ؟ فَكُنَّا نَسْتَظْهِرُ عَلَى الْحِيلَةِ؛ فَهَلْ هُدَيْتَ إِلَى النَّاحِيَةِ الَّتِي أَخَذَ الطَّائِرُ الْبِهَامَ؟» قال: «مَرَّ مُشْرِقاً عَلَى سَمْتِ هَذَا الْجَبَانِ الَّذِي يَلِي قَصْرَكَ!» يعني الرملة؛ فدعا المنصور شرطيه الخاص به؛ فقال له: «جِئْنِي بِمَشْبِخَةِ أَهْلِ الرَّمْلَةِ السَّاعَةِ»؛ فمضى، وجاء بهم سريعاً؛ فأمرهم بالبحث عن غير حال الإقلال منهم سريعاً، وانتقل عن الإضافة دون تدرج؛ فتناظروا في ذلك، ثم قالوا: «يا مولانا! ما نعلم إلا رجلاً من ضعفائنا كان يعمل هو وأولاده بأيديهم، ويتناولون السّفَى² بأقدامهم عجزاً عن شراء دابة؛ فابتاع

1) مجرمون. A. 2) يتناولون السبق. B. السبق. A.

P. ٣١٤ اليوم دابة، واكنسى هو وولد كسوة متوسطة. « فأمر بإحضاره من الغد، وأمر
التاجر بالغدو الى الباب؛ فحضر الرجل بعينه بين يدي المنصور؛ فاستدناه،
والتاجر حاضر، وقال له: «سبب ضاع منا وسقط إليك: ما فعلت به؟» فقال:
«هو ذا يا مولاي؟» وضرب يده الى حجة سراويله، فأخرج الصرة بعينها؛
فصاح التاجر طرباً، وكاد يطير فرحاً؛ فقال له المنصور: «صف لي حديثها.»
قال: «نعم! بينا أنا أعمل في جناني تحت نخلة، إذ سقطت أمامي؛ فأخذتها،
وراقني منظرها؛ فقلت إن الطائر اختلسها من قصرك لقرب الجوار؛ فاحترزت
بها، ودعنتي فاقتي الى أخذ عشرة مناقيل عيوناً كانت معها مصرورة، وقلت:
أقل ما يكون في كرم مولاي أن يسمح لي بها.» فأعجب المنصور ما كان منه،
وقال للتاجر: «خذ صررك، وأنظرها، وأصدقني عن عديها.» ففعل وقال:
«وحق رأسك، يا مولاي، ما ضاع منها شيء سوى الدنانير التي ذكرها، وقد
وهمت لها.» فقال له المنصور: «نحن أولى بذلك منك، ولا ننقص عليك
فرحتك. ولولا جمعك بين «الإفراق والإنكار»¹، لكان ثوابه موقوراً عليه.»
ثم أمر للتاجر بعشرة دنانير عوضاً من دنانيره، والمجتان بعشرة دنانير ثواباً
لثأريه عن إفساد ما وقع بيده، وقال: «لو بدأنا بالاعتراف قبل البحث،
لأوسعناه جزاء!» قال: فأخذ التاجر في الثناء على المنصور، وقد عاوده نشاطه،
وقال: «والله! لأبئن في الأقطار عظيم ملكك، ولأبينن أنك تملك طير عمالك
كما تملك إنسها»²؛ فلا تعنصم منك ولا تؤذي جارك!» فضحك المنصور،
وقال: «اقصد في قولك! يغفر الله لك!» فعجب الناس من تلطف المنصور
في أمره، وحيثه في تفرج كرتيه.

P. ٣١٥ وكان المنصور أشد الناس في التغير على من علم³ عنده شيء من الفلسفة
والمجدل في الاعتقاد، والتكلم في شيء من قضايا النجوم وأدلتها، والاستخفاف
بشيء من أمور الشريعة. وأحرق ما كان في خزائن المحكم من كتب الدهرية

1-1) A. الإصوار والإفراق.

2) B. بشرها.

3) Manque dans A.

والفلاسفة، بحضور كبار العلماء، منهم الأصبلي وابن ذكوان والزبيدي وغيرهم؛ واستولى على (1) حرق جميعها 1) بيده.

ومن أوقع به المنصور في مثل هذه المعاني المستكرة: محمد بن أبي جهم، بلغه عنه قول من الإرجاف في القطع على انقراض دولته؛ فقطع لسانه، ثم قتله وصلبه؛ فخرست ألسن جميعهم لذلك؛ وكذلك أيضاً عبد العزيز بن الخطيب الشاعر، وكان أرفع أهل هذه الطبقة منزلة؛ وكان مقدماً في أصحاب المنصور. حتى فسد ضميره عنه، وبقي مدة يلتبس غرّة منه، حتى قال في بعض أبيات من شعره أفرط فيها [كامل]:

مَا شِئْتَ لَا مَا شَاءَتِ الْأَقْدَارُ فَأَحْكُمُ فَإِنَّتِ الْوَاحِدُ الْفَهَارُ
فَكَمَا نَمَّهَا أَنْتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ وَكَأَنَّهَا أَنْصَارُكَ الْأَنْصَارُ

فأمر بضربه خمسمائة سوط، ونودي عليه باستخفافه؛ ثم حبسه. ونفاه بعد عن الأندلس.

وفي سنة ٢٨١، رشح المنصور ولده عبد الملك للولاية. وقدم أخاه عبد الرحمن للوزارة. وترك اسم الحجابة، واقتصر على التسمي بالمنصور، وأن يكتب: «من المنصور أبي عامر (وفقه الله) إلى فلان». بحذف اسم الحجابة، ويذكر اسم ولد عبد الملك بخط الحجابة والقيادة العليا وسائر خطط المنصور، سلم فيها لابنه عبد الملك، وصعد له الحجابة من يومئذ. وبعد هذا، استبدل المنصور جند الأندلس بالبربر؛ فأقام لنفسه جنداً اختصم باستصناعه، واسترقهم بإحسانه، نسخ بهم في المدة القريبة جند الخليفة الحكيم (رحمه الله)، كما فعله في سائر أمور.

واتفق* في ذلك الوقت أن تحرك بلقين بن زيري الصنهاجي إلى المغرب P. ٢١٦ في جموعه، وأوقع بقبائل زناتة طالباً نار أبيه زيري؛ فهربوا أمامه كلهم إلى سبتة، وضافت عليهم أرض العدو؛ فقبل لابن أبي عامر: «قد أمكك الله

1-1) جميع حرفها. A. 2) باستخفافه.

من اصطناع فرسان زنانه . واعتقاد الهنة عليهم . فأرسل إليهم ، بأبوك سراعاً ؛
فوجد إحسانك إليهم مكاناً ؛ « فعل ابن أبي عامر على ذلك ، وأخذ كتبه الى
قائل العدة يستدعيهم ، وينصن الإحسان إليهم ، والتوسعة عليهم ، حتى كثروا
بالأندلس ؛ فحسبت أحوالهم . وكثرت أموالهم . وما زالوا خاصته وبطانته إلى أن
هلك ، وانقضت الدولة العامرية . وقد صار بالأندلس منهم القبائل بأسرها ،
وكانروهم حتى « أفد قضاة » الله عليهم بأيديهم .

وفي سنة ٢٨٦ ، عهد المنصور أن يخص بنسوبه من بين سائر الناس كافة
في المخاطبات ، وأن يرفع ذلك عن سائر أهل الدولة مع الاقتصاد في مراتب
الأدعية ؛ فنذ الكتب بذلك ، وجرى العمل عليه بنية حياته ؛ وخوطب هذا
الوقت بالملك الكريم ؛ واستبليغ في تكريمه وتعظيمه .

غزوة شنت ياقوب على سبيل الاختصار

وعد بناهي المنصور ابن أبي عامر في هذا الوقت على الافتدار ، والنصر
على الملوك الطاغية (دمرها الله) . سما الى مدينة شنت ياقوب قاصية غلبية .
وأعظم مشاهد النصارى الكائنة ببلاد الأندلس وما يتصل بها من الأرض
الكبيرة . وكانت كنيستها عندهم بمنزلة الكعبة عندنا ؛ فيها يجلسون وإليها يحجون
من أقصى بلاد رومة وما وراءها ؛ ويزعمون أن القبر المزور فيها قبر ياقوب
الحواري أحد الإثنى عشر (رحمهم الله) ؛ وكان أخصمهم بعيسى (عليه السلام) ، وهم
يسمونه أخاه لزوميد إباد . وقد زعم جماعة منهم أنه ابن يوسف النجار . وشنت
١٠٠٧٧ . ياقوب هي مدفن ياقوب ؛ فبهم يسمونه أخا الرب (تعالى الله عن قولهم علوا
كبيراً) . وياقوب لسانهم يعقوب ؛ وكان أسقفاً ببيت المقدس ؛ فجعل يستقرى
الأرضين داعياً لمن فيها ؛ فجاز الى الأندلس حتى انتهى الى هذه القاصية ؛ ثم عاد

الى ارض الشام؛ فقتلَ بها، وله مائة وعشرون سنة شمسية. فاحتمل أصحابه رمته، فدفنوها بهذه الكنيسة التي كانت أقصى أثره. ولم يطع أحد من ملوك الإسلام في قصدها، ولا الوصول إليها، لصعوبة مدخلها وخشونة مكانها، وبعد شقتها.

فخرج المنصور إليها من قرطبة غازياً بالصائفة يوم السبت استيقين من جهادى الآخرة سنة ٢٨٧، وهي غزوة الثامنة والاربعون. ودخل على مدينة قورية. فلما وصل المنصور الى مدينة غليسية، وافاه عدد عظيم من القوامس المتسكين بالطاعة، في رجالهم، وعلى أتم احتفالهم؛ فصاروا في عسكر المسلمين، وركبوا في المغارة سيلهم. وقد كان المنصور تقدم في إنشاء أسطول كبير في الموضع المعروف بقصر أبي دانس من ساحل غرب الأندلس، وجهزه برجاله البحرين وصنوف المترجلين، وحمل الأقوات والأطعمة والعدد والأسلحة، استظهاراً على نفوذ العزيمة، الى أن خرج بموضع برنقال على نهر دوبرة؛ فدخل في النهر الى المكان الذي عمل المنصور على العبور منه؛ فعقد هناك من هذا الأسطول جسراً بقرب الحصن الذي هناك. ووزع المنصور ما كان فيه من الميرة على الجند؛ فتوسعوا في التزود منه إلى أرض العدو.

ثم نهض يريد شنت ياقوب؛ فقطع أرضين متباعدة الأقطار. وقطع بالعبور عدة أنهار كبار وخلصان يهدها البحر الأخضر. ثم أفضى العسكر بعد ذلك الى بسائط جليانة من بلاد فلطارش ومياسبطة^١ والدير وما يتصل بها؛ ثم أفضى الى جبل شامخ شديد الوعر، لا مسلك فيه، ولا طريق لم يتهيأ الأدلاء الى ٢١١. سواه. فقدم المنصور الفعلة بالحديد لتوسعة شعابه وتسهيل مسالكه؛ فقطعه العسكر وعبروا بعد وادي منيه؛ وانسط المسلمون بعد ذلك في بسائط عريضة وأرضين أريضة، وانتهت مغيرتهم الى دبر قسطن وسبط بلنوط^٢ على البحر المحيط، وفتحوا حصن شنت بلايه، وغنموه، وعبروا سبأخه الى جزيرة من

١. بيلوة. B. ك. ميسبطة. B. ١.

البحر المُحيط لجأ إليها خالقٌ عظيمٌ من أهل تلك النواحي؛ فسبوا من فيها ممن لجأ إليها. وانتهى العسكر الى جبلٍ مراسية¹ المتصل من أكثر جهاته بالبحر المُحيط؛ فتخللوا أقطاره، واستخرجوا من كان فيه، وحازوا غنائمه. ثم أجاز المسلمون بعد ذلك خليج لورفي في معرّين أرشد الأدلاء إليهما؛ ثم نهر ابله؛ ثم أفضوا الى بسائط واسعة العبارة، كثيرة الفائدة، منها بسط اوّنة وقرّ جيطة ودّسرت برّبة². ثم انتهوا الى خليج ابايا؛ وهو من مشاهد ياقوب أيضاً صاحب القبر، يُلَوّ مشهّد قبره عند النصارى في الفضل، يقصد نساكهم له من قاصي بلادهم ومن بلاد القبط والنوبة وغيرها. فغادره المسلمون قارعاً. وكان النزول بعد على مدسة شنت ياقوب اليانسة، وذلك يوم الأربعاء اليلتين خلنا من شعبان؛ فوجدها المسلمون خالية من أهلها؛ فحاز المسلمون غنائمها، وهدموا مصانعها وأسوارها وكنيستها، وعنوا آثارها. ووكل المصور بقبر ياقوب من بحفظه وبدفع الأذى عنه؛ وكانت مصانعها بدبعة مُحكّمة؛ فغودرت هشيماً، كأن لم تغن بالأمس، وذلك يوم الإثنين أو الثلاثاء بعد. وانتسفت نعوته بعد ذلك سائر البسائط، وانتهت الى جزيرة شنت مانكش³ منقطع هذا الصقع على البحر المُحيط، وهي غاية لم يبلغها قبّلم مسلم، ولا وطئها لغير أهلها. قدّم فلم يكن بعدها للخيل مجال، ولا وراءها انتقال.

وانكناً المنصور عن باب شنت ياقوب، وقد بلغ غاية لم يبلغها مسلم قبله. فجعل في طريقه القصد على عمل برمند بن أردون لبيستقره عائناً ومفيسداً، حتى وقع في عمل القوامس المعاهددين الذين في عسكره؛ فأمر بالكفت عنها، ومراً مجنازاً حتى خرج الى حصن مليفه من افتتاحه. فأجاز هناك القوامس بجملتهم على أقدارهم، وكسامهم، وكسا رجالهم، وصرفهم الى بلادهم. وكتب بالفتح من مليفه. وكان مبلغ من أكساه ابن أبي عامر في غزاه هذه من ملوك الروم ولمن حسن

1) B. مراسية. 2) Les vocalisations de ces noms géographiques sont reproduites d'après B. 3) B. فاركش.

عناؤه من المسلمين ألفين ومائتين وخمسةً وثمانين شُفَّةً من صنوف الخَزَّ الطَّرَازِي، وإحدى وعشرين كساءً من صوف البَحْر، وكسائين عَبْرِيَيْن، وأحد عشر سِفْلَاطُوناً، وخمس عشرة مُرَبَّشَات، وسبعة أنماط دِيبَاج، وثوبَي دِيبَاج رُومِي، وفَرُوي فَنَك. ووافي جميع العسكر قافلاً الى قُرْطُبَة سالماً غانماً، وعظمت النعمة والمنة على المسلمين. والحمد لله.

ولم يجد المنصور بشئت باقوب إلا شيخاً من الرُّهْبَان جالسا على الفبر؛ فسأله عن مقامه؛ فقال: «أُوَائِسُ يَعْقُوب». فأمر المنصور بالكفت عنه.

قال الفَنَح بن خَافان: وتَمَرَس المنصور ببلاد الشَّرِكِ أَعْظَمَ تَمَرَس، ومحا من طواغيتها كلَّ تَعَجْرُفٍ وَتَغَطْرُسٍ؛ وغادرهم صَرَغِي البِقَاع. وبركهم أَذَلَّ من وِيْدِ بِقَاع؛ ووالى على بلادهم الوَفَاع، وسَدَّد الى أَكْبَادِهِم سِهَامَ الفَجَائِع؛ وَأَغْصَّ بِالحِمَامِ أرواحهم، ونَغَصَّ بتلك الآلام بُكُورَهُم وَرَوَاحَهُم. ومن أَوْضَحَ الأمور هُنَالِكَ؛ وَأَفْصَحَ الأَخْبَارِ فِي ذَلِكَ؛ أَنَّ أَحَدَ رُسُلِهِ كَانَ كَثِيرَ الِاتِّبَابِ، لِذَلِكَ ٢٢٠

الجَنَاب؛ فسار في بعض مسيراته الى غَرْسِيَّةِ صَاحِبِ البَشِكِش، فصَادَفَهُ فِي يَوْمٍ فِصْحٍ؛ فَوَالَى فِي إِكْرَامِهِ، وَتَنَاهَى فِي بَرِّهِ وَاهْتِمَامِهِ؛ فَطَالَتْ مَدَنُهُ فَلَا مَنَزْرَةَ إِلَّا مَرَّةً عَلَيْهِ مُنْفَرَجاً، وَلَا مَوْضِعَ إِلَّا سَارَ إِلَيْهِ مُعْرَجاً؛ فَحَلَّ فِي ذَلِكَ أَكْثَرَ الكِنَائِسِ هُنَالِكَ؛ فَمِثْنَا هُوَ بِجَوْلٍ فِي سَاحَتِهَا، وَبُجِيلِ العَيْنِ فِي مَسَاحَتِهَا. إِذْ عَرَضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ قَدِيمَةُ الأَسْرِ؛ قَوِيمَةٌ عَلَى طُولِ الكَسْرِ؛ فَكَلَّمَتَهُ. وَعَرَفْتُهُ بِنَفْسِهَا وَأَعْلَمْتَهُ، وَقَالَتْ لَهُ: «أَبْرَضِي المَنْصُورَ أَنَّ يَنْسَى بِنَعْمَةٍ بُوَسَّهَا، وَبِتَمَتُّعِ بِلَمُوسِ العَافِيَةِ وَقَدْ قَصَّتْ لُبُوسَهَا؟» وَزَعِمَتْ أَنَّ لَهَا عِدَّةً مِنَ البَيْنِ بِتِلْكَ الكَنِيسَةِ مُحْبَسَةً. وَبِكُلِّ ذُلٍّ وَصَغَارٍ مُلْبَسَةٍ، وَنَاشَدَتْهُ اللهُ فِي إِنْهَاءِ قِصَّتِهَا، وَإِبْرَاءِ غُصَّتِهَا. وَاسْتَحْلَفْتَهُ بِأَغْلَظِ الأَيْمَانِ، وَأَخَذَتْ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ أَوْكِدَ مَوَاطِيقِ الرَّحْمَانِ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى المَنْصُورِ، عَرَفَهُ بِمَا يَجِبُ تَعْرِيفُهُ بِهِ وَإِعْلَامُهُ، وَهُوَ مُصْغِرٌ إِلَيْهِ حَتَّى تَمَّ كَلَامُهُ. فَتَمَّا فَرِغَ، قَالَ لَهُ المَنْصُورُ: «هَلْ وَتَفَتَ هُنَالِكَ عَلَى أَمْرٍ أَنْكَرْتَهُ، أَمْ لَمْ تَقِفْ عَلَى غَيْرِ مَا ذَكَرْتَهُ؟» فَأَعْلَمَهُ بِقِصَّةِ المَرَأَةِ، وَمَا خَرَجَتْ عَنْهُ إِلَيْهِ، وَبِالمَوَاطِيقِ الَّتِي

أخذت عليه؛ فعتبه ولامه، على أن لم يبدأ بها كلامه؛ ثم أخذ في الجهاد من فوره، وعرض من من الأجناد في تجده وغوره؛ وأصبح غازياً على سرجه، مهابياً مروان يوم مرجه، حتى وافى ابن شانجه في جمعه؛ فأخذت مهابته ببصره وسَمِعَهُ؛ فبادر بالكتاب إليه يتعرف ما هي الجنية، ويخلف له بأعظم آية، ما جنا ذنباً؛ ولا نيا عن مضجع الطاعة جنياً. فعنف أرساله. وقال لهم: «كان قد عاهدني الأبيقي بأرضه مأسورة ولا مأسور، ولو حملته في حواصليها النسور؛ وقد بلغني * بعد مقام فلانة المسلمة¹ بتلك الكيسة. والله! لا أنتهي عن أرضه حتى أكتسحها!» فأرسل إليه المرأة في إثنين معها، وأقسم له أنه ما أبصرهن، ولا سمع بهن، وأعلمه أن الكيسة التي أشار بعلمها، قد بالغ في هدمها، تحقيقاً لقوله، وتضرع له في الأخذ بطوله. فاستجبي منه، وصرف الجيش عنه، وأوصل المرأة إلى نيسه، وألحق نوحشها بأنسه، وغير سوء حالها، وعاد سواكب نعاماً على جذبها وإمخالها، وحملها إلى قومها. وكحلها بما كان شرد من نومها.

وحدث شُعْلَةَ. قال: قلت للمنصور ليلة طال فيها سهره: «قد أفرط مولانا في السهر، وبدنه يحتاج إلى أكثر من هذا النوم؛ وهو يعلم ما يحركه عدم النوم من علة العصب!» فقال لي: «يا شعلة، إن الملك لا ينام إذا نامت الرعية! وأو استوفيت نومي، كما كان في دور هذا البلد العظيم عين نائمة!» وكان المنصور يزرع في كل سنة ألف ألف مدي من الشعير قصبلاً لدوابه الخاصة به؛ إذا قدم من كل غزوة من غزواته، لا يجل عن نفسه حتى يدعو صاحب الخيل، فيعلمه ما مات منها وما عاش، وصاحب الأبيبة، فيعلمه بما وفى من أسواره ومبانيه وقصوره ودوره. وكان له دخالة في كل يوم إثني عشر ألف رطل من اللحم، حاشي الصيد والطير والحيتان. وكان يصنع في كل عام إثني عشر ألف نرس عامرية لنصرى الزاهرة والزهران. وابنتي المنصور على

1) A. المسئلة.

2) Ici prend fin le ms. A et le texte élité par Dozy.

طريق البهاة والضخامة مدينة الزاهرة¹ ذات القصور، والمنزهات المخترعة
 كذات الواديين، ومنية السرور، وأرطانية، وغيرها من منشأه البديعة.
 قال ابن حزم: كنا مع المنصور، في يوم صقيل الجوى، في الزورق، في النهر
 الذي بين يدي الزاهرة، في نفر من وزرائه، ومنظر يقين بأمامه وورائه،
 ونحن على مؤانسة قد امتد طبيها، وأرشف بها لعس المسرة وشبهها، وانحسر
 إليها أهو الدنيا وأعبها، وهو يستدع ذلك النشيد، وينطلق منها إلى المزخرف
 والشيد، ويصوب نظره ويصعدده في قصوره المشرقة. ومصانعه المورقة، وقد
 قادت الأخطأ جمالاً، وجددت في الحياة آمالاً. فقال المنصور: «وبها لك!
 يا زهرة الحسن. لقد حسن مرءك، وعين ثراك، وراق منظرك، وفاق مخبرك،
 وطاب ثرك، وعذب شربك! فأيت شعري من المرید الذي يعدك، ويوهن
 ركنك ويهدمك، ويخل ميدانك، ويضوى قصصك وأفنانك! فبوساً له إذ
 لا بروقه حسنك. فيكف عن تغييرك! ألا سببه بهجة منظرك، فكيف عن
 محو أثرك!» قال: فاستعظمتنا ذلك منه، وأنكرنا ما صدر عنه. وظننا أن
 الراح غلبت عليه، وخيلت ذلك عليه، فأفرط الكل مما في استنكار ما جاء
 به، وفاه بأمره وسببه، فقال: «والله! كأنكم لا تعلمون ذلك! نعم! سيظهر
 عليها عدونا في أقرب مدة، فيهدم هذا كانه ويهدمه. وكأني بحجارتها في هذا
 النهر!» فأخذنا به طريق النسكين والتهدين، وعجبنا لما ذكره من ذلك
 النبأ المبين.

وعند فراغه من ابتناء الزاهرة، غزا غزوة أبعد فيها الإيغال، وغال فيها
 من عظماء الروم من غال، وحل من أرضهم ما لم يطرق، وراع منهم ما لم راع
 قط ولم يفرق، وصدر صدراً أسى به على كل حسناء عقيلة، وجللاً به كل صنعة
 الحسن صقيلة، ودخل قرطبة دخولاً لم يعهد، وشهد له فيه يوم لم يشهد. وكان
 ابن شبيب متخلفاً عن هذه الغزوة لنفيس عداه عائده، وجفاه منجمه ورائده.

1. الزمراء B.

وَابْنُ شُهَيْدٍ هَذَا أَحَدُ حُجَّابِ النَّاصِرِ، وَهُوَ عَلَى ابْنِ أَبِي عَامِرٍ أَيْدٍ مُخَكَّمَةٌ الْأَوَّاصِرِ.
وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُتَحَفُّهُ، وَيَصَلُّهُ وَيَلَطُّهُ. فَلَمَّا صَدَرَ الْمَنْصُورُ مِنْ غَزْوَتِهِ هَذِهِ، نَسِيَ
مُتَاحِفَتَهُ، وَأَغْفَلَ مُلَاطَفَتَهُ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ [خَفِيفٌ]:

أَنَا شَيْخٌ وَالشَّيْخُ يَهْوَى الصَّبَابَا بِالنَّفْسِ تَقَبِيكَ صَرَفَ الرَّزَايَا
وَرَسُولُ الْإِلَهِ أَسْهَمَ فِي الْفَى لِمَنْ لَمْ يُخَبَّ فِيهَا الْمَطَايَا
فَأَجْعَلْنِي (فُدَيْتَ!) أَنْكِحُ مَعْرُو فَكَ وَأَبْعَثْ بِهَا عَذَابَ الثَّنَايَا
هُوَ عُرْفٌ فَإِنْ تَحَوَّلَ صَهْرًا كَانَ وَاللَّهِ آيَةً فِي الْبَرَايَا

فَبَعَثَ إِلَيْهِ بَعْقِيَّةً مِنْ عَقَائِلِ الرُّومِ، يَكْتُمُهَا ثَلَاثَ جَوَارٍ كَأَنَّهُنَّ نَجْمُ سَرَايٍ،
وَكَتَبَ [خَفِيفٌ]:

قَدْ بَعَثْنَا بِهَا كَشَمْسِ النَّهَارِ فِي ثَلَاثِ مِنْ الْمَهَى أَبْكَارِ
فَاجْتَهِدْ وَأَتَيْدُ فَإِنَّكَ شَيْخٌ خَفِيَ اللَّيْلُ عَنْ بَيَاضِ النَّهَارِ
صَانَكَ اللَّهُ عَنْ كَلَالِكَ فِيهَا فَمِنْ الْعَارِ كَلَّةُ الْمِسْمَارِ

فَأَفْتَضَهُنَّ جَمِيعًا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ [خَفِيفٌ]:

قَدْ فَضَضْنَا خِتَامَ ذَاكَ السِّوَارِ وَاصْطَبَغْنَا مِنَ النَّجِيعِ الْحَارِي
وَنَعَمْنَا فِي ظِلِّ أَنْعَمِ أَيْلِ وَأَهْوْنَا بِالْبَدْرِ ثُمَّ الدَّرَارِي
وَقَضَى الشَّيْخُ مَا قَضَى بِحُسَامِ ذِي مَضَاهِ عَضِبَ الظُّبَى بَتَارِ
فَاصْطَنَعْنِي فَلَسْتُ أَجْزِيكَ كُفْرًا وَاتَّخَذْتَنِي سَيْفًا عَلَى الْكُفَّارِ

قَالَ حَيَّانُ بْنُ خَلْفٍ: وَجَدَ بِالْمَنْصُورِ عَزْمٌ أَرْعَجَهُ الْغَزْوُ بَعْضَ الْبُرُوجِ
الْمُهَيْمَةِ؛ فَأَبْرَزَ أَمْوَالًا عَظِيمَةً، وَتَقَدَّمَ إِلَى النَّاسِ فِي الْبُكُورِ لِلزَّاهِرَةِ؛ فَاسْتَبَقُوا،
وَقَدَّ طَرَفَهُ فِي لَيْلَتِهِ وَجَعَّ حِمَاهُ عَنِ الْعَمَضِ؛ فَلَمْ يَمْنَعَهُ مِنْ إِنْفَازِ عَزِيمَتِهِ، وَقَعَدَ
لِلنَّظَرِ فِي شَأْنِهِ بِأَعْلَى مُنْبَيْتَةِ الْمُسَامَاةِ بِاللُّوْلُوةِ، وَقَدَّ صَحَّ عَلَى الْكَيْتِ عَزْمُهُ، وَكَانَ
أَقْرَبَ أَبْوَابِ الرَّاحَةِ مِنْهُ؛ فَاقْبَلَ بِوَجْهِهِ عَلَى مَنْ تَحْتَهُ، بَفَرَى النَّفْرِيَّ فِي شَأْنِهِمْ؛
وَقَدَّ نَاولَ الطَّيِّبِ فِي إِخْلَالِ ذَلِكَ رِجَالِيهِ؛ فَحَمَلَ عَلَيْهَا عِدَّةَ كِبَاتٍ، ثُمَّ أَمَالَ

شَقَّهُ نَحْوَهُ . وَأَمَكَّهُ مِنْ يَدَيْهِ مَعاً وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى ، وَمَا زَوَى وَجْهَهُ ، وَلَا فَقَدَ نَصِحاً لَهُ كَلَامُهُ ، بَلْ كَانَ يَتَنَاوَلُ أَوَامِرَهُ مِنْ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ بِأَنْهَدٍ مِنَ الْإِشْفَى ، وَيَجْمَعُهُمْ مِنْ وَرُودِهِ عَلَى الْأَوْفَى فَالْأَوْفَى ، وَإِنْ تَنَنَ لِحِمِّهِ الْمَكْوَى لِيَبْتَثُ فِيهِمْ آخِذاً بِخَوَاشِيهِمْ ، وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .

وفى سنة ٢٩٢ ، تُوَفِّيَ الْمَنْصُورُ ابْنَ أَبِي عَامِرٍ (رَحِمَهُ اللَّهُ) لَيْلَةَ الْإِثْنَيْنِ لثَلَاثَ بَقِيْنَ لِرَمَضَانَ الْمَعْظَمِ ، وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً وَعَشْرَةَ أَشْهُرٍ ؛ كَانَ لَهُ مِنَ الْوَالِدِ الذَّكُورِ يَوْمَ وَفَاتِهِ إِثْنَانِ ، وَهُمَا عَبْدُ الْمَلِكِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ ؛ فَكَانَتْ مَدَّةَ قِيَامِهِ بِالِدَوْلَةِ مِنْذُ نَقْدِ الْحِجَابَةِ إِلَى أَنْ تُوَفِّيَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَأَرْبَعَةَ وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا . وَتَرَكَ مِنَ الْأَمْوَالِ النَّاصِئَةَ بِالزَّاهِرَةِ أَرْبَعَةَ وَخَمْسِينَ بَيْتًا . وَكَانَ عَدَدُ الْفَرَسَانِ الْمُرْتَبِزِينَ بِمَضْرَبِهِ وَنَوَاحِيهَا . الَّذِينَ حَارَبَ بِهِمُ الْخُرُوبُ . عَشْرَةَ آلَافٍ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَأَجْنَادُ التُّغُورِ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ .

وَلِلَّهِ دَرُّ الْفَائِلِ فِيهِ الْكَامِلُ :

أَثَارُهُ تُنْبِئُكَ عَنْ أَخْبَارِهِ حَتَّى كَأَنَّكَ بِالْعُيُونِ تَرَاهُ
تَأْتِيهِ مَا مَلَكَ الْجَزِيرَةَ مِثْلُهُ حَقًّا وَلَا قَادَ الْجُيُوشِ سِوَاهُ

وَذِكْرُ أَنَّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ قَدْ نُقِشَا فِي رُخَامَةٍ عَلَى قَبْرِهِ (رَحِمَهُ اللَّهُ) . وَكَانَتْ عَدَّةُ غَزْوَاتِهِ سَبْعًا وَخَمْسِينَ غَزْوَةً ، بَاشَرَهَا كُلُّهَا بِنَفْسِهِ ، وَهُوَ فِي أَكْثَرِهَا يَتَكَوَّمُ عَلَى النَّقْرِسِ - عِنَّا اللَّهُ تَعَالَى عَنَّا وَعَنهُ !

كَمَّلَ السَّفْرُ الْأَوَّلُ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى

وَحُسْنِ عَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَبُيُوتِهِ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

نَبِيِّهِ وَعَبْدِهِ .

HISTOIRE DE L'AFRIQUE DU NORD
ET DE L'ESPAGNE MUSULMANE
INTITULÉE
KITĀB AL-BAYĀN AL-MUGHRIB

HISTOIRE DE L'AFRIQUE DU NORD
ET DE L'ESPAGNE MUSULMANE

INTITULÉE

KITĀB

AL-BAYĀN AL-MUGHĀRIB

PAR

IBN IDHĀRĪ AL-MARRĀKUSHĪ

ET

FRAGMENTS DE LA CHRONIQUE DE ʿARĪB

NOUVELLE ÉDITION PUBLIÉE

D'APRÈS L'ÉDITION DE 1848—1851 DE

R. DOZY

ET DE NOUVEAUX MANUSCRITS

TOME II

HISTOIRE DE L'ESPAGNE MUSULMANE
DE LA CONQUÊTE AU XI^E SIÈCLE

PAR

G. S. COLIN & É. LÉVI-PROVENÇAL



DAR ASSAKAFA

BEYROUTH - LIBAN.